

تَحْذِيرُ الْعَبْقَرِيِّ مِنْ تَحَاضِرَاتِ الْحَضَرِيِّ

أَوْ

إِفَادَةُ الْأَخْيَارِ بِبَرَاءَةِ الْأَبْرَارِ

تَأْلِيفُ

العلامة المؤرخ الثقة الثبت الشيخ

محمد العربي النباني

المدرس بمدرسه الفلاح والحرم المكي

الجزء الأول

سنة ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ هـ

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

طبع في
دار الأوقاف للطباعة والنشر
١٩ شارع بورس باغداد - بغداد

obeikandi.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قد تفضل علينا حضرات أصحاب الفضيلة أعلام العلماء ببیت الله الحرام
بتقريظ كتاب تحذير العبقرى فنثبت كلماتهم شاكرين لهم حسن ظنهم
والله الموفق .

تقار يظ العلماء

تقريظ فضيلة الشيخ محمد عبيد الله المكي المصطفى بالمعصية الشرعية بحكمة
المكرمة والمدرسة بالمعصية الحرام

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، ولا عدوان إلا على الظالمين ،
والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، المرسل بالآيات البينات ،
والمعجزات الباهرات ، وعلى آله وأصحابه ، المشهود لهم بالخيرية والعدالة ،
في الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، الباذلين نفوسهم ونفيسهم في سبيل
إعزاز الدين ، ومنتهى سؤلهم إعلاء كلمة الله .

أما بعد فاني قد اطلعت على بعض مواضع من الكتاب المسمى بتحذير
العبقرى من محاضرات الخضرى فوجدت مؤلف المحاضرات قد حاد عن
الصواب وتكلم في بعض أجلاء الصحابة تصريحاً وإشارة وتلويحاً وسطر
ذلك في محاضراته بقلم ضاع صوابه وتشنجت أعصابه ، فاني بما لا يصح
لمسلم أن يفوه به ، فضلاً عن أن يسطره على مدى السنين ولا يصح لمسلم
أن يفكر فيما جرى بين الصحابة من الحروب ويستنبط بفكره القاصر
أموراً ويصفهم بها توجب جرحهم وعدم نزاهتهم وبراءتهم ، وسقوطهم
مما لا يليق فقد جاء في الحديث : الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضاً فلو

أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه ، والآيات والأحاديث الواردة في فضلهم وعدالتهم وخيرتهم ونزاهتهم وبرائتهم كثيرة وكان الواجب على علماء الأمة الإسلامية أن يقوموا بهذا الواجب الديني وهو الرد عليه المشتغل على عدة واجبات واجب العلم بنفسه وهو أن يبينوا الحق والصواب ويظهروا الخطأ وما يوجب الشك والارتياب ويقروا الأمور في نصابها ويضعوا الأشياء مواضعها وواجب المعلمين وهو أن يعرفهم الحق من الضلال والصحيح من البهتان والهديان والدين والنصيحة وواجب انساني وهو نصرة المظلوم والأخذ بيد العاجز ودفع الظلم عنه والاعتداء عليه وقد قام بهذا الواجب الخطير العالم الجليل والعلامة الدراكة الشهير المؤرخ المحدث المفسر النحوي اللغوي الكبير من شهرته تغنى عن ذكره ألا وهو فضيلة الشيخ محمد العربي المدرس بالمسجد الحرام ومدرسة الفلاح المسكية فقد رد عليه رداً بليغاً شافياً كافياً واستخرج بثاقب فكره ووقادة ذهنه مغامز الخضرى ومراميه من خبايا كلامه ومطاوى مقصده ومراميه ومع هذا قد جمع كتابه هذا جانباً من التاريخ والسيرة النبوية والأخلاق المصطفوية والرد على من فسر بعض آى القرآن برأيه الفاسد الذى لا يستند إلى كتاب أو سنة أو إجماع وإنما مستنده اتباع الهوى والسير وراء العقل واتباع سنن الكون فما خالف شيئاً منها ولو كان ثابتاً بالأدلة القاطعة رده وإنكره ولقد سمعت بعض الشباب المثقف يقول يقال إن الحجر الذى كان سيدنا إبراهيم عليه السلام يقف عليه حين بنائه لبيت الله الحرام تارة يصعد ويرتفع وتارة يتسفل وينخفض لأخذ سيدنا إبراهيم الحجر والطين من الأرض هذا شيء مما لا يدخل فى "العقل ولا يعقل ولم تأتى بالكلام الذى لا يقبله العقل؟ وهو أشبه شيء بالخراف ونصير ضحكة للناس ولماذا لا نقول إن إبراهيم عليه السلام كان حين يبنى البيت يربط سقالة كما هو عمل البنائين فى هذا الزمان والسلام ، فهذا الشخص وأمثاله ممن ينكرون المعجزات والأمور الخوارق للعادات مما يظهر على يد الأنبياء عليهم الصلاة

والسلام والأولياء الكرام سيرا منهم وراء عقولهم واتباعا للهوى وسنن الكون اما أن يعترفوا بوجود الاله العالم القادر المرید المخالف للخلوقات في ذاته وصفاته وأفعاله المتصف بجميع صفات الكمال المنزه عن كل نقص المتصرف في الكون بقدرته وعلمه وارادته ومشيئته وموجوده على أبدع نظام وأحسن إتقان فان كانوا يعترفون بذلك ويكونون من أغبياء الملة يقال لهم ما المانع من إحداث وإظهار الله سبحانه وتعالى المعجزات والأمر الخارقة للعادات على يد النبي أو الولي وهو الفعال لما يريد وقد أوجد هذه الكائنات وقلب العصا حية عظيمة فتلقفت جميع ما يافكون ثم عادت لأصلها وهذه الكائنات من المعجزات الباهرات الخارقة للعقول وان كانوا لا يعترفون بذلك ويكونون دهرين فما بالهم يتكلمون في الفرع مع عدم اعترافهم بالأصل . والحاصل أني أقول :-

جزى الله مؤلف هذا الكتاب خيرا وأكثر من أمثاله وأطال في حياته واني كتبت هذا مقتضرا لسبب عدم اطلاعي على جميع ماحواه هذا الكتاب لضيق الوقت والعجلة نفع الله به الطلاب آمين .

محمد يحيى أمان المكي
العضو بالمحكمة الشرعية
بمكة المكرمة

تقرئ قضاة الشريعة من مشايخ الفقه والحكمة الشرعية والمراسين
بالمعجز الحرام بمكة المكرمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمداً يوجب رضاه ويقتضى المزيد من فضله ونعمائه ، والصلاة
والسلام على سيدنا محمد سيد المتقين وإمام المرسلين ، وآله وصحبه الغر
الميامين ، ومن تبعهم باحسان إلى يوم الدين .

أما بعد : فقد أصبحنا في عصر راج فيه سوق الجهل وانتشر فيه الاحاد
والبدع والمحدثات ، وهانت فيه على كثير من الناس أمر دينهم وانقلبت
الامور فصار التمسك بالدين جموداً والمروق والخروج على آدابه وتعاليمه
تمديناً وحصارة وتثقيفاً وتجديداً وأصبح المعروف منكراً والمنكر معروفاً
وتنسكت فيه أعلام الخير والى الله المشتكى . حتى نجم من بعض من ينسب
نفسه إلى العلم وأهله أن شاء أن يتحدث فيما يكتب عن تاريخ الامة المحمدية
وسيرة نبيها وسلفها بما لا يتفق وصحيح الاخبار مما يحط من الكرامة ويلصق
بالساحة الكريمة ما هي منه براء في عبارات منمقة وتحرير مسبوك بروح
العصر ودسائس غطت على الحقيقة ولبست الحق بالباطل في غير حياء ولا
مراقبة للملك الديان ولا وازع في توخي الحق والرجوع اليه بعد ظهوره
والوقوف عند ما يجب .

وكان من فضل الله تعالى في كل عصر أن قيض علماء أجلاء يحرسون
دينه ويصدون عن بيشته ويدافعون عن حومته وعن رجاله المخلصين وعن
السلف الصالح الذين في مقدمتهم أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم الذين هم خير أمة أخرجت للناس لم ير الوجود مثلهم بله النبيين
والمرسلين نقلوا لنا عن هذا النبي الكريم الدين والسنن وحفظوها عنه
وبلغوها عنه وبلغوها إلينا كما سمعوها ، فهم صحابته الأكرمون
المعدون حجة الله على المسلمين وهم خير القرون وأول من آمن به وآزره
ونصره وقد أثنى الله عليهم في الأزل قبل ظهورهم الى هذا الوجود ولقد

كانت صحبتهم لهذا الرسول الكريم وتشرفهم باكسـسير نظره الميمون ومشاهدتهم لأحواله الشريفة وملازمتهم له في السلم والحرب مع مامـنحه الله من المعارف السامية والأخلاق الكريمة والأسرار الكبيرة الجذابة ، كل ذلك كان كافيا في نقل النفوس البشرية من دركات جهلها وطغيانها الى السمو إلى الدرجات العلى للتحقق بحقائق الايمان والعرفان فلذلك تحققوا بكل فضيلة وخير فمن أحبهم فبحبه صلى الله عليه وسلم أحبهم ومن أبغضهم فببغضه أبغضهم ، والله در إمام الأئمة ونجم الأمة سيدنا مالك بن أنس رضى الله عنه إذ فهم -بثاقب فكره الصائب من الآية الكريمة التي ضربت مثل الأصحاب الكرام في التوراة والإنجيل « كزرع أخرج شطأه فآزره » إلى قوله: « ليغيظ بهم الكفار » إن من أصبح من الناس في قلبه غيظ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد أصابته هذه الآية .

ولا أظن أحداً يخالف هذا الامام الجليل في هذا الفهم الصائب فرضى الله عنه وأرضاه ما أبعد نظره وأسماه ١ .

وان من هذا الطراز في العلماء العاملين الذين وفقهم المولى وأقامهم في هذا العصر الحاضر الممتلىء بالفتن المدهمة يذشرون دينه ويشيدون برجاله المخلصين وسلفه الماضين ويدافعون عن حمى أعراضهم الشريفة بالكتابة والنقد الصحيح تارة والدرس والاقراء النافع تارة أخرى العلامة الشهم المحدث المؤرخ الألعى سـيدى الاستاذ أبى عبد الله السيد محمد العربى بن السيد التـبـانـى بلغه المولى غاية الامانى .

فلقد اطلعت له على مؤلف أسماه بـ (تحذير العبقري من محاضرات الخضرى) وقرأت مواضع من هذا المؤلف الجليل ورأيت مؤلفه يقصد فيه الدفاع عن الاخبار الصحيحة ويرد اليها الاخبار الواهية الجريحة وما كان فيها من فساد بين وجهة فساده ورده الى الجادة القويمة وجلبله من الاخبار الصحيحة ما يدعمه وما كان من مقالات باطلة دحضا أو آراء فاسدة كشف الحجاب عنها وزينها وأوضح أن العلم أمانة تجب مراعاتها وحفظها وربما

استطرد الموضوع فكمل ما يحتاج الى زيادة وتكميل الى غير ذلك مما سيقف عليه المطالع في هذا المؤلف الجليل كما أن فضيلة الناقد حفظه الله تراه عند ما يسوق كلام الاصل بتمامه وفيه ما يشعر بلز في حضرة أحد من الاصحاب الكرام تراه يدافع بقوة وحماسة عن ساحة الاصحاب ويشيد بسمو مكانتهم وما لهم من فضل وتقدير واحترام .

وان ذلك لعمر الحق حق واجب على كل مسلم عالم غيور يقصد الحيلة لدينه والنصيحة لإخوانه المسلمين وبذلك يجدر به أن يكون من السالكين في أهل العلم والتقوى حقاً .

وإني إذ عرفت نوايا هذا الاستاذ الكبير الصادق واخلاصه الجهم فيما جمعه هنا من نقد وما أظهره من اناقة وسمو مكانة لسلفنا الصالح رضوان الله عليهم أجمعين فاني أتشرف بأن أضرم صوتي لصوته طالباً من اخواني المسلمين أن يراقبوا الله تعالى في دينه وأمانته التي ائتمنهم عليها وصحابة نبيه الابطال الاجداد وأن يحلوهم أينما ذكروا وان يعرفوا لهم من الحرمة والتبجيل والتعظيم ما تفضل الله به عليهم وان ينافروا على حرمتهم بالدفاع عن ساحتهم الشريفة ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً فان الدفاع عنهم دفاع عن دين الله ورسوله وأخص بالنصح بذلك ناشئنا المتعلمين فان عليهم أن يأخذوا تاريخهم المجيد وتاريخ الاسلاف الاجداد من منابعه الصافية ومصادره الصحيحة الصائبة وان يعرضوا عن الاخذ مما كتبه أو يكتبه الغريون أو الملحدون في ذلك فان فيما أبقاها وورثه لنا سلفنا الصالح من الثروة العلمية الصحيحة والتاريخ المجيد الخالد الخير الكثير الكافي .

هذا وانى أسأل الله الكريم أن يبق لنا فضيلة هذا الاستاذ المؤلف وأن يديم به نفع المسلمين عامة وأهل العلم خاصة وأن يكثر المولى من أمثاله وأن يحزيه على جليل أعماله وأن يطيل عمره في صحة وعافية بمنه وكرمه آمين وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه .

حسن مشاط المسكي

تقرئ بط فاضله السبر اسمان عزوز عضو مجلس الشورى

ومدير مدرسة الفلاح بمكة المكرمة

بسم الله الرحمن الرحيم

شيخنا العلامة الشيخ محمد العربى التبانى الجزائرى ثم المكي جمع الله له طرافة الحديث وعزارة العلم وسعة المعارف واجمع بين الرواية والفهم . أصولى ، مفسر ، محدث له قدم أعلى فى التاريخ العربى والاسلامى قد شغل أوقاته منذ نشأته بمذاكرة العلم وتدريسه والتأليف فيه . وتصانيفه ممتعة ، وقد جرد نفسه فى تأليفه للدفاع عن الدين ورجاله .

مصنفاته

١ - تنبيه الباحث السرى إلى مافى رسائل وتعاليق الكوثرى وقد تعقب فى هذا الكتاب الشيخ زاهد الكوثرى رحمه الله تعالى حيث تحامل على الأئمة وأتباعهم من غير الحنفية فرد الشيخ الأمر إلى نصابه .

٢ - محادثة أهل الأدب بأخبار وأنساب جاهلية العرب : وهو كتاب مدرسى تعرض فيه لتاريخ العرب قبل الاسلام .

٣ - إسعاف المسلمين والمسلمات بجواز القراءة ووصول ثوابها إلى الأموات .

٤ - اعتقاد أهل الإيمان بالقرآن بنزول المسيح بن مريم عليه السلام آخر الزمان : تعرض فيه للرد على من أنكر نزول المسيح بأحسن رد .

٥ - خلاصة الكلام فيما هو المراد بالمسجد الحرام : حقق فيه الغرض من المسجد الحرام هل هو المسجد ؟ أم الحرم كله .

٦ - نزهة الفتيان فى تراجم بعض الفتيان والشجعان : ذكر فيه بعض شجعان العرب والصحابه .

٧ - اتحاف ذوى النجابه بما فى القرآن والسنة من فضائل الصحابة : وهو رد على الطاعنين فى الصحابة وخاصة الرافضة الذين ينتقصون الصحابة

الكرام وقد مهد في هذا الكتاب القواعد العامة في فضلهم كما أردف ذلك بخاتمة في فضائلهم عموماً وخصوصاً الخلفاء الأربعة .

٨ - تحذير العبقري من محاضرات الخضرى : وقد مهد المصنف لكتابته هذا بمقدمة ذكر فيها القواعد الصحيحة التى بمقتضاها توثق الاخبار أو تجرح وقد اقتصر فى نقده للمحاضرات على الجزء الخاص بالصحابة كما تعرض لبعض الموضوعات الأخرى الدينية كقصة الفيل ، وبناء البيت ، وحججه ، والخلافة الإسلامية وقصة الأسراء والمعراج . ويعتبر هذا الكتاب صنواً لكتاب إتحاف ذوى النجابة إذ كلاهما يتمم الآخر فى الإتحاف تعرض للقواعد العامة وفى هذا الكتاب تتبع الاخبار على ضوء قواعد المحدثين .

ولعمر الحق لقد كان المحدثون ملهمين حين استنبطوا تلك القواعد لنقد الرواية فكانت أحكام القواعد وأدقها ولو حكمها الباحث المثبت لتيقن أنه لا يمكن الحكم الصحيح بصحة الاخبار أو فسادها إلا بصحة النقل أو أو فسادها فقط ومع أن فضيلة الشيخ قد أحكم هذه القواعد فإنه لم يهمل المعقول فقرن الرواية بالدراية ، وهذا أعلى درجات التحقيق .

وحبذا لو أقبل الشباب على دراسة هذا الكتاب فإنه سيكون معيناً لهم على عدم التورط فى القديح فى الصحابة بمجرد أخبار واهية ذكرت فى بعض كتب التاريخ دون نقد أو تمحيص . وأرجو أن يحفظ الله تعالى المؤلف ويمتحننا بأبحاثه الشيقة وتحقيقاته النافعة المفيدة .

السيد اسحاق عزوز

تقرىظ فضيلة السيد محمد أصبى كنى

المدرس بالمسجد الحرام وكلية المعلمين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين . والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد فهذه دائرة معارف محكمة البنیان ، قوية

الأركان ، واضحة البرهان ، بين بها فضيلة شيخنا العلامة الشيخ محمد العربي حفظه الله تعالى أبا طيل المشوهين حقائق تاريخ الإسلام وخصوصا ما زل به قلم الشيخ الخضرى فى محاضراته فى سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وفى سيرة خلفائه الراشدين وأصحابه الكرام ، سماها (تحذير العبقري من محاضرات الخضرى ، أو إفادة الأخيار ببراءة الأبرار) والناظر فيها يعلم أنه ما كان ليضطلع بها غير مؤلفها لأنه إمام العصر فى فن التاريخ وقد عرف كيف يرد على المؤرخين الذين نصبوا فى أيديهم موازين يزنون بها الصحابة ويوازنون بها بينهم وقد غاب عنهم أن الشارع لم يأذن لهم فى ذلك وفتحوا لأنفسهم بابا أغلقه رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده ، وماذا عسى أن يقول هؤلاء المؤرخون فى الصحابة رضى الله عنهم بعد قوله صلى الله عليه وسلم فى حديث الطبرانى عن ابن مسعود رضى الله عنه إذا ذكر أصحابى فأمسكوا ، وبعد قوله صلى الله عليه وسلم فى حديث مسلم : لا تسبوا أصحابى فلو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه . وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث الترمذى : الله فى أصحابى لا تتخذوهم غرضا بعدى فمن أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضى أبغضهم ومن آذاهم فقد آذانى ومن آذانى فقد آذى الله تعالى ومن آذى الله تعالى يوشك أن يأخذه ، وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث الديلمى وأبى نعيم : من سب أصحابى فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا .

ولا شك أن اتهام فضلاء الصحابة فى الرأى وتجريدهم من الحزم والمعرفة ونسبتهم الى الخرق والغفلة وأمثال ذلك نوع من السب بل هو أعظم السب فى حق مثلهم وكيف نتهم قوما اختارهم الله تعالى ، فى حديث البزار والديلمى عن جابر رضى الله تعالى عنه : ان الله تعالى اختار أصحابى على جميع العالمين سوى النبيين والمرسلين واختار لى منهم أربعة أبا بكر وعمر وعثمان وعليه فجعلهم خير أصحابى وفى أصحابى كلهم خير ، قال

الشهاب الخفاجي في شرح هذا الحديث فكلمهم علماء عدول كما في حديث خير القرون قرني ثم وشم . وهذا سبب ما حكاه إمام الحرمين رحمه الله تعالى في الاجتماع على عدالتهم كلهم صغيرهم وكبيرهم فلا يجوز الانتقاد عليهم بما صدر عن بعضهم مما أدى إليه اجتهداه لما أوجب القطع بأنهم خير الناس بعد النبيين والمرسلين ، ولما اتصفوا به من الهجره وترك الأهل والأوطان وبذل النفوس والأموال في نصرة الدين وقتل الآباء والأبناء والمناصحة في الدين وقوة الإيمان واليقين وغير ذلك من المنح الإلهية اهـ .

قال القرافي رحمه الله تعالى : أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كانوا بحارا في العلوم على اختلاف أنواعها من الشرعيات والعقليات والحسابيات والسياسيات والعلوم الباطنة والظاهرة حتى يروى أن علياً جلس عند ابن عباس في الباء من بسم الله من العشاء إلى أن طلع الفجر مع أنهم لم يدرسوا ورقة ولا قرأوا كتاباً ، ولا تفرغوا من الجهاد وقتل الأعداء ومع ذلك كانوا على هذه الحالة حتى قال بعض الأصوليين لو لم يكن لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم معجزة إلا أصحابه لسكفوه في إثبات نبوته اهـ . وفي كلام علماء المذاهب الأربعة كالطحاوي والغزالي والقاضي عياض

والنووي وابن تيمية والكمال بن الهمام والهيتمي ما يؤيد هذا :

وما أخبرنا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بأن الله تبارك وتعالى قال لأهل بدر وكانوا ثلاثمائة وبضعة عشر : (اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم) إلا ليعرفنا قدرهم وينبئنا على فضاهم ويمنعنا من انتقادهم . ولما قدم صلى الله تعالى عليه وسلم من حجة الوداع إلى المدينة صعد المنبر وخطب خطبة في فضله قال في آخرها : أيها الناس ، احفظوني في أصحابي وأصهارى وأختانى لا يطالبنكم أحد منهم بمظلمة فإنها مظلمة لا توهب في القيامة غدا . رواه الطبراني عن خالد بن سعيد . وفي حديث أبي نعيم والديلمي عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال : احفظوني في أصحابي وأصهارى فإنه من حفظنى فيهم حفظه الله تعالى في الدنيا والآخرة ، ومن لم يحفظنى فيهم تخلى الله عنه ومن تخلى الله عنه يوشك أن يأخذه .

وحسبك ان الله تعالى قد نص في آيات كثيرة على أنه رضى عن الصحابة قال تعالى : والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه . ولهذا قال العلماء : إذا ذكر الصحابة بسوء كإضافة عيب إليهم وجب الإمسك ، وقد افرد فضائلهم - بالتأليف جماعة من أئمة السلف كأبى محمد خيثمة بن سليمان الطرابلسى وأبى محمد . طراد بن محمد الزينى وأبى القاسم حمزة بن يوسف الجرجانى وأحمد ابن محمد بن المهندس وأبى الحسن أحمد بن حمزة الموارينى - وجماعة كثيرة ممن بعدهم منهم مؤلف هذا الكتاب فإنه قد ألف - اتخاف ذوى النجابة فى فضائل الصحابة - فمن اللازم على كل مسلم اقتناء هذه الموسوعة الجليلة ليطالع على تاريخ سلفه الصحيح ويقى عقيدته بما يخالف ذلك ، وختاماً أسأل الله تعالى أن يطيل عمر مؤلفها ويديم نفعه وبركته آمين .

وهذه تحية أسجلها هنا لفضيلته مع التقدير والاحترام ...

تكللت روضة التاريخ بالزهر	غضاً وطرزها الوسمى بالدرر
وأشرقت شمسها ببيضاء صافية	لا حر فيها فلاحت فى سنا القمر
والريح تسكتب إملاء الطيور على	صحيفة النهر بالأصال والبعك
وكل قلب له شغل بناحية	وكل قسم له حظ من النظر
قلب بمختلف الأهواء مشتغل	وأخر بفصول العلم والأثر
يجول فى روضة يجنى فواكه	حتى يمر على التعقيب (بالخضر) ي
خميلة تسكر الدنيا بكرمتها	من قبل ان تجتنى من يانع الثمر
ما أحسن العلم فى أهل الكمال فكم	يزيدهم رفعة فى أعين البشر
ولأنى اليسوم مسرور الفؤاد بما	أبداه أستاذنا من أصدق الخبر
وسوف ينمو سرورى كلما ظهرت	له المآثر فى التاريخ والسير
بمثابها يعنى الانسان مقتنعا	بما احتوته من الآراء والفكر
ان كان لابد من تقديم تهنئتي	للشعب فهى بهذا العالم الاثرى
فان تصورت (كالزهري) حافظة	فانه صورة من أصدق الصور

وان تخيلت (كالشعبي) عارضة
ومن يكن يستمد الفضل مقتبساً
لا تعد عيناك عن تأليفه أبدا
أوصافه كزهور الروض باسمه
عادت يداه على الدنيا بنافعة
وعم نفعا فكم شاهدت معترفا
لا تنكرن هبات الله فهو كما
تبارك الله سبحانه القدير على
بشرى لنفس طموح لا ينهنها
وهل سمعت بشخص نال مطلبه
ورب منتصب للحق أعجبه
ورب آخر لا يسمو لسابقه
لا تنكروا لهجة الحق الصريح فما
من خاض لجة بحر النقد خاض على
مساحا بصحيح النقل ليس له
يزل عن فاسد الآراء منحرجا
يمر في معرض التحقيق منبسطا
إذا تدفق خلت النيث مندققا
له على شارد الأقوال هيمنة
ثم الصلاة على أعلى الورى شرفا
والآل والصحب والأتباع قاطبة

فانه المثل الموضى فى النظر
من عنصر طيب كالتبر فهو حرى
أو درسه فهو ملء السمع والبصر
وخلقه كنسـيم الصبح والسحر
وفكره جاد بالآيات والغرر
بفضله ليس ينسى أطيب الذكر
أملت فيه بلا من ولا كدر
تخصيص من شاء بالتوفيق والظفر
وعر المسالك عن إدراك منتظر
عقوا ولم يدرع بالحزم والسمير
من لهجة الحق وقع الصارم الذكر
تقبل الحق فى شىء من الضجر
على محياه من ذل ولا قتر
سفينة ضخمة الألواح والدر
فى منكر القول والابحاث من وطر
عنها كما زلت الصفواء بالمطر
كالماء منحدر فى كل منحدر
ينهل بالصفو لا باللغو والعكر
تدنى أوابدها فى الورد والمصدر
محمد المصطفى المختار من مضر
والأولياء وأهل العلم والنظر

محمد أمين كتي

٢٧ رجب سنة ١٣٧٤ هـ .

المدرس بالمسجد الحرام وكلية المعلمين

عفا الله عنه

تقر يظ فضيلة الصبيح محمد نور سيف المدرسي بالمسجد الحرام

ومدرسة الفلاح بمكة المكرمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعلنا من أمة خاتم النبيين ، وشرفنا بالانتساب إليه من فضله المبين، ورفع مقام أصحابه الكرام على هام الثريا ، وجباهم بصحبته شرفا جليا ، فنالوا عزا أبديا، وفوزا سرمديا، بحيث لا تلحق لفضلهم غاية ، ولا تدرك لكمالهم نهاية ، صلى الله وسلم عليه صلاة وسلاما ، نال بهما التوفيق لسلوك مناهج الأدب ، ونبوغ بهما في احترام أحبابه أسمى الرتب، وعلى آله وأصحابه ذوى النفوس الزكية، والأخلاق المرضية، وعلى التابعين لهم على المحجة السنية، والعقيدة السنية. (أما بعد) فإن الله تعالى جعل الخير في هذه الأمة متواصلا ، والذب عن حرمت دينه فيها بكل عصر ماثلا ، فلا يعدم البر فاعلا ، ولا الحق قائلا، وإن مما من الله به سبحانه (وله الفضل والمنة) على شيخنا وقدوتنا ومرينا الجهد الكبير، والعلامة الخطير، والخبر الشهير، والفهامة النحرير، الجامع لأشتات العلوم فروعاً وأصولاً، منقولاً ومعقولاً، صاحب الفضيلة، والأيدى الجليلة، والمناقب الجليلة، مولانا الحبيب النسيب الشيخ محمد العربي (حفظه الله تعالى) - أن جعله من أولئك الأفاضل الذين يحفظ بهم كيان دينه المبين، وكرامة حملته المتلقين له عن سيد الأنام الصادق الأمين، الذين عز شبيهم فيمن تقدم من أصحاب المرسلين ، ولا نظير لهم فيمن سلف من النقباء والحواريين

رضى الله عنهم ورضوا عنه وتلك السيادة القعساء
كلهم في أحكامه ذو اجتهاد وصواب وكلهم اكفاء
مالوسى ولا لعيسى حواريون في عداهم ولا نقباء

هؤلاء الصحب السادة الفخام ، والقادة الأجلاء العظام لم يكن يخطر
ببال أى مسلم (صان الله قلبه من شوائب البدع) أن يحسر على النيل منهم

والغرض من كرامتهم نقر ينتسبون (ويا للأسف) إلى أهل السنة من مؤرخي وأدباء هذا العصر قنعوا بالقشور عن اللباب، ولم يأتوا بيوت الحقائق من الابواب فخنقت عليهم معالم الصواب، وخبطوا خبط عشواء في ليلة ظلماء حالكة الجلباب، أفبعد ثناء الله تعالى عليهم في محكم الآيات، التنويه بعلو شأنهم وما أعد لهم من الكرامات وبعد مدح رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لهم في الاحاديث المتواترة والصحاح المشتهرة، وتحذيره من تنقيصهم والتعرض لهم بالأذى واعلامه بأن ذلك يؤذيه وأن من آذاه فقد آذى الله ومن آذى الله فيوشك ان يأخذه - أبعد كل هذا يسوغ مسلم لنفسه ثلبيهم تعريضا وتصريحا وإيهاما وتلويحا، أما طارق سمعه قول الحق سبحانه في آي كتابه (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود) وقوله جل ذكره (لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى) لم يسع قدوتنا العلامة (متع الله المسلمين بحياته) بعد أن رأى تلك الهفوات فيما كتبه الحضري من محاضرات التاريخ الاسلامي إلا أن يتعقبها بتزييف باطلها ونبت عاطلها حتى يتميز الصدق من المين فيقال (أسفر الصبح لذى عينين) وقد سبق له أن تعقبها في ستين بحثاً في مؤلف مختصر أسماه (النصيحة والاستدراكات على ما في كتاب المحاضرات) فانتشر ذلك المؤلف ونفدت نسخته فأراد (نفع الله المسلمين بعلمه) أن يحدد طبعها ولكن بعد أن زاد فيها زيادة واسعة وساق المباحث المتقدمة بنصها حرفياً ثم عقب عليها بما هو الحق ليجعل الناظر على بصيرة بموضع الداء ونوع الدواء وأداء الحق أمانة العلم على أكمل وجه وسيراها الناظرون، فتقر بها (إن شاء الله) العيون ويرتضيها المنصفون (وما رآه كمن سمعا) ولقد سلك أيده الله في نقدها مسلك المحققين، من الباحثين الذين يعرفون الرجال بالحق لا الحق بالرجال كما هو ديدنه في

سائر ما قيده من آثاره النافعة ، وتآليفه الممتعة ، فبلغ ما تعقبه منها ستاً وعشرين محاضرة (ابتدأها من الثالثة إلى العاشرة تباعاً والثانية عشرة وتاليتمها والسادسة عشرة والثامنة عشرة وتابعتها ، ومن الخامسة والعشرين إلى الخامسة والثلاثين ولاء) ، نقدها نقداً بريئاً ، ومحصها تمحيصاً نزيهاً فاستهل هذه التعقيبات (بعد التناء على الله تعالى والصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه) « بمقدمة » أوضح فيها ما يجب على المسلم من عدم الوثوق بكل ما يقوله المؤرخون في رجال الاسلام عموماً وبالأحرى في الصحابة رضی الله عنهم محذراً من كتب أهل الأهواء كافة وبالأخص من كتب بعضها المناوئين لدين الاسلام كتآليف دار الهلال مينا ان الضلال بها أشد من الضلال بالكتب الخرافية الموضوعية كذات الهمة والعنصرية وفتوح الشام المعزول للواقدي وبعضها لطائفة من أهل العصر انتقدوا الصحابة رضي الله عنهم انتقاداً خاطئاً نتيجة أهوائهم وإفلاسهم من الرواية وجهلهم بها وبرجالها وتقليدهم لذوى الأهواء والوضاعين زاعمين أن هذا هو التاريخ الحر وما هو في الحقيقة إلا الأباطيل - وأهاب بشباب الاسلام خاصة والمسلمين عامة أن ينزهوا أسماعهم وأبصارهم وعقولهم عن هذه المفتريات التي يحاول بها أعداء الاسلام تشويه حقائق تاريخه الناصعة وأن يتمسكوا بما أجمع عليه أهل السنة والجماعة من خطر الخوض فيما جرى بينهم رجوعاً بهم إلى عقيدة القرآن والعقيدة النبوية الثابتة فيهم (وأشار باجمال الى هفوات الخضرى في انتقاده الخلافة فى طرقها الثلاثة وطعنه بسببها فى الصحابة خصوصاً وعموماً لاسيما حيدرة رضى الله عنه وعنهم أجمعين وحذفه لدلائل النبوة والمعجزات المروية فى سيرته عليه الصلاة والسلام من كتابه ، وذكر أن الاشادة بفضائل الصحابة والذب عن حمى أعراضهم الشريفة محتتم على كل مسلم وأنهم رضى الله عنهم هم الذين سنوا لنا المدافعة عن أعراض المؤمنين كما هو مروي فى الصحاح والسنن والمسانيد والمعاجم وتأسى بهم فى تلك المدافعة التابعون وأئمة الاجتهاد والعلماء العاملون بعدهم وهلم جرا إلى زماننا آخذين ذلك من كتاب الله تعالى وسنة

رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم للذين وفيهم حق الثناء ودهما من تنقصهم،
وختم هاته المقدمة بأن المثني عليهم تابع للكتاب والسنة وإجماع الأمة
الاسلامية فهو على الحق يقينا والمنتقد لهم والطاعن فيهم هالكان .

وابتداً نقده (في المحاضرة الثالثة) وهى الأولى بالنسبة لما تعقبه «
بحادثة الفيل وفند فيها مزاعم المحاضر الباطلة وتمحلاته الخاطئة وتحريفاته
الفاسدة وتأويلات شيخه ومقلده « محمد عبده » للطير الأبايل بما يباه
صحيح المنقول وصريح المعقول تفنيذا مبسطا بالأدلة الساطعة أتى عليها
من القواعد واجتثها من الأصول .

(وفي المحاضرة الرابعة) كشف عن جهل المحاضر القناع في مخالفته
للقرآن والصحيح والتاريخ في سكنى اسماعيل عليه السلام « قبل جرهم »
في أشرف البقاع .

(وفي الخامسة والسادسة) تم الكشف عن جهل المحاضر في قصة
جرهم واسماعيل ودعواه أنه هو الذى بنى الكعبة وجعلها مطافا يحجها
أولاده .

(وفي السابعة) خطأه في وثوقه بمؤرخى الأفرنج وعدم ثقته بمؤرخى
الاسلام فى قصة بحيرا واستطرد فيها ببيان أن السبب فى إنكار بعض أهل
العصر للأمور الغيبية هو مجارة الذين لا يؤمنون بالغيب، ورد على (صاحب
المنار) ما يبطل جهلة المؤرخين فى عثمان رضى الله عنه وتساهله
فى المحافظة على شرف الأصحاب رضى الله عنهم بمنعه الحذف لكلام
شائهم من المؤلف الذى تضمنه بحجة أنه لا يسوع حذف كلام العلماء من
التأليف فى حين أنه ناقض نفسه (عندما اطلع على الكلام الحق للمؤرخ
شبللى النعمانى فى ذم جر جى زيدان بأنه خائن فى النقل محرف لكلام
العلماء الخ) فذكر أن هذا الكلام لولا أنه طبع فى غير مناره وشاع وذاع
لحذفه فسجل على نفسه أن منزلة ذى النورين وأكابر الأصحاب رضى الله
عنهم لا يتيح حذف نباح الأشرار على سمو مقاماتهم ومنزلة صديقه النصرانى

تبيح حذف كلام المسلم الحق في رد باطل ذلك النصراني وكشف دخيلة أمره وغشه) .

(وفي الثامنة) استدرك عليه تقصيره في إيراد أقسام الوحي ثم ساقها أحسن سياق نقلا عن الامام المحقق السهيلي وأبطل سخافات الزاعمين أن الملائكة والجن والشياطين « قوى » لأجسام بما نقله من النصوص القرآنية العديدة التي أعتقد أنك لا تراها مجموعة هذا الجمع البديع في غير هذا التعقيب فجزاه الله عن الاسلام وأهله خير الجزاء .

(وفي التاسعة) ألزمه إلزاما « لا يمكن التفصي عنه بحال » ، بأن إنكار كون الملائكة والجن والشياطين أجساما تكذيب للقرآن الذي أثبت ذلك في آيات كثيرة يتعذر تأويلها وأن نتيجة هذا الإنكار بطلان الوحي - ولامه على دمه قصة عداس مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في الطائف وإنذار الشيطان لقريش بصراخه عند بيعة العقبة الثانية وتمثل الشيطان لقريش في دار الندوة وما وقع من هتاف الجن عند هجرته عليه الصلاة والسلام ودرة شاة أم معبد وقصة سراقه بن مالك المدلجي .

(وفي العاشرة) وضح معنى المعجزة بأتم بيان وبسط القول في وجوه إعجاز القرآن بسطا يأخذ بخناق المعارض ويغل يدي المناقض - وقد تعرض لذكر طائفة من العصريين أنكروا المعجزات واخترعوا للأنبياء بدل وصفهم بالنبوة العبقريات بغية التخلص من معجزاتهم الملازمة للنبوات ونقل عن العلامة الشيخ مصطفى صبري التوقاوي تبسكيتهم في تقليدهم ملاحدة الغربيين في إنكارها ولخص المعجزات في ثلاثة أنواع أولها وأعظمها القرآن المعجزة الخالدة وثانيها إخبار القرآن بالمغيبات ماضيها ومستقبلها وثالثها أفعال ظهرت منه عليه الصلاة والسلام على خلاف العادة تجوز الألف عدا وساق أمثلة كثيرة للنوعين الثاني والثالث مما يزيد المؤمن إيمانا ويشرح صدره إيقانا واختتم الكلام على هذه المحاضرة بالاطناب في قصة الاسراء والمعراج اطنابا باهرا استغرق ما يزيد على عشرين صفحة يتيقن من اطلع عليه أنه منحة

الهيبة حبا لله بها مولانا المؤلف من فيض جوده الغامر وفضله المتكاثر فانك مهما قلبت من التأليف ونقبت في التصانيف لا تصادف كـ هذا التحقيق لحادثة الاسراء والمعراج في احاطته بجمع أشتات المباحث النفيسة والتدقيقات الرائعة والتنقيح للأدلة والتنبيه على غلط المتساهل في هذا الشأن بالاعتناع بما تيسر له من أثر ضعيف أو موضوع وارشاده إلى مواضع هفواته في دياجاة مشرقة وبيان سحري وأسلوب جذاب إلى أنقال تشد إليها الرحال وتناط بها الآمال .

(وفي الثانية عشرة وتاليتها) لاحظ عليه تركه لسنة من أعلام نبوته صلى الله تعالى عليه وسلم في غزوة بدر ، وسبعة في غزوة أحد ، وستة في غزوة الخندق ، وواحد في غزوة الحديبية وواحد في غزوة مؤتة ، ونبه على أخطائه الكثيرة فيها خصوصا فيما يتعلق بعدد الصحابة رضى الله تعالى عنهم وعدد عدوهم وأقام له الشواهد الجمة على خطئه واستدرك عليه تركه لغزوة خيبر ودلائل النبوة الثلاث فيها وتركه لدلائل السبع في فتح مكة وحنين وتركه لدلائل الثمان في غزوة تبوك .

(وفي السادسة عشرة) تعقبه في عدة أخطاء ثم بين أن في المقدار الذي كتبه في رد أباطيله في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم من دلائل النبوة والوحى وأنواعه ومتعلقاتهما كفاية للإسلم المتبصر وأنه يشرع بعد ذلك في دحض أباطيله في الخلافة وسيرة الصحابة رضوان الله تعالى عليهم لأن سيرتهم جزء من سيرته عليه الصلاة والسلام والطعن فيهم طعن فيه وفي القرآن الذي عدلهم وأنهم دعائم الدين فالطعن فيهم طعن فيه وساق الآيات والأحاديث في الثناء عليهم والتحذير من سبهم .

(وفي الثامنة عشرة) تكلم على الخلافة ووجوبها والدليل عليه كتابا وسنة وإجماعا وذكر تخطيط المحاضر فيها وأفاد أن أقاويل الامامية والاسماعيلية والمعتزلة وما تفرع عنها في شأن الخلافة مما لا تشهد له أدلة الكتاب والسنة ثم أفاد في الكلام على الخلافة في طرقها الثلاثة وما يتصل

بها فى نحو ثلاث وثمانين صفحة بمالم ينسج ناسج على منواله ولم تسمح الايام
بمثاله (وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء) .

(وفى التاسعة عشرة) أخذ عليه تساهلا فى الاقتناع بروايه ضعيفة
فى تأخر بيعة على لأبى بكر رضى الله تعالى عنهما وتخليطا فى محاربة
الصديق للمرتدين .

هذا ولو أردت التنبيه على كل ما فى هذا السفر الفائق من اللطائف
والتحقيقات ولو بالاشارة العابرة لاستدعى ذلك تطويلا يتجاوز
حد الاسهاب غير أنه لا يفوتنى (والدين النصيحة) أن أبالغ فى نصيحتى
لأخوانى المسلمين وأحبابى المؤمنين المشفقين على دينهم أن يطلعوا
على هذه المباحث التى تحفظ عليهم عقيدتهم السنية الصحيحة فى
أصحاب نبينهم صلى الله تعالى عليه وسلم وان يحرصوا كل الحرص على هذا
المؤلف النفيس والعقد الثمين فقد تصدى للذب عن أعراضهم رضى الله
عنهم فى نواحى شتى وتكفل بالتوجيهات السديدة لكل مانقل عنهم مما
يغالط بالطعن به فيهم أولو البصائر المنظمة والقلوب المرضي الذين زين
لهم سوء عملهم فرأوه حسنا - وقبل أن يقف اليراع الذى تشرف بتقريظ
هذا الدر النفيس أحب أن ألفت نظر المطالع عليه إلى ما جاء فى المجازرة
الثلاثين من تكذيب خديعة التحكيم المفتراة التى انخدع بها جماعة من مضى
ومن أهل هذا العصر الحاضر حتى تجرأ بعض من يشار إليه بأنه من كبار زعماء
الأدب فى عصرنا على أن يترجم لها بقوله (كلب وحمار فيما حكما به على
نفسيهما غاضبين وهما يقضيان على العالم بأسره ليرضى بما قضياه وانتهت
المأساة بهذه المهزلة أو انتهت هذه المهزلة بهذه المأساة) مما دل على خذلانه
وحرمانه من التوفيق لأن مما أجمع عليه علماء هذه الأمة المحمدية المعصومة
من الاتفاق على ضلالة من عصر نبينا إلى عصرنا هذا وإلى أن يرث الله
الأرض ومن عليها وجوب احترام أصحاب رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم وتوقيرهم وعدم التعرض لهم بالسب والأذى والاعتذار لهم

والتماس أحسن المخارج فيما وقع بينهم وأنهم مأجورون جميعا استنادا لكتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم (ولو حاولت نقل كلام أعلام الأمة في ذلك لكنت كمن يحاول عد النجوم ولكن اكتفى بإيراد ما يكون تنبيها على ما لم يذكر) . قال الامام ابن أبي زيد القيرواني رحمه الله تعالى في رسالته المشهورة عاطفا على ما يجب الايمان به مانصه : وأن خير القرون القرن الذين رأوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وآمنوا به ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم وفضل الصحابة الخلفاء الراشدون المهديون أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم أجمعين وألا يذكر أحد من صحابة الرسول إلا بأحسن ذكر والامساك عما شجر بينهم وأنهم أحق الناس ان يلتبس لهم أحسن المخارج ويظن بهم أحسن المذاهب اهـ . (وكل من كتب في العقائد من علماء السنة يقررون هذه العقيدة نفسها على تنوع مذاهبهم في الفروع جزأهم الله عن هذه الأمة أفضل الجزاء) . وفي ختام هذه السطور يسعدني أن الحقها كلمة شعرية من مجزوء الرجز تناسبها راجيا أن يفسح الله تعالى في مدة شيخنا المؤلف في صحة وسلامة في دينه ودنياه وأن ينفعنا والمسلمين بعلومه وإن يمتعه بالصالحات آمين :

مولاي فخر العصر	في بدرها والحضر
ويا جمال السير	وتاج أهل الأثر
من في الفنون الآخر	يفيض فيض المطر
بوبله المنهمر	كالسيل في المنحدر
تحذيركم للعبقري	من هفوات الخضرى
أجلت فيه نظرى	وسابحات الفكر
مجتليا للغرر	مكتنبا للصور
أغوص بجر جوهر	عذابا كريم الخبر
ومن عجيب القدر	في العذب ألفى درى
لله در العبقري	قدوتنا الخبر السرى
وشيخنا الشهم البرى	في نقده المحرر

يسطو ولا كالسمهرى	بكل نص نير
فى صاحب أزكى البشر	زيف قول المجترى
وكل نقل أنور	بصادع الحق الجرى
فى حسنه والمنظر	يزرى بعقد الجواهر
دونك حقق وانظر	فقل لمن قد يمتري
فى كل بحث واسبر	وكن سديد النظر
وبالهدى تستظهر	بالحق حقاً تظفر
وبهجة المحتضر	ياسيدى ومفخرى
لولا (الولا) لم يجتر	عفوا عن المقصر
على مديد العمر	بلغت أقصى الوطر
سقاك زين المحشر	ومن رحيق الكوثر
يهدى له فى البكر	أبهى سلام عطر
والآل زاكى الفطر	وفى العشايا الزهر
ملاح نور القمر	والصحب أهل البصر

الفقير إلى الله تعالى

محمد نور بن سيف بن هلال

تفريظ فضيلة السيرة علوى الماسكى

المدرس بالجمهورية الحراسم وبمدرسة الفطوح بمكة المكرمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى رفع لمن وقف بيبابه قدرا، وأعلى لمن انتسب لجناحه ذكرا
والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذى جرى الماء النير من بين بفسانه ،
وتفجرت ينابيع الحكمة من قلبه ولسانه، وعلى آله الأطهار وصحابته الأخيار
والتابعين لهم باحسان الذين نقلوا الشرع لنا وبلغوه ونموا عنه تحريف
المحرفين وكيد الغالين .

(أما بعد) فان علم التاريخ علم جليل الأثر عظيم العبر يحمل بين دفتيه
أخبار الماضين، بما فيه تبصرة للحاضرين-غير أنه يتوقف على تحقيق ونقل ،
وحسن دراية وعقل، وكثير من المؤرخين لا يكتبون على ضوء الحقائق ولا
يتقيدون فى كتاباتهم بالثبوت والاحتياط، فلذا وقعوا فى التفريط والافراط
يهتكون الأعراض، بمقتضى الأغراض، لا يرقبون فى الله إلا ولا ذمة ،
ولا يتأدبون مع الصحابة والعلماء من سادة الأمة، فهم على شفا جرف هار،
يستجييون لناحية التعصب والأهواء فى بحث الوقائع وتحليل المواقف
وتراجم الشخصيات مما يكذبه العيان، اذا كان التاريخ الاسلامى يحتاج إلى
تشذيب وتهذيب وتحقيق وتدقيق على ضوء الكتاب والسنة مما يليق بمقام
الاسلام وكرامة الصحابة المجاهدين الغزاة الفاتحين، ولم يعدم الحق
ولله الحمد ظهيرا، ولا من الاتقياء نصيرا، فلا تزال طائفة تجادل عن الحق
لا يضرها من خالفها تنفى عن الدين الاسلامى تمويهات المبطلين، ودعاوى
المتحيلين، وافتراء الغالين، وأكاذيب المتعصبين، مصداقا لما وعد به النبي صلى
الله تعالى عليه وسلم، إن التاريخ لسان حق وشاهد صدق يسجل حوادث
الأمم ويحفظ حسنات المحسنين وتقديرا لهم، وينشر سيئات المسيئين تحذيرا
منهم، فالعاقل من اعطى بغيره والجاهل من لم يعتبر بذلك إنما يذكر أولو

الألباب، والانصاف في المؤرخين قليل، ألا ترى أن كثيرا من الوقائع الحاضرة نجد بعض الكتاب والمؤرخين إذا كتب عنها كتابة تحليل وتبيين يشط به القلم حتى يحيد عن الحق والواقع خدمة لغرض خسيس أو لمادة زائلة أو لنزعة متطرفة، وقل منهم من يكتب للحق وبالحق، ولا ريب أن تمحيص الروايات والجمع بين المتناقضات والتطبيق على قواعد الشرع ومراعاة أسرار التشريع الاسلامي كل ذلك يحتاج إلى سعة في الاطلاع وغزارة في المادة وإنصاف في البحث ودقة في النظر وتأمل في القرائن ومراعاة للكرامات بلا خضوع لسلطة أو طمع في مادة أو تلبيس على حق أو تغيير لواقع، ولذا قال المحققون إن كتب التاريخ تجمع الغث والسمين، فعلى الناظر فيها أن يتثبت في نقله وأن يأخذ العلم من أهله لئلا يخطب خطب عشواء ويركب متن عمياء لاشك أن السم في الدسم والمؤلف إذا ألف في غير فنه أو تكلم في غير اختصاصه أتى بالعجائب، ولهذا نجد الأديب يكتب في التاريخ على أسلوب فلسفته فيخرج عن منهج التاريخ الواضح إلى مسالك تفكير فاضح غير مراعاة للأدب

ولا مبال بالاصول، وهذا من آثار الفوضى العلمية التي منى بها العلم في هذا العصر الحديث وهو من أجلى الأدلة على قرب الساعة اذا وسد الامر إلى غير أهله فانتظر الساعة، فالمنزع إلى الله والمشتكى إليه وهو حسبنا ونعم الوكيل، مع أن الصناعات الدنيوية لا يكاد العامل يخرج عن أصول الصناعات لوجود الرقابة من زعماء تلك الصنعة أليس العلم الديني الروحي أحق بهذه الرقابة وأجدر .

هذا هو السبب الحقيقي الذي حدا بالفضلاء المحققين الى انتقاد كثير من الكتب التاريخية التي طغى فيها تيار الاحاد على عرض الحقائق فقاموا بنقض شبهاتها عروة عروة على ضوء الواقع، على وجه الاعتقاد وصحة الاسناد وتأمل القرائن واثبات الوضع من الزنادقة والملحدين والمتعصبين لبعض القصص والروايات، ولقد وفق الله شيخنا المحقق العالم المدقق (٣ - تحذير العبقري)

المحدث الجليل والمؤرخ النبيل الفاضل الشيخ محمد العربي التباني حفظه الله تعالى ونفع الله بعلومه الخاص والعام فشحن سيف الحزم وتدرع بالكفاح والحزم وقام لله تعالى ورسوله ولاصحابه وخلفائه وورثته منتصرا ومن أباطيل بعض المؤلفات وكتاب المتأخرين محذرا ، فجمع وأفاد ، وانتقد وأجاد ، وأبان سبيل الرشاد ، وحذر من بعض الروايات والكتب المزيفة فحقق تحقيقا صحيحا فنيا ، ونقد نقدا واضحا عاميا ، مطابقا لأصول الرواية وفنون الدراية ، مع التزام الانصاف والادب في الرد والنقد وهذا مما يندر جدا في هذا العصر من الباحثين ومما يعد من حسنات المؤلف المحقق أنه جمع في انتقاده وتحقيقه بين الرد الديني بالنصوص وبين النقض العقلي السليم لشبهات مزيفة على ضوء الواقع بأسلوب عصري جذاب منير مع الاستشهاد بالماجريات الكونية والحوادث السياسية مما يشهد حقا لسعة علم المؤلف المحقق وطول تجاربه وحسن خبرته وصنفاء عقيدته وكمال أدبه فلقد أبلى في دراسة التاريخ الاسلامي بلاء حسنا وقرأ أكثر كتبه المشهورة والنادرة حتى صارت له ملكة فائقة يشهد بها كل من حضر دروسه وقرأ كتبه فجزاه الله تعالى عن العلم والتاريخ والأدب أفضل الجزاء ، لقد نشر راية البيان والتحقيق والكفاح حتى رفع التاريخ الاسلامي رأسه عاليا بتلك التحقيقات المفيدة والانتقادات السديدة فظهر بهذا من يكتب في التاريخ عن ملكة وتحقيق وانصاف ممن يكتب عن جهل وتهور وفلسفة ممن يعد في زمرة الأدباء كما قيل لا في عداد المؤرخين المنصفين هذا وقد نبه علماء السنة والجماعة على فضل الصحابة الكرام وعظيم مكانتهم وجهادهم وهجرتهم وابتلائهم وحذروا من سبهم أو الطعن فيهم أو تحقير مكانتهم وانتهاك حرمتهم فقام الصحبة مقام عظيم لا يسبى ، وشأوه لا يلحق ، فقد وعدهم الله الحسنی ، وأحلمهم المقام الأسنى ، وسجل ثناءهم في القرآن كتاب الخلود فلا يزال فضلهم ينفتح طيبا وغالب ماروى عنهم في حروبهم ومنازعاتهم لا يخلو عن تعصب ووضع وجراءة فالانصاف السكوت عما جرى بينهم أو حمله على أحسن المحامل فالمصيب مأجور والمخطيء معذور وهم في الحقيقة غير

ملومين لأنهم كانوا مجتهدين فمن اجتهد فأصاب فله أجران ومن اجتهد وأخطأ فله أجر واحد ولذا قيل :

وأول التشاجر الذي ورد ان خضت فيه واجتنب داء الحسد وقال صاحب الزبد :

وما جرى بين الصحاب نسكت عنه وأجر الاجتهاد ثبت وقال ابن الوردي :

لا تخض في سب سادات مضوا انهم ليسوا بأهل للزلل ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤوف رحيم . اللهم لا تجعل لأحد منهم في عنقنا ظلامة ونجنا جميعا من أهوال يوم القيامة . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

أسفر تجلى في سما العلم والهدى	أم النور في التاريخ، بالحق قد بدا
أم الروض بساما قد افتر ثغره	أم الطير في أفق المسرات قد شدا
أجل . انه الكنز الثمين محققا	لتاريخنا فانعم بذاك وأنشدا
هنيئا لكم يافادة العلم أبشروا	فهذا كتاب فاق فضلا ومحتدا
مؤانته الشهم المحقق شيخنا	(هو العربي) النور ذو الفضل مرشدا
هو البدر في أفق الفلاح، بزوغه	لقد بث في أرجائه العلم والهدى
وقام بنصر الدين في كل موطن	وذبح عن الصحب الكرام وأيدا
اليه ربوع العلم حنت وعندما	تجلى بها طير البشائر غردا
وتاهت به الطلاب فخر او قدر ووا	حديث المعالي عنه والفضل مسندا
فله منه نفحة عبقرية	بها أظهر الحق الصريح وشيدا
جزاه إله العرش خيرا وزاده	من الفضل والاقبال عزاء وسوددا

خادم العالم الشريف بمدرسة الفلاح
والمسجد الحرام السيد علوى بن السيد عباس المالكي
لطف الله به

تقریظ فضيلة الشيخ ابراهيم فطاني المدرس بالمسجد الحرام (وقاضی المحكمة المستعجلة)

بسم الله الرحمن الرحيم :

سرحت طرفی فی ریاض العبقری وقرأته بتمعن وتدبر :
فرأيتہ سفرا جلیلا رائعا یجلو الحقائق فی هدی وتبصر :
ویرد أوهام المضلل شاهرا سیف الدلیل بوجه أعظم مفتری :
ورأيت عرضا للحوادث شيقا یسی النہی ویروق کل مفکر :
ولمست اخلاص المؤلف صادقا ولمحت توفيقا خلال الاسطر :

❖ ❖ ❖

ولقد شفی نفسی بحسن دفاعه عن کل أصحاب النبی وحیدر
ودفاعه عن معجزات المصطفی بأدلة تقذی عیون المنکر
وبدحضه حجج الذین تأولوا آی الکتاب بکل فهم أزور
فتأولوا طیر العذاب بحصبة أو بالوباء ، بقحمة وتهور
أو لیس من خاق الانام بقادر أن یفنی بالاطیار أكبر عسکر
ما کان أجہلہم بقدرہ ربہم حتی غدوا فی ریبة وتحیر
ضلت بہم أهواؤہم فاستہتروا تبا لکل مدلس مستہتر

❖ ❖ ❖

یا صاحب التحذیر حسبک منة أن قد نصرت الحق غیر مقصر
ورددت کید الملتخدين بنحرهم بأدلة هی كالصباح المسفر
للہ درک من أديب عالم ومؤرخ ومحدث متبحر ..
شهدت بفضلک ہیئة التدريس بالحرم الشریف وبالفلح الاشهر
قضیت عمرك مرشدا ومعلما فی حکمة ونزاهة وتحرر
فجزاک ربک عن جہادک مخلصا خیر الجزاء فقر عینا وابشر

ابراهيم فطاني
المدرس بالمسجد الحرام

تقرير فضيلة السيد يوسف عبد الرزاق

من علماء الزهر الشريف والمرسي بكلمة أصول الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

من محاسن مكة المكرمة زادها الله تشريفا وتعظيما وتكريما - ومكة محاسنها جمّة وفضائلها كثيرة - أن زين الله حرمها المبارك بالعلماء الذين هم مصداق الخبر المأثور : « يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين » .

وان من ألمع علمائها الأعلام الذين طلّعوا في سماءها بدورا وفاضوا في أرجائها بحورا ورفّعوا راية العلم عالية خفاقة « شيخنا العلامة الفقيه الأصولي المحدث المفسر اللغوي المؤرخ الثقة ، أبا عبد الله السيد محمد العربي بن السيد التبانى » أطال الله بقاءه في خير وعافية ، فانه حفظه الله غرة في جبين هذا العصر ودرّة يتيمّة في تاج الفخر .

فلقد أقبل بهمة العالية وعزيمة الصادقة على نشر العلوم - المعقول فيها والمنقول - في أول بيت وضع للناس حتى تخرج عليه نخبة كريمة ممتازة من أفاضل العلماء تتزين بهم المجالس وتتبختر بفضائلهم المعاهد والمدارس .

ولقد من الله على ولّه الفضل والمنة أن يسرّ لي حضور بعض دروسه في الحرم المكي المبارك فألفيته بحرا زخارا تتفجر ينابيع العلوم من شفتيه الطاهرتين ، فأذكرني ذلك بقول الشاعر :

كانت محادثة الركبان تخبرنا عن جعفر بن فلاح أحسن الخبر
حتى التقينا فلا والله ما سمعت أذننى بأحسن مما قد رأى بصرى
لا زالت مجالس العلوم بهمة معمورة ، وأحاديث فضائله في الخافقين
مأبورة ..

ولم يقنعه حفظه الله أن قد تخرج عليه الكثير من العلماء الذين تزدهر بهم الأقطار وتتزين بهم الأمصار - بل سمت به همته إلى التأليف والتصنيف

فأخرج للناس كتبها نافعة ضمنها علوما عالية يحق بها حقا أو يبطل بها باطلا
ولسان حاله يقول :

دافعت عن حق يحاول ذو هوى أظهره للناس شيئا منسكرا
وإن من أجل مادبجته يراعة الأستاذ الجليل وأعظمه فائدة كتاب «تخدير
العبرى من محاضرات الخضرى» .

وهو هذا الكتاب الذى صحت عزيمة أعزه الله على إخراجه للناس
فى ثوب قشيب وقد اختار له أجود أنواع الورق وعهد بإخراجه إلى
مطبعة الأنوار المشهورة والهمة متوفرة على إخراجه على خير الوجوه
وأحسنها . وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

وانى ليسرنى أن أقدم لحضرات القراء الكرام فى مشارق الأرض
ومغاربها هذا السفر النفيس راجيا أن يجدوا فيه لذة عقلية ومنتعة روحية
وآدابا ترتاح لها قلوب المؤمنين وتنشرح بها صدورهم .

موضوع الكتاب

تمهيد :

مما يدخل فى باب العقائد المقررة فى الاسلام :-
أن خير القرون وأفضلها القرن الذى رآوا رسول الله صلى الله عليه
وسلم وآمنوا به ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم - لقوله تعالى : كنتم خير
أمة أخرجت للناس ، ولقوله صلى الله عليه وسلم فى الصحيحين : خيركم قرنى
ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ، وتقيد الخيرية بالايان متعين لأن كثيرا
من الكفار كانوا فى القرن الأول ولم تنفعهم رؤيتهم له صلى الله عليه وسلم
لعدم إيمانهم به صلى الله عليه وسلم .

فالقرن الأول الصحابة حتى ينقرضوا ، والثانى التابعون حتى ينقرضوا ،
والثالث تابع التابعين حتى ينقرضوا .

ويترتب على هذه القاعدة أن أفضل هذه الأمة أصحاب نبينا محمد صلى

الله عليه وسلم والصحابة كلهم عدول موثقون .
فقد اتفق أهل السنة على أن جميع الصحابة عدول ولم يخالف في ذلك
إلا شذوذ من المبتدعة .

وعداوتهم ثابتة معلومة بتعديل الله لهم وإخباره عن طهارتهم واختياره
لهم لصحبة نبيه ونصرة دينه وإعلاء كلمته وتلك مزية لا يلحقهم فيها لاحق ،
قال الله تعالى : كنتم خير أمة أخرجت للناس ، وقال تعالى : « وكذلك
جعلناكم أمة وسطا » وقال تعالى : لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يسارعونك
تحت الشجرة فعلم ما فى قلوبهم » وقال تعالى : للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا
من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله
اولئك هم الصادقون :

وقال تعالى : والسابقون الأولون من المهاجرين والانصار والذين
اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه .
والآيات فى ذلك كثيرة يطول تعدادها .

ولقد وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحابة مثل ذلك وأطنب
فى تعظيمهم وأحسن الثناء عليهم فمن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : لا تسبوا
أصحابى ، فوالذى نفس بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد
أحدهم ولا نصيفه .

قال الامام الحافظ المحدث ابو بكر أحمد بن على المعروف بالخطيب
صاحب تاريخ بغداد المشهور والأخبار فى هذا المعنى تتسع وكلها مطابقة
لما ورد فى نص القرآن . وجميع ذلك يقتضى طهارة الصحابة والقطع على
تعديلهم ونزاهتهم فلا يحتاج أحد منهم مع تعديل الله لهم المطلع على بواطنهم
الى تعديل أحد من الخلق . على أنه لو لم يرد من الله عز وجل ورسوله
فيهم شيء مما ذكرناه لأوجبت الحال التى كانوا عليها من الهجرة والجهاد
والنصرة وبذل المهرج والأموال وقتل الآباء والأبناء والمناصحة فى الدين
وقوة الايمان واليقين القطع على عداوتهم والاعتقاد لنزاهتهم وأنهم أفضل من

جميع المعدلين والمزكين الذين يجيئون من بعدهم أبدأ الأبدن هذا مذهب كافة العلماء ومن يعتد بقوله من الفقهاء . اه وقد روى سنده إلى أبي زرعة الرازي قال : إذا رأيت الرجل ينتقص أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعلم أنه زنديق .

وذلك أن الرسول حق ، والقرآن حق ، وما جاء به حق ، وإنما أدى ذلك كله إلينا الصحابة ، وهؤلاء الطاعنون يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة والجرح بهم أولى وهم زنادقة اه .
ازاء ذلك كله فقد جرى عمل الأمة سلفا وخلفا على تعظيم شأن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم واعتقاد سابقتهم وفضليتهم وخيريتهم اجمالا وتفصيلا على جميع من جاء بعدهم اجمالا وتفصيلا .

فلا يقولون في المهاجرين والانصار ولا في أهل بدر وأحد وأهل بيعة الرضوان ولا في أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وأولاده وأحفاده إلا أحسن المقال ولا يستجيزون الطعن في واحد منهم لا تصرحا ولا تلميحا ولا اشارة ولا كناية بل يعتقدون كمال عدالتهم وقبول تهادتهم وروايتهم باتفاق أهل الحق واجتماع من يعتد باجماعه رضى الله عنهم اجمعين .

محاضرات الخضرى

انه لمن المؤسف المؤلم حقا أن يقوم باحث مسلم مثل الخضرى صاحب المحاضرات المعروفة في تاريخ الاسلام فيطلق لقلمه العنان ليسطر ما يشاء له هو من غير تمحيص ولا روية ولا رجوع الى مصادر التاريخ الاسلامى المعتبرة ويقدم في سادات الأمة وأجلاء الملة ويصفهم بما لا يتفق مع ما لهم من عظيم السابقة في الاسلام مما يوجب جرحهم ويحافى نزاهتهم وعدالتهم المشهود لهم بها من الله ورسوله والمتفق عليها سلفا وخلفا .

فان كان لا يدري فتلك مصيبة وان كان يدري فالمصيبة أعظم .

ما يزيد الأمر خطورة أن تلك المحاضرات منشورة بين أحداث

المسلمين وطلاب المدارس والجامعات منهم ففتنـرس في نفوسهم تلك الآراء الفاسدة والنزغات الخبيثة وهم أحوج مايكونون إلى صيانة عقيدتهم الصافية وحراستها مما يكدر صفوها وما كان ليدور بخلدنا أن مسلما يؤمن بالله واليوم الآخر يعمد الى محاولة النيل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والخط من كرامتهم ووصفهم بما يقدر في مراتبهم السنية ويلصق بساحتهم النقائص التي لا يايق صدورها من آحاد الناس بله من اصطفاهم الله لنشر دينه وصحبة نبيه وخصهم بالفضل والسابقة وأثنى عليهم في كتابه الكريم وفي الكتب المنزلة على الانبياء والمرسلين قال الله تعالى : محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ، ومثلهم في الانجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار الآية .

واجب العلماء

ولقد كان لزاما على علماء الاسلام أعزهم الله ان يقوموا بواجب النصيحة لله ورسوله ولأصحابه الكرام ولعامة المسلمين وخاصتهم فيبينوا للناس ما يجب عليهم بيانه من نزاهة الأصحاب الكرام وعلو اقدارهم الشريفة عن أن يعلق بها ذام أو نقصان .

ولقد اختار الله لهذا العمل المبرور والسعى المشكور سيدي أبا عبد الله العلامة الشيخ محمد العربي بن السيد التبانى أعلى الله مقامه ورفع على الفرقدين أعلامه فقام بواجب النصيحة لله ورسوله وللمؤمنين عامتهم وخاصتهم فرد على صاحب المحاضرات أبلغ ردوآتمه وأحكمه بأسلوب عال وقلم سيال وأدب ينجل زهر الرياض وأخرج لنا هذا السفر المبارك النفيس الذى هو خليق بان يسمى « كتاب العام » إذ لم يأت أحد بمثاله ولم ينسج ناسج على منواله فجزاه الله عن الاسلام وأهله خير ما يجازى المجاهدون المخلصون والعلماء العاهلون والله لا يضيع اجر المحسنين . يوسف عبد الرزاق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذى جعل التاريخ عبرة للمستبصرين ، وعظة وذكرة لمن تأخر بأحوال الغابرين . والصلاة والسلام على سيدنا محمد القائل : يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين ، وعلى آله وأصحابه الذين نصبوا قواعد دولة الاسلام بالمرهفات البواتر ، وأوضحوا بالحجج الساطعة منار الاهتداء لكل حائر .

المقدمة

أما بعد فلقد كان المطلوب لزما من كل مسلم لبيب أن لا يشق بكل ما يقوله المؤرخون - فى رجال الامة الاسلامية عموما فأحرى فى ساداتها الذين رفعوا قواعد هذا المجد الخالد (الصحابة رضوان الله تعالى عليهم) - لأن التاريخ نقل محض يشترط فيه ما يشترط فى الاثر من عدالة الرواة الناقلين لأى حادثة من حوادثه تتعلق بأى شخص كان من الناس وضبطهم لما نقلوه وغير ذلك من شروط الخبر المعتبرة فى الناقلين فردا فردا فبحال الرأى فى أى حادثة منه لا يكون إلا بعد استيفائها شروط الصحة للخبر . وان نقص شرط من الشروط المعتبرة فيه فالرأى حينئذ معزول والفهم مهما وثق به صاحبه وغيره مطروح ، هذا هو التحقيق والاساس الذى يجب على كل من نصب نفسه للطعن فى عامة الامة أن يبنى انتقاده عليه فكيف به إذا كان فى خاصة خاصتها ، وقد كان المسلمون ولن يزالوا سالكين منهج الحق والتحقيق والاعتدال فى تاريخ رجالهم رغم محاولة بعض مؤلفى هذا العصر من المسلمين تشويه حقائق التاريخ الاسلامى ونطح صرح المجد التالذ بالجهل والتقليد ، وإذا كان كثير من مؤرخى الاقدمين يجمعون فى مؤلفاتهم الغث والسمين ويقدمونه للناس بدون تمييز وكثير منهم من أهل الاهواء وكثير

منهم لا معرفة لهم بعلم الاسناد وفضائل الصحابة ولأجل ذلك قال شيخ الاسلام ابن دقيق العيد (أعراض المسلمين حفرة من حفر النار وقف على شفيرها المؤرخون والامراء) فكيف بالمتأخرين الذين ليس عندهم إلا التقليد لكل من هب ودب ولقد هزل علم التاريخ في هذا العصر حتى تسور على التأليف فيه من لم يشم له رائحة ولا عجب في ذلك لأنه إذا كان عبارة عن رصف مقال بأسلوب عصرى وجمع شئ من ههنا وههنا فهو ميسور لكل من حصل طرفا من مبادئ اللغة العربية ليصبح به مندرجافى مصاف المؤلفين ويصدق عليه قول العلامة أبى الحجاج البلوى الاندلسى أحد أعيان المائة السادسة للهجرة (خذ من ههنا وضع ههنا وقل مؤلفه أنا) . وحتى تسور عليه المناوئون للاسلام وأقبلت الناشئة الاسلامية برغبة صادقة على مطالعة تأليفهم ومجالاتهم المملوءة بالمفتريات والطعن فى الاسلام ورجاله بأساليب متنوعة . وهذا مؤسس مجلة الهلال ومؤلف كتاب التمدن الاسلامى وغيره (جرجى زيدان) قد عرض كتابه (التمدن الاسلامى) على نظارة المعارف المصرية إذ ذاك وطلب منها أن تقرّر تدريسه فى مدارسها فعهدت النظارة إلى بعض أساتذتها بمطالعة وإبداء رأيهم فيه فلما طالعوه بينوا للنظارة أن فيه غلطا كثيرا وأنه غير جدير بأن يعتمد عليه فى التدريس ولا المطالعة ونشرت جريدة المؤيد نقدا بعضهم له وكنا نظن انتهاء جريان قلمه بالمفتريات فى الاسلام ورجاله بموته منذ سنين كثيرة ومابقى ذاك الشنار إلا فى بطون تأليفه ، فاذا بنا نسمع ونرى مجلة الهلال التى لا يزال تلامذته ينفذون خطته فيها بنشر سلسلة رواياته الخيالية فى سادات هذه الامة واقتعاله أسماء نساء وحكايات عنهم لا توجد إلا فى مخيلة مسلسل الاباطيل بعناوين مزخرفة ، عذراء قریش ، عادة كربلاء فى أسلوب ضل به الناشئة والعامّة معا أشد من ضلالهم بالكتب الباطلة الخرافية الموضوعة من قبل لافساد عقائد المسلمين وإضلالهم كفتوح الشام المنسوب للواقدى وذات الهمة والعنصرية ورأس الغول والـ ألف ليلة وليلة وغيرها - قال الله المشتكى من هذا البلاء: فلو كان رمح

واحد لا تقيته ، ليعلم المسلم أن اقباءه على مطالعة هذه المجلة وما شاكلها مما هو مملوء بالخرافات والخبائث ملحق له بجانب المناوئين للإسلام من حيث يشعر أو لا يشعر، ليعلم أن هذه المجلة وأشباهها أشد ضرراً على عقيدته من العنصرية وأشباهها أنه في ثروة من تاريخه الصحيح المجيد إنا والله نحب ونتمنى له أن يكون عالماً أو متعلماً أو مستمعاً أو محباً ونشفق عليه من أن يكون متصفاً بالخامسة .

وقد رد على كتاب التمدن الاسلامي فأجاد العلامة المؤرخ المرحوم (شبلى النعماني) رئيس ندوة العلماء بلكنو (الهند) . ومن جملة ما قال شبلى النعماني في مقدمة رده عليه (ان جرجى زيدان خائن فى النقل محرف لكلام العلماء يجعل الحادثة الجزئية كلية عامة يتعمد الكذب بما يفوق الحد) . وقال ايضا اعلم ان للمؤلف يعنى جرجى زيدان فى انفاق باطله اطوارا شتى :

فمنها تعمد الكذب كما سترى . ومنها تعميمه لواقعة جزئية ومنها الخيانة فى النقل وتحريف الكلم عن مواضعه ، ومنها الاستشهاد بمصادر غير موثوقة مثل كتب المحاضرات والفاكهاات . وقد نشر كثير من رده عليه فى المجلد الخامس عشر من مجلة المنار فليراجعه من احب الاطلاع على ذلك . فيا ايها الشباب المسلم النبيل اذا كنت محتاطاً لديك حافظاً لكرامة رجال سلفك فلا تثق ولا تلتفت لكل ما يمس كرامة اى صحابي من اصحاب نبيك صلى الله عليه وسلم فى أى تاريخ من تواريخ المسلمين كائننا صاحبه من كان ، فكيف به اذا كان فى المجلات وكتب الاجانب فان كل مصيبة نقد فى رجال الاسلام الذين هم دون الصحابة فى كل شىء جليل أفقرضى باقبح والعن واكذب وافحش الطعن فى اشرفوا كرم واجمع البشر لمكارم الاخلاق آباءك الذين شيدوا لك صرح هذا المجد الخالد (الصحابة) رضوان الله تعالى عليهم الذين شهد لهم رجال الروم اذ ذاك بانهم رهبان بالليل فرسان بالنهار والفضل ما شهدت به الاعداء ، وقال

فيهم ملك الصين لما استنجد به يزدجرد ملك الفرس بعد ان وصفهم له :
انه يمكنى ان ابعث لك جيشا أوله في منابت الزيتون (الشام) وآخره في
الصين ولكن ان كان هؤلاء القوم كما تقول فانه لا يقوم لهم اهل الارض
فأرى لك ان تصالحهم وتعيش في ظل عدلهم .

ويا ايها المسلمون نزهوا اسماعكم وابصاركم وعقولكم عن هذه
المفتريات التي يحاول بها تلويث مجد دعائم دينكم .

ولا نتأسف ولا نعجب من تشويه الاجانب حقائق التاريخ الاسلامي
الناصعة إذا كان من ينتسب اليه قد سن لهم هذه السنة السيئة وفتح لهم باب
شر مستطير . وهذه طائفة من أهل العصر انتقدوا الصحابة رضوان الله عليهم
انتقاداً مراً زاعمين أن هذا هو التاريخ الحر وعمدتهم في انتقادهم أهواؤهم
وتقليدهم لكل ما يقوله المؤرخون بل تقليد بعضهم بعضا . وتمسكهم
بالروايات الباطلة . فاما أهواؤهم فهي نتيجة آرائهم الدائرة بين السقيم
والأشد سقما والباطل والأشد بطلا . وأما تقليدهم لكل ما يقوله المؤرخون
فهو نتيجة إفلاسهم من الروايات مطلقا صحيحة وسقيمة وجهلهم لها ولرجالها
العدول وغيرهم جهلا مطبقا . وأما تمسكهم بالروايات الباطلة فهو مبنى على
هذا وعلى تقليد أمثالهم ومع كون كتب هذه الطائفة مشحونة بنقد الصحابة
رضوان الله عليهم بالآراء السخيفة وتقليد الأجانب وأهل الأهواء
والوضاعين انكسب الناس على شرائها بالثمن الغالي واقتنائها ومطالعتها لسلوبها
الذي تتسع له أفكارهم فاننا لله وإنا اليه راجعون وهي أشد ضررا على الناشئة
من طائفتي الخوارج والروافض لأن عقيدة الطائفتين في الصحابة مكشوفة
لجمهور المسلمين السنيين حتى غالب العوام منهم بخلاف حال هذه الطائفة
فانهم موهوه بستر التاريخ الحرامزعم فرأج عند الناشئة من شبان المسلمين
رواجا عظيما لأنه صادف قلوبا خالية من تاريخ سلفهم المجيد جاهلة بمناقب
الصحابة زاهدة في البحث والتنقيب عن تراثهم القديم الصحيح مائلة إلى كل
جديد وان كان أباطيل .

ولقد صار هذا الانتقاد عند هذه الطائفة من الاصلاح الضروري فكتبنا بهم في تاريخ المسلمين لا تقوم دعائمها إلا به وانتقاد الصحابة رضوان الله تعالى عليهم ليس برأى حتى يسوغ للاغمار الخوض فيه إنما هو الطعن المحض في دعائم الشريعة وفي الشريعة نفسها كتابا وسنة ، طعن في نصوص القرآن الصريحة القطعية التي عدلتهم ومدحتهم ، طعن في أحاديث النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الصحيحة الكثيرة التي أثنت عليهم على أنه لا فائدة يجنيها المسلمون من هذا النقد سوى إفساد عقائدهم الدينية في رجالهم وشماتة الأجانب .

والعجب من هؤلاء المصلحين أنهم إذا كتبوا عن حياة أساتذتهم وعن لا يعبأ الله به يتغالون في اطرائهم حتى يجاوزوا المعقول يشبتون لهم أخلاق الانبياء وحكمة الحكماء وجهاد الأبطال العظماء ولن يأتي آخر هذه الأمة باهدى واحسن مما أتى به أولها وقد قال عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح لخالد بن الوليد وهو هو لما سب عبد الرحمن بن عوف رضى الله تعالى عنهما :

« دعوا الى أصحابي فوالذى نفسى بيده لو أنفق أحدكم مثل جبل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه » .

والعجب ايضاً من مسلم يترك مناقب الصحابة الصريحة المقطوع بها في كتاب الله الذى لا يأتیه الباطل من بين يديه ولا من خلفه بل في جميع الكتب السماوية ويتركها ايضاً في السنة الثابتة عنه عليه الصلاة والسلام ويذهب يتعثر في طلبها في كتب التواريخ التي لا تخلو من الواهيات والباطيل بل يطلبها في المجلات المضلة وكتب الفكاهات . فلو فرضنا شخصاً من اهل العصر خاض في البحث عن شمائل الصحابة وعمما وقع بينهم من الحروب في جميع تواريخ أئمة الاسلام الأقدمين الأثبات العدول كتاريخ الامام خليفة بن خياط وتاريخ الامام البخارى وطبقات ابن سعد وغيرها فانه على خطر من عقيدته فيهم مالم يعتصم بشمائلم القرآن والاثبات بالسنة

النبوية فكيف به اذا لم يعرف تاريخهم الامن تاريخي ابن جرير وابن الاثير فكيف به اذا لم يعرف تاريخهم الامن كتاب الامامة والسياسة وما اشبهه من كل كتاب مملوء بالاباطيل في حقهم رضى الله تعالى عنهم. ولوجود كثير من الاقوال الباطلة في تواريخ المسلمين ولا سيما اهل الاهواء في تاريخهم المجيد حظر العلماء العارفون الربانيون الخوض فيما جرى بينهم على المسلمين رجوعاً بهم الى العقيدة القرآنية والعقيدة النبوية الثابتة فيهم وتركوا للفضول فيما يعود عليهم بالضرر دون جدوى « تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون » ولأجل ذلك قال الامام الحافظ أبو زرعة الرازي وهو من اقران الامام البخاري إذا رأيت الرجل ينتقص احداً من اصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاعلم انه زنديق وذلك ان الرسول حق والقرآن حق وما جاء به حق وإنما أدى إلينا ذلك كله الصحابة وهؤلاء يريدون ان يجرحوا شهودنا ليطلوا الكتاب والسنة والجرح بهم أولى وهم زنادقة . وقال ايضا للذي قال له إني أبغض معاوية فقال له الحافظ ولم قال لانه حارب علياً بغير حق فقال له ابو زرعة رب معاوية رب رحيم وخصمه خصم كريم فما دخالك بينهما أى انت فضولى أدخلت نفسك فيما لا يعينك ومن حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه .

ومن اللازم على اساتذة التاريخ الاسلامي في جميع المدارس الاسلامية تزويد ابنائها بتاريخ من شيد لهم هذا الصرح الثابت البنيان وان لم يكن مقررأ في برامجها وعار عليهم عظيم تدريس تاريخ الأجانب واهمال تاريخهم ، وعار عليهم عظيم ترك عقول ابنائهم فريسة لهؤلاء المختلفين بالنحل المتفقين في الغرض مغيرين عليها بأساليب شتى . ولن يعدم الحق انصاراً .
واشد الطاعنين في الصحابة رضوان الله تعالى عليهم من هذه الطائفة

واكثرهم خوفاً وعبثاً بكرامتهم محمد الخضرى صاحب المحاضرات
فقد انتقد الخلافة - زعم انه لم يكن لها حل فى طريقة من طرقها الثلاث ولم
تسرع الزمن فى طريق يؤمن فيه العثار قال بل كان تركها على ماهى عليه
من غير حل محدد ترضاه الامة وتدفع عنه سبباً لاكثر الحوادث التى اصاب
المسلمين وافترى فيها على الانصار وبنى هاشم وعلى حيدرة خصوصاً وطعن
فى ستة الشورى وغيرهم من الصحابة وافترى على عمر رضى الله عنه فى
تنقيصهم وطعن فى عموم الصحابة الموجودين عند مقتل عثمان رضى الله
تعالى عنه وزعم أن أعلام قريش كانوا متطلعين لولاية الأمر واتهمهم
بالموادة فى القيام بنصر عثمان رضى الله عنه ، وانتقد خصوصاً علياً
رضى الله تعالى عنه وابنيه ولا سيما الحسين وطلحة والزبير وعائشة وأباذر
وعبد الله بن الزبير واهل المدينة الذين خلعوا بيعة يزيد بن معاوية وغير
هؤلاء من سيأتى تفصيل الكلام فى الذب عنهم . وجل انتقاده فى أمير
المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه فقد رماه بضعف الرأى
والطيش وعدم الثبوت والشمع والكبر والتعاضم على جميع الصحابة حتى
الأشياخ الاكابر ، والازدراء بالناس ، ورجح معاوية رضى الله تعالى عنه
عليه بكثير بل رجح عليه خلافة ابنه يزيد وعذره فى قتل الحسين وأهل
الحرّة ، ولم يعذر حيدرة فى شيء ما بل ينقب عن كل باطل فيه حط من
كرامته رضى الله تعالى عنه ليلاصقه به بحيث يجزم كل من له المام بالعلم اذا
قرأ محاضراته بامعان انه ناصبى حقيق للمسلمين انه احد الاثنين فقد اخرج
أبو يعلى والبزار والحاكم عن على رضى الله تعالى عنه قال « دعانى رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال : ان فيك مثلاً من عيسى عليه السلام
ابغضته اليهود حتى بهتوا أمه وأحبته النصارى حتى نزلوه بالمنزل الذى ليس
به الاوانه يهلك فى اثنان محب مفرط يقرظى بما ليس فى ومبغض يحمله
شئاننى على ان يهمنى » .

ومن العجب انى سمعت من بعض طلبة العلم السودانيين الثقات أن
الخضرى هذا لما كان قاضيا عندهم كان يدعى النسبة إلى آل بيت النبي صلى
الله تعالى عليه وسلم العلويين وما سمعنا قط ولا رأينا فى كتب الطبقات
والتاريخ ان علويا صار ناصبيا ، أما أموى صار شيعيا فقد وجد فى واحد
وهو أبو الفرج الاصبهاني صاحب كتاب الأغاني - كما أنه وجدنا صبي واحد
من العباسيين وهو جعفر المشوكل .

ومن مصائب علم الرواية والتاريخ أن يصير الخضرى هذا قدوة ومرجعا
لكل متسور على التأليف فى التاريخ :

لقد هزلت حتى بدا من هزالها كلاها وحتى سامها كل مفلس

فقد الف بعده عبد الوهاب النجار تاريخ الخلفاء فقلده فى جميع خطله
ورأينا بأعيننا الآن جماعة من الأساتذة اشتركوا فى تأليف تاريخ مختصر
فجعلوا محاضرات الخضرى فى قائمة كتب التاريخ المعتبرة التى يرجعون
اليها ، وقد اسند إلى تدريس محاضراته بالمدرسة الفلاحية قبل سنين -
فلم يمكنى السكوت على اعوجاجها وكثرة خطئها فقومتها بلسانى
تقريراً وبقلمى كتابة - (والعلم أمانة) فكتبت عليها إذ ذاك رسالة موجزة
لم أذكر فيها كلامه واضحا لأعذار تعقبته فيها فى نحو سستين بحثا وسميتها
النصيحة والاستدراكات على كتاب المحاضرات ثم زدت فيها الآن زيادة
واسعة وسقت كثيرا من كلامه ليظهر للقراء زيغهم عن جادة الاعتدال جليا
وتركت مع ذلك كثيرا من قبيح كلامه وهمزه لأولئك السادة المبني على فهمه
الطائش وتقليده للاقوال الباطلة وأهل الأهواء والاجانب وعلاوة على
هذا فقد تقول على ابن هشام فى حادثة الفيل التى قصها الله أحسن قصص
وبينها أحسن بيان فزاد فى تفسيرها ما لم يقله الله انكاراً لخوارق العادة
(الحوادث الكونية) لذلك حذف دلائل نبوة النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم ومعجزاته من سيرته عليه السلام من كتابه مع انها لب التاريخ ولاجل
ذلك حاول ترجيح القول بأن الإسراء كان مناما لا يقظة كما حذف منه

الاخبار والقصاص الدالة على كون الملائكة والجن والشياطين أجساما متقلدا
 فى كل هذا لمحمد عبده ومجاراته للذين لا يؤمنون بالغيب وكتابتى هذه وان
 كانت خاصة بمحاضراته فبراهينها ساطعة على كل جانب وحججها قائمة على
 كل من خرج عن جادة الاعتدال فى حق الصحابة رضوان الله تعالى عليهم
 لذلك أبدلت اسمها الآن فسميتها (تحذير العبقرى من محاضرات الخضرى)
 والاشادة بمناقب الصحابة والمدافعة عن حمى أعراضهم الشريفة حق واجب
 على كل مسلم سلمت عقيدته من مرض الزيغ والاهواء وجميعهم رضى الله
 تعالى عنهم كانوا محققين مطابقين لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم : المؤمن
 للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا) وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم أيضا
 ﴿ مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كشل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى
 له سائر الاعضاء بالليل والنهار ﴾ ، أكمل تحقيق وتطبيق وقد سنوا وأسسوا
 لنا المدافعة عن أعراض المؤمنين ، فقد دافعوا عن اخوانهم بالحجة أهل
 الاهواء حين وجدوا فى عصرهم من الخوارج والشيعة وغيرهم وروى ذلك
 عنهم فى الصحاح والسنن والمسانيد والمعاجم فمن رويت عنهم المدافعة على
 ابن أبى طالب عن الشيخين وذى النورين - وسعد بن أبى وقاص وسعيد بن
 زيد وعائشة وابن عمر وابن عباس - وأبو هريرة وأبو سعيد الخدرى وزيد
 ابن أرقم وغيرهم رضى الله تعالى عنهم يعرفها من تضلوع من التاريخ
 الصحيح وكتب السنة . . ومن دافع عنهم من التابعين سعيد بن جبير والحسن
 البصرى وعامر الشعبي وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود وعمر بن
 عبد العزيز وغيرهم . . ومن أئمة الاجتهاد مالك وسفيان والشافعى ، ثم عمر
 ابن حبيب قاضى البصرة فى مجلس هرون الرشيد دافع عن أبى هريرة
 خصوصا ، وعن جميع الصحابة عموما رد على أوباش المعتزلة وعلى الرشيد
 نفسه . . وابن السكيت النحوى دافع عن على وولديه الحسن والحسين
 رضى الله تعالى عنهم عند المتوكل العباسى فقتله بسبب ذلك ظلما . ومدافعتهم
 التى سنوها لنا ومدافعة غيرهم ممن جاء بعدهم من العلماء إنما هى مأخوذة

من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم اللذين أثبتا عليهم غاية الثناء وذما من تكلم فيهم فنحن إذا مقتدون بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم بجماعة المسلمين الاخيار تابعون لهم على حق وصواب يقينا ، والمنتقد لهم والطاعن فيهم هالكان وكلاهما شيء واحد لا فرق بينهما إلا باللفظ وعلى فرض أننا غير محقين في دفاعنا عنهم لا يضرنا ذلك في الدنيا ولا في الآخرة جزما . فعقيدتنا هذه شبيهة بعقيدة المؤمن بالمعاد والمنكر له .

قال المنجم والطبيب كلاهما لا تحشر الأموات قلت اليكما
إن صح قولكما فليست بخاسر أوصح قولي فالحسار عليكما

واستمدادى في هذا الكتاب من كامل الحافظ بن الأثير وبداية ابن كثير واستيعاب الحافظ ابن عبد البر واسد الغابة وطبقات ابن سعد واصابة الحافظ ابن حجر وفتحته ومن كتب التفسير والحديث واسأله تعالى المعونة والتوفيق للصواب وحفظ حقوق الاصحاب .

المؤلف محمد العربي

المحاضرة الثالثة

قال في صفحة ٢٨ من الطبعة الرابعة فيها في قصة حادثة أصحاب الفيل مانصه : (وابرهة هو الذى جند الجنود لهدم الكعبة وكان يريد أن يصرف الناس عنها إلى بيت بناه فى صنعاء فاصابه هو وجنده بمكة ما أصابهم من الامراض الثقيلة ، وقد بينها ابن هشام فى سيرته بأنها الحصبة والجدرى وروى أن هذا كان أول حصو لهما بمكة فعاد منهزما وتوفى بعد عودته وأشار القرآن إلى هذه الحادثة فى سورة النمل اه) . أقول كلامه ، هذا فاسد من أربعة أوجه وهى : مخالفة التاريخ ، والخيانة فى نقل العلم ، والغش ، والتكذيب .

فأما مخالفة التاريخ فى قوله فاصابه هو وجنده بمكة ما أصابهم ، وفى قوله

وقد بينها ابن هشام في سيرته ، وفي قوله وروى أن هذا كان أول
 حصولهما بمكة (أى الحصبة والجدرى) فقد أجمع المؤرخون والعرب الذين
 كانوا في وقت هذه الحادثة العظيمة على أن محل هلاك جيش أبرهة مكان
 يقال له المنميس وهو على أميال من مكة في طريق الطائف لا بمكة كما قال ،
 وهذه سيرة ابن هشام مطبوعة متيسر اطلاع كل قارئ سليم العقل والعقيدة
 عليها قد بين فيها كيفية قتل الطير لهم وما قالته العرب في أشعارها في هذه
 القصة وما امتن الله به على قريش بعد بعثته عليه السلام من أنزال سورة
 الفيل وسورة لإيلاف قريش ، وادعاء أول حصول ورؤية الحصبة والجدرى
 ومرائر الشجر الحرمل والخنظل والعشر ذلك العام ببلاد العرب كلها
 (لا بمكة فقط كما زعم) هو رأى يعقوب بن عتبة قال ابن هشام في سيرته
 قال ابن اسحق حدثني يعقوب بن عتبة أنه حدث أن أول مارؤيت الحصبة
 والجدرى بأرض العرب ذلك العام وأنه أول مارؤى بهامرائر الشجر الحرمل
 والخنظل والعشر ذلك العام اهـ . وبهذا ظهر فساد كلامه ومخالفته للتاريخ
 في ثلاثة مواضع على أن رأى يعقوب بن عتبة هذا في أول رؤية تلك
 المذكورات ذلك العام ببلاد العرب دعوى لا دليل عليها وقد نقل مثله عن
 عكرمة والسكنه في الجدرى خاصة .

وأما الخيانة في النقل فكان الواجب عليه أن ينقل عن ابن هشام ما اتفق
 عليه العرب وأهل السير قاطبة في هذه القصة ثم بعد ذلك يرجح هلاكهم
 بالحصبة والجدرى المذكورين في رأى يعقوب بن عتبة مع أنه لا حاجة له
 فيه كما هو ظاهر للقراء حتى لو صح فيكون بذلك قد أدى أمانة رواية العلم .
 وأما الغش فإن كل من وثق بكلامه هذا ولم يطالع على سيرة ابن هشام
 ولم يقرأ سورة الفيل يقع في جهل فادح من جراء غشه وليس الغش من
 اخلاق المسلمين وقد قال عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح
 (من غشنا فليس منا) .

وأما التكذيب فإن القول بانهم هلكوا بالحصبة والجدرى تكذيب

لصريح القرآن فقد بين تعالى كيفية قتلهم في سورة الفيل بيانا صريحا لا يقبل التأويل ولا المواربة وقصصها أحسن قصص لا غموض فيه بكلام موجز بليغ كسائر أخبار الأمم السابقة التي قص الله عز وجل في كتابه العزيز علينا كيفية دمارهم كعاد وثمود وغيرهما أحسن قصص فقد بدأها تعالى بخطاب نبيه عليه الصلاة والسلام بقوله تعالى : ألم تر كيف فعل ربك ، وهو عام يصلح لكل من يتأتى منه الرؤية والاستفهام فيه للتقرير ، أى ألم تعلم قرره على وجود علمه بهذه الحادثة وقيل للتعجب لنقله نقل المتواتر ، فإن قيل لم قال تعالى له عليه الصلاة والسلام ألم تر مع أن هذه القصة كانت قبل البعث بزمان طويل فالجواب أن المراد من الرؤية هنا العلم والتذكر أى قد علمت وهو إشارة إلى أن الخبر بالواقع لأصحاب الفيل متواتر فكأن العلم الحاصل به ضرورى مساو فى القوة للرؤية كما هو شأن المتواتر وأسند تعالى إهلاكهم إليه جل وعلا معبرا بكيف دون ما لتذكير عباده ما فيها من وجوه الدلالة على كمال علم الله وقدرته وعزة يده وشرف رسوله ألم يجعل كيدهم فى تضليل أى فى إبطال وتضييع لأنهم أرادوا أن يكيدوا قريشا بالقتل والسبى والبيت بالتخريب والهدم بين تعالى فعله بهم أى هلاكهم بأن أرسل عليهم طيرا أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف ما كول بثلاث جمل فصيحة صريحة ليس فيها غموض ولا إجمال حتى تحتاج إلى بيان الخلق وتأويلاتهم الفاسدة ثلاث حقائق واضحة وضوح الشمس ، رام وهو الطير التي أرسلها الله تعالى عليهم جماعات جماعات كتائب منظمة تنظيما إلهيا ، ومرمى به وهو الحجارة ، والمفسرون على أن الحجر منها لا يزيد فى الكبر عن الحصاة كل طير يحمل منها ثلاثة إثنان فى رجله والثالث فى منقاره ، ومرمى وهو جيش أبرهة وما كلهم أصابته الحجارة ولا تصيب أحد منهم إلا أهلكته . وقد روى ابن اسحق عن عائشة رضى الله تعالى عنها أنها قالت لقد رأيت قائد الفيل وسائسه بمكة أعجميين مقعدين يستطعمان الناس ، وقول الخضرى فى أبرهة (فعاد منهزما وتوفى بعد عودته) من الغش للقراء وعدم

الأمانة في نقل العلم لأنه لم يذكر كيفية موته هلا قال مات بالجدري كما مات جل جيشه قال ابن هشام في سيرته التي أحال عليها حضرته بقوله ، (وقد بينها ابن هشام في سيرته) مانصه فخرجوا يتساقطون بكل طريق ويهاكون بكل مهلك على كل منهل وأصيب أبرهة في جسده وخرجوا به معهم يسقط أئمة أئمة كلما سقطت أئمة اتبعتها منه مدة تمت قيحا ودماً حتى قدموا به صنعاء وهو مثل فرخ الطائر فمات حتى انصدع صدره عن قلبه اه .

ولنذكر شيئاً من أشعار العرب في هذه الحادثة . قال ابن هشام في سيرته : وخرجوا هاربين يبتدرون الطريق الذي منه جاؤا ويسألون عن نفيل ابن حبيب ليدهم على الطريق إلى اليمن (ونفيل بن حبيب الحثعمي هذا كان اعترض أبرهة حين وصل إلى أرضهم ليرده عن بيت الله فأسره أبرهة وأراد قتله فقال له نفيل ابقي أيها الملك دليلك بأرض العرب وهاتان يداي لك على قبيلتي خثعم شهران وناهس بالسمع والطاعة فتركه واستصحبه معه دليلاً فقال نفيل حين رأى ما أنزل الله بهم من نقمته :

أين المفر والإله الطالب والأشرم المغلوب ليس الغالب
وقال أيضاً :

ألا حيت عنا يارديننا نعمناكم مع الأصباح عينا
ردينة لو رأيت فلا تريه لدى جنب المحصب مارأينا
إذاً لعذرتني وحمدت أمرى ولم تأسى على ما فات بينا
حمدت الله إذ أبصرت طيرا وخفت حجارة تلقى علينا
وكل القوم يسأل عن نفيل كأن على للجيشان ديننا

وقال عبد الله بن الزبيري رضي الله تعالى عنه :

تنكلوا عن بطن مكة أنها كانت قديماً لا يرام حريمها
لم تخلق الشعري ليالي حرمت إذ لا عزيز من الانام يرومها
سائل أمير الجيش عنها مارأى ولسوف ينبي الجاهلين عليهمها
ستون ألفا لم يؤبوا أرضهم بل لم يعيش بعد الاياب سقيمها
كانت بها عاد وجرهم قبلهم والله من فوق العباد يقيمها

وقال أبو قيس بن الاسد الانصارى يخاطب قريشا ويحذرهم من
نصب العداوة للنبي صل الله تعالى عليه وسلم من قصيدة له في ذلك:

فقوموا فصلوا ربكم وتمسحوا بأركان هذا البيت بين الاخاشب
فعندكم منه بلاء ومصدق غداة أبى يكسوم هادى الكتائب
كتيبته بالسبل تمشى ورجله على القاذفات فى رؤوس المناقب
فلها أتاكم نصر ذى العرش ردهم جنود المليك بين ساف وحاصب
فولوا سراغاً هارين ولم يؤب الى أهله ملحيش غير عصائب
وقال طالب بن أبى طالب :

ألم تعلموا ما كان فى حرب داحس وجيش أبى يكسوم إذ ملأوا الشعبا
فلولا دفاع الله لا شىء غيره لأصبحتم لا تمنعون لكم سر با
وقال أمية بن أبى الصلت الشقى :

ان آيات ربنا ثاقبات لا يمارى فيهن إلا الكفور
خلق الليل والنهار فكل مستبين حسابه مقدور
ثم يحلو النهار رب رحيم بمهاة شعاعها منشور
حبس الفيل بالمغمس حتى ظل يحبو كأنه معقور
لازماً حلقة الجران كما قطر من صخر كبكب محذور
حوله من ملوك كسندة أبطال ملاويث فى الحروب صقور
خلفوه ثم ابدعوا جميعاً كلهم عظم ساقه مكسور
كل دين يوم القيامة عند الله إلا دين الخيفة بور

فان قيل من اين حكم الخضرى على اصحاب الفيل بانهم هلكوا بالامراض
الثقيلة وهى الحصبة والجدرى من سيرة ابن هشام . قلت من رأى يعقوب
ابن عتبة وهو دعواه (ان اول مارؤيت الحصبة والجدرى بارض مكة ،
وقد قدمت ان لاحجة له فى رأى يعقوب . فان قيل ضم لرأى يعقوب قول
ابن هشام فى ملكهم ابرهة (واصيب ابرهة فى جسده وخرجوا به معهم
يسقط أئمة كلما سقطت أئمة اتبعها منه مدة تمت قيحاً ودماً حتى قدموا

به صنعاء وهو مثل فرخ الطائر فأمات حتى انصدع صدره عن قلبه) قلت
 لاحجة له على حكمه برأى يعقوب وحده ولا به مع هذه الضميمة فحكمه
 هذا باطل من اربعة اوجه : الأول : أن ابن هشام لم يقله وعليه فقد تقول عليه .
 الثانى : على فرض صحة أخذ حكمه من رأى يعقوب بن عتبة او منه ومن
 حالة ابرهة بعد اصابته فالفرق بين (هلكوا بالامراض الثقيلة الحصبة
 والجدرى) وبين أن اول مارؤيت الحصبة والجدرى بارض العرب ذلك
 العام (كما بين السماء والارض يعرفه صغار الطلبة ، الثالث قال هلكوا
 بالحصبة والجدرى ولا يجتمع الحصبة والجدرى فى مريض واحد فى وقت
 واحد عادة وعليه فيمكن ان يرفع هذا التفشار فيقال بعضهم هلك بالحصبة
 وبعضهم هلك بالجدرى وينبنى عليه اسئلة كثيرة فيقال كم المقدار الذى
 هلك منهم بالحصبة ، وكم المقدار الذى هلك منهم بالجدرى وكم المقدار الذى
 نجح منهم ، ومن احصى ذلك من العرب وضبطه وما وجه تخصيص اهلاكم
 بهذين المرضين بذلك المكان (المغمس) دون غيره من بلاد العرب التى
 مر بها ذلك الجيش الجرار من خروجه من اليمن سالماً الى ان وصل اليه ،
 وهل الحصبة والجدرى من الأمراض الثقيلة ، واذا كانا من الأمراض
 الثقيلة فكيف تأتى لابرهة وشرذمة من جيشه الفرار منها فهل يمكن لمريض
 مرضاً ثقيلاً الفرار المستلزم لسرعة حركة الفار بسبب الذعر الباعث له
 على ذلك ، وهل يتأتى الهروب لمن ثقل بهذين المرضين . وقد قال ابن هشام
 (وخرجوا هاربين يتندرون الطريق الذى منه جاءوا ويسألون عن نفيل
 ابن حبيب الخشمى ليدهم على الطريق الى اليمن) وقال ايضاً (فخرجوا
 يتساقطون بكل طريق ويهلكون بكل مملك على كل منهل) وكيف نجا من
 هذين المرصنين الثقيلين نفيل بن حبيب وقال متشفياً فيهم :

حمدت الله اذا بصرت طيرا وخفت حجارة تلقى علينا

وكل القوم يسأل عن نفيل كان على للحبشان ديناً

الرابع العادة والتاريخ يكذبان هذا الحكم فان الحصبة والجدرى ليسا من
 الامراض الفتاكة عادة بل ولا من الامراض الثقيلة كالطاعون على ان

المصاب بالطاعون يمكث ساعات كثيرة ثم يموت وهؤلاء الأحباش هلكوا حالاً فجعلهم كعصف مأكول ولم يعرف في العادة والتاريخ ان اهل بلدة او قرية هلكوا بالحصبة او الجدري ويقال على فرض صحة هذا ماتقدم من الاسئلة ويزاد فيقال العادة الجارية في الكون أن الأمراض الثقيلة انما تحصل في المدن والقرى لا في الصحراء والبادية التي هي انقى هواء من القرى والمدن والمشاهدة الآن قاضية بان اهل البادية على شظف معيشتهم في مجموعهم اصح أمزجة من اهل القرى وأهل القرى على شظف معيشتهم في مجموعهم اصح أمزجة من أهل المدن ويقال ايضاً العادة الجارية ان هذين المرضين يحصلان لأهل المدن والقرى في الصغر غالباً ولا سيما الحصبة فانها مرض الاطفال والغالب فيها السلامة ونادر من يحصل له ذلك فيها في الكبر والنادر لاحكم له، ويقال ايضاً لم يهلك هذا الجيش بالحمى وماوجه تخصيص هلاكه بهذين المرضين دون غيرهما من الأمراض الثقيلة ، ولم لم يهلك بهما اهل مكة وهى قرية قريبة من (المممس) وعلى فرض صحة وقوع الامراض الثقيلة بالصحراء كيف هلك معظم هذا الجيش الجرارها مع انه لم يمكث بها مدة طويلة حتى ينشأ منها فساد الهواء المستلزم لوقوع الامراض الثقيلة ولم يزد مكثه بها على يوم او بعض يوم فيستحيل ان يهلك جيش عظيم في ساعة من نهار بما هو اشد واقبح منهما كالطاعون ، ولم لم يهلك ابرهة مع جيشه في ذلك المكان مع انه اصيب كما اصابوا ، ولم تأخر هلاكه الى وصوله لصنعاء ، ولم صار لحمه يتساقط قطعة قطعة ومرض الحصبة لا يسقط منه لحم المصاب بها عادة بل ولا الجدري الذى هو اشد منها ، وقديماً انكر هذا من لا يؤمن بقدرة القادر الحكيم فقال لو جوزنا ان يكون في الحجر الذى يكون قدر العدسة مثلاً من الثقل ما يقوى به على ان ينفذ من رأس الانسان ويخرج من اسفله لجوزنا ان يكون الجبل العظيم خالياً عن الثقل وان يكون في وزن التينة وذلك يرفع الامان عن المشاهدات فانه متى جاز ذلك فليجز ان يكون بحضرتنا شمس واقمار ولا تراها (٦ - تحذير العبقري)

وكل ذلك محال . والجواب ان هذا وامثاله خارق للعادة جائز على مذهبنا ولاشك ان هذه الواقعة كانت دالة على قدرة الصانع وعلمه وحكمته وكانت دالة على شرف محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وتأسيساً لنبوته وارهاسا لها واعزازاً لقومه بما ظهر عليهم من الاعتناء حتى دانت لهم العرب واعتقدت شرفهم وفضلهم على سائر الناس بحماية الله لهم ودفعه عنهم مكرأ برهة الذي لم يكن للعرب جميعاً بقتاله طاقة فقصة الفيل هذه حجة دامغة للملحدين لانهم ذكروا في الزلازل والرياح والصواعق وسائر الاشياء التي عذب الله تعالى بها الامم السابقة أعداراً ضعيفة اما هذه الواقعة فلا تجرى فيها تلك الأعذار لأنه ليس في شيء من الطبائع والحيل ان تقبل طير معها حجارة فتقصد قوماً دون قوم فتقتلهم ولا يمكن ان يقال انه كسائر الحوادث الضعيفة لانه لم يكن بين عام الفيل ومبعث الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم الا اربعون سنة ويوم انزلت هذه السورة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان قد بقي بمكة جمع شاهدوا تلك الواقعة بل جميع العرب يعلمونها علماً يقينياً فلو كان نقلها غير صحيح لشافهوه بالتكذيب فلما لم يقع منهم تكذيب له علمنا انها متواترة قطعية لا سبيل للطعن فيها . فان قيل ان مشركي قريش كانوا ملأوا الكعبة من الأوثان ولاشك ان ذلك اقبح من تخريب جدرانها فلم سلط العذاب على من قصد تخريبها ولم يسلط على من ملأها من الأوثان . والجواب ان وضع الأوثان فيها تعد على حق الله تعالى وتخريبها تعد على حق الخلق . ونظيره قاطع الطريق والباغي والقاتل يقتلون مع انهم مسلمون ولا يقتل الشيخ الكبير والأعمى وصاحب الصومعة والمرأة وان كانوا كفاراً لانه لا يتعدى ضررهم الى الخلق . فان قيل ايضاً ان الحجاج بن يوسف خرب الكعبة بان رماها بالمنجنيق كما رماها جيش يزيد بن معاوية قبله ولم يحصل لهم ما حصل لاصحاب الفيل من العذاب فما الفرق ؟ فالجواب ان ذلك وقع ارهاصاً لنبوة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم كما تقدم والارهاص انما يحتاج اليه قبل قدومه فلما

ظهر عليه الصلاة والسلام وتأكدت نبوته بالدلائل القطعية فلا حاجة الى شيء من ذلك على ان جيش يزيد والحجاج انما قاتلوا على الملك ولم يقصدوا هدم الكعبة ولم يسيروا اليها كأبرهة وما وقع فيها من التخریب ادى اليه القتال . فان قيل : فهل للخضرى فى هذا التفسير المكذب لصريح القرآن وللتاريخ المنقول فى هذه الحادثة سلف ، قلت نعم سلفه وقدوته فيها محمد عبده فى تفسيره لجزء عم فى سورة الفيل وحيث كان المبتكر والقُدوة فى هذه المصيبة فلنذكر كلامه برمته ليراه القراء ثم أفنده وهذا نصه :

كلام محمد عبده فى تفسيره

لسورة الفيل من جزء عم

قال (ولم يزل سائراً يغلب من يلاقه حتى وصل إلى المغمس بالقرب من مكة ثم أرسل إلى أهل مكة يخبرهم أنه لم يأت لحربهم وإنما أتى لهدم البيت ففرعوا منه وانطلقوا إلى شعب الجبال ينتظرون ما هو فاعل وفى اليوم الثانى فشا فى جند الحبشى داء الجدري والحصبة قال عكرمة وهو أول جدري ظهر ببلاد العرب وقال يعقوب بن عتبة فيما حدث إن أول ما رؤيت الحصبة والجدري ببلاد العرب ذلك العام وقد فعل ذلك الوباء بأجسامهم ما ينذر وقوع مثله فكان لحمهم يتناثر ويتساقط فذعر الجيش وصاحبه وولوا هارين وأصيب الحبشى ولم يزل يسقط لحمه قطعة قطعة وانملة أنملة حتى انصدع صدره ومات فى صنعاء هذا ما اتفقت عليه الروايات ويصح الاعتقاد به وقد بينت لنا هذه السورة الكريمة ان ذلك الجدري أو تلك الحصبة نشأت من حجارة يابسة سقطت على أفراد الجيش بواسطة فرق عظيمة من الطير مما يرسله الله تعالى مع الريح فيجوز لك أن تعتقد أن هذا الطير من جنس البعوض أو الذباب الذى يحمل جراثيم بعض الأمراض وان تكون هذه الحجارة من الطين المسموم اليابس الذى تحمله الرياح فيعلق بأرجل هذه الحيوانات فاذا اتصل بجسد دخل فى مسامه فأثار فيه تلك القروح التى تنتهى

بافساد الجسم وتساقط لحمه وان كثيرا من هذه الطيور الضعيفة يعد من أعظم جنود الله في اهلاك من يريد اهلاكه من البشر وان هذا الحيوان الصغير الذى يسمونه الآن بالمكروب لا يخرج عنها وهو فرق وجماعات لا يحصى عددها إلا بارئها ولا يتوقف ظهور أثر قدرة الله تعالى فى قهر الطاغين على أن يكون الطير فى ضخامة رؤوس الجبال ولا على أن يكون من نوع عنقاء مغرب ولا على أن يكون له ألوان خاصة به ولا على معرفة مقادير الحجارة وكيفية تأثيرها فله جند من كل شىء وفى كل شىء له آية تدل على أنه الواحد. وليس فى الكون قوة إلا وهى خاضعة لقوته فهذا الطاغية الذى أراد أن يهدم البيت أرسل الله عليه من الطير ما يوصل اليه مادة الجدرى أو الحصبة فأهلكته وأهلكته قومه قبل أن يدخل مكة وهى نعمة من الله تعالى غمر بها أهل حرمه على وثنياتهم حفظاً لبيته حتى يرسل من يحميه بقوة دينه صلى الله عليه وسلم وان كانت نقمة من الله تعالى حلت بأعدائه أصحاب الفيل الذين أرادوا الاعتداء على البيت بدون جرم اجترمه ولا ذنب اقترفه ، هذا ما يصح الاعتماد عليه فى تفسير السورة وما عدا ذلك فهو مما لا يصح قبوله إلا بتأويل ان صحت روايته . ومما تعظم به القدرة أن يؤخذ من استعد بالفيل وهو أضخم حيوان من ذوات الأربع جسماً ويهلك بحيوان صغير لا يظهر للنظر ولا يدرك بالبصر حيث ساقه القدر لا ريب عند العاقل أن هذا أكبر وأعجب وأبهر اه) .

تفنيده

كلامه هذا باطل من ستة أوجه :

١ - (الأول) تكذيبه لصريح نص القرآن الذى لا يحتمل التأويل بحال فى قصه هذه الحادثة بأوضح بيان ، فقد أسند الله تعالى اهلاكهم اليه تعالى فى أربع جمل ((كيف فعل ربك بأصحاب الفيل)) ألم يجعل كيدهم فى تضليل بواسطة رمى الطير المنظمة كتائب كتائب لهم بالأحجار)) وأرسل عليهم

طيراً أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول () والحقيقة
والحس المتواتران وهما ثلاث حقائق رامة ومرمى ومرمى به لا يمكن دفعهما
بهذا الهوس وهو (وقد بينت لنا هذه السورة الكريمة أن ذلك الجدرى
أو تلك الحصبة نشأت من حجارة يابسة سقطت على أفراد الجيش) ولا
يتردد كل من له أدنى مسكة من عقل في أن الساقط لا يقال له مرمى لا لغة
ولا عادة ولا عقلاً وبهذا ظهر تكذيبه لحبر الله تعالى في هذه القصة
الواضحة ووضح الغزالة كما ظهر تكذيبه للتاريخ المنقول فيها تواتراً عن
شاهدها من العرب ومؤرخى الاسلام قاطبة فيعد قوله (سقطت على أفراد
الجيش) تحريفاً للرمى في قوله تعالى (ترميهم بحجارة) بالسقوط والساقط
ليس مرمياً لا محالة ، (لا تأويلا) ولم يحرف الشيخ من كلام الله تعالى هذه
اللفظة وهى الرمي فقط بل أمثالها كثير فيها حرفه أيضاً تفسير الانفطار
والانشقاق تقليداً للفلاسفة الذين ينكرون كون السماوات أجراماً
ليراجع من شاء تفسيره لجزء عم وقد صار الشيخ في هذا التحريف قدوة
مقلداً اكل متوثب من أهل العصر على كلام الله تعالى .

٢ - (الثانى) الكذب على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى جميع الرواة
للسنة النبوية من الصحابة إلى مشايخه طبقة طبقة في قوله (هذا ما اتفقت
عليه الروايات ويصح الاعتقاد به) فاسم الإشارة في قوله هذا ما اتفقت
يرجع إلى الهلاك الذى هلك به جيش أبرهة في زعمه وهو الوباء والجدرى
والحصبة وتناثر لحمهم قطعة قطعة فلو ادعى رواية واحدة في هلاك هذا
الجيش بما ذكره عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لكانت غاية كافية في شناعة
الفرية على الرسول لأنه يرويها عنه صلى الله تعالى عليه وسلم على أقل تقدير
صحابي واحد والصحابي يرويها عنه غالباً جمع والجمع يرويها عنهم جمع أكثر
منهم عدداً وهم جرا إلى مشايخه وكون الصحابي لا يرويها عنه إلا واحد
وهو ما يسمى في فن المصطلح بالفرد النسبي نادر فكيف وقد ادعى روايات
كثيرة بالجمع وأقل الجمع ثلاث وعليه فلو فرض أن هذه الفرية رواها عنه

صلى الله تعالى عليه وسلم ثلاثة من الصحابة كل واحد منهم يرويها عنه جمع من التابعين وكل واحد من جمع التابعين يرويها عنه جمع من أتباع التابعين وهلم جرا إلى مشايخه فانها تكون حينئذ من قسم المشهور والمستفيض وفرض عدد طبقات الرواة الذين بين محمد عبده المتوفى سنة ١٣٢٤ وبين النبي صلى الله تعالى عليه وسلم خمس عشرة طبقة فاذا فرض في كل رواية من الروايات التي عبر عنها بصيغة الجمع انه رواها في كل طبقة أقل الجمع (ثلاث) وفرضت الروايات التي عبر عنها بقوله (هذا ما اتفقت عليه الروايات) ثلاثاً على أقل تقدير فيكون حضرته قد كذب على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وكذب على مائة وخمسة وثلاثين راوياً من حملة شريعته على أقل المفروض غير كذبه على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم . فان قيل ليس مراده بالروايات في قوله: (هذا ما اتفقت عليه الروايات) الروايات عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حتى يترتب عليه صريح الكذب على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى الجهم الغفير من حملة شريعته ، بل مراده بها رواية يعقوب بن عتبة ورواية عكرمة فالجواب أن هذا باطل من ثلاثة أوجه: (الأول) أن الرواية أو الروايات إذا أطلقها أى عالم من علماء المسلمين انما تنصرف لرواية السنة النبوية جزماً عند جميع أهل الاسلام فاذا قصد بها قول صحابي أو غيره مثلاً قيدها بقوله الرواية أو الروايات عن فلان وقد أطلقها حضرته هنا فتحمل جزماً على رواية السنة . (الثاني) أن ما حدث به يعقوب بن عتبة رأيه وليس برواية وقد تقدم تقريره في تفنيد كلام الخضرى وكذلك ما قاله عكرمة رأيه وليس برواية وقد صرح بذلك حضرته بقوله قال عكرمة وهو أول جدري ظهر ببلاد العرب ولم يصرح عكرمة بأنه سمعه من صحابي مثلاً والصحابي سمعه من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حتى يكون رواية فقوله قال عكرمة وهو أول جدري ظهر ببلاد العرب صريح في كونه رأياً لا رواية على أن قوله وهو أول جدري ظهر ببلاد العرب دعوى مثل دعوى يعقوب بن عتبة تماماً وتقدم انه لا دليل عليها على

أنه قد بتر كلام عكرمة فذكر منه ما يوافق هواه فقط وبذكر كلامه كله يظهر للقارئ أنه لا حجة له فيه . أخرج الامام ابن جرير في تفسيره بسنده إلى عكرمة مانصه : قال كانت ترميهم بحجارة معها قال فاذا أصاب أحدهم خرج به الجدرى قال وكان أول يوم روى فيه الجدرى قال لم ير قبل ذلك اليوم ولا بعده اه فقد صرح عكرمة بأن الطير رمتهم بأحجار معها فاذا أصاب أحدهم خرج به الجدرى أى هاسكوا بالأحجار المرمية عليهم من جيوش الطير فالجدرى إذا أصاب أحدهم خرج به الجدرى فهلاكهم قطعاً بالأحجار المرمية عليهم ، والجدرى الذى نشأ من الاصابة فى قول عكرمة ان صح محمول جزماً على أن محل دخول الحجر فى الجسم ومحل خروجه يشبه الجدرى أى مكان الاصابة دخولا وخروجاً منفط كمنفط النار وذلك يشبه الجدرى لأن الحجارة يابسة كما اعترف بها الشيخ سواء قلنا إنها مختلطة من حجر وطين أو كانت من طين مطبوخ كالآجر توفيقاً بينه وبين قول جمهور المفسرين ، ما يقع حجر على رأس رجل منهم الا خرج من دبره ولا يقع على شئ من جسده إلا خرج من الجانب الآخر . (الثالث) لو فرض أن رأيي يعقوب بن عتبة وعكرمة من الرواية فهما روايتان لاروايات بالجمع فكان صواب التعبير على هذا الفرض أن يقول هذا ما اتفقت عليه الروايتان بالتثنية وما كفى حضرته تكذيب صريح القرآن فى اخباره عن هذه الحادثة بايضاح والتقول على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى جملة سنته حتى جعله العقيدة الصحيحة للمسلم بقوله (هذا ما اتفقت عليه الروايات ويصح الاعتقاد به) والعجب منه يتقول الروايات هنا فى هذه الحادثة وليس فيها رواية أصلاً لتمشية هواه فى حين أنه يطعن فى الأحاديث الصحيحة بل فى المتواترة ويزدرى ويتهم بأئمة الرواية مع كونه ليس من أهلها ولا يقيم لها ولا لحمايتها وزناً إذا خالفت هواه .

وهذا تفسيره لجزء عم مملوء بالخلط فقد زعم فيه : أن النفخ فى الصور تمثيل لبعث الله تعالى الناس يوم القيامة بسرعة وتفتيح السماء عبارة عن

تغيير نظام الكون وانفطار السماء وانشقاقها فساد تركيبها واختلال نظامها قال (وذلك يكون بحادثة من الحوادث التي قد ينجر اليها سير العالم كأن يمر كوكب في سيره بالقرب من آخر فيتجاذبا فيتصادما فيضطرب نظام الشمس بأسره) ، وعرف الشيطان بانه قوة نازغة الى الشر : اى معنى من المعانى لا جسم مكلف مخاطب وطعن فى احاديث الشفاعة وفضايل اهل البيت وفى الآثار الواردة فى الميزان وفى الإحاديث الواردة فى حوضه عليه الصلاة والسلام وهى متواترة . قال الحافظ ابن حجر فى فتحه فى كتاب العلم من صحيح الامام البخارى فى شرح قوله صلى الله تعالى عليه وسلم : (من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار) انه متواتر كاحاديث الحوض واحاديث المسح على الخفين ورفع اليدين فى الصلاة ورؤية الله فى الآخرة وغيرها . وطعن ايضا فى حديث سحر ليلى بن الاعصم اليهودى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وفى احاديث وسوسة الشيطان لابن آدم وجشومه على قلبه بخراطومه ، وتفنن قلمه فى الازدراء والتهمك والتجهيل لعلماء الاسلام قاطبة فلينظره من شاء ولينظر خاصا هذه السور : الضحى والقدر والبينة والزلزلة والقارعة والكواثر وتبت يدا ابنى لهب والمعوذتين كل هذا منه تقليد : هذا وهو الامام المجتهد عند المتغالين فيه . وقد صار فى هذا الطعن مقلداً مقتدى به لجل كتاب العصر ولا سيما المتعلمين تعليماً غريباً فمنهم من يطعن فى الاحاديث اذا لم توافق هواه كتلميذه الخاص محرر مجلة المنار فقد طعن فى احاديث انشقاق القمر وفى غيرها ومنهم من لا يقبل السنة كلها ويتهم جميع رواتها كصاحب (حياة محمد) كما انه مقلد للخوارج فى حمل ماورد فى الكفار خاصة على المؤمنين : فى كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم من صحيح الامام البخارى فى باب قتل الخوارج والملحدى بعد اقامة الحجة عليهم مانصه : وكان ابن عمر يراهم (يعنى الخوارج) شرار خلق الله وقال انهم انطلقوا الى آيات نزلت فى الكفار فحملوها على المؤمنين اه وقد حمل محمد عبده سورة تبت يدا ابنى لهب الواردة فى ذم كافرين معينين

ووعيدهما على المؤمنين تزكية لنفسه واعلاء لها فقال في تفسيرها مانصه (فجميع اولئك الذين يقولون لك انك مهما بلغت من العلم لا يمكنك ان تعرف عن الله تعالى من كتابه ولا من كلام نبيه شيئاً من الاحكام والعقائد ولا يجوز لك أن تستند في تقرير حكم الى آيات الكتاب ولا الى الصحيح من السنة وانما الواجب عليك ان ترجع الى قول فلان ورأى فلان وان وصلت من معرفة لغة الكتاب والسنة الى أعلى غاية اولئك هم آباء طيب لا تغنى عنهم اموالهم ولا اعمالهم شيئاً وسيصلون ما يصلى وكل امرأة تم بين الناس لتفرق كلمتهم وتذهب بهم مذاهب السوء فهي ممثلة في هذا المثال نازل بها ذلك النكال اهـ) .

فقد رأى القارىء كلامه هذا صريحا في تكفير كل من قال من المسلمين له ولاشباهه : انك مهما بلغت من العلم .. لا تصل الى درجة المجتهدين باداة الحصر .

٣ - الوجه الثالث تحقق من كلامه أنه قد زاد في هذه القصة عما لم يذكره الله تعالى لنا في الاخبار بها وعن التاريخ المنقول فيها تواتراً ثمانية اشياء :
: الريح والجدرى ، والحصبة ، والسهم اللاصق بتلك الاحجار اليابسة ، والحيوان الصخري المسمى بالميكروب المتعلق بتلك الاحجار اليابسة ايضا ، وتناثر وتساقط لحم اجسام جميع افراد الجيش الهالك ، وتعيين حجم هذا الطير بانه من جنس البعوض او الذباب الذى يحمل جراثيم بعض الأمراض وسقوط تلك الاحجار من ارجل الطير لارميها ، وفي كلامه في هذه الزيادة من الخاطى شيء كثير كما انه يترتب عليها اسئلة كثيرة لا يمكن الانفصال عنها : فمن ذلك جعله الحصبة والجدرى (وباء) ، والوباء ان اطلق لغة على الطاعون فقط فاطلاقه حينئذ عليهما غلط لامرية فيه ، وان اطلق على كل مرض عام فتخصيصه بهما تحكم لادليل عليه لانقلا ولا عقلا ، ويرد عليه جميع ماورد على الخضرى من الاسئلة فيهما وقد تقدم ذكرها ، ومن ذلك ايضا التضارب في كلامه في الشيء الهالك به هذا الجيش قال (بالحصبة او الجدرى) ثم قال (فيجوز لك أن تعتقد أن هذا الطير من جنس البعوض (٧ - تحذير العبقري)

أو الذباب الذى يحمل جراثيم بعض الأمراض وان تكون هذه الحجارة من الطين المسموم اليابس الذى تحمله الرياح فيعاق بارجل هذه الحيوانات فاذا اتصل بجسد دخل فى مسامه فاثار فيه تلك القروح التى تنتهى بافساد الجسم وتساقط لحمه اه). فخلاصة هلاكهم من كلامه باربعة أشياء الحصبة والجدرى والحيوان الصغير المسمى بالميكروب والسم الملتصق بالحجارة اليابسة ويمكن ترقيعه بارجاع ما هلكوا به الى شيئين فقط السم والميكروب ولا شك عند كل عاقل ان السم غير الميكروب لان السم ليس بحيوان والميكروب حيوان فصارت نتيجة اهلاكهم دائرة بين ما هو حيوان وما ليس بحيوان وصارت عقيدة المسلم التى حققها له بقوله (هذا ما اتفقت عليه الروايات ويصح الاعتقاد به) وبقوله فى آخر كلامه (هذا ما يصح الاعتماد عليه فى تفسير السورة وما عدا ذلك فهو مما لا يصح قبوله الا بتأويل ان صحت روايته) مضطربة بين السم والميكروب فعلى أيهما يركزها ؟ فان بناها على هلاكهم بالسم فيكون تقدير هذه السلسلة الطويلة المزيدة فى الآية الشريفة من كلامه هكذا : هلكوا بسم أفسد أجسامهم فتناثرت لحومها وتساقطت : التصق ذلك السم بحجارة يابسة حملتها الرياح فعلمقت بأرجل طيور صغار كالبعوض او الذباب وسقطت تلك الحجارة على أفراد الجيش ، فينحل هذا الكلام الى ست جمل فاذا زيد عليه ، اتصل ذلك السم بجسد كل واحد منهم فدخل فى مسامه فأثار فيه تلك القروح التى تنتهى بافساد الجسم وتساقط لحمه فهذه ثلاث جمل اخرى فترتب على هلاكهم بالسم من كلامه تسع جمل وتنهار هذه العلاوة الطويلة بالعادة فان كل عاقل يعلم عادة ان السم اذا اتصل بظاهر الجسم لا يضره فضلا عن كونه يقتله وانما يقضى على حياة الجسم اذا وصل الى داخله بواسطة الحقنة أو بالأكل مثلا ومع هذا لا يسقط منه لحم الجسم فضلا عن تناثر اجزائه على ان من تحسى سما او وصل الى داخل جسمه بواسطة آلة يهلك سريعا ويستحيل منه الهروب والتحرك من مكانه عادة وهذا الجيش اعترف

الشيخ بأنهم ولو أهار بين. فإن قيل: إن تلك الأحجار اليابسة الملتصق بها السم بمنزلة الحقنة له. قلت هذا لا يصح إلا إذا كانت تلك الأحجار مرمية من طيور يصح منها الرمي فحينئذ يمكن دخول السم في الجسم بواسطة الأحجار المرمى بها وحينئذ نرجع إلى المحقق حسا وهو هلاكهم بالأحجار المرمية عليهم كما قال الله تعالى .

ولا حاجة بنا إذاً إلى هذه العلاوة التي يبطلها القرآن والتاريخ والحس والعادة فكلام الشيخ متضارب جمع بين الأشياء التي لا يعقل ترقيعها ولا التوفيق بينها عادة فالبعوض أو الذباب لا يمكنه حمل أحجار يابسة ورميها بل ولا حملها ثم تسقط منه وإنما يمكنه حمل شيء صغير جدا كالميكروب والغبار ولا يسمى البعوض والذباب طيرا في العادة المستمرة من ذلك العهد إلى الآن وإن كان طيرا بحسب اللغة ولم يقل أحد من الناس إن البعوض أو الذباب يرمى بالأحجار أو بصغار الحصى فضلا عن كبارها ولا العادة المستمرة في الناس قضت بذلك وإنما يقال وقع الذباب على كذا أو في كذا. وفي الحديث الصحيح ﴿ إذا وقع الذباب في إناء أحدكم فليغمسه فان في أحد جناحيه داء وفي الآخر شفاء ﴾ وقال الأطباء أن نوعا من البعوض يحمل الحمى المalarيا فإذا وقع على جسم حصلت له تلك الحمى ، وإن بناها على هلاكهم بالحيوان الصغير المسمى بالميكروب فتقدير العلاوة على هذا الوجه هكذا : هلكوا بالحيون المسمى بالميكروب الذي لا يرى لشدة صغره الملتصق بالأحجار التي حملتها الرياح فالتصقت بأرجل الذباب والبعوض فسقطت منها على أفراد الجيش وهذا التقدير نحو ست جمل أيضاً فظهر بهذا أن الشيخ زاد في حادثة هلاك هذا الجيش على كلا الأمرين السم والميكروب على كتاب الله تعالى ست جمل وكتاب الله تعالى بينها أحسن بيان بثلاث جمل كما تقدم على أن الهالك بأى مرض من أمراض الميكروب لا يموت إلا بعد مدة وهذا الجيش هلك حالا ويستحيل أيضا من المصاب بالميكروب حمى أو غيرها المروب عادة كما يستحيل تقطع الجسم وتناثر لحمه به . فإن

قيل إن القرآن الذى قص هذه الحادثة أحسن قصص لم يذكر أن لحوم اجسام ذلك الجيش الهالك كانت تتساقط وتتناثر كما ذكر الشيخ بقوله (وقد فعل ذلك الوباء باجسامهم ما يندر وقوع مثله فكان لحمهم يتناثر ويتساقط) ولا التاريخ المنقول فيها تواترا ذكر ذلك فمن أين للشيخ هذا التفصيل العجيب قلت اخذ ذلك من مصاب رئيسهم أبرهه فانه قال واصيب الحبشى ولم يزل يسقط لحمه قطعة قطعة وأثملة اثملة حتى انصدع صدره ومات فى صنعاء) وهو تصرف قبيح وحكم على الكل بحكم البعض .

٤ - الوجه الرابع يلزم من تفسيره هذا لهذه السورة تجهيل الله تعالى حيث أخبر عن هذه الحادثة اخباراً مجملاً ناقصاً مبهماً يحتاج الى ان يبينه ويكمّله ويوضحه حضرته وتعجيز قدرته جل وعلا ايضاً حيث انه لا يتأتى لها التأثير فى الموجودات الا بالوسائط الكثيرة ، وتجهيل ايضاً لعلماء الاسلام قاطبة المفسرين من عصر الصحابة رضوان الله عليهم الى زمنه حيث انهم لم يهتدوا الى هذا التفسير الذى انفرد به حضرته وقال هو الذى (يصح الاعتقاد به) وقال ايضاً (هذا ما يصح الاعتماد عليه فى تفسير السورة وما عدا ذلك فهو مما لا يصح قبوله الا بتأويل ان صحت روايته) أى فما ذكر الله تعالى فى اهلاك هذا الجيش واضحاً بثلاث جمل لا يصح قبوله ان صحت روايته عنده الا بتأويل وما نقل من التاريخ فيها تواتراً كذلك لا يصح قبوله ان صحت روايته إلا بتأويل فنتيجة كلامه هكذا : ما ذكره الله تعالى فى بيان هذه الحادثة وذكره التاريخ المنقول فيها تواتراً لا يصح قبوله على فرض صحته عنده ، الا بتأويل فعدم صحة قبوله على عدم صحة روايته عنده من باب اولى . وكفى بهذه النتيجة فساداً وقبحاً وشناعة واتضح بما تقرر فى الاوجه السابقة ان الشيخ قصد بتفسيره هذا التضييل ، وهو :-

٥ - الوجه الخامس والحامل له على هذا القصد محاولة الجمع بين مذهبين متناقضين فى العقيدة مذهب الماديين الذين لا يؤمنون بوجود الاله الواحد القهار القادر على كل شىء الحكيم ومذهب من يؤمن بذلك . ومعلوم عند كل عاقل ان محاولة ابطال الخوارق وتعجيز القدرة الالهية بهذا الترقيع

محاولة فاشلة لا يرضى بها اهل الاسلام قاطبة ولا يقتنع بها الماديون .

٦ - الوجه السادس التهويش وذلك في كلامه في مواضع : الاول في قوله (وان كثيرا من هذه الطيور الضعيفة يعد من اعظم جنود الله في اهلاك من يريد اهلاكه من البشر وان هذا الحيوان الصغير الذي يسمى الآن بالميكروب لا يخرج عنها وهو فرق وجماعات لا يحصى عددها الا بارها) كل مسلم صحيح العقيدة يعتقد لله تعالى جنوداً من كل شيء يسلطها على من شاء من خلقه ولكن تفسيره وحكمه بان جيش ابرهة هلكوا بالحيوان الصغير المسمى بالميكروب الذي حملته الطيور الصغيرة (البهوض او الذباب) خاطيء خطأ فاحشاً لادليل عليه لانقلا ولا عقلا وقد تقدم ابطاله في الاوجه السابقة وكذلك في قوله الثاني (ولا يتوقف ظهور اثر قدرة الله تعالى في قهر الطاغين على ان يكون الطير في ضخامة رؤوس الجبال ولا على أن يكون من نوع عنقاء مغرب ولا على ان يكون له ألوان خاصة به ولا على معرفة مقادير الحجارة وكيفيه تأثيرها فله جند من كل شيء وفي كل شيء له آية تدل على انه الواحد وليس في السكون قوة الا وهي خاضعة لقوته) فقد اشتمل هذا الكلام على تهويش كثير وخلط وتناقض فقوله ولا يتوقف ظهور اثر قدرة الله تعالى في قهر الطاغين على أن يكون الطير في ضخامة رؤوس الجبال الخ صحيح ظهور اثر قدرة الله تعالى لا يتوقف على ما ذكر وهو العقيدة التي يحملها كل مسلم بين جنبيه ولكن قوله (على أن يكون الطير في ضخامة رؤوس الجبال ولا على أن يكون من نوع عنقاء مغرب ولا على أن يكون له ألوان خاصة به) تهويش وتضليل وهل قال المفسرون إن ضخامة تلك الطيور كانت مثل رؤوس الجبال وهل يقدر ذلك في عقيدتهم أو في هذه الخارقة على فرض أنهم قالوه وهل ذكر التاريخ لألوان هذا الطير بأنها سود أو بيض أو خضر مثلاً يعد قدحا في ثبوت هذه الحادثة الخارقة عند العقلاء وهل نقل المفسرين لذلك يعد وصفاً في عقيدتهم الاسلامية ، وقوله (ولا على معرفة مقادير الحجارة وكيفيه تأثيرها) خلط

وتناقض بيانه أنه حقق أنهم هلكوا بالسهم الملتصق بالأحجار اليابسة المحمولة بالريح المتعلقة بأرجل الطيور الصغيرة (البعوض أو الذباب) أو بالحيوان الصغير المسمى بالميكروب الملتصق بالأحجار اليابسة المحمولة بالريح المتعلقة بأرجل إلى آخر السلسلة فظهر به أن قوله هنا ولا على معرفة مقادير الحجارة وكيفية تأثيرها تناقض وخالط لما حققه لأنه اعترف منه بهلاكهم بالحجارة المرمية عليهم من الطير وإنما قال لا يتوقف ظهور أثر قدرة الله تعالى على مقادير الحجارة المرمية عليهم ولا على كيفية تأثيرها في أبدانهم والمسلمون كلهم يقولون بموجب هذا لأنه المطابق لنص الآية الشريفة. (ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول) وعليه فالطيور الصغيرة كالذباب والبعوض يستحيل حملها للحجارة في أرجلها عادة وإنما تحمل الهباء والغبار أو الحيوان الصغير الذي لا يرى ولا يسمى الهباء والغبار والحيوان الذي لا يرى حجارة لا عقلا ولا عادة ولا حسا وقد اعترف بتأثير الحجارة في هذا الجيش ثم نفى كيفية تأثيرها فيه لأن أثر قدرة الله تعالى عنده لا يتوقف عليها فوقع في ورطتين : الأولى نسبته التأثير للحجارة والمؤثر عند أهل الحق هو الله تعالى والحجارة سبب (وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى) الثانية تناقضه وهو نفيه هنا كيفية تأثير الحجارة في أجسامهم وإثباته في أول كلامه قال (وقد فعل ذلك الوباء بأجسامهم ما ينذر وقوع مثله فكان لحجمهم يتناثر ويتساقط) وهذا بلا شك تعيين لكيفية هلاكهم وقد تقدم أن هذا منه زيادة عما قصه الله تعالى من أمرهم وزيادة على التساريخ المنقول تواترا وقوله (فله جند من كل شيء وفي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد) تهويش أيضا وإخبار بالمعتقد الواضح عند جميع المسلمين وتلبيس على البسطاء وقوله (وليس في السكون قوة إلا وهي خاضعة لقوته) منطبق على مذهب القدرية الذين يشبّون للأشياء قدرة أودعها الله فيها وعليه قالوا الإنسان يخلق أفعال نفسه الاختيارية وهي مسألة القدر أي أفعال العباد والقدر سر الله تعالى في خلقه وقد أسهب فيها في رسالته في التوحيد ولم يأت فيها بباطل

سوى تنميقة الأسلوب الانشائي الذي دعم به مذهب القدرية ودافع عنهم وعاب مذهب الأشعرية وزعم أنه هادم للشرعية ماح للتكاليف ، وقد فند كلامه العلامة المحقق الشيخ مصطفى صبري التوقادي في كتابه «موقف البشر تحت سلطان القدر» فقلوله (وليس في السكون قوة أى قدرة إلا وهي خاضعة لقوته) أى خاضعة لقدرته تعالى كلام موه مقلد فيه للمعتزلة فيقال له إذا كانت كل قوة في السكون خاضعة لقوته تعالى فتسميتها قوة لا تصح إلا على سبيل التجوز وخضوعها لقوة الله دليل على أنها ليست بمؤثرة وقوة الله هي المؤثرة وحدها واستحالة دخول مقدور واحد تحت قدرتين لكل واحدة منهما قدرة التخليق والاكتساب دعامة لا يستطيع أهل الأرض جميعا تحريكها وعلم الله تعالى أزله جميع الأشياء تفصيلا والداعى الموجب أى الباعث للعبد على الفعل قضيا على مذهب القدرية ولذا نقل عن بعض أذكياء المعتزلة أنه كان يقول في علم الله تعالى والداعى هما العدوان لمذهب المعتزلة لولا هاتم لنا الدست أى على أهل السنة وقال بعض أهل السنة مسألة العلم حلقت لحى المعتزلة أى علم الله تعالى فى أزله جميع الأشياء تفصيلا حجهم لأنهم يقولون إن العبد يخلق أفعال نفسه الاختيارية والشرور والقباتح لم يخلقها جل وعلا فيقال لهم هل علم جل وعلا وقوعها أم لا لا سبيل لهم إلى إنكار علمه تعالى بها لأنه إنجهل لرهم من حيث يريدون تنزيهه ولا شك أن نسبة الجهل إليه تعالى كفر وإن اعترفوا بعلمه تعالى بوقوعها فيما لا يزال ولا مناص لهم منه فقد قامت عليهم حجة أهل السنة لأنه حينئذ علمها تعالى وأرادها من العباد لأن تعلق الإرادة تابع لتعلق العلم فلا يمكن أن يقع فى السكون شىء لم يعلمه الله تعالى ولم يرده فالحق فى أفعال العباد أنه لا جبر ولا تفويض ولكن أمر بين أمرين وذلك لأن مبنى المبادئ القرينية لأفعالهم على مرادهم واختيارهم والمبادئ البعيدة على عجزهم واضطرارهم فالإنسان مضطر فى صورة مختار، وكذلك فى قوله (وبما تعظم به القدرة أن يؤخذ من استعداد بالفيل وهو أضخم حيوان من ذوات الأربع جسما ويهلك بحيوان صغير لا يظهر

للنظر ولا يدرك بالبصر حيث ساقه القدر لاريب عند العاقل أن هذا أكبر
وأعجب وأبهر) تهويش وخطب بيان ذلك أن المسلم اذا كان مؤمنا بالقدر
إيمانا صحيحا مؤمنا بأن الله تعالى قدرة مؤثرة في كل ممكن فلا تتوقف
عقيدته في هلاك هذا الجيش في هذه الحادثة ولا في غيرها
على هذه الوسائط الكثيرة والسلسلة الطويلة التي ابتكرها مخالفوا لعلماء
الاسلام قاطبة وللتاريخ المستفيض فيها ولصريح كلام الله تعالى المبين لها
أحسن بيان حتى لو فرض أن الله تبارك وتعالى لم يبينها في كتابه العزيز وإنما
ذكرت في التاريخ فقط لم تتغير عقيدته الثابتة في صدره ثبوت الجبال الرواسي
في قدرة الله تعالى الباهرة الصالحة لكل شيء فقله وبما تعظم به القدرة أى
أى القدرة الالهية كما هو الظاهر يدل له قوله بعده حيث ساقه القدر أى
تزداد عظمة بهلاك جيش أبرهة بهذا الحيوان الصغير الذى لا يرى مناسف
لقوله (ويهلك بحيوان صغير لا يظهر الخ) وذلك لأن هلاكه إما أن يكون
بقوة هذا الحيوان الصغير فقط أو بقوته مع قوة الله تعالى مشتركين وكلاهما
باطل عند كل من يؤمن بالله الواحد القادر الحكيم القهار أو بقوته بعد قوة الله تعالى
وهذا أيضا باطل لأنه تحصيل الحاصل، وعظمة قدرة الله تعالى واحدة في
جميع المقدورات فلا معنى لقوله وبما تعظم به القدرة فان قيل مراده تزداد
القدرة عظمة بهلاكهم بهذا السبب الدقيق الذى لا يدرك بالبصر المسوق
بالقدر الذى يستدعى عنده من العاقل الاعجاب قلت هذا يصح لو كانت
الأسباب الخفية الدقيقة الكثيرة التى لا يحصىها إلا مسببها التى يهلك بها جل
وعلا من شاء من عباده كلها محصورة في هذا السبب الصغير الذى لا يدرك
بالبصر أما والأسباب الدقيقة ليست محصورة فيه فلا معنى لتعبيره (وبما
تعظم به القدرة) على أن جميع الأسباب دقيقها وجليلها بالنسبة لتأثير قدرة
الله جل وعلا واحدة في عقيدة العقلاء ليس شيء منها تعظم به القدرة وآخر
تزداد به عظمة وإحدى الجملتين في قوله (لا يظهر للنظر ولا يدرك بالبصر)
حشو ويقال على قوله (حيث ساقه القدر) ان السوق لغة وعادة وعقلا

يفهم منه تسلط السائق على المسوق بما هو على خلاف مراده وعليه فهذا الحيوان الصغير له مراد في رأيه ولكن ساقه القدر لصد مراده فاذاً هو آلة في يد القدر لا تأثير له ولا حول ولا طول ويقال له لم لم يسق القدر بعض حلقات هذه السلسلة التي زدتها على كتاب الله تعالى وعلى التاريخ؟ فقصر ك السوق على هذا الحيوان الصغير تحكم لا مبرر له وقد قال في أول كلامه (وقد بينت لنا هذه السورة الكريمة ان ذلك الجدرى او تلك الحصبة نشأت من حجارة يابسة سقطت على افراد الجيش بواسطة فرق عظيمة من الطير مما يرسله الله تعالى مع الريح) فاثبت في هذا الكلام ان هلاكهم كان (بالحصبة أو الجدرى) على التردد وان تلك الحصبة او الجدرى نشأ من حجارة يابسة سقطت على افراد الجيش بواسطة الفرق العظيمة من الطير الذى ارسله الله تعالى مع الريح فاعترف بان الطير ارسلها الله تعالى مجارة لنص الآية الشريفة اى ساقها القدر ويقال عليه ايضا اسناده هلاكهم للحيوان الصغير بقوله (ويهلك بحيوان صغير لا يظهر النخ) مع اعترافه بعده بان القدر ساقه والمسوق لا تأثير له حقيقى واما هو آلة خاضعة مسخرة لسلطان القدر لا يصح الا على جمل اسناد الهلاك اليه مجازاً أى أنه سبب والمهلك لهم حقيقة هو الله عز وجل ويقال عليه ايضا لا ريب عند العاقل ان التعبير باسم التفضيل في قوله (لا ريب عند العاقل أن هذا كبر وأعجب وأبهر) فاسد سواء كان اسم التفضيل على بابه او على غير بابه . بيان ذلك على بابه : هلاك جيش ابرهة باى سبب من اسباب الهلاك غير هذا الحيوان الصغير كبير وعجيب وبهر وهلاكه بهذا الحيوان الصغير اكبر واعجب وابهر اى اشد كبراً وعجباً وبهراً عند العاقل ، وفساد هذا اظهر لان جميع الاسباب بالنسبة لتأثير قدرة الله تعالى واحدة عند العقلاء ليس فيها كبير واكبر وعجيب واعجب وبهر وابهر ، ولان اسباب الهلاك التى لا تدرك بالبصر او بالحواس لا يحصيها الا مسببها كما تقدم : وان كان على غير بابه فمعناه : هلاك جيش ابرهة بهذا الحيوان الصغير كبير وعجيب وبهر وفساد هذا ايضا ظاهر (٨ - تحذير العبقري)

لان العاقل لا يبهره هذا الهلاك ولا يعده عجباً وكبيراً في جانب تأثير قدرة الله تعالى الباهرة في الكائنات .

اعتماد الخضرى على مؤرخى الافرنج

في قصة جذيمة مع الزباء واتهامه مؤرخى العرب

قال : (ولجذيمة هذا خبر ظريف مع آل أذينة ملوك العرب بشمال الجزيرة ومشارف الشام) ثم ساق قصتهما المسطرة في تاريخ العرب مختصرة ثم قال بعد الفراغ منها (وهذه الحكاية مع غرابتها ينكر صحتها المؤرخون من الافرنج ويقولون ان الزباء هذه كانت ملكة على تدمر من قبل الرومانيين وليت الملك بعد وفاة زوجها اذينة من بين السמידع الذين سكنوا بلاد العراق وبرارى الشام وحوران وانتهى امر الزباء بان حاربها الرومان في عهد القيصر اووليانس وقهروها واخذوها أسيرة إلى رومية حيث قضت هناك نحبها وذلك في المدة بين سنتى ٢٧٠ - ٢٧٣ م . وموت جذيمة كان حوالى سنة ٢٦٨ م هـ) أقول يتلخص كلامه هذا في إبطال قصة قتل الزباء لجذيمة بحيلة التزوج به لما أتاها في بلدها وقتل ابن أخته عمرو بن عدى اللخمي إياها بتدبير قصير في أمرين : غرابتها وإنكار مؤرخى الافرنج صحتها . أما الأول : فلا يستبعده ويستغربه إلا من غفل عن حوادث السكون العادية وتدبير الملوك وأى غرابة في كون امرأة كادت رجلاً مجاوراً لها بإطعامه في نفسها وملسها فحمله الجشع على الذهاب إليها معتمداً على قوته وخورها الطبيعي متلاشياً أمامه كونها مورتورة له غير ملتفت لمن حذر من إتيانها، وأى بعد وغرابة في كون تلك المرأة قتلت بتدبير رجل من رجال جذيمة عادة . وأما إنكار مؤرخى الافرنج صحتها فليس هو أولى بالقبول من إثبات مؤرخى العرب لها وليس ادعاؤهم أنها ماتت برومية في

أسر الروم أولى بالقبول من الإخبار بأنها ماتت بقصرها بتدمر ، وتعيين اسم القيصر الذى ماتت فى زمنه ليس بحجة . وأما تعيين مدة موتها بين سنتى ٢٧٠ - ٢٧٣ م وموت جذيمة حوالى سنة ٢٦٨ م فهو إلى تأييد مؤرخى العرب أقرب حجة منه إلى إنكار مؤرخى الأفرنج صحتها . وقوله (وليت الملك بعد وفاة زوجها أذينة من بين السמידع الذين سكنوا بلاد العراق وبراى الشام) فيه شيء وهو أن المعروف فى كتب الأنساب والتاريخ أن أذينة هو ابن السמידع والسמידع لقب لكل من ملك من العمالقة فى تلك الناحية وليس السמידع اسما للقبيلة التى تسكن بلاد العراق وبراى الشام كما يظهر من كلامه .



المحاضرة الى ابعث

مخالفة الحضري للقرآن ولما في الصحاح والتاريخ

في سكنى اسماعيل عليه السلام بمكة قبل جرهم

قال فيها مانصه (كان يلي أمر مكة ولادة من جرهم قحطان وهى جرهم الثانية ، ولما جاء اسماعيل مكة مع أبيه إبراهيم صاهرهم ، وكان لأولاد اسماعيل بعد أبيهم مركز محترم لما لأبيهم من بناء البيت وإن لم يكن لهم من الحكم شيء اه) . أقول دل صريح كلامه هذا على أن جرهما توطنوا مكة قبل إسماعيل وأن إسماعيل جاءهم مع أبيه كبراً فصاهرهم وهو باطل مخالف لظاهر القرآن وللتاريخ ولما في الصحيح أما القرآن فإن الله تعالى قال عن الخليل ﴿رب إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون﴾ فظاهر دعائه عليه السلام وقوله رب إني أسكنت من ذريتي الخ يدل على أنه أتى باسماعيل وهو صغير ولو كان كبراً صاهر جرهما بمجرد وصوله إليهم ما احتاج إلى أن يأتي به أبوه إليهم وما كان لهذا الدعاء كبير فائدة ، وقوله (فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم) يدل على أنه وجد مكة خالية ليس بها أنيس وإذا لم يكن لقصاص التاريخ القرآنية قيمة عند هذا المحاضر مع أنه التاريخ المتواتر المقطوع به الواجب على كل مسلم ليبين أن يعتمد عليه أولاً قبل كتب الناس المصنفة فيه ثم بعده التاريخ المنقول في السنة الثابتة عنه عليه الصلاة والسلام فالواجب عليه ذكر ما في كتب التاريخ الإسلامى من شرح هذه القصة طبق ظاهر القرآن وصريح السنة الثابتة ولو كان طلبة الجامعة أجانب فإن العلم أمانة ولا سيما علم النقل ولا يهدر هذا التراث العظيم بعقله وقد ثبت في كتب التاريخ المعتمدة أن الخليل عليه السلام لما جاء بهاجر وابنها اسماعيل وهو رضيع إلى مكة وجدها خالية لا أنيس بها فتركهما عند مكان زمزم وولى راجعاً إلى الشام فقالت له هاجر إلى من تتركنا بهذه الفلاة يا إبراهيم ؟ فقال لله فقالت له إذاً لا يضيعنا ، وقد أفاد الامام البخارى فقد أخرج قصة اسماعيل

عليه السلام في صحيحه مطولة من طريق ابن عباس وهذا نصها : عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال أول ما اتخذت النساء المنطق من قبل أم إسماعيل اتخذت منطقاً لتعفى أثرها على سارة ثم جاء بها إبراهيم وبانها إسماعيل وهي ترضعه حتى وضعهما عند البيت عند دوحة فوق زمزم من أعلى المسجد وليس بمكة يومئذ أحد وليس بها ماء فوضعهما هناك ووضع عندهما جراباً فيه تمر وسقاء فيه ماء ، ثم قفى إبراهيم منطلقاً فتبعته أم إسماعيل فقالت يا إبراهيم إلى أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه أنيس ولا شيء فقالت له ذلك مراراً وجعل لا يلتفت إليها فقالت له آله أمرك بهذا قال نعم قالت إذا لا يضيعنا ثم رجعت فانطلق إبراهيم حتى إذا كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهؤلاء الدعوات فرفع يديه وقال ﴿ رب اني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع ﴾ حتى بلغ ﴿ يشكرون ﴾ وجعلت أم إسماعيل ترضع إسماعيل وتشرب من ذلك الماء حتى إذا نفذ ما في السقاء عطشت وعطش ابنها وجعلت تنظر إليه يتلوى أو قال يتلبط فانطلقت كراهية أن تنظر إليه ، فوجدت الصفا أقرب جبل في الأرض يليها فقامت عليه ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى أحدا فلم تر أحدا فبهطت من الصفا حتى بلغت الوادي ورفعت طرف درعها وسعت سعي الإنسان المجهود حتى جاوزت الوادي ثم أتت المروة فقامت عليها فنظرت هل ترى أحدا فلم تر أحدا ففعلت ذلك سبع مرات . قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم فلذلك سعى الناس بينهما فلما أشرفت على المروة سمعت صوتاً فقالت صه تريد نفسها ثم سمعت فسمعت أيضاً فقالت يامن قد اسمعت ان كان عندك غواث فاذا هي بالملك عند موضع زمزم فبحث بعقبه أو قال بجناحه حتى ظهر الماء فجعلت تحوضه وتقول بيدها هكذا وجعلت تغرف من الماء في سقائها وهو يفور بعد ما تغرف قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم ﴿ يرحم الله ام إسماعيل لو تركت زمزم أو قال لو لم تغرف من الماء لكانت زمزم عيناً معيناً ﴾ قال فشربت وارضعت ولدها فقال لها الملك لا تخاف الضيعة فان ههنا

بيتاً لله يمينه هذا الغلام وابوه وان الله تعالى لا يضيع أهله وكان البيت مرتفعاً من الارض كالراية تأتيه السيول فتأخذ عن يمينه وعن شماله فكانت كذلك حتى مرت بهم رفقة من جرهم او اهل بيت من جرهم مقبلين من طريق كدى فنزلوا في أسفل مكة فرأوا طائراً عائفاً فقالوا ان هذا الطائر ليدور على ماء لعهدنا بهذا الوادى وما فيه ماء فأرسلوا جرياً او جريين (الجرى الرسول) فاذا هم بالماء فرجعوا فاخبروهم فاقبلوا وام اسماعيل عند الماء فقالوا أتأذنين لنا ان نزل عندك قالت نعم ولكن لاحق لكم في الماء قالوا نعم قال ابن عباس قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ((فالفى ذلك ام اسماعيل وهى تحب الانس)) فأرسلوا الى اهلهم فنزلوا معهم حتى اذا كانوا بها اهل أبيات منهم وشب الغلام وتعلم العربية منهم وآنسهم وأعجبهم حين شب فلما ادرك زوجته امرأة منهم وماتت أم اسماعيل فجاء ابراهيم بعد ما تزوج اسماعيل يطالع تركته فلم يجد اسماعيل فسأل امرأته عنه فقالت خرج يبتغى لنا وفى رواية ذهب يصيد لنا ثم سأها عن عيشهم وهيتهم فقالت نحن بشر نحن فى ضيق وشدة وشكت اليه فقال اذا جاء زوجك فاقرئى عليه السلام وقولى له يغير عتبة بابي فلما جاء اسماعيل كأنه آنس شيئاً فقال هل جاءكم من احد قالت نعم جاءنا شيخ كذا وكذا فسألنا عنك فاخبرته فسألنى كيف عيشنا فأخبرته أنا فى جهد وشدة فقال هل اوصاك بشيء قالت نعم أمرنى ان اقرأ عليك السلام ويقول لك غير عتبة بابك قال ذلك أبى وقد أمرنى ان افارقك الحقى باهلك فطلقها فتزوج منهم أخرى فلبث عنهم ابراهيم ماشاء الله ان يلبث ثم اتاهم بعد فلم يجدوه فدخل على امرأته فسأل عنه فقالت خرج يبتغى لنا قال كيف انتم؟ وسأها عن عيشهم وهيتهم فقالت نحن بخير وسعة وأثنت على الله عز وجل فقال وما طعامكم قالت اللحم قال وما شرابكم قالت الماء قال اللهم بارك لهم فى اللحم والماء قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يكن لهم يومئذ حب ولو كان لهم حب دعا لهم فيه قال فيها لا يخلو عليهما احد بخير مكة الا لم يوافقاه . وفى رواية

فجاء فقال أين اسماعيل فقالت امرأته قد ذهب يصيد وقالت له ألا تنزل عندنا فتطعم وتشرّب قال وما طعامكم وشرابكم قالت طعامنا اللحم وشرابنا الماء قال اللهم بارك لهم في طعامهم وشرابهم قال وقال أبو القاسم بركة دعوة ابراهيم قال فإذا جاء زوجك فاقرئ عليه السلام ومريه أن يثبت عتبة بابه فلما جاء اسماعيل قال هل أتاكم من أحد قالت نعم أتاننا شيخ حسن الهيئة وأثنت عليه فسألني عنك فأخبرته فسألني كيف عيشنا فأخبرته أنا بخير قال فأوصاك بشيء قالت نعم يقرأ عليك السلام ويأمرك أن تثبت عتبة بابك فقال ذاك أبي وأنت العتبة أمرني أن أمسكك ، ثم لبث عندهم ماشاء الله ثم جاء بعد ذلك واسماعيل يبرى نبلا له تحت دوحة قريبا من زمزم فلما رآه قام إليه فصنعا كما يصنع الوالد بالولد والولد بالوالد ثم قال يا اسماعيل إن الله أمرني بأمر قال فاسمع ما أمرك ربك قال وتعينني قال وأعينك قال فان الله أمرني أن أبني بيتا ههنا وأشار الى أكمة مرتفعة على ما حولها فعند ذلك رفع القواعد من البيت فجعل اسماعيل يأتي بالحجارة وابراهيم يبني حتى إذا ارتفع البناء جاء ابراهيم بهذا الحجر فوضعه له فقام ابراهيم عليه وهو يبني واسماعيل يناوله الحجارة وهما يقولان ﴿ ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ﴾ وفي رواية حتى إذا ارتفع البناء وضع الشيخ عن نقل الحجارة فقام على حجر المقام فجعل يناوله الحجارة ويقولان ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم . وقيل إن امرأة اسماعيل قالت لا ابراهيم انزل اغسل رأسك فلم ينزل فجاءته بالمقام فوضعتة عن شقه الأيمن فوضع قدمه عليه فغسلت شق رأسه الأيمن ثم حولته الى شقه الأيسر فغسلت شق رأسه الأيسر فبقى أثر قدميه عليه اهـ . فثبت بهذا أن الخليل ابراهيم عليه السلام أتى بزوجه هاجر وابنه اسماعيل وهو رضيع من الشام الى مكة وهى خالية لا ساكن بها بأمر ربه بسبب غيرة ابنة عمه سارة من هاجر لما ولدت اسماعيل ولم تلدهى فقالت له لا تساكنى فى بلد فحملهما على البراق الى مكة وأن جرهما جاؤا منتجعين فنزلوا معهما.

فإن قيل ما الحامل للخضري على مخالفة السنة الثابتة والتاريخ وظاهر القرآن إلى رأيه ، قلت اعتقاده أن هذه القصة من المعجزات الكونية وهو وأمثاله ينكرونها بدليل تخطئه في حادثة الفيل كما تقدم وت قوله على الله فيها ما لم يقله بزعمه أنهم ماتوا بالأمراض الثقيلة الحصبة والجدرى وعلى ابن هشام في سيرته تقليداً لمحمد عبده الذى كان فيها أشد تخطيها وتقولاً على الله وعلى أئمة الرواية وأكثر ثرثرة وهذرا منه وقد أطبق كثير من كتاب هذا العصر على إنكار المعجزات وتأويلها بتأويلات فاسدة منابذة للغة العرب التى نزل القرآن بها وقدوتهم محمد عبده ، ومما سمعته العلامة مصطفى صبرى التوقادى معزواً إلى محمد عبده أنه كان يحمل انفلاق البحر لسيدنا موسى ومن معه ثم غرق فرعون وجنوده فيه على الجزر والمد اللذين كثيراً ما يقعان فى البحر قال العلامة مصطفى صبرى فى كتابه القول الفصل بين الذين يؤمنون بالغيب والذين لا يؤمنون : (وأبرز مميزات هؤلاء الكتاب والعلماء المتفقيين معهم أنهم ينكرون المعجزات الكونية ويعتبرونها من المستحيلات اه) . ويقال على رأى الخضري هذا لم نقل الخليل هاجر وابنها من الشام إلى مكة ولم نقله كبيراً ولم ينقله وهو صغير وعلى فرض صحة نقله كبيراً كيف تجشم الخليل أرضاً شاسعة فى مرافقة رجل كبير يمكنه أن يسافر بأمه بنفسه ولا يحتاج إلى إتعاب شيخ كبير ولم لم يسكنهما ببلدة من بلاد الشام قريباً منه وسورية واسعة الأرجاء وكيف تخطى الأرض الواسعة التى بين الشام ومكة ولم يسكنهما بناحية منها وما وجه تخصيص أسكنهما بهذا الوادى الذى لا نبات فيه ولا أنيس ولم لم يسكنهما بالعراق أو اليمن وهما أخصب من الحجاز لأجواب له ولا لأشباهه عن هذه الأسئلة على أن مكث شخص فى فلاة من الأرض معه زاد وماء ساعات أو أياماً غير بعيد فى العادة .

المحاضرة الخامسة

خطله أيضا في قصة جرهم واسماعيل ودعواه
أنه أدخل في العربية من العبرانية ورد ذلك

قال (اللغة العربية إحدى اللغات السامية تكلم بها العرب في جزيرتهم
مذحلبا قحطان رأس قبائل اليمن ويسمون في التاريخ بالعرب العاربة
لأصالتهم في العربية ومن قبائل اليمن قبيلة جرهم الثانية التي سارت إلى مكة
واحتلتها قبل أن يردّها اسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام فلما جاءها اسماعيل
صاهرهم وأقام معهم وكثرت بنوه بمكة وكان اسماعيل رجلا عبرانيا يتكلم
باللغة العبرانية وهي الثانية من اللغات السامية وأمه هاجر امرأة مصرية أخذ
اسماعيل لغة العرب عن جرهم الذين عاشهم ولكنه بحكم الضرورة أدخل
في العربية بعض ما يحفظه من الكلمات العبرانية وبعض ما تحفظه أمه من
اللغة المصرية بعد أن هذبت بحسب ما يسهل على اللسان العربي وهذا أمر
يسهل القول به لأن اسماعيل وأمه لا يمكنهما أن ينسيا بالمرة ما في أنفسهما
من الكلمات المحفوظة وإذا احتاجا إلى التعبير عن معنى لم توضع له كلمة في
لسان جرهم يفرعان إلى مامعهما وهذا مشاهد في تفاعل اللغات المستعملة
والمؤرخون يسمون اسماعيل وبنيه بالعرب المستعربة لما كان من دخولهم
في العربية ليس أصلهم منها اهـ) . قوله في اللغة العربية تكلم بها العرب في
جزيرتهم منذ حلها قحطان رأس قبائل اليمن ويسمون في التاريخ بالعرب
العاربة لأصالتهم في العربية غير صحيح فان التاريخ لم يسم القحطانيين
وحدهم عاربة بل المؤرخون يطلقون اسم العرب العاربة على الأمم البائدة
وهم العماليقة وعاد وثمود وطسم وجديس وحضورا وأميم وعلى القحطانيين
على القول بأنهم أول من نزل اليمن . وبعض المؤرخين يقسمون العرب إلى
ثلاثة أقسام : عاربة وهم البائدة ومتعربة وهم القحطانيون لأن أباهم
قحطان بن عابر عاصر تلك الأمم البائدة فتعلم العربية منهم ، ومستعربة وهم

اسماعيل عليه السلام وذريته ، وبعضهم كابن خلدون قسمهم الى قسمين عاربة ومستعربة فجعل العاربة هي البائدة وجعل المستعربة ثلاثة أقسام القحطانيين وقضاة والعدنانيين هذا كله على أن العرب الباقية قسماً قحطانيون وهم اليمانيون وعدنانيون وهم الاسماعيليون . وأما على قول بعض النسابين إن القحطانيين عرب اليم من ذرية اسماعيل فالباقية كلهم مستعربة وقد قال الله تعالى لقوم عاد ﴿ واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح ﴾ وقال في ثمود ﴿ واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد ﴾ وهم باتفاق المؤرخين من العرب العاربة فهذه البعديّة تدل على انهم سكنوا الجزيرة العربية وتكلموا باللغة العربية قبل القحطانيين وبهذا ظهر ما في كلامه من الخلل . وقوله ومن قبائل اليم قبيلة جرهم الثانية التي سارت الى مكة واحتلتها قبل أن يردها اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام فلما جاءها اسماعيل صاهرهم وأقام معهم قد تقدم إبطاله بأسباب قرآنا وسنة وتاريخاً بأن اسماعيل جاء مع أمه وهو رضيع أنزلهما ابراهيم بها وهي خالية لا أنيس بها بأمر ربه وان جرهما هم الواردون عليها بعدهما . وقوله وكان اسماعيل رجلاً عبرانياً يتكلم باللغة العبرانية باطل بل هو عربي محض من ناحية اللغة لأنه جاء مكة وهو رضيع فلا معرفة له باللغة العبرانية الا بطريق المعجزة ، وعلى فرض صحة هذيانه وانه جاء مكة وهو كبير فيتكلم باللغة العبرانية مع من من الناس؟ مع أمه التي لغتها مصرية مخالفة للغته أم مع جرهم العرب الخالص والسنة السكونية المشاهدة الملموسة الآن ومن قبل أن الرجل بل الأفراد من الرجال إذا نزحوا من وطنهم إلى وطن آخر اندرجوا واندجوا في الوطن الذي نزحوا إليه لغة وعادة وأخلاقاً ويمكن محافظة الجماعة اذا نزحوا لغير وطنهم على لغتهم يتكلمون بها فيما بينهم فقط ولا يمكنهم ادخال بعض الكلمات من لغتهم في لغة ذلك الوطن . أما الفرد الواحد المتوطن غير وطنه فلا يعقل تكلمه بلغته كما لا يعقل ادخاله في لغتهم من لغته وكذلك يقال في أمه هاجر وعلى هذا فقوله (ولكنه يحكم الضرورة

أدخل في اللغة العربية بعض ما يحفظه من الكلمات العبرانية وبعض ما تحفظه أمه من اللغة المصرية بعد أن هذبت بحسب ما يسهل على اللسان العربي وهذا أمر يسهل القول به لأن اسماعيل وأمه لا يمكنهما أن ينسيا بالمرّة ما في أنفسهما من الكلمات المحفوظة وإذا احتاجا إلى التعبير عن معنى لم توضع له كلمة في لسان جرهم يفزعان إلى مامعهما وهذا مشاهد في تفاعل اللغات المستعملة (هذان أشد بطلانا من سابقه فأى ضرورة حملته على إدخال بعض الكلمات من اللغة العبرانية التي هي في الدرجة الثانية من اللغات السامية باغترافه في اللغة العربية التي هي أغنى لغات العالم وأوسعها وأغزرها مادة ولا حاجة بنا إلى تحليل باقى كلامه لأنه بدهى البطلان ولوسئل حضرته عن هذه الثروة الطويلة وقيل له أفدنا ببعض الكلمات التي أدخلها هذا النبي العظيم من اللغة العبرانية في اللغة العربية لغص بريقه ولكن ثروة الكلام ليس عليها ضريبة والمحاضر لا يستل عليه أن يهذر بما شاء وعلى الطلبة الاصغاء . وقوله (والمؤرخون يسمون اسماعيل وبنيه بالعرب المستعربة لما كان النخ) المؤرخون غير متفقين على هذه التسمية كما دل كلامه بل بعضهم كابن خلدون سماهم بذلك وبعضهم كالحافظ ابن الأثير في كامله سماهم بالمتعربة قال في صفحة ١٤ من الجزء الأول في اسماعيل وأولاده (فهم العرب المتعربة) وعلى كل حال الاسماعيليون عرب خلص ولغتهم أفصح اللغات وبها نزل كتاب الله تعالى فالتسمية مجرد اصطلاح للمؤرخين سواء سموا بالمتعربة أو المستعربة لامشاحة في ذلك .

المحاضرة السادسة

قال فيها مانصه (أما سائر العرب فكانت بعد اسماعيل على دين ابراهيم تعبد الله وتوحده إلا أن اسماعيل عليه السلام بنى الكعبة وجعلها مطافا يحجها أولاده اه) قوله إلا أن اسماعيل بنى الكعبة غلط فاحش ، الذى بنى الكعبة هو أبوه ابراهيم عليه السلام بأمر الله تعالى له واسماعيل كان مساعدا له وهذا فى التاريخ أشهر من نار على علم والقرآن قد صرح به قال الله تبارك وتعالى (واذ رفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم) فلا أدري لم ترك هذا المحاضر التاريخ المقطوع به وركب هواه ، وقوله وجعلها مطافا يحجها أولاده أفحش منه فان اسماعيل عليه السلام لم يجعلها فضلا عن كونه خص أولاده بالمطاف بها بل الله تعالى هو الذى جعلها مطافا لجميع عباده المسلمين والقرآن قد صرح بهذا أيضا فى آيات كثيرة قال تعالى (واذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل أن طهرا بيتى للطائفين والعاكفين والركع السجود) وقال تعالى (جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس) وقال تعالى : (واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئا وطهر بيتى للطائفين والقائمين والركع السجود) وأمر تعالى ابراهيم عليه السلام بأن يعلم الناس بأن الله تعالى بنى لهم بيتا ليحجوه فقال (وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات) وقال تعالى (واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبنى وبنى أن نعبد الاصنام رب إنهن أضللن كثيرا من الناس فمن تبعنى فإنه منى ومن عصانى فإنك غفور رحيم ربنا انى أسكنت من ذرىتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون) فان كان حضرة المحاضر ياقى على طلبة الجامعة التاريخ الاسلامى فهذا التاريخ الاسلامى فكان الواجب عليه أن لا يترك التاريخ المقطوع به ويذهب يتسكع

في مهامه هو اه . وفيها أيضا خلط في ذى الخلصة فقال : (ومنها ذو الخلصة
وكانت مروة بيضاء منقوشا عليها كهيئة التاج وكان له بيت بين مكة والمدينة
وهو إلى المدينة أقرب اه) فقلوه وكان بين مكة والمدينة وهو إلى المدينة أقرب
خطأ والصواب وكان بتبالة بين مكة واليمن . وفيها أيضا قال في هبل :
(وكان أول من نصبه خزيمه بن مدركة) وهو غير صحيح بل أول من أتى به
من الشام ونصبه للعبادة عمرو بن لحي الخزاعي كما في سيرة ابن هشام وقوله
(كانت العرب تعظم هذه التماثيل وهذه الاحجار لا لا اعتقاد أنها آلهة وإنما
لتقربهم الى الله سبحانه كما قال في الكتاب (ما نعبدكم الا ليقربونا الى الله
زلفى) مردود بقوله تعالى ﴿ تالله ان كنا في ضلال مبين اذ نسويكم برب
العالمين ﴾ وبقوله تعالى أيضا : ﴿ اجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشيء عجاب ﴾

المحاضرة السابعة

عدم وثوق الخضرى بمؤرخى الاسلام ووثوقه بالاجانب
فى قصة بحيرا الراهب

قال فيها فى صفحة ٦٢ فى قصة بحيرا الراهب مانصه : وقد أطبق على هذه الحادثة جميع المؤرخين وقد نقبنا كثيرا عن اسم هذا الراهب فى كتب من عنوا بذكر أساقفة الشام وبصرى والمشهورين من رجال الدين فيهما فلم نجده اهـ .

أقول كلامه هذا مردود من ثلاثة أوجه : الاول لا ثقة بكل ما ينقله الأجانب مما يتعلق بتاريخنا نفيا وإثباتا . . الثانى تنقيبه الكثير فى كتب من عنوا بذكر أساقفة الشام وبصرى على فرض صحته لا يدل على عدم وجوده فيها أو فى غيرها من كتبهم . الثالث عدم وجدان حضرتته لها ليس حجة لأنه عدم محض وعدم الدليل ليس بدليل عند جميع العقلاء فلو وجدنا نكارها فى كتب من عنوا بذكر أساقفة الشام وبصرى من الأجانب ماساغ لعقل ان يدفع به إطباق مؤرخى الاسلام على إثباتها فدفعها بالعدم المحض لا يسوغ من باب أولى فتحقق من كلامه هذا ان قصة بحيرا الراهب لا صحة لها عنده وان أطبق مؤرخو الاسلام على إثباتها لأنه لم يجدها فى كتب من عنوا بذكر أساقفة الشام وبصرى من الأجانب وعدم وجدانه لها فى كتبهم دليل على عدم صحتها عنده فلو كان معتقدا صحة ما طبق عليه مؤرخو الاسلام من اثبات قصة بحيرا ما احتاج الى التنقيب الكثير عنها فى كتب الأجانب فتنقيبه الكثير عن اسم بحيرا فى كتبهم دليل على عدم وثوقه بمؤرخى الاسلام فان قيل ما الحامل للخضرى على ثقته بالأجانب وعدم ثقته بمؤرخى الاسلام فى هذه القصة فالجواب كونها مشتملة على كثير من دلائل نبوته صلى الله تعالى عليه وسلم التى شاهدتها بحيرا بنفسه كرؤيته له وهو فى صومعته مظلا بغمامة من بين القوم وتظليلها للشجرة التى نزل القوم تحتها وتهصر أغصان

الشجرة عليه صلى الله تعالى عليه وسلم ورؤيته خاتم النبوة بين كتفيه على موضعه من صفته التي عنده وغير ذلك وحضرته قد اطبق مع كثير من أهل العصر على انكار المعجزات ودلائل النبوة ومن أجل ذلك تخطط هو ومقلده محمد عبده في حادثة الفيل مخالفاً صريح القرآن في بيانها وحيث إن قصة بحيرا هذه فيها ما ذكرنا من دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم والمحاضر وأضرابه قد أطبقوا على انكار الدلائل والمعجزات فقد اندرجت عنده في جملة ما انكروه وانكار المعجزات تصريح بتكذيب أئمة الرواية الذين نقلوها لنا طبقة طبقة قطعاً وتصريح بتكذيب الانبياء وتعجيز القدرة الإلهية بل التكذيب بالقرآن كله لأنه من جملة المعجزات وانكار الاحاديث النبوية تكذيب لجميع رواياتها العدول واهدار لشطر الشريعة وبيان القرآن وتكذيب لمبنيها الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى (وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم) والكتاب العصريون البارزون مطبقون على انكار المعجزات وتأويلهم القرآن بتأويل فاسدة نائية عن لغة العرب.

انكار جماعة دلائل نبوة الانبياء ومعجزاتهم

والاحاديث النبوية وتأويلهم للقرآن بالتأويل الفاسد

ذكر العلامة مصطفى صبري في كتبه - ابه « القول الفصل بين الذين يؤمنون بالغيب والذين لا يؤمنون » عددا منهم قال في مقدمة كتابه المذكور مانصه : (فنحن إن تغاضيتنا عن صعود الخطر الى مسأله وجود الله تعالى كفتنا الفتنة الناجمة في مسألتى انكار المعجزة وإقام العبقرية مقام النبوة ، شراً حيث تسبب هذه الفتنة انهيار عقيدة كون القرآن كلام الله واحاديث سيدنا محمد أحاديث رسول الله ، ويلأئمه كل الملائمة ان العصريين من علماء الدين مثل الشيخ شلتوت وكيل كلية الشريعة وعضو هيئة كبار العلماء فضلاً عن الدكاترة والاساتذة من الكتاب مثل الدكتور هيكل باشا مؤلف كتاب (حياة محمد) نراهم يستسهلون على انفسهم المخالفة لمرويات كتب الحديث فيما لا يوافق أهواءهم طعناً في ثبوت تلك

الروايات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجة أن أهل النقد من علماء الحديث وجدوا فيها أحاديث موضوعة ، فيرتقى العصريون من غير علماء الحديث بهذه المرتبة من النقد الخاص لبعض الأحاديث إلى الطعن في جملتها باحتمال الكذب في الاسناد حتى أصبحت السنة من بين الأدلة الشرعية ملغاة عندهم ساقطة عن حيز الاعتداد والاعتماد ولم يبالوا باحتمال الصدق القائم الغالب في غير ما تكلم فيه علماء الحديث الاخصائيون بالتعليل ، بل فيما صرحوا فيه بالتصحيح أيضاً وأصل منشأ الجرأة على التوسع في تكذيب الرواة الى حد ان لا يبالي بما يتضمن هذا التوسع من تكذيب الأحاديث الصحيحة أيضاً الثابتة عند علماء الحديث عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فيصعد الامر من تكذيب الرواة الى تكذيب الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ، كون النبوة عندهم عبقرية لا رسالة حقيقية من الله ، فيكون سهلاً عندهم على الرواة القدماء أن يسندوا اليه ما لم يقله ، ويكون سهلاً على العصريين ان لا يصدقوه فيما قاله أيضاً ، هذا حال الحديث وطريق رفضه ، ثم يحىء دور القرآن ، ويكون طريقهم الى رفضه استعمال الجرأة ايضاً إن لم يكن في تكذيب روايته ففى تأويل معناه لا عيب بعقول القراء الغافلين ، وغير مباليين بما يتعدون في تأويلاتهم عن حدود مراد القرآن فلو نظروا اليه نظرهم إلى كلام الله لالتزموا بعض التحوط وخشوا بعض الخشية ان يكونوا مخطئين في التأويل ، لكن مبدأ التحول العصرى من النبوة الى العبقرية يحل جميع هذه المشكلات ويفتح أمام المؤول أوسع باب .

مثلاً : ان الآيات الدالة على رفع عيسى عليه السلام كسنا ولا نزال نفهم منها رفعه حياً كما فهمه جميع السلف من المفسرين ، حتى جاء الشيخ شلتوت فادعى ان المراد رفع روحه ، فهل هو الذى اصاب في تفسيره حين كان الجميع متفقين على الخطأ ، كلا بل انه هو المخطىء كما يأتى بيانه في محله لكن عقيدة انكار المعجزة ومبدأ التحول العصرى من النبوة إلى العبقرية يصغر ان أمثال هذه الخطايا في عيون مقترفيها ، واجراً نماذج التأويل في القرآن بعد ما سبق للأستاذ فريد وجدى من رد آيات المعجزات وآيات البعث بعد الموت

التي تملأ كتاب الله الى المتشابهات غير المفهومة ، مادعاه الشيخ شلتوت منكر الوجود الشيطان كما صورم القرآن شخصاً يرى ويسمع ، ويقول ويجادل ، ويتكبر فيؤمر بالسجدة لآدم ويعصى الله ويعد ويمنى وينسل ويعيش الى يوم الوقت المعلوم ، ثم يعذب في نار جهنم مع الذين اتبعوه ، من أن القرآن جارى عقيدة العرب الجاهليين في تصوير الشيطان وهذا قلب دلالة القرآن ومرتبته مع مرتبة العرب في المتبوعية والتابعية رأساً على عقب . والواقع أن الشيخ نفسه حريص على مجارة الكتاب العصريين في انكار الامور الغيبية مثل المعجزات وغيرها بدلاً من مجارة القرآن عقيدة العرب . ويقرب منه في البعد عن مراد القرآن تأويل انفلاق البحر لموسى ومن معه حتى اجتازوه وغرق فرعون وجنوده بالجزر والمد البحريين ، وقد عزى هذا التأويل إلى الشيخ محمد عبده الذي يفهم أن بدعة انكار المعجزات في صورة تأويلها مأثورة للكتاب العصريين من زمانه ، بل رد النبوة إلى العبقرية وقد راجت (موضته) أخيراً بين الكتاب هو الذي عبد طريقه بمصر حيث عرف النبي والرسول في تعليقاته على شرح الجلال الدواني للمقائد المضدية بغير ما هو معروف عند علماء الاسلام في تعريفهما وسيأتى الكلام منا على كل من المسألتين إن شاء الله تعالى ، ومثله تفسير الشيخ رشيد رضا صاحب (مجلة المنار) قوله تعالى « وانشق القمر » بقوله « ظهر الحق » وتفسير الشيخ شلتوت لآيات رفع المسيح عليه السلام برفع روحه ، وقوله في نزوله المعداد من أشراط الساعة والمشار إليه في آيتين من القرآن : « انه لا محل له بعد سقوط رفعه حياً » .

والشيخان لا يعتدان بعد الآيات بالأحاديث الواردة فيما أنكراه مهما كثرت حتى إن أحاديث نزول عيسى تبلغ سبعين حديثاً على ما نقله صديقنا العلامة الشيخ زاهد في رده على الشيخ شلتوت من كتاب « التصريح بما تواتر في نزول المسيح » للحدث الكشميري لكن المنكر لا يلتفت إليها بحجة أنها أخبار آحاد . سبعون حديثاً مروياً عن الرسول صل الله تعالى وسلم بألسنة رواة مختلفين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم ، لا بد (١٠ - تحذير العبقرى)

أن تكون لها قيمتها التي لا يكفي لإسقاطها التعلل بأنها أخبار آحاد، فلو أتى بمثلها سنداً لصحة خبر من الأخبار الواردة في كتب التاريخ الكافي في إفادة اليقين وزاد على الكفاية، فإن كفى هناك لكونها رواية تاريخية ولم يكف هنا لكونه رواية المسلمين عن نبيهم، فما أسوأ هذه السمعة سمعة المؤلفين المسلمين عند المؤلفين المسلمين؟ وبئست التهمة شبهة الكذب، نعم إن المؤلفين المسلمين مهما عظم شأنهم فلا ثقة بأمانة السلف منهم عند الخلف العصريين، حتى إن الأحاديث المروية عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لم يصح منها على تقدير مؤلف «حياة محمد» إلا واحد في كل مائة وخمسين حديثاً كما سيجيء ذلك أيضاً.

فعلى هذا لا يوزن الأحاديث السبعين الواردة في نزول عيسى إلا أقل من نصف قيمة حديث واحد صحيح. ثم أن رواية تلك الأحاديث لا مصلحة لهم في اختلاقها لأن رفع عيسى عليه السلام ونزوله عما لا يعنى الرواة المسلمين الذين اتهمهم مؤلف «حياة محمد» في الأحاديث الدالة على معجزات نبيهم السكونية بالمحابة الدينية. فلو كانوا اختلقوا هذه الأحاديث السبعين لزم أن يكون ذلك منهم تأييداً لآيات القرآن التي فهموا منها رفع عيسى ونزوله مع عدم المصلحة في هذا الفهم أيضاً. أما احتمال كون علماء الإسلام الماضين غالطين جميعاً في فهم آيات القرآن بشأن عيسى، وكاذبين في رواية الأحاديث تأييداً لهذا الغلط فهو غاية في سوء الظن بهم من ناحيتي الدراية والرواية ناشئة من ضعف صاحب الظن في هذه النواحي، وإذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه. وسيجيء منا مزيد شرح لكون الغلط في فهم الشيخ شلتوت لآيات الرفع والنزول.

الحاصل أن العصريين من علمماء الدين والدنيا المتعمدين لانكار الأمور الغيبية مثل المعجزات وغيرها ذهبوا في تفسير آيات القرآن وتقويم أحاديث نبيينا مذهباً يكاد يكون ملعباً، فلا ينفعهم في تصحيح باطلهم قول الله ولا قول رسول الله على أن الله ورسوله أيضاً من الأمور الغيبية. فإذا لم تقم آيات البعث بعد الموت في كتاب الله

حجة على وقوعه عند الأستاذ فريد وجدى ، وآيات الشيطان على وجوده عند الشيخ شلتوت كشخص حى عاقل ، ولا السبعون حديثاً على نزول عيسى عليه السلام فى آخر الزمان فأى قول الله والرسول ينفع فى إثبات أى مطلب أو قطع أى نزاع ، وأصل المسألة ان للمتعلمين العصريين من الكتاب عقيدة راسخة أرسخها فى أذهانهم العلم الحديث المادى الذى يؤمنون به فوق إيمانهم بكتاب الله وسنة رسوله وهى إنكار الأمور الغيبية مثل المعجزات والنبوة بمعناها المعروفة عند الملئيين فلو لم تكن فيهم هذه العقيدة ونظروا إلى قول الله ورسوله نظر المحايد غير المقيد بعقيدة مانعة عن قبول ما يخالفها لأمكننا وقمهم فى حدود قول الله ورسوله . فواجب علماء الدين اليوم غير المتفقين مع الكتاب المذكورين مكافحة عقيدتهم المسانعة عن الايمان بالأمور الغيبية مكافحة علمية تبين ما فى العلم الذى بنوا عقيدتهم عليه من الجهل . وفى زماننا طائفة من علماء الدين لم ير الدين خيراً منهم تهيبوا مكافحة تلك العقيدة المسانعة عن تصديق الأمور الغيبية مثل المعجزة والنبوة وغيرهما ولم يتهيبوا مكافحة نصوص الكتاب والسنة بتكذيب الثانية وتأويل الأولى بما يحرف الكلم عن مواضعه اه .

وقريب من كلام الخضرى هذا فى ثقته بالأجانب وعدم ثقته بعلماء الاسلام . فتوى فى مجلة المنار .

تأيد صاحب المنار ابا طيل جملة المؤرخين

فى عثمان رضى الله تعالى عنه

واعذاره للقراء فى نشر رد شبلى النعمانى على جرجى زيدان
فى صفحة ٢١ من فتاوى الجزء الأول من المجلد الخامس عشر من مجلة المنار سؤال مضمونه اطلاع سائل المنار على كتاب لأحد علماء فاس انتقد فيه صاحبه ما جاء فى مقدمة شرح نهج البلاغة صفحة ٤ من طبعة الحلبي الجديدة . من نقله مذهب البغاة والخوارج ومقالة أبى القاسم البلخى فى عبد الله بن الزبير فى الصفحة نفسها وانتقد أيضاً ما نقله الأبنى فى شرح

مسلم عن بعض المؤرخين الأشياء التي نقتت على عثمان رضى الله تعالى عنه مستنداً في نقده على ما قاله العلامة السنوسى صاحب العقائد في اختصاره لشرح الآبى ، انه لا يحل للآبى أن يفوه بهذا الكلام فى حق عثمان رضى الله تعالى عنه ولا أن يكتبه وحمل على الآبى إلى أن قال والواجب على من نسخ تأليفه هذا أن لا يكتب فيه هذا المحل ومن اطلع عليه فلا يحل له أن يفوه به ولا أن يعتقد صدقه اهـ . فحمل سائل المنار على المغريين السنوسى والفاسى حملة شعواء ، وشرح سؤاله : بهل يسوغ حظر النظر فى كلام النقلة وهل يسوغ حذف كلام العلماء من التأليف وعدم التفوه به وهل وهل إلى أن قال وهل هذا يؤيد ما يرمى به القطر المغربى من التعصب الذى سبب له ما سبب مما حاق به ويحقق وطلب من صاحب المنار أن يشرح له هذه المسألة فأجاب صاحب المنار مؤيداً للسائل جميع ما شرحه فى سؤاله وزاد : أن السنوسى مخطئ فى تحريمه التفوه بما قاله أهل السير فى عثمان رضى الله تعالى عنه وكتابه وفى إجابته على من نقل كتاباً فيه شيء من ذلك أن يحذفه وقال لا يسوغ حذف كلام العلماء من التأليف ثم ناقض حضرته نفسه .

ففى صفحة ٥٨ و ٥٩ من الجزء نفسه والمجلد لما شرع ينشر تأليف صديقه العالم المؤرخ شبلى النعمانى مؤسس ندوة العلماء بلكنو (الهند) فى رده على تاريخ التمدن الاسلامى لصديقه وزميله صاحب مجلة الهلال جرجى زيدان فقال فى تمهيد قدمه على ذكر رد صاحبه المسلم الغيور النعمانى على صاحبه النصرانى جرجى زيدان ما نصه : ولما كان الانتقاد من مثل هذا العالم المؤرخ هو ضالتنا وضالة صديقنا وصديقه المؤلف بادرنا إلى نشره معتذرين عما فى أوله من شدة الحكم ووددنا لو لم يصرح به وإن أثبتته ولولا انه طبعه لحذفناه منه اهـ . ثم سرد مقدمة النعمانى وشدة الحكم التى زعمها فى كلام النعمانى الحق وود أنه لم يصرح باسم صديقه المبتل جرجى زيدان أو باسم كتابه ولولا أنه طبع فى غير مناره وشاع وذاع لحذفها منه هى (ان جرجى زيدان خائن فى النقل محرف لكلام العلماء يجعل الحادثة الجزئية كليه عامة

يتعمد الكذب بما يفوق الحد) هذا الكلام الحق المطابق للواقع المدافع به عن تاريخ الاسلام باطل مناوئه مشوه حقائقه جرجى زيدان هو شدة الحكم عند حضرته التي اعتذر لقراءته من ذكرها وأباح له حذف مقدمة الرد برمتها لولا انه طبع وشاع : فمنزلة ذى النورين أمير المؤمنين وثالث الخلفاء عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه عنده أو عبد الله بن الزبير أو أى سيد من سادات هذه الأمة الذين نصبوا رواقها على المعمورة لا تبيح لأى إنسان كان حذف نباح الأشرار وأباطيل أهل الأهواء والسفلة والأغمار على كواكب أعراضهم الحصينة وحصون جباههم المتينة ، ومنزلة زميله وصديقه النصرانى عنده تبيح له حذف كلام صديقه المسلم فى رد باطله وكشف حاله لآخواته المسلمين الذين لا يعلمون غشه ودخيلة أمره فبيخ ببخ لهذه الفتوى التى تداس فيها كرامة رجال الاسلام ويحافظ فيها على كرامة الزميل المناوىء لهم هكذا تكون الفتاوى والأجوبة تطبق على حسب الغاروف والأحوال .

المحاضرة الثامنة

تقصيره في اقسام الوحي التي تلقاها المبعوث رحمة للعالمين وتدليسه
قال (البعثة) الذين يختارهم الله لاصلاح الامة يلقي اليهم ما يريد أن
يبلغوه عنه بالوحي والوحي في لغة العرب أعلام مع خفاء وسرعة ومعنى السرعة
أن هذه المعلومات المتلقاة لا تكون نتيجة لمقدمات تبني عليها تلك النتيجة
بل هي من أشبه شيء بالعلم الضروري الذي لا يتوقف على نظر واستدلال
وقد استعملت هذه الكلمة في القرآن في لسان العرب لغير أعلام الله لأنبيائه
فقال تعالى ﴿ وأوحى ربك الى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتاً ومن
الشجر وما يعرشون ثم كلى من كل الثمرات فاسلكى سبيل ربك ذللاً ﴾
وقال ﴿ وأوحينا الى أم موسى أن ارضعيه فاذا خفت عليه فالقيه في اليم
ولا تخافى ولا تحزنى إنا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين ﴾ وقال مخبراً
عن يوسف في صغره ﴿ وأوحينا اليه لتنبئهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون ﴾
وكل هذا لا يعدو معنى الالهام الذى ربما شعر به كثير من الناس . أما أعلام
الله تعالى أنبيائه المختارين فان العبارة العلمية تضيق عن تحديد كنهه وغاية
ما يمكن الانسان هو أن يحوم حوله مستعيناً بما قاله الأنبياء أنفسهم فيما
نزل على ألسنتهم ليقتطف منها ما يقرب ذلك الى العقل الانسانى . هذا
الاعلام له مراتب : الأولى أن يخاطب في النوم وتلك هي الرؤيا الصادقة
وقد ورد ذكرها كثيراً في التوراة وكتابات الرسل وتعبر التوراة عنها بمثل
قولها صار كلام الرب الى ابرام فى الرؤيا قائلاً الخ، ويعبر عنها القرآن بمثل
قوله عن لسان ابراهيم صلوات الله عليه مخاطباً لابنه الذبيح ﴿ يا بنى إني
أرى فى المنام انى أذبحك ﴾ ومن هنا يقول محمد رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم (رؤيا الأنبياء حق) ونحن معاشر الانبياء تنام أعيننا ولا تنام
قلوبنا) المرتبة الثانية أن يلقي ما يراد القاءه على قلبه من غير وساطة وهو
يقظان وذلك هو المسمى بالالهام والالقاء فى الروع ويسمى بعض فلاسفة
المسلمين القوة التي تحدث بالخير وتلقيه فى النفس ملكاً على العكس من

القوة التي تحدث بالشر وتلقيه في النفس فانه يسميها شيطانا وفلاسفة المسلمين غرائب في كلامهم عن الملائكة والشياطين وقد يستروحون بقوله تعالى في الكتاب ﴿ نزل به الروح الأمين على قلبك ﴾ . المرتبة الثالثة ان يرسل الله تعالى اليه رسولا يخبره بما يريد أعلامه إياه وهو المسمى بالملك فيحدثه ويصف القرآن هذا الرسول بقوله ﴿ انه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين ﴾ ويظهر هذا الملك للأنبياء في التوراة كثيرا . المرتبة الرابعة ان يسمعه الله تعالى كلامه مباشرة كما حصل لموسى عليه السلام حينما سمع الصوت من العقلية المتقدمة كما عبرت التوراة وقال القرآن عن هذه الحادثة ﴿ وهل أتاك حديث موسى إذ رأى نارا فقال لأهله امكثوا انى آنست نارا لعلى آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى فلما أتاه نودى ياموسى انى أنا ربك فاخلع نعليك إناك بالوادي المقدس طوى وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى ﴾ هذه هي المراتب التي عرف ان الوحي يبلغ قلوب الانبياء عليها ولا تكاد تتباعد باعتبار تيجتها وهي ركوز المعانى في القلب بحيث يعلم المخاطب علما ضروريا ان ذلك من الله اه أقول ماعترف المحاضر الرسول على مقتضى ما عرفه به علماء الاسلام ولا بين كون بعثة الانبياء عليهم السلام جائزة كما هو مذهب أهل السنة والجماعة لا واجبة كما قاله المعتزلة بل أتى بعبارة مجملة محتملة للمذهبين فقال (الذين يختارهم الله لاصلاح الأمم يلقي اليهم ما يريد ان يبلغوه عنه بالوحي) وقوله (ومعنى السرعة أن هذه المعلومات المتلقاة لا تكون نتيجة لمقدمات تنبنى عليها تلك النتيجة بل هي أشبه شىء بالعلم الضرورى الذى لا يتوقف على نظر واستدلال) غير صحيح فان نزول الوحي عليه عليه السلام تقدمه تسليم الأحجار والاشجار عليه عليه الصلاة والسلام فقد ذكر ابن سحاق في سيرته انه عليه الصلاة والسلام لما أراد الله كرامته وابتدأه بالنبوة كان إذا خرج لحاجته ابعده حتى تحسر عنه البيوت ويفضى إلى شعاب مكة وبطون أوديتها فلا يمر بحجر ولا شجر إلا قال السلام

عليك يا رسول الله قال فيلتفت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حوله وعن يمينه وشماله وخلفه فلا يرى إلا الشجر والحجارة فكث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كذلك يرى ويسمع ما شاء الله تعالى ان يـمـكـث ثم جاءه جبريل بما جاءه من كرامة الله وهو بحراء في شهر رمضان اه . قال الامام السهيل في روضه وفي صحيح مسلم ومصنف الترمذى أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال (انى لا أعرف حجراً بمكة كان يسلم على قبل أن ينزل على) وفي بعض المسندات زيادة أن هذا الحجر الذى كان يسلم عليه هو الحجر الاسود وهذا التسليم الاظهر فيه أن يكون حقيقة وان يكون الله أنطقه انطاقاً كما خلق الحننين فى الجذع ولكن ليس من شرط الكلام الذى هو صوت وحرف الحياة والعلم والارادة لأنه صوت كسائر الاصوات والصوت عرض فى قول الاكثرين ولم يخالف فيه إلا النظام فانه زعم أنه جسم ، وجعله الاشعرى اصطكاكا فى الجواهر بعضها لبعض . وقال أبو بكر بن الطيب ليس الصوت نفس الاصطكاك ولكنه معنى زائد عليه والاحتجاج على القولين ولهما موضع غير هذا ولو قدرت الكلام صفة قائمة بنفس الحجر والشجر والصوت عبارة عنه لم يكن بد من اشتراط الحياة والعلم مع الكلام والله أعلم. أى ذلك كان أكان كلاما مقرونا بحياة وعلم فيكون الحجر به مؤمنا أو كان صوتا مجرداً غير مقترن بحياة وفى كلا الوجهين هو علم من أعلام النبوة ، وأما حنين الجذع فقد سمي حنيناً وحقيقة الحنين تقتضى شرط الحياة وقد يحتمل تسليم الحجارة أن يكون مضافاً فى الحقيقة الى ملائكة يسكنون تلك الاماكن ويعمرونها فيكون مجازاً من باب قوله تعالى ﴿ واسأل القرية ﴾ والأول اظهر وان كانت كل صورة من هذه الصور التى ذكرناها فيها علم على نبوته عليه السلام غير أنه لا يسمى معجزة فى اصطلاح المتكلمين إلا ما تحدى به الخلق فعجزوا عن معارضته اه . فان قيل ما نقل عن ابن اسحاق والسهيلي هو من الرواية والتاريخ الثابت عند جميع المسلمين بل لبه فلم أعرض عنه المحاضر وزعم ان نزول الوحي

على الرسول لم يتقدمه شيء فالجواب ان هذا تاريخ متضمن أعلام نبوته ومعجزاته عليه السلام والمحاضر واضرا به لا يؤمنون بها بل ينكرونها أشد الانكار وقد تقدم تقرير هذا في قصة بحيرا الراهب ثم قال السهيلي في روضه فصل وذكر (أى ابن هشام في سيرته) نزول جبريل على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال في الحديث فأأتانى وأنا نائم وقال في آخره فهبيت من نومي فكانما كتبت في قلبي كتاباً وليس ذكر النوم في حديث عائشة ولا غيرها بل في حديث عروة عن عائشة ما يدل ظاهره على أن نزول جبريل حين نزل بسورة اقرأ كان في اليقظة لأنها قالت في أول الحديث. أول ما بدى به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الرؤيا الصادقة فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ثم حبيب الله اليه الخلاء الى قوله حتى جاءه الحق وهو بخار حراء. فجاءه جبريل فذكرت في هذا الحديث أن الرؤيا كانت قبل نزول جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم بالقرآن ، وقد يمكن الجمع بين الحديثين بأن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم جاءه جبريل في المنام قبل أن يأتيه في اليقظة توطئة وتيسيراً عليه ورفقا به لأن أمر النبوة عظيم وعبؤها ثقیل والبشر ضعيف اه .

تحقيق انواع الوحي

إلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم للامام السهيلي

وقد حقق في روضه أنواع الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن تحقيق قال مانصه :

١ - فمنها النوم كما في حديث ابن اسحق وكما قالت عائشة أيضاً أول ما بدى به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الرؤيا الصادقة وقد قال ابراهيم عليه السلام ﴿ إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى ﴾ فقال له ابنه ﴿ افعل ما تؤمر ﴾ فدل على أن الوحي كان يأتيهم في المنام كما يأتيهم في اليقظة .

(١١ - تحذير العبقري)

٢ - ومنها أن ينفث في روعه الكلام نفثاً كما قال عليه الصلاة والسلام إن روح القدس نفث في رُوعي أن نفساً لن تموت حتى تستكمل أجلها ورزقها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب . وقال مجاهد واكثر المفسرين في قوله سبحانه ﴿ وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً ﴾ قال هو أن ينفث في روعه بالوحي .

٣ - ومنها أن يأتيه الوحي في مثل صلصلة الجرس وهو أشده عليه وقيل ان ذلك ليستجمع قلبه عند تلك الصلصلة فيكون أوعى لما يسمع والقلن لما يلقي .

٤ - ومنها أن يتمثل له الملك رجلاً فقد كان يأتيه في صورة دحية بن خليفة ويروى أن دحية كان إذا قدم المدينة لم تبق معصر إلا خرجت تنظر اليه لفرط جماله وقال ابن سلام في قوله تعالى ﴿ واذا رأوا تجارة أو لهواً ﴾ قال كان اللهو نظرهم الى وجه دحية لجماله .

٥ - ومنها أن يترآى له جبريل في صورته التي خلقه الله تعالى عليها له ستمائة جناح ينتثر منها اللوآؤ والياقوت .

٦ - ومنها أن يكلمه الله تعالى من وراء حجاب . إما في اليقظة كما كلمه في ليلة الاسراء ، وإما في النوم كما قال في حديث معاذ الذي رواه الترمذي : (قال أتاني ربي في أحسن صورة فقال فيم يختصم الملائة الأعلى فقلت لأدري فوضع كفه بين كتفي فوجدت بردها بين ثديي فتجلى لي علم كل شيء وقال يا محمد فيم يختصم الملائة الأعلى فقلت في الكفارات فقال : وما هن فقلت الوضوء عند الكريهات . ونقل الأقدام إلى الحسنات . وانتظار الصلوات بعد الصلوات . فمن فعل ذلك عاش حميداً ومات حميداً وكان من ذنبه كمن ولدته أمه وذكر الحديث .)

فهذه ستة أحوال في كيفية نزول الوحي على محمد صلى الله عليه وسلم لم أر أحداً جمعها كهذا الجمع . وقد استشهدنا على صحتها بما فيه غنية اه . قلت وبتحقيق هذا الامام لمراتب الوحي ظهر تقصير الخضرى فيها

وبطلان حصره لها في أربع مراتب الذي دل عليه كلامه بقوله . (هذه هي المراتب التي عرف أن الوحي يبلغ قلوب الأنبياء عليها) كما ظهر بعد هذا بنحو نصف صفحة إعجابه بكلامه الأجوف وازدراؤه لابن خلدون بقوله : (وقد عقد العلامة ابن خلدون فصلاً تكلم فيه على الوحي والرؤيا ولكن قلما يظفر الإنسان منه بباطل) كأنه أتى بباطل وحقق الوحي والرؤيا بما لم يحققه الأولون والآخرين . مع أن ابن خلدون حقق ذلك ببيان خير من كلامه .

وقوله : وقد استعملت هذه الكلمة (يعنى الوحي) في القرآن وفي لسان العرب لغير إعلام الله لأنبيائه ، فقال تعالى : ﴿ وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون . ثم كلّ من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللاً ﴾ وقال : ﴿ وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين ﴾ وقال مخبراً عن يوسف في صغره ﴿ وأوحينا إليه لتنبئهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون ﴾ (وكل هذا لا يعدو معنى الإلهام الذي ربما شعر به كثير من الناس) صحيح ، ولكن ليس معنى هذه الكلمة مقصوراً على الإعلام الخفي والإلهام كما يشعر به كلامه ، بل استعملت في لغة العرب حقيقة في معان كثيرة قال المجد الفيروز آبادي في قاموسه : الوحي الإشارة والكتابة والمكتوب والرسالة والإلهام والكلام الخفي وكل ما ألقى به إلى غيرك والصوت يكون في الناس وغيرهم ، وأوحى إليه بعثه وألهمه ونفسه وقع فيها خوف . وقال تلميذه الحافظ بن حجر العسقلاني : الوحي لغة الإعلام في خفاء والكتابة والمكتوب والبعث والإلهام والأمر والإيماء والإشارة والتصويت شيئاً بعد شيء اهـ .

وقوله في الثلاث الآيات (وكل هذا لا يعدو معنى الإلهام) صحيح في آية ﴿ وأوحى ربك إلى النحل ﴾ وفي آية ﴿ وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه ﴾ غير صحيح في قوله تعالى ﴿ وأوحينا إليه لتنبئهم بأمرهم هذا ﴾ فإن الراجع

فى الوحى فى هذه الآفة وحى النبوة والرسالة ، عزاه محى السنة البغوى فى تفسيره للأكثرين من المفسرين ، وكذلك الخازن وزاد ، وللمحققين والرازى للمحققين أيضاً والقرطبى إنه الأظهر .

وقوله ﴿ مخبراً عن يوسف فى صغره ﴾ دعوى غير متعينة . فان للمفسرين قولين فى سن بعثته عليه السلام فقيل كان بالغاً ، ويرجح مرادة امرأة العزيز له ، وتغليق الأبواب ، وقوله لها : ﴿ معاذ الله إنه ربى أحسن مثواى إنه لا يفلح الظالمون ﴾ وقوله تعالى ﴿ كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين ﴾ والمسابقة إلى الباب ، وقولها ليعلمها : ﴿ ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً ﴾ وقوله عليه السلام ﴿ هى راودتنى عن نفسى ﴾ ، وقول العزيز لما ظهرت له الحقيقة : ﴿ يوسف أعرض عن هذا واستغفرى لذنبك إنك كنت من الخاطئين ﴾ .

فالمبتادر من هذه الظواهر أنه عليه السلام كان بالغاً ، وإن جاز صدورها من الصبى المميز . وقيل كان صغيراً . وعليه فبعثة الصغیر جائزة عقلاً . وقد بعث الله يحيى وعيسى بن مريم عليهما السلام وهما صغيران . قال الله تعالى فى يحيى عليه السلام ﴿ وآتيناه الحكم صبياً ﴾ وفى عيسى عليه السلام ﴿ قال إنى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبياً وجعلنى مباركاً أينما كنت ﴾

فان قيل : كيف بعث الله يوسف صغيراً وما فائدة هذا الوحى إليه فيه ولم يكن إذ ذاك أحد يبلغه رسالة ربه ، لأن فائدة الرسالة تبليغها إلى من أرسل إليه ؟

فالجواب : لا يمتنع أن يشرفه الله بالوحى ويكرمه بالرسالة فى ذلك الوقت ، ثم يأمره بتبليغها فى وقت الحاجة إليها . وفائدة تقديم الوحى إليه فى صغره : تأنيسه وتسكين نفسه وإزالة الغم والوحشة عن قلبه .

وفى قوله تعالى ﴿ لتنبئنهم بأمرهم هذا ﴾ وجهان : أحدهما . أنه أوحى إليه أنه سيلقاهم ويوبخهم على ما صنعوا ، فعلى هذا يكون الوحى إليه بعد إلقائه فى الحب تقوية لقلبه وتبشيراً له بالسلامة .

الثانى : انه أوحى إليه بالذى يصنعون به فعلى هذا الوحى إليه كان قبل إلقائه فى الجب إنذاراً له . وقوله تعالى ﴿ وهم لا يشعرون ﴾ يعنى : بإيحاءنا إليك وأنت فى البئر بأنك ستخبرهم بصنيعهم هذا . والفائدة فى إخفاء ذلك الوحى عنهم : انهم إذا عرفوه فربما ازداد حسدهم له . وقيل إن الله تعالى أوحى إلى يوسف لتخبرن إخوتك بصنيعهم هذا بعد هذا اليوم وهم لا يشعرون بأنك أنت يوسف ، والمقصود من ذلك : تقوية قلبه عليه الصلاة والسلام وانه سيخلص مما هو فيه من المحنة ويصير مستولياً عليهم ويصيرون تحت أمره وقهره .

وقول المحاضر فى المرتبة الثانية من كلامه فى مراتب الوحى (ويسمى بعض فلاسفة المسلمين القوة التى تحدث بالخير وتلقيه فى النفس ملكاً على العكس من القوة التى تحدث بالشر وتلقيه فى النفس فانه يسميها شيطاناً ، وفلاسفة المسلمين غرائب فى كلامهم على الملائكة والشياطين) تدليس من ناحية عدم تصريحه باسم هذا الفيلسوف المسلم الذى عرّف الملاك بأنه قوة تحدث بالخير وتلقيه فى النفس والشيطان بأنه قوة تحدث بالشر وتلقيه فى النفس وهذا الفيلسوف الذى لا ندرى لآى غرض أبهم اسمه هو «محمد عبده» ذكره فى تفسير سورة الناس ونقله عنه تلميذه صاحب المنار فى تفسيره فى سورة البقرة عند قوله تعالى ﴿ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ﴾ وأطنب فى ذلك واضطرب . قال فى أول كلامه حاكياً عن شيخه : (إن الملائكة خلق غيبى لا نعرف حقيقته وإنما تؤمن به باخبار الله تعالى الذى نقف عنده ولا نزيد عليه) ثم قال بعد كلام طويل مانصه (وأقول أن غرض الأستاذ من هذا التأويل الذى عبر عنه بالايحاء والاشارة إقناع منكبرى الملائكة بوجودهم بتعبير مألوف عندهم تقبله عقولهم ، وقد اهتدى به كثيرون وضل به آخرون فأذكروه عليه وزعموا انه جعل الملائكة قوى لا تعقل . فرد عليهم كتابه بما نصه بحروفه) .

وساق كتاب رده على العلماء الذين انكروا عليه ذلك برمته. ومضمونه كلام خطابي محشو بازدراء المنكرين عليه وتجهيلهم بأساليب من ضرب الأمثال لهم واستيلاء العادة والتقاليد عليهم وعبادتهم الألفاظ والذهاب بنفسه في معرفة الأسرار الكونية الى درجة لا يستطيع هؤلاء المساكين عبدة الألفاظ فهمها فضلاً عن الوصول اليها قال في أثنائه : (لو عرفوا ذلك كله لأطلقوا لأنفسهم أن تجول في تلك الشؤون حتى تصل الى مستقر الطمأنينة حيث لا ينازع العقل شيء من وساوس الوهم ، ولا تجد طائفاً من الخوف ، ثم لا يتخرجون من اطلاق لفظ مكان لفظ)

ثم قال تلميذه في آخر كلامه شارحاً كلامه (فالأستاذ الامام يقول ان التسمية وحدها لا تعطى أحداً علم الحقيقة ، وان من فهم الحقيقة لا يجربها عنه اختلاف التسمية ، وأراد بهذا أن يحتج على المسادين ويقنعهم بصحة ما جاء به الوحي من طريق علمهم المسلم عندهم ، كما صرح به فيما مر في صفحة (٢٦٨ تفسير المنار) فأنكره عليه عباد الألفاظ وهم لا يعقلون مراده اه) أقول : مراده بعبدة الألفاظ في كتابه الذي رد به على المنكرين عليه وحكاه تلميذه في آخر كلامه هذا الذي سقناه مقلداً له متلذذاً به بقوله : (فأنكره عليه عباد الألفاظ) جمهور الامة الاسلامية الذين قالوا : الملائكة أجسام لطيفة نورانية قادرة على التشكل بأشكال مختلفة كاملة في العلم والقدرة على الأفعال الشاقة شأنها الطاعات ومسكنها السماوات هم رسل الله تعالى الى انبيائه عليهم السلام وأمناءه على وحيه . يسبحون الليل والنهار لا يفترون ﴿ لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ﴾ والجن أجسام لطيفة هوائية تتشكل بأشكال مختلفة وتظهر منها أفعال عجيبة ، منهم المؤمن والكافر والطيع والعاصي . والشياطين أجسام نارية شأنها القاء النفس في الفساد والغواية بتذكير أسباب المعاصي واللذات وإنساء منافع الطاعات وما أشبه ذلك .

قال الله تعالى حكاية عن الشيطان : ﴿ وما كان لي عليكم من سلطان إلا

أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم) . فعلماء الأئمة الإسلامية الذين سموا الملائكة والجن والشياطين بما سماهم الله ورسوله به عبدة ألقاظ في رأيه ، وهذا منتهى البذاءة . . . وكنا نظن أنه هو وأضرابه ومقلدوه من الهمازين للمازين كلهم مقلدون لشيخهم الذي سن لهم سلق أعراض العلماء أبي محمد بن حزم الذي قال فيه زاهد الاندلس في زمنه أبو العباس بن العريف : (سيف الحجاج ولسان ابن حزم في هذه الامة شقيقان) فظهر لنا أن هؤلاء أربوا على ابن حزم بكثير ، أغاروا على الآيات الصريحة التي لا تقبل التأويل بحال . كسورة الفيل وتبت يدا أبي لهب وغيرهما بالتأويلات الفاسدة البعيدة من لغة العرب التي نزل بها القرآن ، والزيادة عما لم يقله الله في بيانه الصريح الواضح ، فكتاب الله تعالى المقبول عندهم هو المطابق لفهمهم ، وفهمهم هو المعيار الذي لا يسوغ لأحد أن يخالفه : وابن حزم رحمه الله عالم حافظ لم تبلغ به الجرأة والبذاءة الى تحريف صريح آيات القرآن والزيادة على ما لم يقله الله . والهجوم على الامة الإسلامية جمعا بأساليب التهكم والتجھيل . أغاروا على بيان كتاب الله (سنته) عليه السلام فحكموا عليها بالبطلان ، وعلى حملتها بالكذب والتخريف إلا ماوافق أهواءهم منها ومن روايتها . وابن حزم لم يصنع جزءاً مما صنعوه ، بل يحترم السنة كلها ويدافع عنها ويحترم جل حملتها الثقة عنده . وغاية أمره : انه لم يتأدب بآداب العلم والعلماء ووقارهما لكونه ابن وزير ووثق بنفسه ورأيه فلم يهذب حاشية منطقته نحو كثير من فقهاء الاسلام . وليس شتم عباد الله والهزء والازدراء بهم من أخلاق العلماء الذين هم ورثة الانبياء وانما يلجأ الى هذه البضاعة من يعوزه وقار العلم ورزاقه العقل ليسد بها الفراغ .

فهل تسمية العلماء لتلك المخلوقات التي لا نراها بما سماها الله به وتعريفهم لها بما ذكر مناف لكتاب الله وسنة رسوله . والمعقول يستحقون على ذلك النهر بأنهم (عبدة ألقاظ) ؟ وتسميته وتعريفه هو لها بأنها القوة

التي تحدث بالخير وتلقيه في النفس ، والقوة التي تحدث بالشر وتلقيه في النفس موافق لكتاب الله وسنة رسوله والمعقول ؟ ١٤

وقد قال في كلامه الأول الذي نقلناه : (إن الملائكة خلق غيبي لا نعرف حقيقته وإنما نؤمن به باخبار الله الذي نقف عنده ولا نزيد عليه) فما باله ناقض نفسه ١٤ ؟ فسماهم وعرفهم بأنهم قوى طبيعية ... ولم لم يقف عند اخبار الله بهم ولم يزد عليه ؟ ١٥ ولم لم يبال بتسمية الله ورسوله لهم بذلك كما قال : (ومن لم يبال في التسمية بالتوقيف يسمى هذه المعاني القوى الطبيعية إذا كان لا يعرف من عالم الامكان إلا ماهو طبيعة ، أو قوة يظهر أثرها في الطبيعة) .

وهل نصوص القرآن والسنة الصريحة الكثيرة في تسمية هذه المخلوقات الغيبية قاصرة غير كافية في بيان حقائقها ١٤ والمسلمون كلهم لم يعلموا حقيقتها حتى جاء حضرته فبين حقيقتها ، كما قال تلميذه غير مبال بتسمية الله ورسوله وفهم علماء الاسلام منهما ذلك (فالأستاذ الامام يقول : إن التسمية وحدها لا تعطى أحدا علم الحقيقة ، وإن من فهم الحقيقة لا يجبرها عنه اختلاف التسمية) فالنصوص القرآنية الكثيرة التي يصعب استقصاؤها الدالة على تسمية الله للملائكة بالملائكة واخباره تعالى عنهم بما يدل صراحة في لغة الضاد بأنهم أجسام كاملة في العلم والقدرة ، أعطاهم الله قدرة على الافعال العظيمة والتشكل بأشكال مختلفة يخاطبون ويخاطبون ﴿ لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ﴾ لا تعطى أحدا علم حقيقتهم عنده ...

بعض النصوص القرآنية

الدالة على كون الملائكة والجن والشياطين أجساما

قال الله تعالى في الملائكة عليهم السلام : ﴿ يسبحون الليل والنهار لا يفترون ﴾ ﴿ ويستغفرون لمن في الأرض ﴾ ﴿ شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وألو العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم ﴾ ﴿ إن الله وملائكته يصلون على النبي ﴾ ﴿ والصفات صفاء ، فالزاجرات زجراً ،

فالتاليات ذكرنا ، إن إلهكم لواحد)) (يوم يقوم الروح والملائكة صفاً))
 ((وجاء ربك والملك صفاً صفاً)) (وترى الملائكة حافين من حول
 العرش يسبحون بحمد ربهم)) (ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية)) .

وجعل منهم تعالى رسلا الى خواص بني آدم منادين بالبشارة . قال
 تعالى ((فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب إن الله يبشرك بيحيى))
 ((وإذا قالت الملائكة ، يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على
 نساء العالمين ، يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين))

وبالبشارة والندارة متشككين بتشكيل الإنسان : ((هل أتاك حديث
 ضيف ابراهيم المكرمين إذ دخلوا عليه فقالوا سلاماً قال سلام قوم منكرون
 فراغ الى أهله فجاء بعجل سمين فقربه اليهم قال ألا تأكلون ذأ وجس منهم
 خيفة قالوا لا تخف وبشروه بغلام عليم . فأقبلت امرأته في صرة فصكت
 وجهها وقالت عجوز عقيم قالوا كذلك قال ربك انه هو الحكيم العليم .
 قال فما خطبكم أيها المرسلون قالوا إنا أرسلنا الى قوم مجرمين لنرسل عليهم
 حجارة من طين مسومة عند ربك للمسرفين)) .

ومتشككين أيضاً في صورة الانسان : ((فأرسلنا اليها روحنا فتمثل لها
 بشراً سوياً قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا قال إنما أنا رسول
 ربك لأهب لك غلاماً زكياً)) .

ومتشككين في صورة خصمين آدميين : ((وهل أتاك نبؤ الخصم إذ
 تسوروا المحراب إذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لا تخف خصمان بغى
 بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا الى سواء الصراط)
 وحفظة لبنى آدم كتابة لأعمالهم : ((وإن عليكم لحافظين كراماً كاتبين
 يعلمون ما تفعلون)) .

وموكلين بقبض أرواح مخلوقات الله : ((الذين تتوفاهم الملائكة
 ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض)) (ولو ترى

إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطو أيديهم أخرجوا أنفسهم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون ﴿ قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ﴾ .

وخزنة للجنة : ﴿ وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا حتى إذا جاؤوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتهم فادخلوها خالدين ﴾ .

وخزنة للجهنم : ﴿ وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمرا حتى إذا جاؤوها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ﴾ .

وقد أمد الله المسلمين في بدر الكبرى بخمسة آلاف من الملائكة : ﴿ إذ تقول للمؤمنين ألن يكفئكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين . بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين ﴾ ﴿ فالدبرات أمرا ﴾ .

وفي الجن قال تعالى : ﴿ وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضى ولوا إلى قومهم منذرين قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى مصدقاً لما بين يديه يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم يا قومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويخرجكم من عذاب أليم ﴾ وهؤلاء جن نصيبين كما ثبت في الحديث والسير . وأنزل فيهم سورة مخصوصة وأخبر فيها أن منهم مؤمنين موحدين ومنهم مشركين ومنهم من يصعد إلى السماء يسترق السمع من الملائكة فترميهم هذه بالشهب : ﴿ ويقذفون من كل جانب دحوراً ﴾ وسماهم فيها رجالاً : ﴿ وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقاً ﴾ وقد قرنهم الله في النداء والخطاب مع الإنس في آيات كثيرة ، منها : تكرار ﴿ فبأى آلاء ربكما تكذبان ﴾ في سورة الرحمن في نحو ثلاثين موضعاً . ومنها فيها ﴿ سنفرغ لكم أيها الثقلان ﴾ ومنها أيضاً فيها ﴿ يامعشر الجن والإنس

إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان ﴿ وسخرهم الله لسليمان عليه السلام . قال تعالى : ﴿ ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات ﴾

وفي الشياطين إخباره تعالى عنهم بأنهم يرونا ولا نراهم : ﴿ انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم ﴾ وقصة إبليس مع آدم عليه السلام في عدم امتثال أمر ربه في السجود له مع الملائكة واستكباره وقبح جوابه له لما سأله عن امتناعه عن السجود مع الساجدين بقوله : ﴿ أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين ﴾ وحلفه لآدم وحواء كاذبا وهو أول من حلف يميناً فاجرة كما أنه أول من تكبر وأول من أعجب بنفسه وأول من حسد . فكل من اتصف بواحدة من هذه الأوصاف الذميمة فهو مقتد به . وطلبه من الله تعالى أن يؤخر أجله إلى قيام الساعة . وحلفه له بعزته حين أعطاه طلبه ليغوين جميع الآدميين إلا المخلصين منهم . وإخباره تعالى بأن له ذرية وهم أعداؤنا . وتشكله . في بدر الكبرى بصورة سراقه بن مالك المدلجي أحد رؤساء بني بكر بن كنانة . وقوله لقريش : ﴿ لا غالب لكم اليوم من الناس وإنى جار لكم ﴾ من بني بكر . قال به جمهور المفسرين : ﴿ وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإنى جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال انى برىء منكم انى أرى ما لا ترون انى أخاف الله والله شديد العقاب ﴾

هذا بعض النصوص القرآنية التي يصعب استقصاؤها . وأمثالها كثيرة في السنة الصحيحة كلها لا تعطى أحداً علم حقيقة هذه المخلوقات الغيبية حتى يبطل صريح القرآن كله والسنة الثابتة الطافحة بذلك ١١٠ . ويقلد في رأيه الذى هو مقلد فيه لطائفة من كفر الفلاسفة .

ومن أين جاءهم حقيقة هذه المغيبات الذى جهلته الأمة الإسلامية ؟

أمن العقل ؟ ١ ولا سبيل إلى إثباتها به . أو من السمع ؟ ٢ وهو طريق اثباتها وقد أهدره ١

قال العلامة السعد في شرح المقاصد : والقول بوجود الملائكة والشياطين مما انعقد عليه إجماع الآراء ونطق به كلام الله تعالى وكلام الأنبياء عليهم الصلاة والسلام . وحكى مشاهدة الجن عن كثير من العقلاء ، فلا وجه لنفيها كما لا سبيل إلى إثباتها بالأدلة العقلية اهـ .

وقول تلميذه : (إن غرض الاستاذ من هذا التأويل الذي عبر عنه بالأيماء والاشارة إقناع منكرى الملائكة بوجودهم بتعبير مألوف عندهم تقبله عقولهم) فاسد . لأن تأويل نصوص القرآن الكثيرة الدالة صراحة على أن الملائكة والجن والشياطين أجسام بالقوى فاسد بل تحريف لكلام الله ولغة التي نزل بها . وما أفاد بهذا التأويل أو التحريف إلا الملاحدة الماديين وما أفتعهم به ، بل رمى بنفسه في أحضانهم لأنهم لا يؤمنون بالإله القادر الحكيم ، لأنه من جملة الأمور الغيبية التي يكفرون بها ولا يؤمنون إلا بهذه المادة المحسوسة ، فكان الواجب على الاستاذ إن كان عنده علم أن يقيم الحجة عليهم باثبات وجود الإله القادر الحكيم . فاذا ألزمهم بذلك فقد لزمهم الإيمان بجميع مخلوقاته الغيبية في ضمن الإيمان به . فعدوله عن إقامة البرهان عليهم باثبات وجود الإله القادر على كل شيء إلى تحريف كلام الله في مخلوقاته الغائبة عنا ، وزجه نفسه في تنور إلحادهم دليل على أنه عاجز عن مقاومتهم .

وقول تلميذه (وقد اهتدى به كثيرون وضل به آخرون فأنكروه عليه) كلام موجه بوجهين ، الأول : فهمه من النصوص القرآنية أن الملائكة والجن والشياطين قوى لا أجسام قد اهتدى به كثير من الناس وكل من خالفه في فهمه هذا وأنكره عليه واعتقد أنهم أجسام فهو ضال : لا سبيل لحل كلامه على هذا الوجه إلا بهذا . وعليه فيكون فهم محمد عبده مماثلاً لوحى الأنبياء لا يسوغ لأى إنسان مخالفته .

وما أشد هذا التعبير سفاهة وقبحاً وبذاءة نحو الدين وعلمائه ، وحقاقة
وغلواً في شيخه حيث وضعه في مقام النبوة .

الوجه الثاني : وقد اهتدى بهذا الفهم الفاسد كثيرون وحاد به عن
طريق الاعوجاج إلى طريق الاستقامة آخرون ، وهذا الوجه هو المتعين
عندنا كما أن الوجه الأول هو المتعين عند تلميذه .

ويقال ألا تخف قراء تفسيره بذكر بعض المهتدين بفهم شيخه من هؤلاء
الكثيرين ولو واحداً ؟ !

وقوله (وزعموا أنه جعل الملائكة قوى لا تعقل) صحيح ، وهم محقون
في هذا الزعم .

وقوله (فرد عليهم كتابة بما نصه بحروفه) تقدم شرحه . وقوله (وأراد
بهذا أن يحتج على الماديين ويقنعهم بصحة ما جاء به الوحي من طريق علمهم
المسلم عندهم) مكرر مع قوله : إن غرض الأستاذ الخ .

ثم إنا وجدنا الشيخ المجتهد مقلداً في تعريف هذه المخلوقات الغيبية بأنها
القوى لطائفة من الفلاسفة قائلين بوجود الجن والشياطين . قال السعد في
شرح المقاصد : وزعموا أن الجن جواهر مجردة لها تصرف وتأثير في
الأجسام العنصرية من غير تعلق بها تعلق النفوس البشرية بأبدانها .
والشياطين هي القوى المتخيلة في أفراد الإنسان من حيث استيلائها على
القوى العقلية وصرها عن جانب القدس واكتساب الكمالات العقلية إلى
اتباع الشهوات واللذات الحسية والوهمية اه .

وقد نقل عنه تلميذه في الجزء الأول من تفسيره صفحة (٢٨١) ما يدل
صراحة على أن قصة آدم عليه السلام مع الملائكة عليهم السلام وإبليس ،
وإخبار الملائكة بجمعه خليفة في الأرض ، وتعليمه جميع الأسماء ، ومخاطبة
الملائكة له بقولهم : ﴿ أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن
نسبح بحمدك ونقدس لك ، ﴾ ومخاطبته تعالى لهم بقوله : ﴿ إني أعلم
ما لا تعلمون ﴾ وقوله ﴿ أنبئني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين ، ﴾ وقولهم

(سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم) وقوله لآدم :
(يا آدم أنبئهم بأسمائهم) ، وأمره تعالى للملائكة بالسجود لآدم وامتناع
ابليس من ذلك ، كل هذه الحقائق قال الشيخ فيها : (أنها تصوير وتمثيل !)
فهل بين هذا التفسير وبين مذهب الباطنية الذين أهدروا نصوص القرآن
وظواهره ، وزعموا أنها غير مرادة ، وأن المراد بها معان باطنية فرق ؟

وقول الخضرى : (ويسمى بعض فلاسفة المسلمين القوة التى تحدث
بالخير ملكا على العكس من القوة التى تحدث بالشر فانه يسميها شيطانا)
قلب فى الكلام ، وتقويمه على رأى شيخه هكذا . ويسمى بعض فلاسفة
المسلمين باسماء الله ورسوله والمسلمون ملكا بالقوة التى تحدث بالخير ،
و باسماء الله ورسوله والمسلمون شيطانا بالقوة التى تحدث بالشر انقلبت
المسألة على المحاضر من شدة فرحه بهذا الفيلسوف بدليل قوله (وفلاسفة
المسلمين غرائب فى كلامهم على الملائكة والشياطين) فلم يحسن التعبير كما
انقلب الكلام على الاعرابى الذى ضاع جملة فلما وجدته قال من شدة فرحه :
(اللهم أنت عبدى وأنا ربك) أراد أن يقول : اللهم أنت ربى وأنا عبدك ،
فانقلب عليه الكلام .

ومن التلبيس المضحك تسمية المحاضر علماء الاسلام بالفلاسفة ، وزعمه
أن عندهم غرائب فى الكلام عن الملائكة والشياطين . وكان الواجب عليه
حيث حشر نفسه فى هذا البحث أن يصرح باسم الفيلسوف الذى رجح
رأيه ، ويصرح باسم الفلاسفة الذين لهم غرائب فى الملائكة والشياطين ،
ويسرد غرائبهم ، وينتقد ولو بعضا منها ، فيكون بذلك قد أدى أمانة نقل
العلم عن العلماء كاملة وسلك جادة العلماء الباحثين ، ونزه قلمه عن جادة
التدليس والتلبيس . . .

وقوله (وقد يستروحون بقوله تعالى فى الكتاب) : (نزل به الروح
الأمين على قلبك) يعنى : يجد فلاسفة المسلمين الراحة فى الاستشهاد بهذه

الآية الشريفة على أن الملائكة والشياطين ، والجن أجسام من شدة تعبهم في فهم هذه المخلوقات التي فهم حقيقتها الأستاذ محمد عبده بأنها القوى - بسهولة - فكأن علماء الاسلام ، أو فلاسفة المسلمين على تعبيره لم يجدوا عند حضرة المحاضر آية في كتاب الله يحتجون بها على مذهبهم إلا هذه الآية وتعبيره بقدر والمضارع. يشعر بأن راحتهم في معرفة حقيقة هذه المخلوقات قليلة . ولا حاجة بي الى التعليق - على هذا الهراء الذي لم نستفد منه إلا اعجابه - بأكثر من هذا .

عقيدة المؤمنين بالغيب

وإذا كنا نؤمن بالإله القادر على كل شيء إيماناً صادقاً فما المانع من كون ذلك الإله خلق أجساماً نورانية تسمى الملائكة ، قادرة على التشكل ، تقطع المسافات والأرض في مدة قصيرة جداً ، وتمر أمامنا ولا نراها ، وتفعل أفعالاً تعجز عنها القوى البشرية ، والسموات مملوءة بها ؟ كما أنه تعالى أوجد أجساماً أخرى تشابه الملائكة في بعض خواصهم من الاقتدار على التشكل والاحتجاب عن الابصار والقدرة على أفعال عظيمة وتخالفهم في أنها ليست نورانية مثلهم إلى آخر مامر ، وتسمى هذه الأجسام جنا ، ويمكن أن تكون كهادة الهواء : كونها الله تعالى وجمع أجزائها بكيفية تجعلها صالحة لتسلك الخواص التي ذكرت لها ، كما كون الحيوان من العناصر الجمادية بكيفية أكسبته الحياة وجميع آلاتها من الإدراك والحركة وغير ذلك بعد أن لم يكن للعناصر شيء مما ذكر ؟

وعدم رؤيتنا لتلك المخلوقات النيبية إما للطافتها كالهواء ، وإما لعدم خلقه تعالى فينا رؤيتها عادة لا لإستحالة رؤيتها ، واقتدارها على التشكل جائز عقلاً ، داخل تحت تصرف قدرة الله تعالى

وفي الأعمال الكيماوية التي أقدر الله تعالى البشر عليها من تحويل الاجسام الى بعضها كتحويل الكشيف لطيفاً وعكسه ما يقرب فهم تشكيل

الاجسام الغيبية الى العقول السليمة . وحيث إن تشكل تلك الاجسام كيف ما كان مسند الى عظمة قدرة الله تعالى الذى أدهشت أفعاله الافكار فيما أعطاه للحيوان والنبات من الخواص فلا غرابة فيه أصلاً . ومن أمعن النظر فى أعمال عواصف الرياح التى تقلع بها الأشجار العظيمة ، ويخرب بها العمران ، وأعمال القوة الكهربية التى تعجز عنها ألوف الرجال ، لا يستغرب عمل هذه المخلوقات الغيبية أعمالاً تعجز عنه القوى البشرية ، مع كونها أجساماً لطيفة ، إذا كان مؤمناً بأن الذى أقدرها على ذلك هو الله تعالى الذى لا يعد ذلك بالنسبة الى عظمة قدرته شيئاً صعباً .

وإذا نظرنا الى أن بعض الناس الاقوياء الابدان يحمل ويرفع الاثقال أو يكسر بقوة ذراعه الحديد أو يلويه ، وماقوة ذراعه إلا عمل أعصابه التى تنتهى أخيراً الى مخه اللطيف النحيف الذى هو مبدأ الحركة كما قالوا ، وهو لا يحتمل أدنى مصادمة من جسم غريب ، بل صعود نقطة دم زائدة على القدر اللازم اليه قد تعدمه وتعدم صاحبه الحياة ، ظهر لنا ان الله تعالى قادر على إعطاء اللطيف قوة لا توجد فى الصلب الكشيف ، سبحانه من قادر قاهر ولا مانع عقلاً من كون الملائكة عليهم السلام يقطعون المسافات الشاسعة بين تلك الاجرام السماوية فى مدة قصيرة جداً ، لأن سرعة الحركة ليست محصورة فى حد محدود ، ولا مخصوصة بمخلوق معين .

المحاضرة التاسعة

قد تحقق مما تقدم في حادثة الفيل وفي بحث الوحي انكار المحاضر للحوادث الكونية - أى دلائل نبوة الأنبياء ومعجزاتهم عليهم الصلاة والسلام وللملائكة والجن والشياطين تقليداً لمحمد عبده في الأمرين ، وانكار دلائل نبوته ومعجزاته عليه السلام انكار للقرآن كله ، لأنه من جملة المعجزات التي أتى بها عليه الصلاة والسلام ، وانكار القرآن تكذيب برسالة الأنبياء من الله الى الخلق ، وتكذيب أيضاً بوجود الخالق القادر على كل شيء المرسل لهم .

وحينئذ فالإيمان بالقرآن الذي هو من جملة المعجزات ، ومشمول أيضاً على خوارق ومعجزات كثيرة مع انكارها لا يعقل ، لأنه جمع بين المتناقضين : الانكار وعدم الانكار ، كما لا يخفى على اللبيب .

- وانكار كون الملائكة والجن والشياطين أجساماً ، تكذيب للقرآن الذي أثبت ذلك في آيات لا تحصى ، ولا يمكن تأويلها بحال من الأحوال . وحينئذ تكون نتيجة هذا الانكار : بطلان الوحي كله ، قرآناً وسنة على مقتضى رأى المحاضر وأضرابه . لأن الوحي كله هو سيرته وتاريخه عليه السلام . الذي لم يصل إلينا الا من طريق الرواة الذين يستلزم انكار جميع ما ذكر تكذيبهم في جميع الوحي المنقول كتاباً وسنة جزماً !

فعلى أى شيء بنى المحاضر وامثاله كتابتهم في التاريخ الاسلامي والحالة هذه ؟ !

يمكن أن يلفق لهم عن هذا الالتزام جوابان باطلان . أحدهما : أن يقال إنما كتبوا تأليفهم من القرآن الذي تفرد رواته بنقله مجرداً عن تلك الحوادث الكونية والأجسام الغيبية - أى رواية غير خرافيين . فحينئذ يلزمهم تمييز الرواة المقبولين عندهم عن غيرهم واحداً واحداً ، وتترتب عليهم أسئلة (١٣ - تحذير العبقري)

كثيرة على هذا ، يستحيل تخلصهم منها ، علاوة على كونهم ليسوا من أهل الرواية ، ولا علم لهم بها أصلا .

الثاني ، أن يقولوا إجمالا : إنما كتبنا عنهم ما صدقوا فيه ، وتركنا ما كذبوا فيه .

ونتيجة هذا الجواب : الجمع بين المتناقضين في جميع الرواة جزما ، يعني أنهم صادقون كاذبون ، صادقون في غير الحوادث الكونية والأجسام الغيبية ، كاذبون في هذه . وهذا تحكم لا مبرر له من النقل ولا من العقل ، ساقط بديهية عند كل من له إلمام بالعلم .

ولكن كان الواجب على الخضرى ، مع تأليهه هواه ، أن يودى أمانة علم التاريخ الإسلامى فيذكره كله لطلبة الجامعة ، ولا يغشهم بترك شيء منه ، ولو كانوا كلهم أجاناب ، فكيف بهم إذا كانوا كلهم مسلمين أو بعضهم ؟

وما يؤمنه أن يقول له قائل : حيث حكمت على الرواة بأنهم كاذبون في كل التاريخ أو في جزء عظيم منه صادقون في الجزء الآخر منه ثبت عندى بمقتضى حكمك هذا : أنهم كاذبون في الكل . لأن كذبهم في جزء منه يرفع الثقة بصدقهم في الجزء الآخر ، للقاعدة المشهورة : (ما جاز على أحد المثليين جاز على الآخر) وحينئذ يكون التاريخ الإسلامى كله لا أصل له .

فمحاضراته ومؤلفات أضرابه فيه على هذا كلها مبنية على الأساطير ! . فعلى أى أساس بنوا كتابتهم في التاريخ الإسلامى ؟ ! فان قيل : إن المحاضر لم يحكم على الرواة بالكذب ، فمن أين علمتم ذلك حتى ألزمتوه به ؟ ! فالجواب : علمناه من عدم وثوقه بمؤرخى الإسلام في قصة بحيرا التى تقدمت ووثوقه بمؤرخى الاجانب ومن حادثة الفيل ومن تركه جميع الحوادث الكونية - دلائل نبوته عليه السلام في كتابه هذا ، والأخبار المتعلقة بالملائكة والجن والشياطين فيه . والترك يستلزم عدم وثوقه بالرواة في هذه الامور وعدم الوثوق بهم هو عين تكذيبهم لا محالة !

وفي هذه المحاضرة من المآخذ عليه ما يأتي :-

١ - ذكر ذهابه عليه السلام الى ثقيف بالطائف يدعوهم الى الاسلام وتكذيبهم له ، وتسليطهم سفهاءهم عليه عليه السلام يرمونه بالحجارة ، قال (حتى اجتمع عليه الناس وألجؤوه الى حائط لعتبة وشيبة بنى ربيعة ورجع عنه من سفهاء ثقيف من كان يتبعه اه) . وطمس قصة ابني ربيعة مع غلامهما حين رقا له صلى الله عليه وسلم للقرابة التي بينهما وبينه لما دخل حائطهما فبعثنا اليه الغلام بقطن من عنب ، لأن فيها علماً من أعلام نبوته عليه السلام قال ابن هشام في سيرته : « فعمد إلى ظل حبل من عنب ، فجلس فيه وابنا ربيعة ينظران اليه ويريان مالقى من سفهاء أهل الطائف . قال : فلما رآه ابنا ربيعة عتبة وشيبة ومالقي تحركت له رحمهما ، فدعوا غلاماً لهما نصرانياً ، يقال له (عداس) فقالا له : خذ قطعاً من العنب فضعه في هذا الطبق ثم اذهب الى ذلك الرجل فقل له يأكل منه ، ففعل عداس ثم أقبل به حتى وضعه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال له : كل : فلما وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه يده قال : بسم الله ، ثم أكل ، فنظر عداس في وجهه ثم قال له : والله إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ومن أهل أى البلاد أنت يا عداس وما دينك ؟ قال : نصراني وأنا رجل من أهل نينوى . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرية الرجل الصالح : يونس بن متى . فقال له عداس وما يدريك ما يونس بن متى ؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ذاك أخى ، كان نبياً وأنا نبي ، فأكب عداس على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقبل رأسه ويديه وقدميه . قال يقول ابنا ربيعة أحدهما لصاحبه : أما غلامك فقد أفسده عليك ، فلما جاءهما عداس قال له ويلك يا عداس : مالك تقبل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه ؟ قال ياسيدى : ما فى الارض شيء خير من هذا ، لقد أخبرنى بأمر ما يعلمه إلا نبي .. قال له : ويحك يا عداس ، لا يصرفك عن دينك ، فإن دينك خير من دينه اه . »

٢ - ذكر بيعة الانصار رضى الله عنهم ، البيعة الثانية الكبرى عند العقبة ، قال : (بعد أن انتهت المبايعة أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعودوا إلى رحالهم فذهبوا إلى مضاجعهم فناموا . ولما أصبحوا كان الخبر قد بلغ قريشا ، فجاء رؤسائهم إلى منازل الانصار وقالوا : يا معشر الخزرج قد بلغنا أنكم قد جئتم إلى صاحبنا تستخرجونه من بين أظهرنا) يقال له : من بلغ قريشا ؟ ! والمبايعة كانت ليلا ، والمشركون من الانصار وغيرهم ممن كان بمنى لم يشعروا بها فالجواب : الشيطان صرخ بعد فراغهم من البيعة بأهل منى منذراً لهم . والمحاضر طمسه لأنه لا يؤمن بوجود الشياطين ! .

قال ابن هشام فى السيرة عن كعب بن مالك رضى الله عنه ، قال فلما بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صرخ الشيطان من رأس العقبة بأنفذ صوت سمعته قط : يا أهل الجباب ! (والجباب المنازل) هل لكم فى مذمم والصباة معه قد اجتمعوا على حربكم . قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هذا أذبُ العقبة (أى شيطانها) هذا ابن أذيب .

قال ابن هشام . ويقال ابن أذيب استمع أى عدو الله أما والله لأفرغن لك والمحاضر حذف هذا التاريخ لأنه لا يتمشى على مذهبه كما حذف - ٣ - تمثيل الشيطان لقريش فى دار الندوة لما تحققوا أنه عليه السلام صار له شيعة ودار ورأوا خروج أصحابه مهاجرين إلى المدينة فحذروا خروجه عليه السلام إليهم ، وعرفوا أنه قد أجمع لحربهم ، فاجتمعوا فى دار الندوة ليتشاوروا فيها فيما يفعلونه به عليه السلام ﴿ وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين ﴾ فوقف لهم الشيطان فى هيئة شيخ جليل على باب الدار ، فقالوا له : من الشيخ فقال : شيخ من أهل نجد سمع بالذى أتعدتم له فحضر معكم ليسمع ما تقولون وعسى أن لا يعدمكم رأيا منه ونصحا . قالوا أجل فادخل ! فدخل معهم وإنما قال لهم انه من أهل نجد لأنهم قالوا لا يدخان معكم فى المشاورة أحد من أهل تهامة ، لأن هواهم مع محمد ، وزيف لهم الرأبين القائطين بحبسه

حتى يموت أو إخراجهم من مكة وصوب رأى أبي جهل القائل بارسال جماعة من الشبان الأقوياء اليه ليلا يضربونه ضربة رجل واحد فيقتلونه .

ولا نؤخذ الخضرى على مشيه على مذهبه فى هذه المشورة ولكن
نؤاخذه بتدليسہ وغشه بقوله : فقال شيخ فيهم ما هذا لكم برأى . وساق
كلام ابليس كما ذكره ابن هشام فى السيرة تاما ، وقوله أيضا فى الرأى الثانى
فقال ذلك الشيخ : ما هذا لكم برأى ، وساقه كذلك ، وحذف قول ابليس
فى رأى أبى جهل (القول ما قال الرجل هذا الرأى لا رأى غيره) واكتفى
بقوله : فكان رأيه هذا (أى أبو جهل) مقبولا عند جميعهم ، تدليسا وجريا
على مذهبه فى إنكار الملائكة والجن والشیاطین .



هجرة المصطفى صلى الله عليه وسلم

إلى المدينة

ذكر المحاضر أسماء الأماكن التي مر بها عليه الصلاة والسلام في هجرته إلى المدينة تفصيلاً . فيقال: من أين عرفها وبينه وبين الهجرة أكثر من ثلاثمائة وألف سنة ، وهى - نقل محض ؟ ! فالجواب : عرفها معرفة قطعية من الرواة الذين وثق بهم في نقلها إليه ، ولم يثق بهم في نقل الحوادث الكونية ، وهواتف الجن التي وقعت فيها ونقلوها إليه .

(٤) قال ابن هشام في سيرته : قالت أسماء بنت أبي بكر : فكشنا ثلاث ليال وما ندرى أين وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى أقبل رجل من الجن من أسفل مكة يتغنى بأبيات من شعر غناء العرب ، وإن الناس ليتبعونه ويسمعون صوته وما يرونه حتى خرج من أعلى مكة وهو يقول : جزى الله رب الناس خير جزائه رفيقين حلا خيمتى أم معبد هما نزلا بالبر ثم ترحلا فأفلح من أمسى رفيق محمد ليهن بنى كعب مكان فتاتهم ومقعدها للؤمنين بمرصده

وحكايات الجن في أقوالهم وأفعالهم في السنة الثابتة عنه عليه السلام يصعب استقصاؤها وكذلك في أشعارهم ومحاوراتهم مع العرب جاهلية وإسلاماً لا يمكن حصرها . وقد ألف العلامة القاضى بدر الدين محمد بن عبد الله الشبلى الدمشقى الحنفى المولود سنة ٧١٠ ، المتوفى سنة ٧٦٩ مجلداً حافلاً فى ذلك سماه (آكام المرجان فى أحكام الجان) وهو مطبوع وخصه مع بعض زيادات الحافظ جلال الدين السيوطى وسماه (لقط المرجان فى أخبار الجان) . واستحضر الأرواح الذى شاع وذاع الآن فى القارتين أمريكا وأوربا ضربة قاضية على المنكرين .

وقد طبع فيه تأليف لطنطاوى جوهرى (١) ويروى : أن قریشا

(١) والمستحضر عندنا يقينا هو القرين أى الشيطان لا أرواح الموتى ،

لما سمعت الها تفت من الجن أرسلوا إلى أم معبد وهي بخيمتها، فقالوا: هل مر بك محمد الذي من حلمته كذا فقالت: لا أدري ما تقولون، وإنما ضافني حالب الشاة الحائل .

(٥) علم من أعلام نبوته عليه السلام طمسه الخضرى أيضاً : مر صلى الله عليه وسلم في هجرته مع رفقائه بقديد على أم معبد الخزاعية فنزلوا في خيمتها فقالوا عندها ، وكان القوم مرملين - أى نفدت أزوادهم - ومسننين - أى أصابتهم سنة جديدة - فطلبوا منها لبناً أو لحماً يشترونه ، فلم يجدوا عندها شيئاً ، فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى شاة في كسر الخيمة خلفها الجهد عن الغنم ، فسألها : هل بهامن لبن ؟ فقالت : هى أجهد من ذلك . فقال أتأذنين لى أن أحلبها ؟ ! فقالت بأبى أنت وأمى إن رأيت بها حلباً فاحلبها . فدعا بالشاة فاعتقلها ومسح ضرعها فتفاجت ودرت واجترت ودعا باناء يشبع الجماعة ، فحلب فيه حتى ملأه ، وسقى القوم حتى رووا ، ثم شرب آخرهم ، ثم حلب فيه مرة أخرى ، ثم تركه عندها وذهبوا فجاء أبو معبد بعدهم وكان غائباً ، فلما رأى اللبن قال ما هذا يا أم معبد ؟ ! أنى لك هذا - والشاة جمع شاة عازب ، أى غائبة في المرعى حيال ، أى لم تلحق ، ولا حلوبة بالبيت - فقالت : لا والله ، إلا أنه مر بنا رجل مبارك . فقال صفه يا أم معبد ! فوصفته له ، فقال : هذا والله صاحب قریش لو رأيته لا تبعته .

أسلمت أم معبد وهاجرت وأسلم أخوها (حبيش) ، وكان آل لى معبد يؤرخون بذلك اليوم ، ويسمونه : يوم الرجل المبارك ، يقولون : فعلنا كيت وكيت قبل أن يأتينا الرجل المبارك ، أو بعد ما جاء الرجل المبارك . وروى : أن حسان بن ثابت رضى الله عنه لما بلغه شعر الجنى وما هتف به في مكة قال يحبيه :

وقدس من يسرى اليهم ويغتنى
وحل على قوم بنور مجدد
وأرشدهم من يتبع الحق يرشد
عمى . وهداة يهتدون بمهتدى
ركاب هدى حلت عليهم بأسعد

لقد خاب قوم غاب عنهم نبهم
ترحل عن قوم فضلت عقولهم
هداهم به بعد الضلالة - ربهم
وهل يستوى ضلال قوم تسفهوا
وقد نزلت منه على أهل يثرب

نبي يرى ما لا يرى الناس حوله ويتلو كتاب الله في كل مشهد
وإن قال في يوم مقالة غائب فتصديقها في اليوم أو في ضحى الغد
ليهن أبا بكر سعادة جده بصحبته من يسعد الله يسعد

(٦) قصة سراقه بن مالك بن جعشم المدلجى . وهى أيضا علم من أعلام نبوته عليه السلام وملخصها من صحيح الامام البخارى وكتب السيرة . أن قريشا جعلت مائة ناقة لمن رد عليهم النبي صلى الله عليه وسلم ، ومثلها لمن رد الصديق . وكان هذا الاعلان منهم بهذا الجعل قد بلغ سراقه هذا . فلما رحل عليه السلام مع رفقائه من عند أم معبد بقديد رأهم رجل من بنى مدلج يمشون على الساحل ، فأتى إلى سراقه فأخبره ، فلبس سراقه سلاحه وركب فرسه ولحقهم طمعا في ذلك الجعل ، فبكى أبو بكر رضى الله عنه وقال : يا رسول الله أتينا ، قال : كلا ! ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بدعوات فساخت قوائمه فرسه في الأرض إلى الركبتين بعد عثورها به مرتين قبل هذه قال فعلت انه ممنوع منى وأنه ظاهر فناداهم : أنا سراقه بن مالك ، وطلب منهم الأمان ، وقال انظرونى أكلهكم : (فوالله لا يأتىكم منى شيء تكرهونه ، أعلم أن قد دعوتما على ، فادعوا لى ولكما أن أرد الناس عنكما ولا أضركما) فوقفا له فجاءهما ، قال : (فأخبرتهما خبر ما يريد الناس بهما وعرضت عليهما الزاد والمتاع فلم يرزآنى) . وطلب منه عليه السلام كتاب أمان له ولقومه فأمر عليه السلام فكتب له ذلك . ولما رجع قال لقريش : قد عرفتم نظرى بالطريق وبالأثر وقد استبرأت لكم فلم أر شيئا) .

ولما بلغ قريش ما لقي سراقه لآمه أبو جهل على تركهم . فقال سراقه وكان شاعرا .

أبا حكم ، والله لو كنت شاهدا لأمر جوادى ، إذ تسوخ قوائمه
علمت ولم تشكك : بأن محمدا رسول بهرمان ، فمن ذا يقاومه
عليك بكف القوم عنه ، فأنى أرى أمره يوما ستبدو معالمه
بأمر يود الناس فيه بأسرهم بأن جميع الناس طرأ يسالمه

وبهذا ظهر : أن المحاضر ترك لباب تاريخ هجرته عليه السلام واشتغل بذكر أسماء منازل طريقها .

المحاضرة العاشرة

القرآن كلام الله تعالى أعظم معجزات النبي صلى الله عليه وسلم الخالدة المعجزة - وسميت في القرآن بالبرهان والبيينة والآية وهذه أكثر - فعل الله الخارق للعادة المقارن لدعوى الرسالة متحدى به قبل وقوعه غير مكذب يعجز من يبغي معارضته عن الاتيان بمثله .

فخرج عن الأول القديم ، فليس فعلا لله ، واحترز بالخارق للعادة من المعتاد فانه يستوى فيه الصادق والكاذب ، ومن المعتاد السحر ونحوه كالشعوذة وان كان سببه العادى نادراً ، ومن المعتاد ايضاً ما يوجد في بعض الأجسام من الخواص كجذب الحديد بحجر المغناطيس ، واحترز بقوله المقارن لدعوى الرسالة من الخارق المتقدم على دعوى الرسالة كحداثة الفيل ، وشق صدره عليه السلام ، وتسليم الحجر عليه ، واطلال الغمام له وغير ذلك . فان هذه الأمور وان كانت من دلائل نبوته وعلا ماتها ، فانها تسمى إرهاباً - اى : تأسيساً للنبوة عند جمهور علماء الأصول .

واحترز بقوله : متحدى به قبل وقوعه مما تحدى به بعد وجوده . واحترز بقوله : غير مكذب مما إذا قال مدعى الرسالة مثلاً آية صدق ان ينطق الله يدى فمطقت بتكذيبه ، فلا يكون نطقها في هذه الحالة معجزة له . وقوله : يعجز من يبغي معارضته عن الاتيان بمثله ظاهر ، فلو امكن المعارض ان يأتى بمثله لم يكن خارقاً جزمياً . وهى دالة على صدق مدعى الرسالة من الله الى الخلق .

والمراد بخوارق العادة : أمور ممكنة في نفسها ، متمنعة في العادة بمعنى أن العادة لم تجر بوقوعها . فامكانها ضرورى ، وإبدائها على يد مدعى الرسالة ليدر بأبعد من ابداء خلق السماوات والأرض وما بينهما . ووجه كونها دالة على صدق الرسول : انها عند التحقيق بمنزلة صريح التصديق له من الله لما جرت العادة به من ان الله تعالى يخلق عقيبها العلم الضرورى بصدقه .

(١٤ - تحذير العبقرى)

وإذا علم صدق الرسل عليهم الصلاة والسلام بدلالة المعجزة وجب تصديقهم في كل ما أتوا به من عند الله ويستحيل منهم الكذب عقلاً، والمعاصي شرعاً، لأننا مأمورون بالاعتداء بهم . فلو جازت عليهم المعصية لكانا مأمورين بها (قل ان الله لا يأمر بالفحشاء) .

نبينا محمد صلى الله عليه وسلم

أعقل الخلق على الإطلاق

وقد كان سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم أعقل خالق الله على الإطلاق . وقد قطع القول فيما أخبر به عن ربه عز وجل بأنهم لا يأتون بمثل ما تحداهم به . فقال تعالى (فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا) فلو لا علمه ان ذلك من عند الله علام الغيوب ، وان لا يقع فيما أخبر عنه خلاف . لم يأذن له عقله بحزم القول في شيء بأنه لا يكون وهو يكون . وهذا من احسن ما يكون في هذا المجال وأبدعه وأكمله وأبينه . فانه تعالى نادى عليهم بالعجز قبل المعارضة حيث قال (ولن تفعلوا) فنفى قدرتهم في المستقبل . فلو قدروا لحيتهم ففعلوا . وأخبر تعالى بعجزهم قبل ظهور المناقضة منهم في اقوالهم الدالة على ذلك . صارخاً بهم على رؤوس الأشهاد، فلم يستطع احد منهم الإلمام به مع توفر الدواعي ، وتظاهر الاجتهاد وهم في كل هذا ناكصون عن معارضته ، محجمون عن مماثلته ، يخادعون انفسهم بالتشغيب والتكذيب والافتراء ، يقولون (ان هذا إلا سحر يؤثر) (وسحر مستمر) (وافك افتراه) (وأساطير الأولين) والمباهلة والرضا بالدنية كيقولهم (قلوبنا غلف) (وفي أكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب) و (لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون) والادعاء مع العجز (لو نشأ لقلنا مثل هذا) وهذه وقاحة ومكابرة لفرط عداوتهم . فلو استطاعوه مامعتهم مشيقتهم عن معارضته وقد تحداهم ، وقرعهم بالعجز بضعاً وعشرين سنة ، ثم قارعهم بالسيوف فلم يقدرُوا مع استنكافهم ان يغابوا خصوصاً في الفصاحه ، قال تعالى : (قل لئن اجتمعت الانس

والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن)) لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً)) فذكر الاجتماع والاستظهار بالغير في مقام التحدى إنما يحسن فيما لا يكون مقدوراً للبعض ويتوهم كونه مقدوراً للكل ، فنفى تعالى استطاعة الاتيان بمثله عن كل الثقلين وحيث انتفى الاتيان بمثله عند التظاهر فانتفاؤه عند عدمه من باب أولى .. ثم تحداهم بعشر سور مثله فعجزوا ، ثم بأقصر سورة كذلك ورضيت همهم السرية وأنفسهم الأبية بسفك الدماء وهتك الحرم عجزا عن الاتيان بما ذكر ، وعناداً بعدم الايمان به ..

هذا مع كونه عليه الصلاة والسلام بعث والعرب أكثر ما كانت شاعراً وخطيباً ، وأحكم ما كانت شاعراً وخطيباً ، وأحكم ما كانت لغة وأشدد ما كانت عدة ، فدعا أقصاها وأدناها الى توحيد الله تعالى وتصديق رسالته دعاهم بالحجة ، فلما قطع العذر وأزال الشبهة وصار الذى يمنعهم من الاقرار الهوى والحمية دون الجهل والخيرة حملهم على حظهم بالسيف ، فنصب لهم الحرب ونصبوا له وقتل من عليتهم وأعلامهم وأعمامهم وبنى أعمامهم وهو فى ذلك يحتج عليهم بالقرآن ويدعوهم صباح مساء الى معارضته ان كان كاذباً بسورة واحدة ، أو بآيات يسيرة فكما أراد تحديا لهم بها وتقريعاً لعجزهم عنها قالوا له : انت تعرف من أخبار الأمم ما لا نعرف ، فلذلك يمكنك ما لا يمكننا ، قال فها توها مفتريات ، فلم يرم ذلك خطيب ، ولا طمع فيه شاعر . وار طمع فيه لتكلفه ، ولو تكلفه لظهر ذلك ، ولو ظهر لوجد من يستجيبه ويحامى عليه ويكابر فيه ، ويزعم انه قد عارض وقابل وناقض ، فدل ذلك العاقل على عجز القوم مع كثرة كلامهم واستفحال لغتهم ، وسهولة ذلك عليهم ، وكثرة شعرائهم ، وكثرة من عارض شعراء أصحابه وخطباء امته . لأن سورة واحدة أو آيات يسيرة كانت أنقض لقوله ، وأفسد لأمره ، وابلغ فى تكذيبه ، واسرع فى تفريق أتباعه من بذل النفوس والخروج عن الأوطان وانفاق الأموال وهذا من جليل التدبير الذى لا يخفى على من هو دون قریش والعرب فى

الرأى والعقل بدرجات وقد كان لهم القصيد العجيب والرجز الفاخر والخطب الطوال البليغة والقصار الموجزة ولهم الأسجاع والمزدوج واللفظ المنشور ثم يتحدى به اقصاهم بعد ان اظهر عجز أدناهم فمحال ان يجتمع هؤلاء كلهم فى الامر الظاهر والخطاب المكشوف البين مع التقريع بالنقص والتوقيف على العجز وهم اشد الخلق أنفة واكثرهم مناصرة والكلام سيد عملهم، وقد احتاجوا اليه والحاجة تبعث على الحيلة فى الامر الغامض فكيف بالظاهر الجليل المنفعة فكما انه محال ان يطيقوه ثلاثا وعشرين سنة على الغلط فى الامر الجليل المنفعة فكذلك محال ان يتركوه وهم يعرفونه ويجدون السبيل اليه وهم يبذلون اكثر منه ، فان قيل يحتمل ان محمدأ عليه الصلاة والسلام حصلت له درجة فى البلاغة لم يصل اليها احد من العرب فاتى بهذا القرآن من عنده وكثيرا ما يوجد بين اهل كل صناعة من يبلغ الدرجة القصوى فيها حتى يقر له سائر اهلها بانه رئيسهم وهم عاجزون عن شق غباره فيها . فالجواب : ان صناعة البلاغة وان كانت ترتكز على استعداد صاحبها فى أصل فطرته ولكن لا بد لبلوغه فيها درجة سامية من ممارسة وتدرج فى طرقها من قول الاشعار وروايتها ومعاناة الخطب ودراستها ومحاوره الفصحاء ومغالبة البلغاء حتى تقوى فيه ملكتها ويصبح من رجالها الا فاذ حسب استعداده الفطرى ومهما بلغت درجتها من السمو فلا بد لها من نظير من نوعها ومثال من صنفها ولو كان دونها بدرجات والناس كلهم يعلمون يقيناً انه عليه الصلاة والسلام وان كان فى اصل فطرته مستعداً لتلك الصناعة ولكنهم جازمون جميعاً بانه عليه السلام لم يكن من اول نشأته الى بعثته فى الاربعين من عمره هذه المدة التى هى سن التحصيل والممارسة قد مارس تلك الصناعة ممارسة تستلزم له بلوغ تلك الدرجة ولم يكن له فى تلك المدة معاناة للاشعار وروايتها ، وكذلك الخطب والرسائل ولم يعرف فيها بكونه مولعاً بمحاوره الفصحاء ومغالبة البلغاء وهو بين أظهرهم لا يخفى عليهم حاله وكيف يخفى ومن يعانى تلك الصناعة يشتهر عندهم اشتهار

الغزاة لانهم من اعظم مفاسدهم ، فعندما بلغ الاربعين فاجأهم بالرسالة من الله تعالى وتلا عليهم قرآناً خرسيت عند سماعه السنة بلغاهم . وتبدلت به افكار عقلاهم وطاشت منه أحلام زعمائهم وقد نفرد هذا القرآن الذى أتى به عليه الصلاة والسلام من ربه فى منهجه الذى سلكه فى البلاغة بما لا يوجد له نظير فلا هو كالشعر ولا الأراجيز ولا من نوع الخطب والرسائل ولا له مثال يحتذى عليه وهذا يكون اعرق فى الغرابة ، فعلى من تعلم محمد عليه الصلاة والسلام هذه الطريقة الراقية فى البلاغة التى فى القرآن وهى لم تعهد بين العرب كلهم أكان هو اول مخترع لها وبلغ فيها هذه الدرجة التى لا تلحق كلاً ما هذه عادة المخترعين للأشياء بل عادة كل مخترع ان يصدر عنه اختراعه كالطفل وسواه يربيه حتى يبلغ الغاية التى تمكن فيه أما كون المخترع يبلغ باختراعه الغاية القصوى التى لا تستطاع . وليس بعدها منزلة من اول مرة فهذا شئ لم يعهد فى المخترعين من البشر ولا يبالى اذاً من يحزم بانه غير ممكن فى قدرتهم حسب الاستقراء ، فعدم ممارسة محمد عليه الصلاة والسلام لتلك الصناعة فى الماضى من عمره بما يبلغه تلك الدرجة التى لا تلحق وانفراد القرآن الذى أتى به بذلك الاسلوب الذى بلغ الغاية فى البلاغة حتى عجز الثقلان جميعاً عن معارضته دليل على بطلان هذا الاحتمال وعلى ان القرآن كلام الله تعالى .

انكار طائفة من اهل العصر

معجزات الانبياء عليهم الصلاة والسلام

قد انكر طائفة من اهل العصر معجزات الانبياء عليهم الصلاة والسلام كما انكروا وجود الملائكة والجن والشياطين وزاد جماعه منهم فى هذه السنين الأخيرة تلقيب الانبياء عليهم السلام بالعبقريه بدل النبوة ، وقدوتهم الذى سن لهم هذه الامور ومهد لهم سبيلها محمد عبده وكلهم متأثرون بالماديين والمستشرقين وقد رد على هذه الطائفة رداً محكماً مدلولاً

مسبباً العلامة الشيخ مصطفى صبري التوقادي في كتابه المسمى (موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين) ، وقد اقتطعت منه ما يأتي بنصه من عدة مواضع من المجلد الرابع قال في صفحة ٥ منه (١) وأبرز مميزات هؤلاء الكتاب والعلماء المتفقيين معهم انهم ينكرون المعجزات الكونية ، ويعتبرونها من المستحيلات ، وقد علم القارىء مما سبق كيف انكرها الاستاذ فريد وجدى بك ، وانكر معها البعث بعد الموت ، ورد جميع آيات القرآن الواردة في كل من الموضوعين الى التشابهات التي لا تفهم معانيها . (٢) صفحة ٥ ايضا وبعضهم يخص انكاره بمعجزات نبينا من ذلك القبيل ، ويعتبر تجرده منها ميزة له على سائر الانبياء ، (٣) صفحة ١٦ ومن مميزات الطائفة العصرية انهم لا يقولون على كتب الحديث وما فيها من الروايات المتعلقة بمعجزات نبينا ولذا جاء كتاب (حياة محمد) خلافاً عن المعجزات الكونية واقره عليه فضيلة الاستاذ المراغى والشيخ رشيد رضا صاحب مجلة (المنار) ، وللوصول الى هذه الغاية يطعن من يطعن منهم في مكان كتب الحديث مطلقاً من الشك ، ويعنى من يعنى بعصرية سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم بدل نبوته ، لكنهم متفقون في هذه المرحلة من الدس على الاعتراف باهمية القرآن وسمو مكانه قائلين : انه المعجزة الوحيدة وقولى لهؤلاء القائلين - وهم دعاة العصرية - إن القرآن كان معجزة وكان افضل واعظم ما وصل اليها من محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فهو معجزة نبوته لا معجزة عبقريته ، لان العصرية لا معجزة لها وان الذين لجؤوا اليها ارادوا أن يتخلصوا من المعجزات التي تدور مع النبوات (٤) ، صفحة ٣٩ الحاصل ان المعجزات لا ينكرها الا المنكرون لوجود الله تعالى ، ومن الغرابة ان جمهورهم يتمسكون هنا بنظام العالم الذي انكروه حين انكروا وجود الله تعالى فيقولون : إن نظام العالم ناشىء من طبيعة الاشياء لا يمكن خرقه بالمعجزات . وقد علم القارىء مما سبق في هذا الكتاب ان (بوخنز) إمام الملاحدة او بالأصح لسانهم المحامى عن مذهب الاتحاد يجعل نظام

العالم عبارة عن المصادقة والفوضى ، فكيف يمكنه ان يدعى في مسألة المعجزة أنها تخالف نظام العالم مع أنه منكر لنظام العالم قبل انكاره المعجزة بحجة أنها تغيير لنظام العالم ، فإى مانع فى المصادقة والفوضى يمنع تغيير شىء فى مجاريهما احتفاظاً بنظامهما الذى هو عدم النظام. و(٥) قال فى صفحة ٤٠ و ٤١ و ٤٢ و ٤٣ :
 حاكياً تعريف محمد عبده للنبي والرسول معترضاً عليه ناقضاً له ما نصه :
 وقد يكون تصوير الانبياء كما صور اولئك الكتاب موافقاً لرأى الشيخ محمد عبده حيث قال فى تعليقاته على شرح الجلال الدوانى للعقائد العضدية بعد ذكر الاقوال فى تعريف النبي صفحة ٣ (اقول قد يعرف النبي بانسان فطر على الحق علماً وعملاً اى بحيث لا يعلم إلا حقاً ولا يعمل إلا حقاً على مقتضى الحكمة ، وذلك يكون بالفطرة اى لا يحتاج فيه الى الفكر والنظر ، ولكن التعليم الالهي ، فان فطر ايضا على دعوة بنى نوعه الى ما جبل عليه فهو رسول ايضا والا فهو نبي فقط ، وليس برسول فتفكر فيه فانه دقيق) ،
 وأنا اقول ليس فى تعريف الشيخ شىء من خصائص النبوة والرسالة لا وحي ولا ملك مرسل ولا كتاب منزل ولا معجزة ، وعليه فمن أين يعرف كونه (لا يعلم الا حقاً ولا يعمل الا حقاً) من اين يعرفه هو نفسه ومن اين يعرفه بنو نوعه اذا دعاهم ، نعم فى تعريف الشيخ (ولكن التعليم الالهي) لكنه يمكن حمل هذا التعليم ايضا على الفطرة ، ثم يرد عليه السؤال المذكور :
 من اين يعرف أنه تعليم آلهى ، ويؤيد ما قلنا ان الشيخ بنى حتى دعوة بنى نوعه على الفطرة لا على امر خاص من ربه كما يؤمر به الانبياء ، حيث قال معرفاً للرسول بعد تعريف النبي (فان فطر على دعوة بنى نوعه الى ما جبل عليه) فنص فى موضعين من هذه الجملة على الفطرة والجبلية ثم ختم كلامه بقوله (فتفكر فيه فانه دقيق) . وتفكر انت ايها القارىء فى ان النبي والرسول على تعريف الشيخ محمد عبده مفتى الديار المصرية سابقا ليس بالنبي والرسول اللذين يعرفهما الاسلام والمسلمون بل الملايون كلهم ، وانما هو رجل من أمثال الذين يشقون بانفسهم فى صحة آرائهم ومبادئهم ، ويأمل

الناس فيهم الصلاح والاصلاح . ولا يكون مراد الشيخ الحاق هذه الطائفة الممتازة من الناس بالانبياء والرسل ، بل مراده تنزيل الانبياء والمرسلين المعروفين صلوات الله تعالى عليهم الى منزلتهم تفاديا من مؤونة الخوارق التي تلازمهم في معجزاتهم وكيفية الايماء اليهم ، تفكر فيه وفي صحافة مصر المنحرفة عن الثقافة الاسلامية الى الثقافة الغربية لاتزال تشيد باسم الشيخ قائل هذا القول والامر في خاتمة بالتفكر الدقيق ، ثم تفكر في انكار الاستاذ فريد وجدي معجزات الانبياء جهارا نهارا على صفحات (الاهرام) اثناء مناقشته اياي في امكانها بله وقوعها ، تلك المناقشة التي استمرت اياما وعين الاستاذ قبل انتهائها مدير (مجلة الازهر) المسماة يومئذ (نور الاسلام) ورئيس تحريرها ، ثم تفكر في كتاب (حياة محمد) لمعالى الدكتور حسين هيكل باشا وهو مثل فؤاد ام موسى في معجزات نبينا الممثلة لحياته المعنوية والتي خصص لها الاستاذ الهندي كاتب حياته صلى الله تعالى عليه وسلم قبيل الكاتب المصري في مجلدات ، مجلدين و (٦) صفحة ٤٤ وما اعجب عقلية الكتاب العصريين لا يرون في انفسهم وهم صفوة الشرق ، ولا في كتاب الغرب وهم قادتهم ، معجزة فينكرون معجزات الانبياء ، ولا يرون في انفسهم قدرة وحماسه في حفظ احاديث نبهم ، ولا لتدقيق ما حفظ الحنماظ حتى ولا دافعا دينيا اليه فينكرون صحة الأحاديث المحفوظة ، ويحطون من قيمة الدافع الديني ويعلمون انفسهم بدعوى الطريقة العلمية في تأليف الكتب من غير دليل لهم على هذه الدعوى غير تقليد الغربيين . فان كان الغربيون المؤلفون في السيرة المحمدية يلتزمون الطريقة العلمية وينتهجونها في تدقيق حياة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم حين لا ينتهجها ائمة الاسلام المحدثون وكانت الطريقة العلمية توصل منتهجها الى الحق وكان معالى مؤلف (حياة محمد) يعتقد بكون نبوة محمد صلى الله تعالى وسلم حقا ، لزم ان يصدق الغربيون اصحاب التأليف في السيرة المحمدية نبوة محمد صلى الله تعالى وسلم فيسلموا أو ان لاتكون الطريقة التي سلكوها في تدقيق حياته طريقة علمية او ان لاتكون الطريقة العلمية تذهب

بسال كها الى الحق والحقيقة . فلا مندوحة من ان تكون النتيجة المنطقية للمقدمات الثلاث المذكورة احد هذه الامور الثلاثة ولا يمكن نقض هذا الانتاج المنطقي ولو حدث مائة الف (موضه) من الطريقة العلمية يتمسك بها العصريون مستخفين بالمنطق القديم . نعم لامندوحة من احد الامور الثلاثة الاولى التي الزمنها احد الثلاثة الاخرى . وأجدر ما في تلك الثلاث بالرجوع عنه هو كون طريقة الغربيين المؤلفين في حياة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم طريقة علمية أقوم من طريقة علماء الاسلام اهـ)

ثم نقل العلامة التوقادى كلاما نفيسا للعلامة شبلى النعمانى الهندى من مقدمة كتاب له في حياة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم نصه (٧) صفحة ٥٧ ثم ان كل ملة وكل طائفة من معتنقى الأديان تقدر دينها وتفضله على دين غيرها فلو وجهنا سؤالا عاما إلى جميع أهل الأرض عن له الموجودية الفائقة من بين مؤسسى الأديان فلا شك أن الاجابة على هذا السؤال ترد مختلفة بعدد اختلاف مرسلها في الدين ، ولكن إذا زدنا تفصيلا وايضاها في لفظ السؤال فقلنا مثلا : من ذا الذى ضبط جميع نصوص كتابه المنزل عليه ضبطا وثبت حرفيا بموافقة وصداقة لم تكونا من حظ الكتب المقدسة ومن ناحية أخرى قيد ونقل جميع وقائع حياته وجميع أفعاله وأقواله وأسفاره وأخلاقه وعاداته حتى شكل لباسه وصورة تلبسه وخطوط وجهه وكيفية تكلمه ومشيه وطرز معاشرته ، وحتى أكله وشربه ونومه وتبسمه ومساخيه بجميع فروعه وتفاصيله ، فالجواب لا بد أن يكون : محمد صلى الله تعالى عليه وسلم و (٨) صفحة ١٣٨ فيا أيها المتكلمون بلسان الاسلام ، لا تحدثوا الناس من غير ميزان ولا مقياس فمن أسمى ميزان الاسلام على سائر الأديان السماوية أنه ضامن لتلك الأديان أيضا فاذا دخلت شبهة في أصل واحد منها يتأثر الإسلام بها أيضا ولا يسلم من عدواها . فإياكم أن تستهينوا بمعجزات الأنبياء عند إكبار معجزة القرآن أو تستهينوا بالسنة عند اعظام شأن الكتاب فالكتاب لا يتنصل من السنة والقرآن لا يتنصل من التوراة (١٥ - تحذير العبقري)

والانجيل . فانتم تعلمون دعوى اختلاق الشعر الجاهلي بعد الاسلام ولعلكم تعلمون أيضا ما ترمى اليه تلك الدعوى من إثارة الشبهة في القرآن من ناحية الرواية بواسطة إثارة الشك في أمانة الرواة المسلمين مطلقا .

وكانت تلك الدعوى قد قوبلت بضجة في رأى العام الاسلامى بمصر ثم ظهر كتاب الوحي المحمدى فطعن صاحبه في الوحي الموسوى والعيسوى وظهر كتاب « حياة محمد » فطعن صاحبه في سنة سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وظهر الطعن في الطبعة الثانية كل الظهور فلم يحرك كل من ذلك ساكنا في رأى العام وما أخل برغبة المسلمين لا سيما في الكتاب الثانى مع أن صلة السنة بالكتاب وصلة التوراة والانجيل بالقرآن أشد وأقرب من صلة الشعر الجاهلى بالقرآن . والفرق المشهود بين الحالين لا يسفر الا عما طرأ على الاسلام بمرور الزمان من ضعف في الحماسة أو ضعف في التفكير اه وقد ذكر العلامة المذكور حمل محمد عبده انفلاق البحر لموسى عليه السلام على المد والجزر الطبيعيين ، وعدم سماع تلميذه صاحب المنار نص القرآن على معجزة انشقاق القمر ، وطعنه في الأحاديث الواردة في ذلك ودفاعه مع الشيخ المراغى عن كتاب هيكل باشا (حياة محمد) وتخطت شلتوت في تأويل الآيات الدالة على رفع عيسى عليه السلام الى السماء وأبحاثا كثيرة زغيسة غير هذه اه .

انواع المعجزة التي ظهرت منه

عليه الصلاة والسلام ثلاث

أولها وأعظمها القرآن ، المعجزة الخالدة أعجز الثقلين بألفاظه ومعانيه والجمهور على أن اعجازه لكونه في الطبقة العليا من الفصاحة والدرجة القصوى من البلاغة على ما يعرفه فصحاء العرب بسليقتهم وعلماء الفرق بمهارتهم في فن البيان واحاطتهم بأساليب الكلام وهذا مع اشتماله على الإخبار عن المغيبات الماضية والآتية وعلى دقائق العلوم الإلهية وأحوال المبدأ والمعاد ومكارم الأخلاق والارشاد إلى فنون الحكمة العلمية والعملية والمصالح الدينية والدنيوية على ما يظهر للمتدبرين ويتجلى للمتفكرين .
النوع الثاني إخبار القرآن عن الغيوب الماضية والمستقبلية .

أما الماضية : فكقصة نوح وهود وصالح وإبراهيم ولوط وشعيب ويوسف وموسى وعيسى وغيرهم عليهم الصلاة والسلام وفرعون وتلك الأمم التي بادت بتكذيبهم لأنبيائهم على تفاصيلها وطولها واشتمالها على كثير من معجزات أولئك الرسل الكرام من غير سماع من أحد ولا تلقن من كتاب حسبما أشار إليه القرآن الكريم بقوله ﴿ تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا ﴾ . وأما المستقبلية : فمنها ما في القرآن كقوله تعالى في اليهود ﴿ قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين وإن يتمنوه أبداً بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين ﴾ وقوله تعالى ﴿ سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب ﴾ وقوله ﴿ سيهزم الجمع ويولون الدبر ﴾ ، وقوله ﴿ فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا ﴾ ، وقوله ﴿ وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ولم يكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلهم من بعد خوفهم أمنا ﴾ ، وقوله ﴿ ألم غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح

المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم وعبد الله لا يخلف الله وعده ﴿ ١ 〉 ، وقوله ﴿ إن الذي فرض عليك القرآن لرادك الى معاد ﴾ وقوله ﴿ وعدكم الله منافع كثيرة تأخذونها ﴾ ، وقوله ﴿ قل للمخلفين من الاعراب ستدعون الى قوم أولى بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون ﴾ وقوله ﴿ ليظهره على الدين كله ﴾ ، وغير هذه كثير . ومنها ما ليس فيه كقوله عليه الصلاة والسلام لعلي رضي الله تعالى عنه : أشقى الناس رجلان أحيمر ثمود الذي عقر الناقة والذي يضربك يا علي على هذه (يعنى قرنه) حتى يميل منه هذه (يعنى لحيته) أخرجه أحمد والحاكم بسند صحيح ، وقوله لعلي رضي الله تعالى عنه (تقتلك الفئة الباغية) أخرجه الشيخان ، وقوله (زويت لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وسيلبلغ ملك أمتي ما زوى لي منها) أخرجه الإمام مسلم بن الحجاج في صحيحه عن ثوبان مرفوعاً ، وقوله (الخلافة بعدى ثلاثون سنة) أخرجه الأئمة أحمد بن حنبل وأبو داود والترمذي والنسائي وأبو يعلى وابن حبان عن سفينة مولى النبي صلى الله عليه وسلم ، وكأخباره عن هلاك كسرى وقيصر وزوال ملكهما وانفاق كنوزهما في سبيل الله . وغير هذه كثير مذكور في مصنفات أئمة الاسلام المعتمدة . وقد اقترن هذا النوع كله بدعوى النبوة فيتميز بذلك عن الكرامات ، وطهارة نفسه الشريفة وأعماله الجليلة وشماله الكريمة وعدم نظره في أحوال الكواكب وآلاتها يميزها عن السحر والكهانة والتنجيم وأشباه ذلك .

النوع الثالث : أفعال ظهرت منه عليه الصلاة والسلام على خلاف العادة تربو على ألف رواها وجمعها أئمة الحديث الاثبات وسموها دلائل النبوة ، فمن صنف فيها الحافظان أبو نعيم الاصبهاني وأبو بكر البيهقي وسمى تصنيف كل منهما بدلائل النبوة بعضها ارهاصية ظهرت قبل النبوة وبعضها تصديقية ظهرت بعدها . وتنقسم إلى أمور ثابتة في ذاته وأمر متعلقة بصفاته وأمر خارجة عنهما . فالأول كولاته عليه الصلاة والسلام محتوناً مسروراً وخاتم النبوة بين كتفيه وطول قامته مع الطويل وتوسطه مع المتوسط ، ورؤيته

من خلفه كرؤيته من قدامه . والثاني كاستجماعه الغاية القصوى من الصدق والأمانة والعفاف والشجاعة والفصاحة والسماحة والزهد والتواضع لأهل المسكنة والشفقة على الأمة والمصابرة على متاعب النبوة والمواظبة على مكارم الأخلاق وكملوغه النهاية في العلوم والمعارف الإلهية ، وتمهيد المصالح الدينية والدينية وكونه مجاب الدعوة - فقد دعا لابن عباس بقوله (اللهم فقهم في الدين وعلمه التأويل) فصار أمام المفسرين ودعا على ابن أبي هب بقوله (اللهم سلط عليه كلها من كلابك) فافترسه الأسد ، وعلى مضر بقوله (اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف) فمنع الله تعالى عنهم القطر سنين ، وعلى سراقه بن مالك المدلجي حين لحقه في طريق الهجرة فساخت قوائمه فرسه في الأرض وقد تقدمت قصته مفصلة . وغير هذا من دعائه كثير مذكور في الصحاح والمسانيد . والثالث كخرو الأوثان سجداً ليلة ولادته صلى الله تعالى عليه وسلم وسقوط شرفات إيوان كسرى وإظلال السحاب عليه . وانشقاق القمر . وتسليم الحجر . ونبع الماء من بين أصابعه . واشباع الخاق الكثير من الطعام اليسير . وحنين الجذع حين انتقل منه إلى المنبر ، وإخبار الشاة المشوية له يوم خيبر بأنها مسمومة ، ودرور ضرع الشاة الحائل عند أم معبد ، وتسليح الجصى ، وغير ذلك مما لا يعد ولا يحصى .

الاسراء والمعراج

من المعجزات القرآنية - الاسراء

الاسراء بروح وجسد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم على البراق يقظة من مكة إلى بيت المقدس ثم عروجه من هذه إلى ما فوق السماء السابعة وفرض الصلاة عليه وعلى أمته ، ورؤيته من آيات ربه الكبرى ثم رجوعه إلى بيته في جزء من الليل من جملة المعجزات التي تفضل بها عليه القادر الحكيم أمر ممكن . ودليل إمكانه إما تماثل الأجسام فيجوز الخرق على السماء كما يجوز على الأرض وعروج الانسان كغيره من الأجسام العلوية . وإما عدم دليل الامتناع لأنه لا يلزم من فرض وقوعه محال . وقد ثبت بالدليل أن خالق العالم قادر على كل الممكنات وثبت أن حصول الحركة البالغة في السرعة إلى هذا الحد في جسده عليه الصلاة والسلام ممكن فوجب كونه تعالى قادراً على هذا الممكن وقد جاء في القرآن أن الريح كانت تسير بسليمان عليه السلام إلى البلدان البعيدة في الزمن اليسير قال تعالى ﴿ ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر ﴾ بل الحس يدل على أن الرياح تنتقل عند شدة هبوبها من مكان إلى مكان في غاية البعد في اللحظة الواحدة وهذا يدل على أن مثل هذه الحركة السريعة ممكنة في نفسها .

ودل القرآن أيضا على أن الذي عنده علم من الكتاب أحضر عرش بلقيس من أقصى اليمن إلى الشام في مقدار لمح البصر قال تعالى ﴿ قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك ﴾ . وإذا كان ممكنا في حق بعض الناس علمنا أنه في نفسه ممكن الوجود فادعاء استحالة المعراج باطل لأنه مبني على أصول الفلاسفة من امتناع الخرق والالتئام على السماوات والخرق والالتئام عليها جائز عند أهل الحق والقول بجواز الاسراء والمعراج وثبوتهما فرع عن تسليم

جواز أصل النبوة والقول بامتناعهما عقلا طعن في نبوة جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لأن المعجزات من لوازم نبوتهم ونفي لوجود القادر على كل شيء ، والأجسام العلوية والسفلية كلها متماثلة في الجسمية مركبة من الجواهر الفردة المتماثلة يصح على كل واحد منها ما يصح على الآخر بضرورة التماثل المذكور فان أمكن خرق الأجسام السفلية أمكن خرق الأجسام العلوية والله تعالى قادر على كل الممكنات فهو قادر على خرق السماوات على أن النصوص القرآنية قد نطقت بأن للسماء أبوابا تفتح وتغلق فلا عبرة بأوهام الفلاسفة ، قال المحققون دلت الآية الكريمة على الاسراء من مكة إلى بيت المقدس نصاً وصحيح الأخبار من هذه إلى السماوات استفاضة قال تعالى ﴿ سبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى ﴾ . وتقرير الدليل أن العبد اسم للجسد والروح معاً فوجب أن يكون الاسراء حاصلاً بجميع الجسد والروح . ويؤيده قوله تعالى ﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى عَبْدًا إِذَا صَلَّى ﴾ فلا شك أن المراد هنا مجموع الجسد والروح لأن العبد هنا هو محمد صلى الله عليه وسلم جزماً والنهْي له عن الصلاة هو أبو جهل لعنه الله ولا يعقل نهيه له عن الصلاة بروحه دون جسده . ويؤيده أيضاً قوله تعالى في سورة الجن ﴿ وانه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبداً ﴾ فالعبد في هذه أيضاً هو النبي صلى الله عليه وسلم و ﴿ يدعوه ﴾ يعبد ليله بيطن نخلة لما رجع من الطائف ، بالصلاة وتلاوة القرآن ﴿ كادوا ﴾ أي جن نصيبين كما في الصحاح والسير ﴿ يكونون عليه لبداً ﴾ جماعات مزدحمين عليه حرصاً على استماع القرآن وتعجباً بما رأوه من عبادته واقتداء أصحابه به وإعجاباً بما تلاه من القرآن . ولا تعقل عبادة روح هنا دون جسد كما لا يعقل ازدحام واستماع طائفة من الجن على غير جسد ، والقرآن يفسر بعضه بعضاً ولا يعدل عن الظاهر والحقيقة إلى التأويل إلا عند الاستحالة وليس في الاسراء بجسده حال يقظته استحالة تؤذن بتأويل ، إذ لو كان مناماً لقال بروح عبده ولم يقل بعبده ، وقوله تعالى

﴿ ما زاغ البصر وما طغى ﴾ أى ما عدل عن رؤية ما أمر به من عجائب الملكوت ، وما جاوزها صريح بظاهره فى أنه بجسده يقظة لأنه أضاف الأمر إلى البصر وهو لا يكون إلا يقظة بجسده بشهادة ﴿ لقد رأى من آيات ربه الكبرى ﴾ .

ولو كانت مناما لما كانت فيه آية ولا معجزة خارقة للعادة ، دالة على صدقه وإن كانت رؤيا الأنبياء وحيا إذ ليس فيها من الأبلغية وخرق العادة ما فى اليقظة . قال بعض المحققين فإن قيل لم أسرى به صلى الله تعالى عليه وسلم أولا من مكة إلى المسجد الأقصى ثم عرج به من هذا إلى السماء ولم يعرج به من مكة إلى السماء رأسا؟ فالجواب : أن بيت المقدس هو القبلة الأولى وهو أحد المواضع الثلاثة التى تعمل إليها المطى فجمع له صلى الله عليه وسلم الأسراء بين القبليتين واجتمعت له الفضيلتان والجواب عن كون المعراج صار من المسجد الأقصى إلى السماء ولم يكن من مكة إلى السماء أن ذلك من الله تعالى لحكمة استأثر بها فيجب الإيمان به كما ورد به الخبر من غير تعليل . وإن قلنا إن الحكمة فى ذلك معقولة نقول والله أعلم هو أن يكون ذلك دالا على صدق النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لأنه لو عرج به من مكة لكان الكفار ينكرون ما يدعيه ولا يجد ما يستدل به عليهم ويلحق بسبب ذلك لمن ضعف إيمانه الشك ، فلما أن أسرى به إلى بيت المقدس أولا وسأله الأعداء المنكرون عن أمور فيه يعرفونها اختباراً لصدقه لأنهم يعلمون أنه عليه السلام لم يدخلها قط فهو لا يعرفها قطعا فأخبرهم فى الحال عن كل ما سألوه عنه كان ذلك أكبر آية على تصديقه عليه السلام فيما ادعاه بخلاف أن لو كان الأسراء من مكة إلى السموات رأسا فإنهم يكذبونه جزما لأنهم لا معرفة لهم بالعالم العلوى حتى يسألوه عنه اهـ .
وقريب من هذا ما قاله الخازن فى تفسيره : —

« إن فائدة ذكر المسجد الأقصى فقط دون السماء انه لو ذكر عليه الصلاة والسلام لهم صعوده إلى السماء لاشتد إنكارهم لذلك فلما أخبرهم

انه أسرى به الى بيت المقدس وبان لهم صدقه فيما أخبرهم به من العلامات التي سألوه عنها فيه وصدقوه عليها أخبر بعد ذلك بمعرأجه الى السماء فكان الاسراء كالتوطئة للمعراج اهـ .

قال ابن كثير في تفسيره ما نصه : قال الحافظ أبو الخطاب بن دحية في كتابه (التنوير في مولد السراج المنير) وقد ذكر حديث الاسراء من طريق أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه وتكلم عليه فأجاد وأفاد ثم قال : وقد تواترت الروايات في الاسراء عن عمر بن الخطاب وعلى وابن مسعود وأبي ذر ومالك بن صعصعة وأبي هريرة وأبي سعيد وابن عباس وشداد بن أوس وأبي بن كعب وعبد الرحمن بن قرظ وأبي حبة وأبي ليلي الانصاريين وعبد الله بن عمرو وجابر بن عبد الله وحذيفة وبريدة وأبي أيوب وأبي امامة وسمرة بن جندب وأبي الحمراء وصهيب الرومى وأم هانئ وأسماء وعائشة ابنتى أبي بكر رضى الله تعالى عن جميعهم قال فحديث الاسراء أجمع عليه المسلمون وأعرض عنه الزنادقة والملحدون يريدون ليطغئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون اهـ . فهؤلاء خمسة وعشرون صحابيا . وذكر الزرقانى فى شرحه على المواهب اللدنية انه رواها عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم خمسة وأربعون صحابيا وسرد بقية منهم الخليفتان الصديقتى الاكبر وذو النورين رضى الله تعالى عنهما .



تخطيطه في معجزة الاسراء والمعراج

وترجيحه القول بكونهما مناماً وابطال ذلك باسهاب
اتفق المؤلفون من علماء الاسلام على إدراج حادثة الاسراء والمعراج
في مؤلفاتهم قبل الكلام على هجرته عليه السلام وقد خالفهم هذا المحاضر
فذكر الهجرة أولاً ، ثم ذكر الاسراء والمعراج بعدها وإنما ركب هذا
الشدوذ ليتسنى له التشبث بما نسب الى عائشة ومعاوية رضى الله تعالى عنهما
من كونهما كانا مناماً لا يقظة فيتخلص بذلك من هذه المعجزة القرآنية التي
لم يمكنه حذفها من كتابه كما حذف غيرها من المعجزات التي ثبتت بسنته عليه
السلام وعادة هذا المحاضر وحزبه التي تحققنا هاهنهم عدم اعتبار سنته
عليه الصلاة والسلام مهما بلغت درجتها في الصحة والثبوت بل ولوتواترت
مالم تكن موافقة لاهوائهم فاذا وجدوا في الاحاديث ما يوافق اهواءهم
فهم متمسكون به أشد التمسك ولو كان أوهى من بيت العنكبوت مصادماً
لصريح القرآن ، قال الخضرى صفححة ٨٩ (وقد اختلف المؤرخون في
الوقت الذى فرضت فيه الصلاة : فقال بعضهم إنها فرضت ليلة الاسراء
حينما عرج برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى الملاء الأعلى وقال
آخرون : بل قبل ذلك اه.) اقول اتفق علماء الاسلام على ان الصلاة
فرضها الله تعالى ليلة الاسراء والمعراج فهذا الخلاف الذى نصبه
حضرته باطل ، ومن المضحك تعبيره بقوله اختلف المؤرخون ،
كأن أئمة السلف من الصحابة وغيرهم منقسمون الى مؤرخين وغير مؤرخين ،
فالمؤرخون منهم هم الذين اختلفوا في هذه المسألة العويصة او كلهم مؤرخون
لا يعرفون غير التاريخ لانه رأس العلوم وأدقها عنده ولا ندرى ماوجه
حيده عن التعبير ب (اختلف العلماء) الذى هو اللفظ العام والطريقة
المسلوكة للمؤلفين في مؤلفاتهم . قال الخضرى : في الصفحة نفسها (وقد
اتفق المؤرخون على وقوع الحادثة ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

بمسكة لان السورة مكية ولسكنهم لم يعينوا وقتها بالضبط وان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اخبر بها قومه في صبح تلك الليلة فكانت مشاراً لعجبهم وسخريتهم ، وصدق بها المؤمنون وفي مقدمتهم ابو بكر الذي سمي في ذلك اليوم بالصادق ، وكذب بها المشركون وبعض الضعفاء المفتونين من المسلمين حتى إن بعضاً منهم ارتد اه) يقال اذا كان العلماء اتفقوا على وقوع حادثة الاسراء والرسول صلى الله تعالى عليه وسلم بمسكة قبل الهجرة فلم خالفهم أنت ، وذكرتها بعدها ، وقوله ولسكنهم لم يعينوا وقتها بالضبط ، لا يضر ذلك ماداموا متفقين على انها بعد البعثة وقبل الهجرة وقوله وان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أخبر بها قومه في صبح تلك الليلة فكانت مشاراً لعجبهم وسخريتهم الى آخر الكلام هذا كله يدل على ان الاسراء كان يقظة لامناماً ولو كان رؤيا منامية ما كان مشاراً لعجبهم وسخريتهم ولا كان فيها مزية للمؤمنين عن المشركين بتصديقه ولا للمشركين عن المؤمنين بتكذيبه ولما امتاز بها ابو بكر في ذلك اليوم بالتسمية بالصادق بل ولا الرسول عليه الصلاة والسلام بالصادق عند المؤمنين والكاذب عند المشركين إذ لا فضيلة للحالم ولا مزية للنائم ولو كان رؤيا منام لما افتتن به أحد من الناس لضعيف من المسلمين ولا مشرك إذ لا يستبعد الناس عادة على نائم يرى نفسه يخترق السماوات او يطير الى نواح بعيدة من الارض او في مغارها فقد ساق حججاً دامغة لرأيه من حيث يشعر اولا يشعر . قال المحاضر (واختلف المتكلمون في امر الاسراء فروى عن معاوية بن ابي سفيان أن الاسراء كان رؤيا صابقة رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم . وروى عن عائشة ان الاسراء إنما كان بروحه لان جسمه لم يزل في مكانه ، ونرى ان نتيجة القولين واحدة لان الاسراء بالروح ليس معناه ان الجسم قد مات اذ لم يقل بهذا القول احد لا عائشة ولا غيرها ، وانما تلك الروح الطاهرة اطلعها الله تعالى في حالة النوم على شيء من الآيات التي هي في جهات بعيدة عن موطنها ، والرؤيا كما قدمنا نزع من الوحي للأنبياء ويستدل

اصحاب هذا الرأي بقوله تعالى في السورة نفسها ﴿ وما جعلنا الرؤيا التي
أريناك الا فتنة للناس ﴾ ، وقد قال الحسن البصري راوى حديث الاسراء
فانزل في ذلك قوله تعالى ﴿ وما جعلنا الرؤيا ﴾ الخ اه . اقول : القول بأن
الاسراء كان مناماً لا يقظة منسوب لعائشة ومعاوية رضى الله تعالى عنهما
وهو قول واحد مقابل لقول جمهور الامة الاسلامية الصحابة فمن بعدهم
لا قولان كما هذى به بقوله واختلاف المتكلمون في امر الاسراء وبقوله
فروى عن معاوية انه كان رؤيا صادقة ، وروى عن عائشة انما كان بروحه ،
وبقوله . ونرى ان نتيجة القولين واحدة الى آخر هرائه ، وسيأتى التحقيق في
ابطال نسبة هذا القول لام المؤمنين ومعاوية ونسأله وأمثاله الذين لا يقيمون
للرواية وزناً . من اى طريق وصل اليكم ان عائشة ومعاوية كانا يستدلان
على ان الاسراء مناماً لا يقظة بهذه الآية ؟ وهل معناها عند المفسرين
محصور في كون الاسراء مناماً لا يقظة ؟ وجوابهم ان يقولوا نقله العلماء
عنهما فقلنا بما نقلوه فيقال لهم اذا انتم مقلدون وتقليدكم مبنى على الهواء
فان العلماء انما نسبوا اليهما القول بانه كان مناماً ولم ينسبوا اليهما انهما
احتجا بهذه الآية على رأيهما بل ثبت عنهما كما سيأتى في كلام القرطبي في
تفسيرها ما يدل على ان الاسراء كان يقظة لا مناماً عكس دعواكم فاذا
قولكم هذا عليهما كذب لا محالة ، واحتجاجكم بها على انه كان مناماً
فاسد معكوس بل هى حجة ظاهرة لعلماء الاسلام على انه كان يقظة
لان الرؤيا فيها لو كان المراد بها المنامية لما افتتن الناس بها ، والرؤيا
والرؤية تطلق كل واحدة منهما على الاخرى في لغة الضاد كقربى وقربة .
فعلى فرض حصر نزولها في حادثة الاسراء معناها رؤية البصر عند علماء
الاسلام وذلك لا يكون الا في اليقظة فهى دليل لهم على ان الاسراء يقظة
كما قررنا على ان معناها ليس محصوراً في هذا بل ذكر الرازى فيها اربعة
اقوال للمفسرين : هذا ، وقال انه الاصح وقول الاكثرين . الثانى ان الله
أرى نبيه في النوم مصارع مشركى قريش بيدى واقصر عليه النسفى في
تفسيره . الثالث رؤياه انه يدخل هو واصحابه مكة فلما صده المشركون

عام الحديبية كان ذلك فتنة لبعض القوم فانزل الله تعالى ﴿ لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن ﴾ الخ . الرابع انه عليه الصلاة والسلام رأى في منامه بنى مروان ينزون على منبره نزو القردة فسأه ذلك فقبل له انماهى الدنيا اعطوها فسرى عنه وهذا القول قاله من الصحابة سهل بن سعد رضى الله تعالى عنه . والثالث والرابع ذكرهما ايضاً القرطبي والخازن في تفسيريهما والقول بان هذه السورة مكية وهذه الأحوال فى الأقوال الثلاثة إنما كانت بعد الهجرة فلا تصح مجاب عنه بأنه لا بعد فى كونه صلى الله تعالى عليه وسلم رأى مصارع مشركى قريش بيدى فى نومه ثم تحققت رؤيته بعد الهجرة ، ورأى كذلك انه يدخل مع اصحابه مكة محرمين ثم تحققت بعد الهجرة فى عمرة القضاء ، ورأى كذلك ان له بالمدينة منبراً ينزو عليه بنو مروان ثم تحقق ذلك بعد وفاته عليه الصلاة والسلام بدهر ، وقول الخضرى قال الحسن البصرى راوى حديث الاسراء فانزل فى ذلك قوله تعالى ﴿ وما جعلنا الرؤيا ﴾ الخ . من المضحكات فكأنه ماروى حديث الاسراء عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم إلا الحسن البصرى وكأنه يعتقد صحابياً لا تابعياً ، والحسن البصرى أحد المؤمنين من التابعين الذين رووه عن انس بن مالك رضى الله تعالى عنه خصوصاً وانس واحد من خمسة واربعين صحابياً رواه عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وكل واحد من هؤلاء الصحابة رواه عنه امة من التابعين ورواه عن هذه الامم من التابعين اضعافهم من اتباع التابعين وهلم جراً ، ومن هنا قال أئمة الحديث : ان احاديث الاسراء متواترة ، وكلام الحسن هذا الذى احتج به المحاضر حجة عليه ، لان الحسن احتج به على كون الاسراء يقظة لا مناما . قال القرطبي فى تفسيره مانصه : وفى البخارى والترمذى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فى قوله تعالى ﴿ وما جعلنا الرؤيا التى اريناك الا فتنة للناس ﴾ قال هى رؤيا عين أريها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة اسرى به الى بيت المقدس ، قال ﴿ والشجرة الملعونة فى القرآن ﴾ هى شجرة الزقوم .

قال ابو عيسى الترمذى هذا حديث صحيح . وبقول ابن عباس قالت عائشة ومعاوية والحسن ومجاهد وقتادة وسعيد بن جبير والضحاك وابن ابى نجیح وابن زيد . وكانت الفتنة ارتداد قوم كانوا اسلموا حين اخبرهم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه اسرى به . وقيل كانت رؤيا نوم . وهذه الآية تقضى بفساده ، وذلك ان رؤيا المنام لا فتنة فيها ، وما كان احد لينكرها . اهـ).

قال الخضرى : (وجمهور المسلمين على ان الاسراء كان بجسمه ويستدلون على رأيهم بان الاسراء لو كان رؤية ما كان هناك داع لاستغراب المشرکين وضعفاء المسلمين لانه ما الذى يستبعد من اطلاع انسان على اقصى ما فى الارض فى رؤيا يراها اهـ) اقول لم يرد فى السنة الصحيحة ما يدل على ان الاسراء كان يقظة بجسمه وروحه معا لكانت الآية الشريفة ﴿ سبحان الذى اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى ﴾ كافية شافية فى ذلك كل مسلم سلمت عقيدته من الزيغ ومن يحاول تأويلها بالمنام إنما هو مكذب لصريح القرآن وللغة الضاد التى نزل بها مشاق لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم متبع غير سبيل المؤمنين فما ذكره المحاضر من بعض ادلة علماء الاسلام على كون الاسراء يقظة صحيح وليس استدلالهم محصورا فيما ذكره كما توهمه عبارته بقوله (ويستدلون على رأيهم البخ) ، وليست المسألة رأيا كما زعم بل اجماع بعد النص القرآنى الصريح ، ومن ادلة علماء الاسلام ان التسبيح لا يكون إلا فى الامور العظيمة ولا يستعظم ما كان مناما ، ومنها أن العبد بمجموع الجسد والروح عادة ولغة ، ومنها أن مادة اسرى لا تستعمل فى لغة العرب الا فى انتقال الاجسام ، ومنها أن الرؤيا المنامية تستعمل فى الرؤية البصرية فى لغة العرب وقد تقدم ، ومنها فى السنة الثابتة قالت له ام هانىء لا تحدث الناس فيكذبوك ويؤذوك روى الحافظ ابو يعلى وغيره عن ام هانىء انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما اخبرهم بالاسراء الى بيت المقدس ضجوا وأعظموا ذلك حتى قال له المطعم بن عدي كل امرئ قبل اليوم

كان أنما غير قولك اليوم أنا شاهد أنك كاذب نحن نضرب أ كبادا لابل مصعداً
شهرراً ومنحدرراً شهرراً تزعم أنك قد أتيت في ليلة لا اصدقك. فقال : ابو بكر
يامطعمم بئس ماقلت لابن اخيك جبهته وكذبتة أنا اشهد انه صادق، فسأله
عن صفة بيت المقدس ولم يأت به عليه السلام قبل ذلك فوصفه لهم ، ومنها
سؤالهم له عن غيرهم فاخبرهم بها وانها تصل يوم الأربعاء يقدمها جمل
اورق عليه غرار تان فكان كما وصف ، ومنها ارشاده اصحاب البعير على
مكان البعير الذي ند لهم فوجدوه وشربه من إنائهم وهو مغطى وغير هذه .
قال الخضرى (بعض المؤرخين يميلون الى رأى عائشة ومعاوية
لا لأنهم يحيلون ان يقع للأنبياء امر خارق للعادة ، بل لأنهم لا يتمسكون
من هذه الخوارق الا بما شاهده رواته عيانا وصرحوا بمشاهدته في رواياتهم
ووصل اليهم من طرق مأمونة الخطأ او صرح به الكتاب اه) . اقول :
المحاضر مولع بلفظ المؤرخين قال فيما سبقت وقد اختلف المؤرخون في الوقت
الذى فرضت فيه الصلاة ، وقال ايضا وقد اتفق المؤرخون على وقوع
الحادثة ورسول الله بمكة ، وهنا قال : بعض المؤرخين يميلون الخ كما انه
حذر من تعيين اسم إمامه الذى قلده في انكار الملائكة والجن والشياطين
وانكار الخوارق للعادة وهو « محمد عبده » قال فيما سبق في بحث الوحي
حاكياً عنه خطله في تعريف الملائكة والشياطين ويسمى بعض فلاسفة
المسلمين القوة الخ وقال حاكياً عنه هنا بعض المؤرخين يميلون الى رأى
عائشة ومعاوية ، وتقدم في قصة اصحاب الفيل وفي بحث الوحي انه الذى
سن لا تباعه هذه المصائب ، وقوله لا لأنهم يحيلون ان يقع للأنبياء امر
خارق للعادة تمويه وغش بل هم يحيلونها مطلقا نقوله موهما انهم يؤمنون
بها بهذه الشروط : بل لأنهم لا يتمسكون من هذه الخوارق الا بما شاهده رواته
الى آخر الكلام فاسد ومصيبة كبرى في حق النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
وحق اصحابه رضوان الله تعالى عليهم وهم اس الرواة الذين حملوا الشريعة
كلمها الينا . وشرحه يلزم من ظاهر كلامه هذا ان يكون كل امر خارق

لم يشاهده الصحابة منه عليه الصلاة والسلام وانما اخبرهم به مستحيلاً
اى يكون عليه الصلاة والسلام غير صادق فى اخباره نعوذ بالله من فلتات
اللسان وفساد الجنان فان كثيراً من الخوارق لم يشاهدها الصحابة منه
كاخباره عن الامور الغيبية الماضية والمستقبلية وكتاب الله تعالى مملوء بذلك
وسنته عليه السلام كذلك فيلزم تكذيب القرآن ، وتكذيب القرآن يستلزم
تكذيب الآتى به ، وتكذيب الآتى به يستلزم تكذيب مرسله وهو الله
جل جلاله . ومن الخوارق القرآنية اخباره عليه السلام بحادثة الاسراء
هذه فان الناس جميعاً مؤمنهم وكافرهم لم يشاهدها منه ولم يصرح بها
القرآن على رأيهم فتكون مستحيلة . يجب تأويلها وقد اولوها بالمنام وكذلك
قصة اصحاب الفيل اخبر بها القرآن الذى آتى به محمد صلى الله تعالى عليه
وسلم وبينها أحسن بيان لم يشاهدها الصحابة ولم يصرحوا بمشاهدتها وكذلك
جميع الآيات التى أهلك الله بها الامم السابقة والآيات التى منحها الله تعالى
لرسله وجاءت فى القرآن مفصلة واضحة . لا تقبل التأويل كساقاة صالح
واهلاك قومه بالصيحة . وعاد بالريح العقيم . والقاء الخليل فى النار . وخوارق
موسى كقلب العصا حية . واليد البيضاء . وانغلاق البحر . وغيرها وخوارق
عيسى عليه السلام كبراء الائمة والأبرص واحياء الموتى كل هذه لم
يشاهدها الصحابة ولم يصرحوا بمشاهدتها وانما اخبر بها القرآن الذى آتى
به محمد صلى الله تعالى عليه وسلم من عند الله واخباره تعالى ليس صريحاً
عندهم فيجب تأويلها بما يوافق اهواءهم ، وحملنا الرواة فى شرطيه الاولين
(١) ما شاهده رواه عياناً (٢) وصرحوا بمشاهدته فى رواياتهم ، على
الصحابة رضوان الله تعالى عليهم هو المتعين لان التابعين - فمن بعدهم من
الرواة الى وقتنا هذا - لا تعقل مشاهدتهم للمعجزة من محمد عليه الصلاة
والسلام لانهم لم يدركوا زمنه (٣) قال : ووصل اليهم من طرق مأمونة الخطأ
أى وصل الأمر الخارق إلى الرواة من طرق مأمونة الخطأ فان فرضنا الرواة
الواصل اليهم الخارق هم التابعون فهو طعن فى عدالة الصحابة رضوان الله عليهم

الذين عدلهم القرآن واثنى الله تعالى عليهم في آيات كثيرة والطعن في المعدلين طعن في المعدل لهم لأنهم هم الذين أوصلوه الى التابعين .

فاذا كانوا غير مأمونين من الخطأ فالثقة بهم مفقودة وتعديل الله لهم غير مجد وهذه مصيبة عظيمة ، وإن حملنا الرواة الواصل اليهم الخارق على الصحابة أنفسهم فهو مصيبة أعظم لأن الصحابة لا يصل اليهم الخارق من طرق وإنما يصل اليهم من الرسول عليه الصلاة والسلام بمشاهدة ذلك منه والرسول صلى الله تعالى عليه وسلم أمين الله على وحيه لخلقه الصادق فيما بلغه لهم لا يعقل أن يكون طرقاً ، فإن قيل يحمل هذا الشرط الثالث على أتباع التابعين مثلاً بالنسبة للتابعين المشروطة فيهم العدالة والمعنى : ووصل اليهم أى إلى أتباع التابعين من طرق مأمونة الخطأ ، أى من التابعين العدول الضابطين لما روه عن الصحابة . قلت هذا الاحتمال مخالف لظاهر الكلام يلزم عليه تشتيت الضمائر لأن إرجاع ضمير اليهم في هذا الشرط إلى أتباع التابعين الذين لم يتقدم لهم ذكر صراحة وإنما دخلوا في جنس الرواة بعده إرجاعه في الأول والثانى إلى الصحابة رضوان الله تعالى عليهم بعيد ، وبهذا ظهر فساد هذه الشروط التى اشترطوها في إيمانهم بالخوارق كما ظهر فساد قوله . أو صرح به الكتاب ، يعنى أن إيمانهم بالخوارق يشترط فيه ثلاثة شروط (١) مشاهدة روايته للخارق عياناً من الرسول (٢) وتصريحهم بمشاهدته في رواياتهم ، (٣) ووصوله اليهم من طرق مأمونة الخطأ ، أو تصريح القرآن به فانه يقوم مقام الشروط الثلاثة ، وهذا كله تمويه منهم وذر الرماد في العيون . والحقيقة إنهم لا يؤمنون بها مطلقاً وأى تصريح يؤمنون به أوضح من سبحانه الذى أسرى بعبده ، وقد أولوه بالروح مناما وأى تصريح يطلبون فوق تصريح الله بحادثة أصحاب الفيل وقد زادوا على نصوصها ما لم يقله الله تعالى .

وأى تصريح يطلبون فوق تصريح الله بقصة الملائكة وآدم وابلis (١٧ - تحذير العبرى)

وقد قال إمامهم فيها انها كلها تصوير وتمثيل وأى تصريح يقصدون وقد قال أيضا فى نفخ إسرافيل فى الصور : إنه تمثيل لبعث الله تعالى الناس يوم القيامة بسرعة وأى تصريح يصدقون به فوق إخبار الله بتفتيح السماء أبواباً عند القيامة وانفطارها وانشقاقها ، وقد قال أيضا تفتيح السماء عبارة عن تغيير نظام الكون وانفطارها وانشقاقها فساد تركيبها واختلال نظامها ، وأى تصريح يطلبون فوق انفلاق البحر لموسى عليه الصلاة والسلام وقد قال فيه أيضا إنه عبارة عن المد والجزر الطبيعيين ، وأى تصريح يريدون فوق ﴿ قوله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر ﴾ وقد أولوها بمعنى ظهر الحق وأى تصريح يطلبون فوق نصوص القرآن الكثرية الدالة على ان الملائكة والجن والشياطين أجسام وقد أولوها بقوى معنوية ، فهل أبقوا فى القرآن صريحا بعد هذا الخطب العظيم حتى يتمسكوا به وهل أبقوا بعد هذا الوثوب على النصوص القرآنية بالتأويلات الفاسدة للباطنية شيئا لم يوافقهم عليه ، قال الخضرى حاكيا حجج مشايخه المائلين لرأى عائشة ومعاوية رضى الله عنهما (قالوا إن إقدام عائشة ومعاوية على القول بأن الاسراء كان رؤيا صادقة يدل على أن هذا القول لم يكن بدعا فى زمنهما لانه لم ينقل إلينا التاريخ أن أحدا قام فى وجههما راداً عليهما رأيهما ، بل بالعكس رأينا ابن اسحق يقول فلم ينكر ذلك من قولهما لقول الحسن ان هذه الآية : ﴿ وما جعلنا الرؤيا التى أريناكما ﴾ الخ . أنزلت فى ذلك اه .) أقول رأى عائشة رضى الله تعالى عنها هذا الذى تمسك به المنكرون للخوارق موضوع عليها قال الحافظ بن دحية فى كتابه التنوير انه موضوع عليها وقال فى معراج الصغير قال إمام الشافعية أبو العباس بن سريج : هذا حديث لا يصح وانما وضع ردأ للاحاديث الصحيحة ، وأجاب بعض العلماء على تقدير صحته بأربعة أوجه : الأول العلة القادحة فى متنه ، الثانى انقطاع فى سنده ، الثالث راو واحد فى سنده ، الرابع قولها بضده .

أما الاول فاضطراب الرواية عنها في رأيها هذا فقد روى عنها ما فقد جسده الشريف ولكن أسرى بروحه وعلى هذه الرواية لم تسكن حدثت به عن مشاهدة وإنما حدثت به عن غيرها وعلى هذا فلا يرجح رأيها والحالة هذه على رواية خمسة وأربعين صحابيا في مقدمتهم الخلفاء الأربعة إلا زائف جاهل جهلا مركبا أو معاند لا يقيم للصحابة والأمة الإسلامية جمعاء وزناً ، وروى عنها ما فقدت ببناء الفعل للفاعل وضم التاء وهذه الرواية تقتضى أن الاسراء كان بعد دخوله عليه الصلاة والسلام بها ودخوله بها إنما كان بعد الهجرة وعمرها تسع سنين وقد أجمع العلماء على أن الاسراء كان قبل الهجرة وبعد البعثة وحينئذ تحقق بطلان هذه الرواية أيضا وظهر الاضطراب في الرأى .

٢- وأما انقطاع السند اليها فذلك ظاهر من قول ابن اسحاق حدثني بعض آل أبى بكر أن عائشة كانت تقول النخ : فقلوله أن عائشة ، هذا انقطاع في السند قطعاً لأن هذا البعض المنسوب لابى بكر لم يصرح بسماعه من عائشة فيحتمل على أقل تقدير أن يكون الساقط في السند بينه وبينها راوياً واحداً وقد حذفه ولم يسمه على أن هذا البعض المنسوب للصديق مجهول .

٣- وأما الراوى الواهى فهو ابن اسحاق فجمهور أئمة الرواية على أنه غير ثقة في الحديث رغم كونه إماماً في السيرة .

٤- وأما قولها بضد هذا الرأى المنسوب اليها فقد تقدم في كلام القرطبي الذى نقلناه في تفسير قوله تعالى ﴿ وما جعلنا الرؤيا التى أريناك إلا فتنة للناس ﴾ إنها هى ومعاوية والحسن البصرى رضى الله تعالى عنهم قالوا كالجهور انها رؤيا عين أريها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم . وثبت عنها فى الصحيح من طريق مسروق انه سأها هل رأى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ربه ليلة الإسراء والمعراج فأسكرت ذلك أشد الانكار وقالت من زعم أن محمداً صلى الله تعالى عليه وسلم رأى ربه فقد أعظم القرية على الله فلو كان الاسراء والمعراج عندها مناما كما زعموا فى هذه الرواية التى نسبوها اليها لم تنكره لان رؤيا الله تعالى فى المنام جائزة باتفاق العلماء .

فان قيل قال الله تعالى ﴿ ما كذب الفؤاد ما رأى ﴾ فجعل ما رآه للقلب وهذا يدل على أن الاسراء كان مناماً . فالجواب ان هذا يرده امران، الاول قال المفسرون في تفسيرها : معناها لم يوهم القلب العين غير الحقيقة بل صدق رؤيتها . الثانى : قوله تعالى ﴿ ما زاغ البصر وما طغى ﴾ فانه تعالى أسند الرؤيا للبصر على أن عائشة رضى الله تعالى عنها لم تحدث بهذا الرأى المنسوب اليها عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم . وأما معاوية رضى الله عنه فقد كان وقت الاسراء كافراً غير مشاهد له أو شاهده واسكنه كان إذ ذاك من جملة المكذبين له ، ولم يحدث به أيضا عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وإنما هو رأى رآه . فعلى فرض صحته هل يسوغ لمسلم أن يدفع به رواية خمسة وأربعين صحابيا فيهم ساداتهم : علماءؤهم الخلفاء الاربعة وابن مسعود وأبى ابن كعب وابن عمر وابن عباس وابن عمرو وجابر بن عبد الله وأبو زر وحذيفة وأبو سعيد وأبو الدرداء ، وفيهم أبوه أبو سفيان ؟ ! (وقول الخضرى يدل على أن هذا القول لم يكن بدعا فى زمنهما لانه لم ينقل إلينا التاريخ، أن أحداً قام فى وجههما رادا عليهما رأيهما) تهوئش أجوف ، يقابل بالبرهان الآتى ، فيقال : ولم تكن رواية خمسة وأربعين صحابيا بدعا فى ذلك الزمان ولم ينقل التاريخ أيضا أن عائشة ومعاوية حيث كانا محققين فى رأيهما . انهما قاما فى وجه هذا الجرم الغفير من الصحابة القائلين بأنه كان يقظة رادين عليهم . ولم ينقل التاريخ أيضا انهما نفيا الاسراء يقظة ، ولو فعلا ذلك فرضا لرد عليهما صريح القرآن ، واللغة التى نزل بها والمسلمون جميعا .

ونحن نتحدى كل متشبع بما لم يعط أن ينقل لنا هذا ، ولو عن واحد من أئمة الرواية الاقدمين . واحتجاجه بقول ابن اسحاق بقوله (بل بالعكس رأينا ابن اسحاق يقول فلم ينكر ذلك من قولهما) ساقط : لان ابن اسحاق غير ثقة فى الحديث كما تقدم ولا هو من فقهاء الدين ، فلا عبرة بنقله هذا عنهما ، ولا برأيه الموافق لهما .

وقوله لقول الحسن فأنزل الله في ذلك : ﴿ وما جعلنا الرؤيا التي ﴾ الخ صحيح . ولكن لاحجة له في استشهاد الحسن بها على مدعاه . لأنه احتج بها على الذين ارتدوا في حادثة الاسراء .

وهذا دليل على أنه كان يراه يقظة لا مناما ، وقد تقدم ذلك عنه وعن عائشة ومعاوية في كلام القرطبي .

قال الخضرى مطرياً عائشة ومعاوية رضى الله عنهما : (وعائشة زوج الرسول صلى الله عليه وسلم - وإن لم تكن كذلك حين وقوع الحادثة - أدري الناس بما كان من حوادثه التي أكرمه الله بها فمن البعيد أن تكون أقدمت على هذا القول من غير توقيف منه ، والمعروف عنها انها كانت تسأله عن مشكلات القرآن فيفسرها لها . ومعاوية كان خليفة للمسلمين . فيبعد أن يظهر برأى يتفق على خلافه جمهور أمتيه ، خصوصاً في مثل هذه الحادثة الكبرى ، ثم لا يقوم في وجهه الصحابة معارضين ، على حين أنهم كانوا يردون عليه القول رداً شديداً في أيسر الأمور . فكيف بهذا الأمر الجليل اه) .

أقول : قد تقدم بطلان هذا الرأي عن عائشة ، فقوله : وعائشة زوج النبي ، وإن لم تكن كذلك ، إلى آخر ما يتعلق بها كلهراء . . وقوله : (وإن لم تكن كذلك حين وقوع الحادثة) جواب عن قول العلماء : انها لم تكن وقت حادثة الاسراء في سن من يضبط . لأنها صغيرة ، أو لم توجد أصلاً وقولهم هذا حق . وقوله : (أدري الناس بما كان من حوادثه التي أكرمه الله بها) دعوى عريضة عليها رضى الله عنها ، لا ترضى هي أن تدعيها على أى واحد من الصحابة ، فكيف بعلمائهم ؟ فكيف على أيها أعلم الخلق بعد الأنبياء . لفضلها وأدبها وحيائها .

ولو قال المحاضر : عالمة من علماء الصحابة لكان أقرب إلى الحق . أما أدري الناس فمجازفة .

والحقيقة انها عالمة مبرزة خصوصاً فيما يتعلق بمسائل النساء . ولا نكون مجازفين ان شاء الله إذا قلنا في كل واحد من الخلفاء الاربعة وابن مسعود ، وابن عباس انه أعلم منها على أنها لو كانت أدرى الناس على الاطلاق لا يجديهِ شيئاً .

وقوله : فمن البعيد أن تكون أقدمت على هذا القول من غير توقيف منه - أى : من النبي صلى الله عليه وسلم ، جوابه أن نقول : من أبعد البعيد أن يقدم هذا الجرم الغفير من الصحابة على القول بأن الاسراء كان يقظة من غير توقيف من النبي صلى الله عليه وسلم . وقوله : والمعروف عنها انها كانت تسأله عن مشكلات القرآن فيفسرها لها صحيح ، هذا فيها وفي جميع علماء الصحابة فيصح أن يقال في كل واحد منهم : انه كان يسأله عليه الصلاة والسلام عن مشكلات القرآن فيفسرها له فلا ميزة لها في هذا على غيرها .

وقوله : (ومعاوية كان خليفة للمسلمين تقدم بطلان نسبة هذا الرأي لمعاوية رضى الله عنه ، وإذا كان رأى عائشة الصديقة بنت الصديق التي هي أعلم من معاوية بكثير باطلا ، فرأى معاوية أشد بطلانا . وإذا كان الترجيح بالخلافة فلا شك أن قول واحد من الخلفاء الاربعة في هذه الحادثة يرجح قطعاً على رأى معاوية فيها لو صح ، فكيف باتفاق الاربعة فيها ؟ . ولا نظن مسلماً يبلغه اتفاقهم في مسألة من مسائل العلم دون هذه . ومخالفة أى صحابي لهم فيها يقدم رأى ذلك المخالف لهم فيها على اتفاقهم .

وقد جاءت أحاديث كثيرة عنه عليه السلام حاثّة على ملازمة الجماعة والسواد الأعظم من المسلمين ، ومحذرة من الشذوذ لا حاجة لذكرها . منها ما يخص الخلفاء الراشدين : (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى عضوا عليها بالنواجذ) وهو بعض حديث طويل أخرجه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح اهـ . ومنها خصوصاً في الشيخين :

(اقتدوا باللذين من بعدي : أبي بكر وعمر) رواه أحمد والترمذي وابن
ماجة عن حذيفة . زاد العقيلي : (واهتدوا بهدي عمار وما حدثكم ابن
مسعود فاقبلوه) ورواه الروياني بلفظ (اقتدوا باللذين من بعدي من
أصحابي - أبي بكر وعمر واهتدوا بهدي عمار وتعبدوا بعهد ابن مسعود)
وبهذا اللفظ أخرجه الترمذي عن ابن مسعود والطبراني عن أنس . وله
من حديث أبي الدرداء : (اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر فانهما جبل
الله الممدود ومن تمسك بهما فقد تمسك بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها)

وقوله : (فيبعد ان يظهر برأى يتفق على خلافه جمهور امته ، خصوصاً
في مثل هذه الحادثة الكبرى ، ثم لا يقوم في وجهه الصحابة معارضين
المخ الكلام) تهوئش أجوف . وذلك ان ظهوره بهذا الرأي فرع عن
ثبوته عنه ولم يثبت من أصله وعلمه باتفاق الصحابة مهاجرين وأنصاراً مع
تقدير ثبوته عنه يبعده كل البعد عن الشذوذ عنهم ومضادتهم وقيامهم في وجهه
معارضين له مفرع عن تحديه لهم برأيه وتحديه لهم به مفرع عن ثبوته عنه
ولم يثبت فلم يقع تحديه لعدم الثبوت ...

وقوله : (على حين انهم كانوا يردون عليه القول رداً شديداً في أيسر
الأمور ، فكيف بهذا الأمر الجليل) صحيح يردون عليه ولكن في المسائل
العظيمة لا في أيسر الأمور كما سنذكر بعضاً من ذلك . على انه لو صح عنه من
الممكن ان يكون غير عالم باتفاق الصحابة المخالف له وعلى تقدير علمه
باتفاقهم يمكن ان يظن انه موافق لرأيه ، وخفاء هذا على كلا الاحتمالين
عليه غير بعيد .

قال العلماء : كان معاوية رضي الله عنه يرى ان النهي والتحريم في
بيع الذهب والفضة متفاضلاً انما هو في الدينار المضروب والدرهم المضروب ،
لا في التبر من الذهب والفضة بالمضروب ولا في المصوغ بالمضروب ، حتى
وقعت له قصة في خلافة القاروق مع عبادة بن الصامت رضي الله عنه وذلك ؛
انه غزا الروم وفي جيشه عبادة ، فغنموا غنائم كثيرة . منها أوان من فضة

فأمر معاوية ببيعها في أعطيات الناس فتنازع الناس في ذلك فبلغ عبادة ابن الصامت ذلك ، فقام وقال : انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهى عن بيع الذهب بالذهب والفضة بالفضة والبر بالبر والشعير بالشعير والتمر بالتمر والمالح بالمالح إلا سواء بسواء عينا بعين ، من زاد أو ازداد فقد أربى . فرد الناس ما اخذوا فبلغ ذلك معاوية فقام خطيباً فقال : (ألا ما بال رجال يحدثون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم احاديث قد كنا نشهده ونصحبه فلم نسمعها منه) فقام عبادة واعد القصة ثم قال : (لنحدثن بما سمعنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وإن رغم معاوية . ما أبالي ان لا أصحبه في جيشه ليلة سوداء) قال قبيصة بن ذؤيب : إن عبادة بن الصامت رضى الله عنه أنكر على معاوية شيئاً فقال له : لا أساكنك بأرض أنت فيها ورجع الى المدينة ، فقال له أمير المؤمنين عمر : ما أقدمك ؟ فأخبره فقال : (ارجع الى مسكانك ، قبح الله أرضاً لست فيها يا عبادة ولا أمثالك) وكتب الى معاوية : (لا إمارة لك على عبادة)

خرج هذه القصة الإمام مسلم بن الحجاج في صحيحه وغيره من أئمة الحديث . وقد وقعت لمعاوية قصة مثل هذه مع ابى الدرداء رضى الله عنه فهذا يبطل جعجة غلوه في إطار معاوية . ولم يختلف العلماء في كون فعل معاوية في هذه القصة غير جائز ، وانه غير مستنكر ولا مستبعد ان يخفى على معاوية ما قد علمه عبادة وابو الدرداء رضى الله عنهما وهما أعلم وأفضل منه ، فإنهما جليلان من فقهاء الصحابة وكبارهم . وقد خفى على شيخى الإسلام : الصديق الأكبر والفاروق ما وجد عند غيرهما ممن هو دونهم من الصحابة ، فمعاوية أخرى .. وحيث قد أبطلت الكثير من كلامه في حادثة الاسراء ، فلا حاجة الى تتبع بقية خطله ...

قال الخضرى في آخر هذه المحاضرة : (بما شرع في آخر أيامه بمكة : الاذن له بالقتال) قلت : الاذن له صلى الله عليه وسلم بالقتال انما شرع بالمدينة في أو السنة الثانية للهجرة في شهر صفر ، فكلامه غير صحيح ...

المحاضرة الثانية عشرة

فيها في غزوة بدر ستة مأخذ على الخضرى . الأول : وعده الله للمؤمنين باحدى الطائفتين . إما العير وإما النفير إلى : الجيش . وقد تحقق هذا الوعد في الجيش بقتل سبعين منهم واسر سبعين . قال تعالى في سورة الأنفال : ﴿ واذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين ﴾ وهذا الوعد من المعجزات القرآنية الغيبية التي وقعت وتحققت كما أخبر تعالى .

الثاني : رؤيته عليه السلام مصارع القوم ببدر قبلها وتعينها لأصحابه في محل المعركة بعد أن استشار عليه السلام أصحابه في الطريق وهو ذاهب إلى بدر ، فأجابوه بالسمع والطاعة ، وبما يقر عينه في جهاد المشركين . قال لهم عليه السلام : سيروا وأبشروا فإن الله تعالى قد وعدني إحدى الطائفتين ، والله لكأنى الآن أنظر إلى مصارع القوم .

أخرج الامام مسلم بن الحجاج في صحيحه عن أنس بن مالك رضى الله عنه : أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه حدثه عن أهل بدر قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرينا مصارع أهل بدر بالأمس ، يقول : (هذا مصرع فلان غداً إن شاء الله تعالى ، وهذا مصرع فلان غداً إن شاء الله تعالى وهذا مصرع فلان غداً إن شاء الله تعالى) قال عمر رضى الله عنه : فوالذى بعشه بالحق ما أخطئوا الحدود التي حدها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

الثالث : تمثل الشيطان لقريش قبيل الحرب بصورة شراقة بن مالك ابن جعشم أحد رؤساء بني بكر بن كنانة ورئيس بني مدلج منهم ، وذلك أن بني بكر بن كنانة كانت لهم دماء عند قريش . فلما وصلت قريش إلى بدر تذكروا الدماء التي لبني بكر عندهم فخافوا منهم أن يغيروا على مكة بعدهم ليأخذوا بشأهم منهم فتمثل لهم إبليس في صورة شراقة المذكور

(١٨ - تحذير العبقري)

وقال لهم : انا جار لكم من بنى بكر بن كنانة من ان يأتىكم منهم شىء
تكرهونه . قال الله تعالى : ﴿ واذ زين لهم الشيطان اعمالهم وقال لا غالب
لكم اليوم من الناس وانى جار لكم ﴾ اى : من بنى كنانة ﴿ فلما ترآت
الفئتان ﴾ اى : التقى الجمعان ، ورأى ابليس الملائكة قد نزلوا من السماء
نكص على عقبيه وقال : انى برىء منكم ، رجع مدبراً هارباً ، وكانت يده
فى يد الحارث بن هشام المخزومى ، فقال له الحارث : أفراراً يأسراً
من غير قتال ؟ فقال : ﴿ أنى أرى ما لاترون انى اخاف الله والله شديد
العقاب ﴾ .

وفى موطأ الامام مالك عن طلحة بن عبيد الله بن كـ ريز أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال : (مارأى الشيطان نفسه يوماً هو فيه أصغر ولا
أحقر ولا أدحر ولا أغيط منه فى يوم عرفه ، وما ذاك الا لما رأى من
تنزل الرحمة ، وتجاوز الله عن الذنوب العظام ، إلا مارأى يوم بدر) . .
قيل ومارأى يوم بدر يارسول الله ؟ قال : (اما إنه رأى جبريل يزع الملائكة)
ومعنى يزع الملائكة يكفهم ويصفهم للقتال . والوازع هو الذى يتقدم
ويتأخر فى الصف ليصلحه .

الرابع : نزول الملائكة مدداً للمسلمين ، مقاتلين كقتال الانس . قال
تعالى : ﴿ اذ تستغيثون ربكم ﴾ المستغيث هو النبي صلى الله عليه وسلم .
روى الامام مسلم عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : حدثنى عمر
ابن الخطاب رضى الله عنه قال : (لما كان يوم بدر نظر رسول الله صلى
الله عليه وسلم الى المشركين وهم الف وأصحابه ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً ،
فاستقبل نبي الله صلى الله عليه وسلم القبلة ثم مديده فجعل يهتف بربه يقول :
(اللهم أنجزلى ما وعدتنى . اللهم آتنى ما وعدتنى ، اللهم إن تهلك هذه العصابة
من أهل الاسلام لا تعبد فى الأرض) ، فما زال يهتف بربه ماداً يديه حتى
سقط رداؤه عن منكبيه فأتاه ابو بكر فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه ثم
الزمه من ورائه وقال : يا نبي الله كفالك مناشدتك ربك فانه سينجز لك

ما وعدك فأَنْزل الله تعالى : ﴿ اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أنى ممدكم بألف من الملائكة مردفين ﴾ فأمدّه الله بالملائكة .

قال سماك حدثني ابن عباس رضى الله عنهما قال : بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتد في إثر رجل من المشركين امامه اذ سمع ضربة بالسوط فوقه - وصوت الفارس يقول : اقدم حيزوم ، إذ نظر الى المشرك أمامه خرمستلقيا فنظر اليه فاذا قد حطم أنفه وشق وجهه كضربة السيف ، فأحصى ذلك أجمع. وجاء فحدث بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال صدقت ذلك من مدد السماء - الثالثة . ومعنى : ﴿ مردفين ﴾ متتابعين تأتي فرقة بعد فرقة . وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم لما ناشد ربه وقال أبو بكر ان الله سينجز لك ما وعدك ، خفق رسول الله صلى الله عليه وسلم خفقة وهو في العريش ثم انتبه فقال : يا أبا بكر اتاك نصر الله : هذا جبريل آخذ بعنان فرسه يقوده على ثناياه النقع .

وأخرج البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم بدر : هذا جبريل آخذ برأس فرسه عليه أداة الحرب . ومن رأى الملائكة يومئذ من المشركين أبو سفيان بن الحارث ، وسهيل بن عمرو رضى الله عنهما . ومن رآهم من الصحابة أبو أسيد الساعدى رضى الله عنه ، قال بعدما ذهب بصره لأصحابه لو كنت معكم اليوم بيدى ومعى بصرى لأريتكم الشئ الذى خرجت منه الملائكة . قال الله تعالى ﴿ ولقد نصركم الله بيدى وأنتم أذلة فاتقوا الله لعالمكم تشكرون . اذ تقول للمؤمنين ألن يكفئكم ان يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين . بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين ﴾ والسيمما العلامة .

الخامس : رمية صلى الله عليه وسلم قریشاً بكف من تراب . قال له جبريل عليه السلام : خذ قبضة من تراب فارمهم بها فرمى به عليه السلام وجوه القوم وقال : شاهت الوجوه يعنى : قبحت الوجوه ، فلم يبق مشرك

إلا ودخل في عينه وفمه ومنخره من ذلك التراب شيء ، فأنزل الله تعالى في ذلك: ﴿ وما رميت - اذ رميت ولكن الله رمى ﴾ يعنى ما أوصلت التراب إلى جميع المشركين برميته ولكن الله (رمى) أى : أوصلها إليهم ، فصورة الرمي صدرت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وتأثيرها في المشركين صدر من الله تعالى فنفى عنه صلى الله عليه وسلم باعتبار التأثير وإثباته له باعتبار الكسب ، وإثباته لله تعالى باعتبار الخلق والإيجاد فوصله إلى جميع المشركين آية من آيات الله .

السادس : قاتل عكاشة بن محص الأسد يوم بدر بسيفه حتى انقطع في يده فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاه جندلاً أى عرجوناً وقال له : قاتل به فهرزه فعاد في يده سيفاً طويلاً القامة ، شديد المتن ، أبيض الحديد فقاتل به حتى فتسح الله على المسلمين وكان ذلك السيف يسمى : (العون) ولم يزل عنده يشهد به المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قتل وهو عنده في زمن ردة العرب في خلافة الصديق .

هذا كله لباب من سيرة النبي . والتاريخ تركه المحاضر ... لانه لا يؤمن به وقد أشار إلى الملائكة بعبارة تنطبق على رأيه بقوله : (وزادهم الله تثبيتاً حين الموقعة بما أيدهم به من الملائكة تثبت قلوبهم وتفيض عليهم الطمأنينة والثقة الخ) فالذى يقرأ عبارته هذه قراءة سطحية يظن أنه يؤمن بالملائكة ، أى : أنهم اجسام ولا سيما من أولها إلى قوله : (بما أيدهم به من الملائكة) ولكن اذا أمعن النظر في قوله (تثبت قلوبهم وتفيض عليهم الطمأنينة والثقة) وجد السم مدسوساً في الدسم ان الذى ثبت قلوب الصحابة وأفاض عليهم الطمأنينة والثقة هو الله عز وجل لا الملائكة الذين هم قوى طبيعية عندهم لا اجسام كما دلت عليه نصوص القرآن العربى المبين . ومن يحاول تأويل ﴿ مردفين ﴾ و ﴿ مسومين ﴾ و ﴿ منزلين ﴾ بقوى معنوية فانه عابث بنصوصه ولغته عبثاً قبيحاً ، وأشد منه عبثاً من يقول ﴿ أنى مدكم بألف من الملائكة ﴾ و ﴿ اذ تقول للمؤمنين أن يكفيكم أن يدكم ربكم بثلاثة

آلاف من الملائكة) و (يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة).
فان المفهوم من العدد والمعدود عقلا ولاغة في هذه المواضع انما هو
الذوات . فلو كان المراد بهذه المعدودات كلها قوى طبيعية لكانت هذه
النصوص إطنابا ينافي بلاغة القرآن وإيجازه ، وامكان اللزم على مذهبيهم
التعبير بالأخصر فيقال مثلا : يمددكم ربكم بقوى طبيعية، والقوى الطبيعية
لا تتوقف على عدد واحد مخصوص .

وماذا يصنع هؤلاء في قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله
عليكم إذ جاءكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا و جنوداً لم تروها) ؟ فهل يعقل
في هذه الجنود المرسله من الله على المشركين ان تكون اموراً معنوية؟ او هل
يعقل ان تقابل جنود المشركين بجنود طبيعية لم يرها المشركون والمسلمون
فان كانت هذه الجنود قوى معنوية كما زعموا ففي رؤيتها عن الفريقين المشركين
والمسلمين حينئذ عبث أو تحصيل الحاصل وتكون هذه الجملة في كتاب
الله تعالى : (لم تروها) زائدة لا معنى لها . لأن الأمر المعنوي ليس من
شأنه أن يرى وانما تنفى الرؤية عما من شأنه ان يرى . فدلالت الآية على ان
هذه الجنود المرسله من الله على الاحزاب اجسام غير مرئية ، ولا مانع من
هذا عقلا ، وقد دل عليه السمع .

المحاضرة الثالثة عشرة

وفيهما في غزوة أحد على المحاضر سبع مآخذ : الاول : صراخ إزب العقبة (شيطانها) لما قتل ابن قنينة الليثي مصعب بن عمير العبدري رضي الله عنه وهو حامل لواء المسلمين فظن ابن قنينة انه قتل النبي صلى الله عليه وسلم فصاح ألا أني قد قتلت محمداً ، مبشراً للمشركين وقيل أن الصارخ هو إبليس الأكبر وبه جزم ابن سعد ، وجزم ابن هشام في سيرته بالاول . ولا منافاة بين هذه الأقوال فالثلاثة صاحوا : ابن قنينة لظنه الخائب ، وإزب العقبة وإبليس لمحاولة مالم يصلوا اليه .

وصاح إبليس أيضاً كما في صحيح البخاري أي عباد الله أخراكم ، أي احتارزوا من جهة أخراكم فعطف المسلمون يقتل بعضهم بعضاً وهم لا يشعرون . الثاني رؤياه صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة الجمعة فلما أصبح قال قد رأيت بقرأ تذبج ، ورأيت في ذباب سيفي ثلما ، ورأيت أني أدخلت يدي في درع حصينة . فأما البقر فناس من أصحابي يقتلون ،

وأما الثلم الذي في سيفي فهو رجل من أهل بيتي يقتل ، وأولت الدرع الحصينة المدينة . وقد اعترف المحاضر في أنواع الوحي التي ذكرها سابقاً بأن رؤيا الأنبياء من أقسام الوحي وهي حق فتركه لهذا التاريخ العظيم هنا مع اعترافه به هناك تناقض منه ، وإنما تركه لأن فيه علماً من أعلام نبوته وهو إخباره صلى الله تعالى عليه وسلم عن هذه الأمور قبل وقوعها فوقعت كما أخبر ، وهو مع طائفته منكرون لأعلام النبوة كلها وإن كانت متواترة .

الثالث : أصيبت عين قتادة بن النعمان الأوسي رضي الله عنه بسهم يومئذ حتى وقعت على وجنته فأتى بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذها عليه الصلاة والسلام بيده وردها إلى موضعها وقال اللهم اكسه جمالا ، فكانت أحسن عينيه وأحدهما نظراً ، وقد وفد حفيده عاصم بن عمر بن قتادة على عمر ابن عبد العزيز رضي الله عنه فقال له عمر : بمن الرجل ؟ فقال عاصم :

«أنا ابن الذي سألت على الخدعينه فردت بكف المصطفى أحسن الرد،
 « فعددت كما كانت لأول أمرها فياحسن ماعين وياحسن ماخذ »
 فقال عمر : « تلك المكارم لا قعبان من لبن
 شيئا بماء فعادوا بعد أبوالا ،
 ووصله وأحسن جائزته .

الرابع : رمى أبورهم الخفاري بسهم فوقع في نحره (فسمى المنحور)
 فبصق صلى الله عليه وسلم عليه فبرىء .

الخامس : انقطع سيف عبد الله بن جحش رضى الله عنه فأعطاه صلى
 الله عليه وسلم عرجوناً فعاد في يده سيفاً فقاتل به حتى قتل وكان ذلك السيف
 يسمى العرجون ولم يزل يتوارث حتى بيع من بغا التركي أحد أمراء المعتصم
 بالله في بغداد بمائتي دينار ، وهذا نحو حديث عكاشة السابق في غزوة بدر
 إلا أن سيف عكاشة كان يسمى العون ، وهذا يسمى العرجون .

السادس : حضور الملائكة عليهم السلام يومئذ في صورة البشر ،
 أخرج الامام مسلم بن الحجاج في صحيحه في كتاب المناقب عن سعد بن أبي
 وقاص رضى الله تعالى عنه : قال رأيت عن يمين رسول الله صلى الله عليه
 وسلم وعن شماله يوم أحد رجلين عليهما ثياب بيض ما رأيتهما قبل ولا بعد
 يعنى جبريل وميكائيل يقاتلان عنه كاشد القتال ،

السابع : قصة قزمان . قال ابن اسحاق حدثني عاصم بن عمر بن قتادة
 قال كان فينا رجل أتى لا يدري من هو يقال له قزمان وكان رسول الله صلى
 الله عليه وسلم يقول إذا ذكر له : انه لمن أهل النار . قال فلما كان يوم أحد
 قاتل قتالا شديداً فقتل وحده ثمانية أو سبعة من المشركين وكان ذا بأس
 فأثبتته الجراحة فاحتمل إلى دار بني ظفر ، قال فجعل رجال من المسلمين
 يقولون له : والله لقد أبليت اليوم يا قزمان فابشر ، قال بما ذا أبشر فوالله
 إن قاتلت الا عن أحساب قومي ولولا ذلك ما قاتلت . قال فلما اشتدت
 عليه جراحته أخذ سهماً من كنانته فقتل به نفسه اه . من سيرة ابن
 هشام بالحرف .

المحاضرة الرابعة عشرة

قال الخضرى فيها فى غزوة الخندق (وجاءت غطفان حتى نزلوا بذي
نعمى الى جانب أحد) . الصواب نلقى بفتح النون والقاف والميم مقصوراً
وقد ترك فى هذه الغزوة من لباب سيرة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
وأعلام نبوته عليه الصلاة والسلام ست مسائل مهمة لأنها لا توافق هواه
الأولى : ثبت فى الصحاح والمسانيد أن الصحابة رضوان الله تعالى عليهم
لما كانوا يحفرون الخندق عرضت لهم فى بعض الخندق كدية شديدة صخرة
لا تأخذ فيها المعاول فشكوها للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقام عليه
السلام وبطنه معصوب بحجر فقال بسم الله وضربها بالمعول فقطع ثلثها
وخرج منها نور أضاء ما بين لا بتى المدينة وقال الله أكبر أعطيت مفاتيح
الشام والله انى لا بصر قصورها الحمر الساعة ، ثم ضرب الثانية فقطع ثلثاً آخر
فقال الله أكبر أعطيت مفاتيح فارس والله انى لا بصر قصر المدائن الايض
الآن .

ثم ضرب الثالثة وقال بسم الله فقطع بقية الحجر وخرج نور من قبل اليمن
فأضاء ما بين لا بتى المدينة فقال الله أكبر أعطيت مفاتيح اليمن والله انى
لا بصر أبواب صنعاء من مكانى الساعة .

الثانية : خبر الحفنة من التمر الذى جاءت به ابنة بشير بن سعد لايبها
وغالها عبد الله بن رواحة ليتغديا به فقال لها صلى الله عليه وسلم هاتيه فصبتة فى
كفيه فما ملأهما ثم أمر بثوب فبسط له ثم قال لا انسان اصرخ فى أهل الخندق
أن هلم الى الغداء فاجتمعوا عليه فجعلوا يأكلون وجعل يزيد حتى صدروا
عنه وإنه ليستقط من أطراف الثوب رواه بن اسحاق .

الثالثة : شيع أهل الخندق من الصحابة وهم الف من صاع شعير
وعناق . أخرج الشيخان عن جابر بن عبد الله رضى الله تعالى

عنهما قال رأيت برسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نحفر الخندق يوماً خمصاً شديداً فانكفيت إلى امرأتى فقلت هل عندك شيء فأتى رأيت بالنبي صلى الله عليه وسلم خمصاً شديداً فأخرجت جراباً فيه صاع من شعير ولنا بهيمة داخن فذبها وطحن الشعير حتى جعلت اللحم في البرمة ، ثم جئت النبي صلى الله عليه وسلم فساررتة فقلت يا رسول الله ذبحنا بهيمة لنا وطحننا صاعاً من شعير فتعال أنت ونفر معك ، فصاح النبي صلى الله تعالى عليه وسلم : يا أهل الخندق إن جابراً صنع سورافحياً بكم ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم لجابر لا تنزلن برمتكم ولا تخبزن عجينةكم حتى آجىء ثم جاء وأخرجت له عجينة فبصق فيه وبارك ثم عمد إلى برمتنا فبصق وبارك ثم قال ادعى خابزة فلتخبز معك واقدهى أى اغرفى من برمتكم ولا تنزلوها ، فأقسم بالله لقد أكلوا حتى تركوه وانحرفوا وأن برمتنا لتغط كما هى وأن عجينةنا ليخبز كما هو .

الرابعة : حديث حذيفة بن اليمان رضى الله عنهما وفيه آيات عظيمة ، أخرج الامام مسلم فى صحيحه عن ابراهيم التيمى عن أبيه قال : كنا عند حذيفة فقال رجل لو أدركت رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتلت معه وأبليت ، فقال حذيفة أنت كنت تفعل ذلك ، لقد رأيتنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الأحزاب وأخذتنا ريح شديدة وقر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا رجل يأتينى بخبر القوم جعله الله معى يوم القيامة فسكتنا فلم يجبه أحد فقال قم يا حذيفة فاتنا بخبر القوم فلم أجد بداً إذ دعانى باسمى أن أقوم قال : اذهب فاتنى بخبر القوم ولا تذعروهم على ، قال فلما وليت من عنده جعلت كأنما أمشى فى حمام حتى أتيتهم فرأيت أبا سفيان يصلى ظهره بالنار ، فوضعت سهماً فى كبسه القوس وأردت أن أرميه فذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تذعروهم على ، ولو رميته لأصعبته فرجعت وأنا أمشى فى مثل الحمام ، فلما أتيتته فأخبرته بخبر القوم وفرغت قررت فألبسنى رسول الله صلى الله عليه وسلم من فضل عبادة كانت (١٩ - تحذير العبقرى)

عليه يصلى فيها ، فلم أزل نائماً حتى أصبحت ، فلما أصبحت قال : قم يا نومان وذكره ابن هشام فى سيرته مطولاً .

الخامسة : قال الله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءكم جنود فأرسلنا عليهم ريحاً ﴾ وهى ريح الصبا .

أخرج أحمد والشيخان عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال (نصرت بالصبا وأهلك عاد بالبور) (وجنوداً لم تروها) يعنى الملائكة عليهم السلام ، ولم يقاتلوا وإنما كانوا يكبرون فى جوانب جيش المشركين ، والريح قلعت الأوتاد وقطعت أطناب الفساطيط وأطفأت النيران وأكفأت القدور ، وماجت الخيل بعضها فى بعض ، وكثر تكبير الملائكة فى جوانب عسكرهم حتى كان سيد كل حى يقول يا بنى فلان النجاء النجاء هلموا إلى فاذا اجتمعوا عنده قال النجاء النجاء ، فانهمزوا من غير قتال لما بعث الله عليهم من الرعب . وفى صحيح الإمام البخارى عن عبد الله ابن أبى أوفى رضى الله عنه قال دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الأحزاب فقال : (اللهم منزل الكتاب سريع الحساب أهزم الأحزاب اللهم أهزمهم وزلزلهم) . وروى الإمام أحمد عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال :

قلنا يوم الخندق ، يا رسول الله هل من شىء نقوله فقد بلغت القلوب الحناجر ، فقال نعم قولوا : (اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا) قال فضرب الله وجوه أعدائنا بالريح فهزمهم بالريح .

السادسة : أخرج الإمام البخارى فى صحيحه عن سليمان بن صرد والبخاري باسناد حسن عن جابر بن عبد الله أن النبى صلى الله عليه وسلم قال بعد انصراف تلك الجموع التى تحزبت عليه خائبين ، وكانوا قد جمعوا له جمعاً كثيرة (لا يغزونكم بعدها أبداً ولكن أنتم تغزونهم) فكان الأمر كما قال عليه السلام . قال الخضرى فى قصه لغزوة الخندق ما نصه :

(وقد استنفرت النعرة بعض الشبان من قریش فاقتحموا الخندق بأفراسهم

فمنهم من وقع فيه وأندق عنقه ، ومنهم من برز له شجعان من المسلمين فقتلوه
ومنهم من فرأه) . أقول كلامه هذا مشتمل على خطأين وإيهام وإيهام
وتدليس . أحد الخطأين في قوله بعض الشبان من قریش . من أنباء إنهم
كانوا شباناً بل كانوا رجالاً وهم عمرو بن عبد ود العامري وهو كبشهم
وأسنهم وكان شيخاً منادماً لأبي طالب ولذلك قال لعلي رضي الله عنه لما
بارزه وعرفه : ارجع يا ابن أخي فإن أباك كان صديقاً لي فوالله ما أحب
أن أقتلك ، فقال له علي لكني والله أحب أن أقتلك وهو المقتول وحده من
بينهم ، وهذا مما أطبق عليه كتب السير والتاريخ وهو فيها أشهر من نار على
علم . وضرار بن الخطاب الفهري الشاعر وعكرمة بن أبي جهل وهبيرة بن
أبي وهب ، ونوفل ابن عبد الله المخزوميون ، وهذا الأخير هو الذي سقط
في الخندق بعد رجوعه منهم ما مع رفقاءه لما قتل كبشهم لافي اقتحامه أولاً
كما تدل عليه عبارته وهذا هو الخطأ الثاني في كلامه . وأما الإيهام فيه ففي
قوله (فمنهم من وقع فيه وأندق عنقه ، ومنهم من برز له شجعان من المسلمين
فقتلوه) وفي قوله (ومنهم من فر) وأما الإيهام فالتعبير بمن التي هي من
صيغ العموم ودالة على الجمع إلا بقرينة تعين إنها للمفرد ، ولا قرينة في
كلامه بل فيه ما يعينها للجمع وذلك في قوله (ومنهم من برز له شجعان من
المسلمين) فمقابلة قوله من برز له شجعان من مقابلة الجمع بالجمع قطعاً وحينئذ
ينحل كلامه هكذا : المقتحمون للخندق من شبان قریش اندقت أعناق جمع
منهم ، وجمع منهم برز لهم شجعان من المسلمين فقتلوه ، وجمع منهم فر .
وهو فاسد في الأولين كما بينا ، صحيح في الثالث فإن الفارين ثلاثة . عكرمة
وابن عمه . هبيرة بن أبي وهب . وضرار بن الخطاب . وأما ارتكابه التدليس
فهو لنصبه لأمر المؤمنين حيدرة رضي الله عنه وسيأتي هذا واضحاً في
في محاضراته ولو قال مثلاً : وقد اقتحم فوارس من قریش الخندق منهم
عمرو بن عبد ود فقتله على مبارزة وفر رفقاؤه فسقط منهم في الخندق نوفل
ابن عبد الله فاندقت عنقه لكان موافقاً لأهل السير وسلم من الخطأ والإيهام

والإيهام والتدليس ، وأى ضرر عليه في هذا التعبير .
قال الخضرى : (وبعد الانصراف من الأحزاب انضم إلى صفوف المسلمين قائدان عظيمان من قواد قريش وهما عمرو بن العاص السهمى وخالد بن الوليد المخزومى وذلك يدل أن الحرب قد شرعت تضع أوزارها بين الفريقين وقد كان ذلك . فانه لم تحصل مواقف مهمة بين الفريقين بعد ذلك اه) . أقول دل قوله (وبعد الانصراف من الأحزاب الخ) على أن خالداً وعمراً أسلما عقب غزوة الخندق مباشرة وهو غير صحيح على كلا القولين في وقت وقوع غزوة الأحزاب هل كانت في السنة الرابعة للهجرة كما قاله مالك الامام وموسى بن عقبة في مغازيه وغيرهما ، أو كانت في السنة الخامسة وهو قول ابن اسحق وأكثر العلماء ، وإنما أسلم عمرو وخالد بعد الحديبية وكانت هذه في السنة السادسة ، وقيل أسلما بعد غزوة خيبر وكانت في السنة السابعة أى قبل الفتح ، ويدل لهذا إنه لم يكن لهما ذكر فيها . قال الحافظ بن حجر في إصابته في ترجمة خالد : كان أحد أشراء قريش في الجاهلية وكان إليه أعنة الخيل في الجاهلية وشهد مع كفار قريش الحروب إلى عمرة الحديبية كما ثبت في الصحيح أنه كان على خيل قريش طليعة ، ثم أسلم في سنة سبع بعد خيبر وقيل قبلها ووهم من زعم إنه أسلم سنة خمس اه) .

والذى اوقع الخضرى في هذا الخطأ اختطافه اول كلام ابن هشام في سيرته عن عمرو بن العاص رضى الله عنه قال : (لما انصرفنا مع الأحزاب عن الخندق جمعت رجالاً من قريش الخ) وغفلته عن آخره وهو (ثم خرجت عامداً الى رسول الله صلى عليه وسلم لأسلم فلقيت خالد بن الوليد وذلك قبيل الفتح وهو مقبل من مكة الخ) كما دل على انه لم يكن معها أحد وهو غير صحيح أيضاً . والنقل المعروف : ان خالداً وعثمان بن طلحة العبدري خرجا من مكة مترافقين قاصدين المدينة للهجرة والاسلام فلما وصلا عسفان لقيهما عمرو بن العاص قادماً من الحبشة مسلماً على يد النجاشى وكان نزل بالساحل ولم يعرج على مكة قاصداً ما يقصدانه ، فقال

عمرو لخالد الى اين ياأبا سليمان . قال والله لقد استقام الميسم اى العلامة اى قد تبين الأمر واستقامت الدلالة وروى بفتح الميم والنون اى استقام الطريق ووجبت الهجرة فان الرجل لنبي أذهب والله فأسلم فحتى متى ، قال عمرو قلت والله ما جئت الا لأسلم النخ . وقد لام عبد الله بن الزبيرى السهمى رضى الله تعالى عنه وهو اذ ذاك مشرك عثمان بن طلحة وخالداً على اسلامهما بأبيات مذكورة فى سيرة ابن هشام منها .

فلا تأمن خالداً بعد هذه وعثمان جاءا بالدهيم المعضل وقوله : (قائدان عظيمان من قواد قریش) القائد الذى يوصف بالعظمة انما يطلق غالباً على القائد الاعظم للجيش ولم يكن عمرو بن العاص قبل اسلامه قائداً صغيراً من قواد قریش فضلاً عن كونه عظيمًا وانما كان رسولاً لهم الى النجاشى بل ولا خالداً وانما كانت له اعنة الخيل كما قال ابن حجر وقائد الخيل مندرج فى طاعة القائد الأعظم للجيش . واول تولية خالدا قيادة خيل المشركين فى غزوة احد ، ثم الخندق ، ثم الحديبية خرج طليعة لقریش الى مر الظهران ، ومعلوم ان القيادة العظمى لجيش قریش كانت فى بدر اول الأمر لعتبة بن ربيعة وهو من بنى عبد مناف ثم لما قتل مبارزة قبل اشتباك الحرب تولاها ابو جهل بن هشام وهو ابن عم خالد ، وفى غيرها من الوقائع الى الفتح تولاها ابو سفيان بن حرب وهو ايضا من بنى عبد مناف . وقوله : (وذلك يدل ان الحرب قد شرعت تضع أوزارها بين الفريقين وقد كان ذلك . فانه لم تحصل موافق مهمة بين الفريقين بعد ذلك) غير صحيح فمن اين له هذه الدلالة وكانت قریش مع حلفائهم مصممين على محاربتة صلى الله تعالى عليه وسلم معزين بقوتهم وشوكتهم حتى يوم الفتح لما جاءهم ابو سفيان رئيسهم مسلماً ناصحاً لهم مشفقاً عليهم آمراً لهم بالتسليم قائلاً أتاكم ما لا قبل لکم به ، لم يلتفتوا اليه وخرجوا على رؤسائهم الثلاثة الى الخدمة فدهمتهم جنود الله من ثلاث جهات . فبايعوا النبی صلى الله عليه وسلم وعفا عنهم وقال اذهبوا فانتم الطلقاء ولا يلزم من كون المواقف المهمة

لم تحصل بين الفريقين بعد الخندق، وضع الحرب أوزارها بين الفريقين ، ولم يؤثر اسلام عمرو وخالده وعثمان في رابطتهم وشوكتهم، والسفر في كونهم لم يغزوا المدينة بعد هذه الغزوة بل المسلمون هم الذين غزوههم : إخباره صلى الله عليه وسلم المؤمنين بعد انصراف تلك الاحزاب الى ديارها بقوله : (لا يغزونكم بعدها ابداً ولكن انتم تغزونهم) فكان الامر الواقع كما اخبر عليه الصلاة والسلام ، وهذا من اعلام نبوته التي لا يؤمن بها المحاضر وأشباؤه ويؤمن بها جميع المسلمين (وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى) وقد تقدم هذا الحديث في المسألة السادسة . ومن دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم نزوله عليه الصلاة والسلام بالحديبية على ثمد (حفرة) فيها قليل من الماء فلم يلبثه الناس حتى نزحوه وشكوا اليه عليه الصلاة والسلام العطش فانزع سهما من كنانته ثم امرهم أن يجعلوه فيه فما زال ينفور بالماء حتى صدروا عنه وكانوا الفا وخمسمائة . قال الخضرى : (ولما حال الحول على عمرة الحديبية خرج عليه الصلاة والسلام بأصحابه الذين صدوا في العام الماضى ليقضوا تلك العمرة التي فاتتهم حسب عهدة الحديبية اه) . قوله ليقضوا تلك العمرة الخ غير صحيح وانما سميت عمرة القضاء قضاء للاتفاق الذي صار بين قريش وبينه عليه الصلاة والسلام وهو انه يرجع عنهم هذا العام ويأتى العام القابل ، ولا يدخل مكة بالسلاح الا بالسيوف في القرب ويمسكت بها ثلاثة ايام ولا يزيد عليها ، وعمرة الحديبية تامة معتبرة في عمره الاربع عند العلماء فلا تحتاج الى قضاء وتسمى عمرة القضاء أيضاً عمرة القصاص لانهم صدوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في ذى القعدة في الشهر الحرام من سنة ست فاقترض رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم منهم فدخل مكة في ذى القعدة في الشهر الحرام الذي صدوه فيه من سنة سبع ، قال السهيلي وهذا الاسم أولى بها . ومن دلائل نبوته صلى الله تعالى عليه وسلم إخباره عن قتل امرأ جيش مؤتة الثلاثة : زيد بن حارثة مولاه وجعفر بن ابى طالب وعبد الله بن رواحة يوم الواقعة وفي مغازى موسى

ابن عقبة أن يعلى بن أمية رضى الله تعالى عنه قدّم بخبر اهل مؤتة فقال له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إن شئت فاخبرنى وان شئت اخبرتك قال أخبرنى فأخبره خبرهم كله ووصف له ، فقال يعلى والذى بعثك بالحق ما تركت من حديثهم حرفاً لم تذكره وكان صلى الله تعالى عليه وسلم قال لهم حين توجههم من المدينة : اميركم زيد بن حارثة فان قتل فاميركم جعفر ابن ابى طالب ، فان قتل فاميركم عبد الله بن رواحة ، فان قتل فليرتض المسلمون برجل من بينهم يجعلونه عليهم . قال الخضرى فى صفحة ١٢٩ فى قصة معركة مؤتة بعد قتل الأمراء الثلاثة مانصه (فأخذ الراية رجل من المسلمين وطلب منهم ان يصطلحوا على أمير لهم فاتفقوا على خالد بن الوليد وفى ذلك الوقت أظهر مهارته فى تخليص المسلمين مما ورطوا انفسهم فيه ، وصار يتأخر بهم قليلاً قليلاً - مع حفظ نظام جيشه ولم يتبعه الروم لانهم ظنوا أنه يخدعهم حتى يرمى بهم فى الصحراء ، ثم عاد خالد بذلك الجيش الى المدينة ، وعندنا ان تلك الاعداد التى يذكرها المؤرخون لجنود الروم والعرب الذين معهم مبالغ فيها ، لان غاية مارآه المسلمون انهم رأوا عدداً كثيراً امامهم ولا يمكن بحال ان يعطوه قدره الحقيقى له ، وثلاثة آلاف عدد قليل جداً فى جانب مائتى الف لا تمكنهم المقاومة بحال. والمؤرخون اذا عدوا من قتل فى هذه الواقعة لا يزيدون عن اثنى عشر رجلاً ، ومن المحال ان يصطدم جيش عظيم القدر بجيش نسبته اليه ضئيلة ثم لا يقتل فى الميدان الا اثنا عشر نفراً اه) اقول الرجل الذى اخذ الراية بعد ابن رواحة هو ثابت بن اقرم العجلانى . وقوله فى خالد رضى الله تعالى عنه (وفى ذلك الوقت أظهر مهارته فى تخليص المسلمين مما ورطوا انفسهم فيه الى قوله حتى يرمى بهم فى الصحراء) اى انحاز خالد بالمسلمين لقتلهم وانحاز الروم عنه لظنهم ان للمسلمين كميناً غير الذى رأوه . هذا احداً لا قوال الثلاثة . والقول الثانى ان المسلمين انهزموا وقتل من قتل منهم . والقول الثالث قال الحاكم قاتلهم خالد بن الوليد فقتل منهم مقتلة عظيمة وأصاب غنيمة اى انهزم

المشركون وقوله اظهر مهارته في تخليص المسلمين مما وورطوا انفسهم فيه ،
 تعبير قبيح وسوء ادب في حق الصحابة رضى الله عنهم يقتضى أنهم لجهلهم
 تهوروا وورطوا انفسهم فيما لا يستطيعونه ولولا خالد خلصهم لهلكوا .
 وقوله (وعندنا ان تلك الاعداد التى يذكرها المؤرخون لجنود الروم
 والعرب الذين معهم مبالغ فيها الى قوله وثلاثة آلاف عدد قليل جداً في
 جانب مائتى ألف لا يمكنهم المقاومة بحال) اتهم للمؤرخين بالكذب بل
 وللصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين الذين شهدوا الواقعة واحصوا
 جيش الروم والعرب بمائتى ألف، ورمى للصحابة ايضاً بانهم بسطاء لا يعرفون
 سياسة الحروب ومكايدها من بث الجواسيس وغير ذلك وغاية امرهم عنده
 انهم رأوا عدداً كثيراً من العدو أمامهم لا يمكنهم بحال ان يعطوه قدره الحقيقى
 له ، ورمى للصحابة رضى الله تعالى عنهم أيضاً بالخور وانهم كغيرهم من
 المشركين انما يقاتلون بكثرة العدد وقوة العدة لا بالشجاعة الفائقة على جميع
 الالام الجبارة التى اكتسبوها من قوة الايمان بالله وبرسوله (كم من فئة
 قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين) (ان الله مع الذين اتقوا
 والذين هم محسنون) . اما اتهمه للمؤرخين بالكذب فهذا امر هين عنده
 قد تعودناه سابقاً منه فقد كذب مؤرخى العرب فى قتل الزباء لجذيمة
 الابرش بحيلة الزوج بها آخذة منه بشار ايها وقتل ابن اخته عمرو بن عدى
 اللخمي لها أخذاً بشار خاله بتدبير قصير ، وصديق مؤرخى الروم فى ان
 الرومان حاربوها وأسروها وماتت عندهم بالقسطنطينية ، ورمى باتفاق
 مؤرخى المسلمين على اثبات قصة بحيرا الراهب عرض الحائط لتنقيبه عنها
 فى كتب من عنوا بالبحث عن الرهبان بالشام فلم يجدها ، والذى يضرب
 برواية خمسة وأربعين صحابياً والامة الاسلامية جمعاء معها على ان الاسراء
 والمعراج كان يقظة لامناً عرض الحائط ، ويتمسك عناداً برأى مكذوب
 منسوب لعائشة ومعاوية رضى الله تعالى عنهما لا يصعب عليه اتهم
 الصحابة وتجهلهم فى كون جيش الروم والعرب المنتصرة مائتى ألف ،

ولا يصعب عليه ايضاً اعتقاد أن ثلاثة آلاف من الصحابة لا يمكنهم مقاومة مائتي ألف من الكفار بحال ، وهذه غزوات النبي صلى الله تعالى عليه وسلم المهمة : بدر، وأحد، والخندق ، كان المشركون فيها أكثر عدداً وأقوى عدة من المسلمين . فبدر كان المشركون فيها ألفاً والمسلمون نحو ثلثهم ، وفي أحد كانوا ثلاثة آلاف والمسلمون أقل من ربعهم سبعمئة ، وفي الخندق كانت قريش مع حلفائها عشرة آلاف وغطفان وحلفاؤها عدة آلاف والمسلمون كانوا ثلاثة آلاف . بل معظم الوقائع المهمة التي كانت بين الصحابة وبين دولتي العالم اذ ذاك فارس والروم كانت جيوش أعدائهم فيها اضعافهم في العدد وأقوى منهم في العدة ، فقد كانت جيوش الروم في اليرموك (وهي اعظم وقعة بينهم وبين الصحابة) مائتي ألف وأربعين ألفاً ، وكان جيش المسلمين فيها لا يتجاوز ستة وثلاثين ألفاً . وهكذا في اجنادين وغيرها وكان جيش المسلمين في القادسية لا يتجاوز بضعة وثلاثين ألفاً وكان جيش الفرس فيها ستين ألف متبوع كل واحد منهم يتبعه على الاقل أربعة جنود ، ومعهم ثلاثة وثلاثون فيلاً محاربة عداخيالتهم . وهكذا في جلولاء ونهاوند وهما من اعظم الوقائع التي وقعت بينهم وبين المسلمين . بل هزم اربعون رجلاً من الخوارج جيشاً مكوناً من الفين في أمارة زياد ابن ابيه للمعاوية رضي الله تعالى عنه . قال شاعرهم :

ألفاً مؤمن فيما زعمتم ويهزمهم بأسك أربعونا
وهزم شبيب الخارجي وهو في ألف ، خمسين ألفاً جيشاً للحجاج أميره
عتاب بن ورقاء الرياحي ، وهزم عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس وهو
في عشرين ألفاً مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية وهو في مائة وعشرين
ألفاً ، وهزم طاهر بن الحسين قائد المأمون وهو في أربعة آلاف عيسى بن
ماهان قائد الأمين وهو في خمسين ألفاً ، وهزم السلطان آلب أرسلان
السلجوقي وهو في عشرين ألفاً ، ملك الروم وهو في نحو مائتي ألف . وهزم
ملك مراکش العادل يوسف بن تاشفين وهو في عشرين ألفاً لذريق ملك
(٢٠ - تحذير العبقرى)

الاشبان عند اشبيلية بالاندلس وهو في أكثر من مائة وعشرين ألفاً وافى جيشه قتلاً ونجاً جريحاً في شردمة من رجاله ومات كسداً بعد أيام . وهزم طارق بن زياد وهو في اثني عشر ألفاً ملك الاشبان وهم في أكثر من مائة ألف . وهزم أسد الدين شيركوه الكردي عم صلاح الدين وقائد السلطان نور الدين زنكي وهو في ألف الجيش المصري الذي ناف عن عشرين ألفاً وهزمت جيوش هذا السلطان وجيوش قائده صلاح الدين بن أيوب وهي قليلة جيوش الأوربيين في الحروب الصليبية الكثيرة الجرارة في وقائع كثيرة . فهل يصح تعليل هزيمة هذه الجيوش الكثيرة العدد والعدد كلها ، وهل يصح أن يقال في قوادها كلهم أنهم ما كانوا محنكين مدربين ، وهل يمكن تعليل غلبة الغالبين لهم مع قلة عددهم وعددهم . ومع العلم أيضاً بأن نسبة من بعد الصحابة من المسلمين وقوادهم في قوة الايمان والحزم والشجاعة الى الصحابة رضوان الله تعالى عليهم جزء ضئيل ، وبهذا بطل قوله (ومن المحال أن يصطدم جيش عظيم القدر بجيش نسبته اليه ضئيلة ثم لا يقتل في الميدان إلا اثنا عشر نفرأ) ويزاد فيقال له ان كان هذا المحال عقلياً فهو باطل فان العقل يحوز غلبة العدد القليل للكثير بدون قتل أحد منه أو بقتل فرد أو أفراد منه كما يحوز العكس . وان كان عادياً فكذلك ، وهذا جيش الصحابة رضوان الله تعالى عليهم ببدر لم يتجاوز بضعة عشر رجلاً وثلاثمائة وكانوا في غاية الضعف يعتقب الأربعة والخمسة منهم على البعير الواحد ولم يكن معهم من السلاح إلا السهام والرمح ولم يكن معهم من السيوف إلا ثمانية ومع هذا قتلوا من قريش الذين هم أضعافهم في العدد وأقوى منهم عدة سبعين وأسروا سبعين وغنموهم ولم يستشهد منهم إلا أربعة عشر رجلاً . فعلى رأيه كان اللازم قتل أكثر من هذا العدد من المسلمين . على الأقل حتى يكون مساوياً لقتلى قريش اضعف شوكتهم وقلة عددهم فهم يعجل هذا .

وهذه غزوة أحد : المشركون فيها أضعاف المسلمين عدداً وأقوى منهم هبة وعندهم خيل ، والمسلمون كلهم رجالة . والدائرة دارت لقريش وهم

حنقون موتورون ومع ذلك لم يقتلوا من المسلمين إلا سبعين ولم يستطيعوا أخذ غنيمة ولا أسر أحد منهم ، وقتل منهم ثلاث قتلى المسلمين تقريبا قتل منهم اثنان وعشرون رجلا فبم يعمل هذا .

وهذه غزوة الأحزاب جيش المشركين فيها ينوف على اثني عشر ألفاً والمسلمين فيها نحو ربعهم وسهام المشركين كالطير تنهال عليهم مدة الحصار ومع ذلك لم يستشهد من المسلمين إلا ستة ، وقتل من المشركين نصفهم فبم يعمل هذا . فالصحابه رضوان الله تعالى عليهم بمؤتة لم يقدموا على تلك الجيوش المجتمعة من الروم والعرب المنتصرة إلا بعد العلم بها والتروى والمشاورة . قال ابن هشام في سيرته ما نصه : (ثم مضوا حتى نزلوا معان من أرض الشام فبلغ الناس أن هرقل قد نزل مأب من أرض البلقاء في مائة ألف من الروم وانضم إليهم من لحم وجذام والقين وبهراء وبلى مائة ألف منهم عليهم رجل من بلى ثم أحد إراشة يقال له مالك بن رافلة فلما بلغ ذلك المسلمين أقاموا على معان ليلتين يفكرون في أمرهم وقالوا نكتب إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فنخبره بعدد عدونا فاما أن يمدنا بالرجال وإما أن يأمرنا بأمره فنمضي له ، قال فشجع الناس عبد الله بن رواحة وقال يا قوم : والله أن التى تكرهون للتى خرجتم تطالبون (الشهادة) وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة . ولا نقاتلهم إلا بهذا الدين الذى أكرمنا الله به فانطلقوا فانما هى إحدى الحسينين إما ظهور وإما شهادة ، قال فقال الناس قد والله صدق ابن رواحة فضضى الناس اه) . قلت على القولين القول بأن المسلمين هزموا الروم وأخذوا منهم غنيمة والقول بأن الروم هزموا المسلمين يكون استشهد اثني عشر رجلا منهم فقط عند اشتباك الحرب ، ولم تطل ف وقعت الهزيمة على أحد الفريقين وأى استحالة فى هذا وعلى القول بانحياز كل من الجيشين يكون الانحياز قد حصل عقب قتل من قتل وأى استحالة فيه أيضاً وقد روى أن ذلك كان مع المساء وأن خالداً رضى الله تعالى عنه غير نظام الجيش بالليل فجعل الميمنة ميسرة . والميسرة ميمنة ، والمقدمة ساقة ، والساقة مقدمة ، فلما أصبح الروم وعانوا ذلك

ظنوا أن المسلمين جاءهم مدد فرعبوا وانكشفوا منهزمين .
وقد كان الصحابة كلهم قادة أبطالاً سادة حكاماً نبلاء محنكين مدربين يعرفون
من سياسة الحروب ومكائدها ما لم يعرفه غيرهم وان كانوا متفاوتين في ذلك كل
ذلك تعلموه منه عليه السلام في تلك المدة الوجيزة وقد كان الاعرابي الجلف
يأتي اليه عليه الصلاة والسلام فيسلم فيصبح سيداً مهذب الاخلاق محنكاً .
وترك المحاضر غزوة خيبر وهي من غزواته صلى الله تعالى عليه وسلم
المهمة فلم يسردها في جملة الغزوات ولو مجردة من دلائل النبوة كما جرد
غيرها من الغزوات التي ذكرها منها ولا ندرى لأي شيء تركها . وفيها من
دلائل النبوة ثلاث ، الأولى : أخرج الامام البخاري في ثلاثياته عن يزيد
ابن أبي عبيد قال رأيت أثر ضربة بساق سلمة فقلت ما هذه الضربة ، قال
هذه ضربة أصابتها يوم خيبر ، فقال الناس : أصيب سلمة ، فأثبت النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم فنفت فيه ثلاث نفثات فما اشتكيتها حتى الساعة .
الثانية : في البخاري أيضاً والطبراني ومسندا بن أبي شذبة وكتب السير عن
سلمة بن الأكوع رضي الله تعالى عنه . كان علي بن أبي طالب تخلف عن النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم في خيبر وكان أرمداً شديداً الرمد فقال أنا أتخلف
عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فالحق ، فلما بتنا الليلة التي فتحت خيبر في
صبيحتها قال عليه الصلاة والسلام (لأعطين الراية غداً رجلاً يحبه الله تعالى
ورسوله ويحب الله ورسوله ليس بفرار لا يرجع حتى يفتح الله له) وكان
عليه السلام دفع أول يوم اللواء لأبي بكر رضي الله تعالى عنه فقاتل به
قتالاً شديداً فرجع ولم يفتح له ، وفي اليوم الثاني دفعه لعمر رضي الله تعالى
عنه فقاتل به قتالاً شديداً فرجع ولم يفتح له ، فلما أصبح الناس غدوا على
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كلهم يرجون أن يعطاها ، فقال أين
علي بن أبي طالب فقالوا يا رسول الله هو يشتكي عينيه قال فأرسلوا اليه
فأتى به فبصق صلى الله عليه وسلم في عينيه ودعا له فبرأ حتى كأن لم يكن به
وجع فأعطاه الراية ، فقال علي يا رسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا فقال
(أنفذ علي رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم إلى الاسلام واخبرهم بما يجب

عليهم من حق الله فيه فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير من أن يكون لك حمر النعم) زاد مسلم من حديث سلمة بن الأكوع قال وخرج مرحب اليهودي فقال :

قد علمت خير أني مرحب شاكى السلاح بطل مجرب
إذا الحروب أقبلت تلتهب

فبرز له على رضى الله عنه وهو يقول :

انا الذى سميتنى امي حيدر كليت غابات كرية المنظره
اكيلهم بالسيف كيل السندره

وضرب مرحباً ففلق هامته وقتله . قال ابو رافع مولى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم خرجنا مع على حين بعثه صلى الله تعالى عليه وسلم برأيته فلما دنا من الحصن خرج اليه اهله فقاتلهم فضربه رجل من يهود فطرح ترسه من يده فتناول على باباً كان عند الحصن فترس به عن نفسه فلم يزل في يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه . ثم القاه من يده حين فرغ . فلقد رأيتنى في سبعة معى انا ثامنهم نجهد على ان نقلب ذلك الباب فلم نقلبه .

الثالثة : قصة الراعى الأسود . وملخصها انه اتى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو محاصر لبعض حصون خيبر ومعه غنم له كان فيها اجيراً لرجل من يهود . فقال يا رسول الله اعرض على الاسلام فعرضه عليه فأسلم فلما أسلم قال يا رسول الله انى كنت اجيراً لصاحب هذا الغنم وهى امانة عندى فكيف اصنع بها قال اضرب فى وجوها فانها سترجع الى ربها فقام الاسود فاخذ حفنة من الحصى فرمى بها فى وجوها فقال ارجعنى الى صاحبك) فوالله لا اصحبك ابداً فخرجت مجتمعة كأن سائقاً يسوقها حتى دخلت الحصن ، ثم تقدم الى ذلك الحصن ليقاتل مع المسلمين - فأصابه حجر فقتله وما صلى لله صلاة قط . فأتى به الى رسول الله تعالى عليه وسلم فوضع خفيه وسجى بشملة كانت عليه فالتفت اليه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ومعه نفر من اصحابه ثم اعرض عنه .

فقالوا يا رسول الله لم اعرضت عنه قال ان معه الآن زوجته من الحور العين

فتح مكة وحنين

وفي فتح مكة من دلائل النبوة سبعة .

الأولى لما تهاى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم للمسير اليها دعا فقال: (اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها في بلادها) فاستجاب الله دعاه فعميت عليهم الأخبار مع شدة بحمهم وخوفهم حتى وصل عليه الصلاة والسلام إلى مر الظهران .

الثانية : كتب حاطب بن أبى بلتعة كتاباً إلى قريش يخبرهم فيه بغزو رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لهم وأرسله مع امرأة فأطلع الله نبيه على ذلك . فقال عليه الصلاة والسلام لعلى بن أبى طالب والزبير والمقداد انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها طعينة معها كتاب فخذوه منها قال : فانطلقنا تعادى بنا خيلنا حتى أتينا الروضة فإذا نحن بالطعينة ، فقلنا : أخرجى الكتاب . قالت . مامعى كتاب . فأخضا بها وفتشنا حوايجها فلم نر كتاباً فقلنا لها ما كذب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لتخرجن الكتاب أو لنلقين الشيا . فلما رأنا الجداً أخرجته من عقاصها ، فأتوا به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فإذا فيه من حاطب بن أبى بلتعة إلى ناس من المشركين بمكة يخبرهم ببعض أمر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم . فقال : يا حاطب ما هذا قال يا رسول الله لا تعجل على أنى كنت امرأة ملصقة فى قريش (حليفاً) ولم أكن من أنفسهم وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمونها أهلهم وأموالهم فأحببت إذ فاتنى ذلك من النسب فيهم أن اتخذ عندهم يداً يحمونها بها قرابتي ولم أفعله ارتداداً عن ديني ولا رضى بالكفر بعد الإسلام فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (أما إنه قد صدقكم) .

الثالثة : هم فضالة بن عمير الليثى بقتل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو يطوف بالبيت فلما دنا منه قال له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أفضالة ؟ قال نعم يا رسول الله . قال ما ذا كنت تحدث به نفسك .

قال لاشيء كنت اذكر الله تعالى . فضحك صلى الله تعالى عليه وسلم ثم قال استغفر الله تعالى ثم وضع يده على صدره فسكن قلبه ، فكان فضالة يقول : والله ما رفع يده عن صدرى حتى ما خلق الله شيئاً أحب إلى منه .

الرابعة : لما حانت الظهر أمر عليه الصلاة والسلام بلالا أن يؤذن فوق الكعبة ليغيظ المشركين وقد فر جماعة من وجوه قريش وتغيبوا ، وأبو سفيان وعتاب وخالد ابنا اسيد والحرث بن هشام والحكم بن ابي العاص وبعض بنى سعيد بن العاص جالوس بفناء الكعبة . فقال عتاب وخالد لقد اكرم الله اسيداً ان لا يسمع هذا فيغيظه ، وقال الحرث اما والله لو أعلم انه محق لا تبعته ان يكن الله يكره هذا فسيغيره . وقال أبو سفيان لا اقول شيئاً لو تكلمت لأخبرت عنى هذه الحصى ، وقال الحكم بن أبي العاص هذا والله الحدث العظيم ان يصيح عبد بنى جمح على بنية ابي طاحه . وقال بعض بنى سعيد بن العاص لقد اكرم الله سعيداً ان قبضه قبل ان يرى هذا الأسود على ظهر الكعبة . فأتى جبريل عليه السلام فأخبره صلى الله تعالى عليه وسلم فخرج عليهم وقال قد علمت الذى قاتم واخبرهم . فقال الحرث وعتاب نشهد انك رسول الله ما اطلع على هذا احد كان معنا فنقول اخبرك الخامسة . نصة ابي مخذورة الجمحى ، كان ابو مخذورة مع فتية من قريش خارج مكة فلما سمعوا اذان بلال اقبلوا يستهزئون ويحككون صوته غيظاً فكان ابو مخذورة من احسنهم صوتاً فرفع صوته مستهزئاً بالاذان فسمعه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فأمر به فثقل بين يديه وهو يظن انه مقتول فمسح النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ناصيته وصدره بيده قال فامتلاً قلبي والله إيماناً و يقيناً وعلمت أنه رسو الله ، فألقى عليه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الأذان وعليه إياه وأمره أن يؤذن لأهل مكة وعمره ست عشرة سنة فكان مؤذنهم حتى مات ، ثم عقبه بعده يتوارثون الأذان كابراً عن كابر وفى ابي مخذورة قال الشاعر :

أما ورب الكعبة المستوره وما تلا محمد من سوره
والنعمات من أبى مخذوره لأفعلن فعلة مذكوره

السادسة : خرج صلى الله تعالى عليه وسلم وأبو سفيان جالس في المسجد فقال في نفسه ما درى بهم يغلبنا محمد . فأتاه صلى الله تعالى عليه وسلم فضرب صدره وقال بالله تغلبك . فقال اشهد انك رسول الله .

السابعة : رأى أبو سفيان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يمشى والناس يطأون عقبه فقال في نفسه لو عاودت هذا الرجل القتال وجمعت له جمعا . فجاء رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حتى ضرب في صدره وقال إذا يخزيك . فقال اتوب الى الله واستغفر الله ما يقنت انك نبي إلا الساعة ، انى كنت لأحدث نفسى بذلك .

وقد اشار المحاضر الى الأولى بقوله (كانت قريش محسنة بأنه لا بد من شيء بعد ان فعلت ما فعلت ولكن عميت عليهم الاخبار فلم يعلموا بشيء من مسير المسلمين اه) . وما ضربه لو قال - عميت عليهم الاخبار بسبب دعائه عليه الصلاة والسلام . وأشار الى الثانية بقوله - (فكتب حاطب بن ابي بلتعبة كتابا الى اهل مكة يخبرهم بمسير المسلمين وارسله مع امرأة فعلم بذلك عليه الصلاة والسلام فأرسل اليها من جاء بالكتاب منها اه) ، فقوله فعلم بذلك عليه الصلاة والسلام يحمل وماضره لو قال - فجاءه عليه الصلاة والسلام الوحي بذلك وقد اعترف بالوحي فيما سبق وجعل له انواعا اربعة وقوله (فأرسل اليها من جاء بالكتاب منها) مبهم ، وماضره أيضا لو قال فأرسل اليها عليا والزيبر والمقداد فجاءوا بالكتاب منها ، وقوله في الذين استثناهم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يوم الفتح من المشركين فقال اقتلوهم ولو وجدتموهم متعلقين بأستار الكعبة ، (فقتل اكثرهم) غير صحيح ، بل اكثرهم اسلام .

وفى غزوة حنين اثنان :

الأول : لما انهزم جيش المسلمين فى بدء الأمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال شيبة بن عثمان بن أبي طلحة العبدري اليوم أدرك ثارى اقتل محمدا فأدرت برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لاقتله فأقبل شيء

حتى عشي فؤادى فعلبت انه ممنوع منى ، وعند ابن أبي خيثمة : لما هممت به حال بينى وبينه خندق من نار وسور من حديد ، فالتفت إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وتبسم وعرف ما أردت فمسح صدرى فذهب عني الشك .

الثاني : تناول عليه الصلاة والسلام قبضة من حصي وتراب ثم قال شأهت الوجوه أى قبخت ورمى بها فى وجوه المشركين فما من إنسان منهم إلا ملأ عينيه من تلك القبضة .

غزوة تبوك

وفىها من دلائل النبوة ثمانية :

الأولى : تعب جمل أبى ذر فأخذ متاعه على ظهره وخرج يتبع أثر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ماشيا فنظر ناظر من المسلمين فقال يا رسول الله إن هذا الرجل يمشى على الطريق وحده . فقال صلى الله تعالى عليه وسلم كن أباذر . فلما تأمله القوم قالوا يا رسول الله هو والله أبوذر . فقال رحم الله أبأ ذر يمشى وحده ويموت وحده ويبعث وحده . فكان كذلك لما سكن الربرة فى خلافة عثمان رضى الله تعالى عنهم لم يكن معه أحد إلا امرأته وغلامه فلما حضره الموت أوصاهما أن غسلانى وكفنانى ثم ضعانى على قارعة الطريق فأول ركب يمر بكم فقولوا هذا أبوذر صاحب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فأعينونا على دفنه فلما مات فعلا به ذلك وأقبل ابن مسعود فى رهط من أهل العراق معتمرين فلم يرعهم إلا والجنائزة على ظهر الطريق وقد كادت الابل تطؤها ، فقام اليهم الغلام فقال هذا أبوذر صاحب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فأعينونا على دفنه فاستهل عبد الله بن مسعود يبكى ويقول : صدق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم تمشى وحدك وتموت وحدك وتبعث وحدك ثم نزل هو واصحابه فدفنوه ثم حدثهم بحديثه هذا ،

الثانية : لما مر عليه الصلاة والسلام بالحجر ديار ثمود قال لأصحابه لا تشربوا من مائها ولا يخرجن أحد منكم الليلة إلا ومعه صاحب له ، ففعل الناس ما أمرهم به إلا رجلين من بني ساعدة خرج أحدهما لقضاء حاجته والآخر في طلب بعيره . فأما الذي خرج لحاجته فخنق (أى صرع) في مكانها ، وأما الذي خرج في طلب بعيره فاحتماته الريح حتى طرخته بجبل طى . فأخبر بذلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال ألم أنهيكم ثم دعا للذي خنق على مذهبه فشفى ، وأما الآخر فاهدته طى لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حين قدم المدينة .

الثالثة : روى الامام احمد وابنا خزيمة وحبان والحاكم عن عمر رضى الله تعالى عنه قال خرجنا الى تبوك في يوم قيظ شديد فنزلنا منزلاً وأصابنا فيه عطش حتى ظننا أن رقابنا ستنقطع حتى ان كان الرجل لينذهب يلتمس الرجل فلا يرجع حتى يظن أن رقبتة ستنقطع وحتى ان كان الرجل لينجر بعيره فيعصر فرثه فيشربه ويجعل ما بقى على كبده . فقال أبو بكر رضى الله عنه : يا رسول الله إن الله قد عودك في الدعاء خيراً فادع الله تعالى لنا . قال نعم . فرفع يديه نحو السماء فلم يرجعهما حتى قالت السماء فأظلت ثم سكبت فملاوا مامعهم ثم ذهبنا ننظر فلم نجد ما جاوزت العسكر .

الرابعة : لما كان عليه الصلاة والسلام ببعض الطرق ضلت ناقته القصواء فقال زيد بن اللصيت وكان منافقاً أليس يزعم محمد انه نبي ويخبركم عن خبر السماء وهو لا يدري أين ناقته . فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إن رجلاً يقول كذا وذكر مقالة . واني والله لا أعلم إلا ما علمني الله وقد دلى الله تعالى عليها وهي في الوادي في شعب كذا وكذا قد حبستها شجرة بزمامها ، فانطلقوا حتى تأتونى بها . فانطلقوا فجاءوا بها .

الخامسة : روى الامامان مالك في موطئه ومسلم في صحيحه عن معاذ ابن جبل رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال (انكم ستأتون غداً إن شاء الله تعالى عين تبوك وانكم لن تأتوها حتى

يضحي النهار فمن جاءها فلا يمس من مائها شيئاً حتى آتى (قال فجئناها وقد سبق إليها رجلان والعين مثل الشراك تبض بشيء من ماء ففسأ لهما رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هل مسستما من مائها شيئاً، قالوا نعم، فقال لهما ماشاء الله أن يقول ثم غرفوا من العين قليلاً قليلاً حتى اجتمع في شن ثم غسل صلى الله تعالى عليه وسلم به وجهه ويديه ثم أعاده فيها فجرت بماء كثير فاستقى الجيش (وهو ثلاثون الفا) وسقوا دوابهم ، ثم قال عليه الصلاة والسلام يا معاذ (يوشك إن طالت بك حياة ان ترى ما ههنا قد ملئ جناناً) أى بساتين وعمرانا .

السادسة : روى الشيخان في صحيحيهما عن عمران بن حصين رضى الله تعالى عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في سفر فاشتكى إليه الناس من العطش فنزل عليه السلام ودعاني مع علي بن أبي طالب وقال اذهبا فابتغيا الماء فانطلقنا فتلقينا امرأة بين مزادتين من ماء على بعير لها فقالا لها أين الماء ، فقالت عهدي بالماء أمس هذه الساعة ونفرنا خلف (أى غائبون عن الحى) ، فقالا لها انطلقى إذن ، قالت الى أين ، قالا الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، قالت الذى يقال له الصابىء ، قالاهو الذى تعنين فانطلقى فجاء بها الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، فاستنزلوها عن بعيرها ودعا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم باناء ففرغ من أفواه المزادتين ثم أوكأ أفواههما وأطلق العزالى ونودى فى الناس اسقوا واسقوا فسقى من سقى واستقى من شاء وهى قائمة تنظر الى ما يفعل بمائها وأيم الله لقد أقلع وانه ليخيل اليها انها أشد ملثة منها حين ابتدأ فيه . فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (اجمعوا لها) فجمعوا لها من بين عجوة ودقيقة وسويقة حتى جمعوا لها طعاماً كثيراً فجعلوه فى ثوب وحملوها على بعيرها ووضعوا الثوب بين يديها فقال لها صلى الله تعالى عليه وسلم (تعلمين ما رزئنا من مائك شيئاً ولكن الله تعالى هو الذى أسقانا) فانت أهلها فقالت العجب لقينى رجلان فذهبا بي الى هذا الرجل الذى يقال له الصابىء ففعل كذا وكذا إنه

لا تسحر الناس كلهم أو أنه لرسول الله حقاً . فقالت يوماً لقومها ما أرى إن هؤلاء يدعونكم من الاغارة عمداً فهل لكم في الإسلام . فاطاعوها فدخلوا في الإسلام .

السابعة : روى الامام أحمد والشيخان عن أبي هريرة وسلمة رضى الله تعالى عنهما انهما قالوا : لما كان غزوة تبوك أصاب الناس مجاعة فقال عمر رضى الله تعالى عنه ادعهم يا رسول الله بفضل أزوادهم ثم ادع الله تعالى لهم عليها بالبركة فقال نعم فدعا بنطع فبسط ثم دعا بفضل أزوادهم فجعل الرجل يجي بكف ذرة ويجي بالآخر بكسرة حتى اجتمع على النطع شيء يسير قال سلمة فحزرتة كربضة العنز فدعا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بالبركة ثم قال خذوا في أوعيتكم فأخذوا في أوعيتهم حتى ما تركوا في العسكر وعاء إلا ملاًوه ، قال فأكلوا حتى شبعوا وفضلت فضلة فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (أشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله لا يلقي الله بهما عبد غير شاك فيحجز عن الجنة) ومعجزتا إيجاد الماء وتكثير الطعام القليل بدعائه عليه الصلاة والسلام تكررتا في مواطن وشهدهما الجهم الغفير من الناس .

الثامنة : أرسل عليه الصلاة والسلام خالد بن الوليد في ثلاثمائة وعشرين فارساً إلى أكيدر بن عبد الملك ملك دومة الجندل وقال عليه الصلاة والسلام له إنك ستجده ليلاً يصيد البقر فتأخذه فيفتح الله لك دومة الجندل فان ظفرت به فلا تقتله وأت به إلى فان أبى فاقتله ، فانتهى إليه خالد وقد خرج من حصنه في ليلة مقمرة إلى بقر يطاردها هو وأخوه حسان وكانت بقر الوحش جاءت إلى حصنه وصارت تحك بقرونها باب الحصن فقالت له امرأته هل رأيت مثل هذا قط ، قال لا والله . قالت فمن يترك هذه ، قال لا أحد ولقد كنت أضمر لها الخيل شهراً ونزل فأسرج له فرسه وخرج يطاردها فشدت عليه خيل خالد فاستأسر أكيدر وقتل أخاه حسان وهرب من كان معهما فدخل الحصن ثم أجاز خالد أكيدر من القتل حتى يأتي به رسول

الله صلى الله تعالى عليه وسلم على أن يفتح له دومة الجندل ففعل وصالحه على ألفي بعير وثمانمائة فرس وأربعمائة رمح على أن ينطلق به وباخيه مضاد إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فيحكم فيهما حكمه فلما قاضاه على ذلك خلى سبيله ففتح الحصن فدخله خالد وأوثق مضاداً وأخذ ما صالح عليه من الإبل والرقيق والسلاح فعزل خالد صفيه له صلى الله تعالى عليه وسلم قبل أن يقسم ثم خمسها ثم قسم ما بقى في أصحابه فصار لكل واحد منهم خمس قلائص، ثم قدم خالد بكيدر عليه صلى الله تعالى عليه وسلم فحقن له دمه وصالحه على الجزية وخلق سبيله فرجع إلى قريته فقال بجير الطائي رضي الله تعالى عنه تبارك سائق البقرات إلى رأيت الله يهدي كل هاد فمن يك حائداً عن ذي تبوك فإننا قد أمرنا بالجهاد فقال صلى الله تعالى عليه وسلم لبجير (لا يفضض الله فاك) فأنت عليه تسعون سنة وما تحركت له سن وهذه معجزة أخرى . وقال عليه الصلاة والسلام مثل هذا الكلام أيضاً للناطقة الجعدى لما أنشده قصيدته الرائية ومنها :

ولا خير في حلم إذا لم يكن له بواذر تحمى صفوه أن يكدره
ولا خير في جهل إذا لم يكن له حاييم إذا ما أورد الأمر أصدره
فقال له صلى الله تعالى عليه وسلم (لا يفضض الله فاك) مرتين فبقى عمره أحسن الناس ثغرا كلها سقطت له سن نبتت أخرى وكان من المعمرين

المحاضرة السادسة عشرة

قال فيها : (الدعوة ونتائجها) (هاجر عليه الصلاة والسلام من مكة والذين دخلوا في دينه جمع من قريش ومن حلفائهم ومواليهم وقايل غيرهم من سائر العرب ثم جماعة الأوس والخزرج من سكان يثرب وهم الذين سموا بالأنصار وكاد الإسلام يعمهم لولا توقف عدد قليل منهم تشابهت عليهم الطرق أو خافوا على سيادتهم أن يزيلها الإسلام فوقفوا وتبعهم فريق ممن لهم الرياسة عليه إلا أنهم كانوا في الظاهر مشاركين المسلمين في الإسلام وأضمروا خلاف ما أظهروا فسميهم المؤمنون باسم المنافقين ، ويظهر لي أن هذا الاسم من المحدثات الدينية فاني لم أر العرب تستعمل النفاق بهذا المعنى قبل الإسلام) اهـ . أقول : نص العلماء على كراهة تسمية المدينة يثرب لما جاء من النهي عنه صلى الله عليه وسلم في ذلك فقد أخرج الامام احمد وأبو يعلى عن البراء بن عازب رضى الله تعالى عنه باسناد صحيح عنه عليه الصلاة والسلام انه قال (من سمي المدينة يثرب فليستغفر الله تعالى ثلاثا هي طابة هي طابة) وما وقع في سورة الأحزاب من تسميتها به انما هو حكاية عن قول المنافقين . وما وقع في حديث الهجرة في الصحيحين من قوله صلى الله تعالى عليه وسلم (فذهب وهلى الى اليمامة أو هجر فاذا هي المدينة يثرب) . وفي حديث مسلم (وجهت الى أرض ذات نخل لا أراها الا يثرب) وكذا جاء بعض الاحاديث في غيرهما مجاب عنه بان ذلك كان قبل النهي وبهذا علم ما في قوله (ثم جماعة الأوس والخزرج من سكان يثرب) ولو بنى الفعل للمعلوم في قوله (وهم الذين سموا بالأنصار) فقال (وهم الذين سماهم الله بالأنصار) اسلم من الابهام وحصل شرف التسمية للأوس والخزرج بكونها من الله تعالى لا من المخلوقين وقوله (وتبعهم فريق ممن لهم الرياسة عليه) أى على العدد القليل مكرر مع قوله (أو خافوا على سيادتهم أن يزيلها الإسلام) ثم ان الفريق الذين لهم الرياسة على العدد القليل من المنافقين ليس جمعا كما تدل عليه عبارته بل هو شخص واحد وهو عبد الله بن أبي ريسهم .

وقوله (فسمهم المؤمنون باسم المنافقين) غلط فاحش فان المسمى لهم بهذا الاسم هو الله تعالى عز وجل في آيات كثيرة منها في سورة التوبة ﴿ ومن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق ﴾ وفي سورة الأحزاب ﴿ وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا ﴾ وفي سورة مخصوصة بهم قال تعالى : ﴿ إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله ﴾ الخ أعتقد أن هذا المحاضر واضرا به لا يقرأون القرآن أو يقرأونه ولكن لا يجاوز . . . أو يعتقدون أنه ليس بكلام الله تعالى بل هو من وضع المخلوقين فقد تقدم أنه قال في الكعبة : (إن اسماعيل عليه السلام جعلها مطافاً يحجها أولاده) والجامع لها هو الله تعالى في آيات كثيرة منها ﴿ جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس ﴾ ومنها ﴿ وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئاً وطهر بيتي للطائفين ﴾ وهنا قال في الذين سمهم الله المنافقين لاظهارهم الاسلام وابطانهم الكفر ان المؤمنين هم الذين سموهم المنافقين وسمى الله سبحانه وتعالى مخلوقاته الغيبية بالملائكة والجن والشياطين فدم محمد عبده وتليذه الخاص علماء الاسلام قاطبة بأنهم عبدة الفاظ او عباد ألفاظ لأجل ان سموا هذه المخلوقات بما سماها الله ورسوله به واذا كان الله سبحانه وتعالى هو المسمى لهذا الفريق من الناس في كتابه العزيز بالمنافقين فالتسمية لهم بهذا دينية قطعاً وحينئذ لا معنى لقوله (ويظهر لى أن هذا الاسم من المحدثات الدينية) وقوله (فاني لم أر العرب تستعمل النفاق بهذا المعنى قبل الاسلام) دعوى أن صحت لاضير فيها مادام الله تعالى هو المسمى لهم بذلك . فان قيل قد قررت فيما سبق ان المحاضر منكر لدلائل النبوة (أى المعجزات أى الحوادث الكونية الخارقة للعادة) وقد اعترف بها في المحاضرة السابعة عشرة في صفته واخلاقه عليه الصلاة والسلام قال فيها في صفحة ١٥٤ الطبعة الرابعة مانصه (وكانت هذه الخلل مما قرب اليه النفوس وحببه الى القلوب وألان من شكيمة قومه بعد الإباء وجعلهم يدخلون في دين الله أفواجا

مناصرين مؤازرين ولولم يكن له إلا ذلك مما يثبت التاريخ وتأييده الحوادث
 لكان أعظم شاهد على صدقه فضلا عما أيده الله تعالى به من المعجزات
 وقد أفاض القول فيها كتاب السير اهـ) فقولُه (فضلا عما أيده الله تعالى
 به من المعجزات وقد أفاض القول فيها كتاب السير) صريح في اثباتها
 فما جوابك عن كلامه هذا ؟ قلت لا يدفع القطعي بالظني ولا المتيقن بالمشكوك
 فيه ولا الكثير المتقدم المجادل عنه بالترهات المتماثل له الا باطيل بجملة
 واحدة فلا شك أن قوله هنا (فضلا عما أيده الله به من المعجزات) ذهول منه
 وفلسة قلم وتناقض عما قرره سابقا في دفعها وانكارها والمبطل لا بد أن
 يتناقض وقد دفعها وتركها في خمسة مواضع حادثة الفيل وحادثة الاسراء
 وقصة بحيرا الراهب وبحث الوحي والغزوات التي سردها. فقد تحقق القراء
 تخبطه في حادثة الفيل وزعمه انهم هلكوا بالأمراض الثقيلة وتقوله على
 ابن هشام وزعمه أن القرآن أشار إليها بقوله (وأشار القرآن الى هذه الحادثة
 في سورة الفيل) وعدم مبالاته برواية الجمل الغفير من الصحابة واجماع الأمة
 الاسلامية في أن الاسراء والمعراج كان يقظة وتشبته بالرأى المنسوب
 لعائشة ومعاوية رضي الله تعالى عنهما كذبا في كونه مناماً وعدم مبالاته
 أيضاً باتفاق مؤرخي الاسلام على اثبات قصة بحيرا الراهب ودفعها بعدم
 وجدانه لها في كتب من عنوا بالبحث عن الرهبان من الأجانب وزعمه
 أيضاً أن الوحي الى الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم لم يتقدمه شيء هذا مع
 اثباته لدلائل النبوة (الارهاصات) التي وقعت له صلى الله تعالى عليه وسلم
 قبل البعثة في أول كتابه (نور اليقين) في السيرة قال فيه مانصه (ما أكرم
 الله به قبل النبوة) (أول منحة من الله ما حصل من البركات على آل حليلة
 الذين كان مسترضعاً فيهم فقد كانوا قبل حلوله بناديهم مجذبين فلما صار
 بينهم صارت غنياتهم تنوب من مرعاها وان أضراعا لتحميل لبنائهم اعقب
 ذلك ما حصل من شق صدره واخراج حظ الشيطان منه وليس هذا
 بالعجيب على قدرة الله تعالى فمن استبعد ذلك كان قليل النظر لا يعرف من

قوة الله تعالى شيئاً لأن خرق العادات للأنبياء ليس بالأمر المستحدث ولا المستغرب . ومن المكرمات الالهية تسخير الغمامة له في سفره الى الشام حتى كانت تظله في اليوم الصائف لا يشترك معه أحد في القافلة كما روى ذلك ميسرة غلام خديجة الذي كان مشاركاً له في سفره . هذا ما حببه الى خديجة حتى خطبته لنفسها وتيقنت أن له في المستقبل شأناً . ولذلك لما جاءته النبوة كانت أسرع الناس إيماناً به ولم تنتظر آية أخرى . زيادة على ما علمته من مكارم الأخلاق وما سمعته من خوارق العادات ، ومن من الله تعالى عليه ما كان يسمعه من السلام عليه من الأحجار والأشجار فكان اذا خرج لحاجته أبعد حتى لا يرى بناء وينغضى الى الشعب وبطون الأودية فلا يمر بحجر ولا شجر إلا سمع الصلاة والسلام عليك يا رسول الله ، فكان يلتفت عن يمينه وشماله وخلفه فلا يرى أحداً وقد حدث بذلك عن نفسه ، وليس في ذلك كبير اشكال فقد سخر الله تعالى الجمادات للأنبياء قبله ، فعصى موسى التقيمت ما صنع سحرة فرعون بعد أن تحورات حية تسعى ثم رجعت كما كانت ولما ضرب بها الحجر نبع منه الماء اثنى عشرة عينا لكل سبط من أسباط بني اسرائيل عين ، وكذلك غيره من الأنبياء سخر الله لهم ما شاء من أنواع الجمادات لتدل العقلاء على عظيم قدرهم وخطارة شأنهم اه) قلت ليتأمل القراء هذا الكلام النفيس الجارى على عقيدة المسلمين في اثبات قدرة القادر الحكيم وقدر أنبيائه تعالى عنده باكرامهم بالخوارق ولينظروا في قوله (فمن استبعد ذلك كان قليل النظر لا يعرف من قوة الله شيئاً) كيف سجل على نفسه بكلامه هذا في محاضراته انه قليل النظر لا يعرف من قوة الله شيئاً كما أثبت في نور اليقين أيضاً معجزة الاسراء والمعراج وقال انها كانت قبل الهجرة وهنا في المحاضرات جعلها بعد الهجرة مراوغة وقد تقدم الرد عليه فيهما مفصلاً ولكنه جرد الغزوات كلها من المعجزات التي وقعت فيها فلم يذكرها كما لم يذكرها هنا مع انها لب سيرته عليه الصلاة والسلام كما تقدم على ان اثباته للمعجزات في هذا الكلام ناقص البنيان لا يدل على انه يؤمن بها (٢٢ - تحذير العبقري)

صراحة . قال (وقد أفاض القول فيهما كتاب السير) فليست المعجزات
محصورة في كتب السير كما زعم بل كتب الصحاح والسنن والمسانيد والمعاجم
ملوءة بها أيضا وقد تقدم أن بعض أئمة الحديث خصها بالتصنيف كالحافظين
أبي نعيم والبيهقي ومن المتأخرين السيوطي وكتابه نور اليقين ألفه قبل أن
يترقى ويصير مدرس التاريخ الاسلامي في الجامعة المصرية فلما نال ذلك
غير رأيه فأنكرها في محاضراته كما أنكر كون الملائكة والجن والشياطين
أجساما وحارب ذلك بما استطاع من التلييسات وقد تقدم هتك سترها
مفصلا بالبراهين وقد غلط في هذه المحاضرة في صحيفة ١٥٧ في جمع القرآن
فزعم أن الصديق رضي الله تعالى عنه جمعه في مصحف واحد قال مانصه :
(وكانت آياته وسوره مكتوبة إلا أنها لم تجمع في مصحف واحد في حياته
وقد تم ذلك في خلافة أبي بكر . راجع خطابنا الذي القيناه بنادي العلوم في
سنة ١٩١٠ ونشر بصحيفة النادي في تلك السنة اه) وهو غير صحيح فأبو
بكر الصديق رضي الله تعالى عنه انما جمع الصحف التي كانت متفرقة بسبب
موت كثير من القراء في وقعة اليمامة بإشارة عمر رضي الله تعالى عنه خوفا
من ضياع شيء من القرآن ولم يجمعه في مصحف واحد الا ذو النورين عثمان
ابن عفان رضي الله تعالى عنه كما غلط في الخطاب الذي القاه بنادي العلوم
ونشرته له صحيفة النادي وذكره متبجحا به كما انه مغرم بذكر التاريخ
المسيحي وهو مدرس التاريخ الاسلامي فلا يذكر التاريخ الاسلامي الذي
هو مدرسه إلا نادرا وهذه بلية وقع فيها كثير من المسلمين الآن غفلة .
وفي هذا المقدار الذي كتبت في دحض أباطيله في سيرة النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم من دلائل النبوة والوحي وأنواعه ومتعلقاتهما كفاية للمسلم
المتبصر ، واشرع الآن بحول الله تعالى في دحض أباطيله في الخلافة وسيرة
الصحابة رضوان الله تعالى عليهم وسيرتهم جزء من سيرته عليه الصلاة
والسلام فالطعن فيهم طعن فيه عليه الصلاة والسلام وفي القرآن الذي عدلهم
وإثني عليهم لا محالة ، وهذا المحاضر قد طعن في الشريعة كلها نبوة وقرآنا
وسنة وصحابة :

فالنسبة بتخطئه في الوحي وزعمه أنه لم يتقدمه شيء إنكاراً لدلائل النبوة التي تقدمته واعترف بها في نور اليقين .

والقرآن بتخطئه في حادثة الفيل إنكاراً لها ودفعه صريح القرآن والسنة المتواترة وإجماع الأمة في معجزة الأسراء بالباطيل وقد أثبتنا أيضاً في نور اليقين .

والسنة بترك المعجزات التي وقعت في غزواته صلى الله تعالى عليه وسلم وهي لب سيرته عليه الصلاة والسلام وتركه لب السيرة يدل على عدم إيمانه بها فان قيل مجرد تركه لها لا يدل على عدم إيمانه بها، ولا على إنكارها والطعن فيها. فمن أين حكمت عليه بأنه طعن فيها وأنكرها . قلت : من حادثي الفيل والأسراء وهما قرآنيان متواتران وقد صنع فيهما ما صنع من التخطئ وارتكاب الأباطيل كل ذلك إنكار لها . وطعن فيهما فما ثبت منها بالسنة يكون غير مؤمن به طاعناً فيه من باب أولى . ومن قصة بحيرا وهي ثابتة بالسنة اتفق عليها مؤرخو الإسلام باعترافه وقد طعن فيها ، والصحابة وهم دعاة الوحي (الشريعة كلها) كتاباً وسنة لم يصلنا هذا الخير العظيم إلا من طريقهم بالبهتان فيهم . فالطعن فيهم طعن في الموحى الذي عدلهم وأثنى عليهم وفي الموحى إليه أيضاً وإنكار بعض المعجزات إنكار لجمعها وتكذيب بعضها تكذيب لجمعها كما أن التكذيب ببعض رسل الله تكذيب لجمعهم فتلخص أن محاضرات هذا الإنسان نشرت من الطعن في الإسلام ما لم ينشره رسائل إخوان الصفا وتشكيكات المعري وجميع التبشير . وأثرت في عقول المسلمين وراجت عندهم أشد من تأثير ورواج تلك العوامل الهدامة باضعاف مضاعفة بدليل أنها طبعت مرات .

الصحابه رضوان الله تعالى عليهم دعائهم الدين فالطعن فيهم طعن فيه

عدالة الصحابة رضوان الله تعالى عليهم ثابتة معلومة لكل مسلم كتابا وسنة وإجماعا . أما القرآن : ففيه نصوص كثيرة دالة على تعديل الله تعالى لهم وإخباره عن طهارتهم واختياره لهم ووعدده لهم بالاستخلاف في الأرض والتمسكين في الدين ووعدده لجميعهم بالجنة وقد ذكرت في كتابي (إتحاف ذوي النجابة بما في القرآن والسنة من فضائل الصحابة) سبع عشرة آية مطرزة مشروحة بخلاصة أقوال علماء الاسلام شرحا شافيا . اكتفى هنا بذكر خمس آيات منها . الأولى : أخباره عز وجل عن جميع أمة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم بأنهم خير الأمم قال تعالى ﴿ كنتم خير أمة أخرج للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾ فدخل في خطابها وفي هذا المدح العظيم بهذه الأوصاف الفاضلة الصحابة رضى الله عنهم قبل كل مسلم جاء بعدهم . الثانية . أخباره تعالى عنهم جميعا بأنهم متفاوتون في الفضل وأنهم جميعا في الجنة . قال تعالى ﴿ لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى ﴾ .

الثالثة : ثناؤه تعالى على جميع المهاجرين وتسميتهم بالصادقين ، وثناؤه على جميع الانصار وتسميتهم بالمفلحين . قال تعالى ﴿ للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون ، والذين تبوأوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ﴾ .

الرابعة : ثناؤه جل وعلا على أهل السبق إلى الاسلام من المهاجرين والانصار وإخباره برضاه عنهم ورضاهم عنه وباعداده لهم جنات تجري

من تحتها الانهار . قال تعالى ﴿ والسابقون الأولون من المهاجرين والانصار
والذين اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات
تجرى تحتها الانهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم ﴾

الخامسة : ثناؤه تعالى عليهم جميعاً بأنهم رضوان الله تعالى عليهم
متحلون باخلاق فاضلة وانهم متصفون بها فى الكتب السماوية السابقة كالطوراة
والانجيل وانه يغيب بهم الكفار ، قال تعالى ﴿ محمد رسول الله والذين
معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله
ورضواناً سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم
فى الانجيل كزراع أخرج شطئه فأزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب
الزراع ليغيب بهم الكفار ﴾ فهذه الآيات تقتضى القطع بعد التهم ولا
يحتاج أحد منهم مع تعديل الله له إلى تعديل أحد من الخلق . فلو لم يرد فى
القرآن إلا هى لكانت كافية شافية لكل من سلم من مرض القلب .

وأما السنة : فقد أخرج الشيخان وأصحاب السنن من حديث أبى سعيد
الخدري رضى الله تعالى عنه قال كان بين خالد بن الوليد وبين عبد الرحمن
ابن عوف رضى الله تعالى عنهما شئ فسيبه خالد . فقال رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم (لا تسبوا أصحابي فوالذى نفسى بيده لو أنفق أحدكم
مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه) . المد الحفنة وهو ملء اليدين
المتوسطتين لا مقبوضتين ولا مبسوطتين ، وإذا كان خالد وأمثاله ممن أسلم
قبل فتح مكة من الصحابة لو أنفق مثل أحد ذهباً لا يبلغ مد عبد الرحمن
وأمثاله من السابقين إلى الاسلام بل ولا نصفه . فكيف بمن أسلم من الصحابة
بعد الفتح وقد قال تعالى ﴿ لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل
أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى ﴾
فكيف بمن لم يكن صحابياً . وأخرج الترمذى وابن حبان فى صحيحه
من حديث عبد الله بن مغفل رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم (الله الله فى أصحابي لا تتخذوهم غرضاً فمن أحبهم فبحبي

أحبهم ومن أبغضهم فببغضى أبغضهم ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه .

وأخرج الترمذى عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما رفعه (إذا رأيتم الذين يسبون أصحابي فقولوا لعنة الله على شرکم) . وأخرج الطبرانى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما (من سب أصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين) . وروى البزار فى مسنده بسند رجاله موثقون عن جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (ان الله تعالى اختار أصحابي على الثقلين سوى النبيين والمرسلين) وروى الترمذى وصححه الضياء المقدسى عن بريدة رضى الله تعالى عنه رفعه (ما من أحد من أصحابي يموت بأرض إلا بعث قائد أو نوراً لهم يوم القيامة) . وأبو يعلى عن أنس رضى الله تعالى عنه (مثل أصحابي مثل الملح فى الطعام لا يصلح الطعام الا بالملح) . والامامان احمد ومسلم عن أبى موسى رضى الله تعالى عنه: (النجوم أمنة للسماء فاذا ذهب النجوم اتى السماء ما توعد وانا امنة لأصحابي فاذا ذهب أصحابي اتى امتي ما يوعدون) وتواتر عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال (خير الناس قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم) وخص عليه الصلاة والسلام جماعة منهم بمزايا ، فقد اخرج الترمذى عن انس رضى الله تعالى عنه رفعه انه عليه الصلاة والسلام قال : (ارحم امتي بامتى ابو بكر واشدهم فى امر الله عمر واشدهم حياء عثمان ، واقضاهم على واعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل ، وافرضهم زيد بن ثابت ، وأقرؤهم أبى بن كعب ، ولسكل قوم أمين وامين هذه الأمة ابو عبيدة ابن الجراح ، وما اظلت الخضراء ولا اقلت الغبراء اصدق لهجة من ابى ذر اشبه عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام فى ورعه) قال عمر رضى الله تعالى عنه افنصرف له ذلك يا رسول الله قال نعم : فاعرفوه . وخص العشرة بالجنة فقد اخرج ابو داود والترمذى عن سعيد بن زيد رضى الله تعالى عنه انه سمع من يسب علياً بحضرة بعض الأمراء فقال ألا أرى أصحاب النبى

صلى الله تعالى عليه وسلم يسبون عندكم ثم لا تنكروا ولا تغيروا . سمعته
صلى الله تعالى عليه وسلم يقول واني اخي أن أقول عنه ما لم يقل فيسألني
عنه غداً اذا لقيتته : (ابو بكر في الجنة وعمر في الجنة وعثمان في الجنة وعلى
في الجنة وطلحة في الجنة والزبير في الجنة وسعد بن مالك في الجنة
وعبد الرحمن بن عوف في الجنة وابو عبيدة بن الجراح في الجنة) وسكت
عن العاشر قالوا ومن هو العاشر قال سعيد بن زيد يعنى نفسه قال والله
لمشهد رجل منهم مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يغبر فيه وجهه خير من
عمل احدكم ولو عمر عمر نوح ، وخص الخلفاء الأربعة منهم عن جابر بن
عبد الله رضى الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
(ان الله اختار أصحابي على العالمين سوى النبيين والمرسلين واختار لى من
أصحابي أربعة أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً فجعلهم خير أصحابي وفي أصحابي
كلهم خير واختار أمتى على الأمم واختار من أمتى أربعة قرون الأول والثاني
والثالث والرابع) أخرجه البزار فى مسنده حكاه عنه عبد الحق فى الأحكام
وأخرجه ابن السمان فى كتاب الموافقة مختصراً وقال (اختار أصحابي على
جميع العالمين الأولين والآخرين إلا النبيين والمرسلين) هذه قطرة من بحر
فضائلهم الثابتة فى السنة .

وأما الاجماع فقد اتفق أهل الحق على أن جميعهم عدول على انه لو لم
يرد من الله ورسوله فيهم شيء من الفضائل لأوجبت الحال التى كانوا عليها
من الهجرة والجهاد ونصرة الاسلام وبذل المهبج والأموال وقتل الآباء
والأبناء والمناصحة فى الدين وقوة الايمان واليقين ، القطع بتعديلمهم ،
والاعتقاد بنزاهتهم وانهم كافة أفضل من جميع الخالفين بعدهم المعدلين الذين
جاؤا من بعدهم .

المحاضرة الثامنة عشرة

الخلافة

الخلافة رياسة عامة في أمر الدين والدنيا نيابة عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في أحكام الفروع لا ينتظم أمر المسلمين إلا بحصولها يقصد الشارع تحصيها في الجملة من غير أن يقصد حصولها من كل مسلم ولا انتظامها مصالح المسلمين الدينية والدنيوية صار الحق في تولية من يصلح لها لجميع الأمة واجباً عليهم وجوباً شرعياً لا عقلياً كفاءياً إذا قام بهذا الواجب من يعتد به ممن هو من أهل الحل والعقد من تيسر حضوره من غير اشتراط عدد، ولا اتفاق من سائر البلدان سقط عن الباقيين، بل لو تعلق الحل والعقد بواحد مطاع كفت بيعته .

والدليل على وجوبها على المسلمين شرعاً ، الكتاب والسنة والاجماع .
أما الكتاب : فقد أمر الشارع أمراً مطلقاً بإقامة الحدود وسد الشغور وتجهيز الجيوش وهذه الأمور لا تتم إلا بإمام يرجع إليه فيها .
وأما السنة فأحاديث كثيرة منها قوله صلى الله تعالى عليه وسلم : (الأئمة من قریش) .

وأما الاجماع : فاطباق الصحابة رضوان الله تعالى عليهم على بيعته الصديق في السقيفة يوم وفاته عليه الصلاة والسلام وفي اليوم الثاني البيعة العامة في المسجد قبل اشتغالهم بتجهيزه عليه الصلاة والسلام . فلو لم تكن الإمامة أمراً مهماً واجباً على المسلمين ما قدمها الصحابة على دفنه عليه الصلاة والسلام الذي هو أمر مهم عظيم فاذاً لا بد للإمامة الإسلامية من امام يقيم معالم الدين والسنة وينتصف للمظلومين ويستوفي الحقوق ويضعها موضعها والعقل يسوغ استحقاق الخلافة لكل من اجتمعت فيه شروطها لولا النص (الأئمة من قریش) .

تخطيطه في الخلافة

قال فيها في ص ١٥٨ مانصه (لم ير المسلمون بدءاً من إقامة من يخلف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في خلافة المسلمين ولم يوجد بين هذه الأمة شيء تشعبت فيه الآراء واختلفت الكلمة بمقدار ما كان منها في الخلافة ومدار البحث كان في أمرين . (الأول) البيت الذي يكون منه الخليفة . (الثاني) : الشكل الذي به ينتخب الخليفة .

(بيت الخلافة) : من المحقق ان الكتاب لم يشر أى اشارة الى تعيين بيت أو بطن أو شعب يكون منه خليفة المسلمين . وأما الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فروى عنه (الأئمة من قريش) كما أثر عنه (اسمعوا وأطيعوا وان تأمر عليكم عبد حبشي كأَن رأسه زبيبة) ، لم يدفن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حتى كانت هناك فكرتان (الأولى) عدم تخصيص الخلافة ببيت من البيوت ، (الثانية) تخصيصها ، وهذه الفكرة ذات شعبتين (الأولى) : تخصيصها بالبيت القرشي على اختلاف بطونه (الثانية) تخصيصها بالقرابة القريبة من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكان أقرب الناس اليه وقت موته من أعمامه العباس بن عبد المطلب ومن بنى عمه على وعقيل ابنا أبي طالب ويمتاز على من بينهم بسبقه الى الاسلام وشهوده مشاهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وتزوجه بابنته فاطمة ، ويمتاز العباس بأنه العاصب الوحيد له إن كان هناك إرث اه) .

قوله (لم ير المسلمون بدءاً من إقامة من يخلف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في خلافة المسلمين) دليل على وجوب الامامة على المسلمين شرعاً . ينقض ما يأتي في أثناء كلامه وفي آخره من انتقاده لها وما أخذ هذا الوجوب أدلة الكتاب المطلقة والعامة وأدلة السنة وإجماع الصحابة ، وقوله (ولم يوجد بين هذه الأمة شيء تشعبت فيه الآراء واختلفت الكلمة بمقدار ما كان منها في الخلافة) دليل على أهميتها عند جميع الطوائف المنتسبة إلى الاسلام ولم يخالف في وجوبها إلا الخوارج قالوا بحوازها وخالف بوجوبها (٢٣ - تحذير العبقري)

على الأمة الامامية والاسماعيلية فقالوا بوجوبها على الله تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً . وقال بعض المعتزلة واجبة على الأمة عقلاً وبعضهم قال عقلاً وسمعاً معاً ، وبعضهم قال واجبة في الفتنة دون الأمن ، وبعضهم عكس وكل هذه الأقوال وما تفرع عنها لا تشهد لها أدلة الكتاب والسنة فانتقاده للخلافة مطلقاً بسبب تشعب الآراء واختلاف الكلمة فيها غير صحيح لما بيناه أولاً

وليس كل خلاف جاء معتبراً إلاخلاف له حظ من النظر وقوله (ومدار البحث كان في أمرين (الأول) البيت الذي يكون منه الخليفة (الثاني) الشكل الذي ينتخب به الخليفة (يأتي تحقيق الكلام فيهما معاً . وقوله (من المحقق أن الكتاب لم يشرأى إشارة إلى تعيين بيت أو بطن أو شعب يكون منه خليفة المسلمين صحيح) ولكن حيث كانت حقيقة نيابة عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في أحكام الفروع ومصالح المسلمين الدينية والدنيوية . كفت فيها أدلة الكتاب العامة والمطلقة والمبين للناس . ما نزل اليهم قد بينها غاية البيان وعلماء الأمة الربانيون فهموا ذلك من الكتاب وأطبقوا عليه ﴿ وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾ . ﴿ ولو رددوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعليه الذين يستنبطونه منهم ﴾ فان كانت كل مسألة من مصالحنا كهذه تتوقف على تعيين الله لها لنا كأن يقول مثلاً : الخليفة هو فلان ابن فلان من القبيلة الفلانية فأى فائدة والحالة هذه في بيان الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم . وقد قال تعالى ﴿ وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون ﴾ وأى فائدة حينئذ في مدحه تعالى للعلماء برد كتابه الى الرسول واليهم بالاستنباط وبالرسوخ في العلم ، فالمتطلب لتعيين الخليفة شعباً وقبيلة من كتاب الله تعالى متنطع غير واثق ببيان الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ولا متبوع سميل المؤمنين ، قال (وأما الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فروى عنه « الأئمة من قریش » كما أثر عنه « اسمعوا وأطيعوا وإن تأمر عليكم عهد حبشى كأن رأسه زبيبة » اه) أقول حديث « الأئمة من

قریش « الذى حكاہ الخضرى بصيغة الضعف بقوله (وأما الرسول فروى عنه) نص صريح فى تعيين بيت الخلافة وهو متواتر نص الحافظ ابن حجر فى فتحه فى كتاب العلم فى شرح قوله صلى الله تعالى عليه وسلم (من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار) على انه متواتراً حديث المسح على الخفين ورفع اليدين فى الصلاة والحوض ورؤية الله فى الآخرة ومن بنى لله مسجداً وغيرها وافرده بجزء جمع فيه طرقه عن نحو أربعين صحابياً وقال فى كتاب الأحكام من فتحه جزء ١٣ مانصه والى اشتراط كون الامام قرشياً ذهب جمهور أهل العلم ثم قال وقال عياض اشتراط كون الامام قرشياً مذهب العلماء كافة وقد عدوها فى مسائل الاجماع ولم ينقل عن أحد من السلف فيها خلاف وكذلك من بعدهم فى جميع الأمصار ولا اعتداد بقول الخوارج ومن وافقهم من المعتزلة لما فيه من مخالفة المسلمين اهـ) .

بعض الأحاديث الدالة على خلافة الخلفاء الراشدين

رضى الله تعالى عنهم

وقد جاءت أحاديث كثيرة دالة على خلافة الخلفاء الراشدين الاربعة وعلى أفضليتهم والتمسك بسنتهم فمنها ما أخرجه أبو داود والترمذى وحسنه عن العرباض بن سارية رضى تعالى عنه قال وعظنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم موعظة بليغة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون فقلنا يا رسول الله كأنها موعظة مودع، فأوصنا قال (أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد حبشى وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة) . ومنها ما أخرجه الامام أحمد وأبو داود والترمذى والنسائى وأبو يعلى وابن حبان عن سفينة مولى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (الخلافة بعدى ثلاثون سنة) وقد اتفق العلماء على أنها تمت بمدة الحسن بن على رضى الله تعالى عنهما ثلاثين

سنة . ومنها ما أخرجه البزار في مسنده من قوله صلى الله تعالى عليه وسلم
 (ان الله اختار أصحابي على العالمين سوى النبيين والمرسلين واختار لي من
 أصحابي أربعة أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً فجعلهم خير أصحابي وفي أصحابي
 كلهم خير) وقد تقدم ، ومنها ما أخرجه الإمام أحمد في مسنده بسند جيد
 عن علي بن أبي طالب رضى تعالى عنه قال قيل يا رسول الله من تؤمر
 بعدك قال (إن تؤمروا أبا بكر تجدوه أميناً زاهداً في الدنيا راغباً في الآخرة
 وإن تؤمروا عمر تجدوه قوياً أميناً لا يخاف في الله لومة لائم ، وأن تؤمروا
 علياً وما أراكم فاعلين تجدوه هادياً مهدياً يأخذ بكم الصراط المستقيم) .
 ومنها ما رواه أحمد والترمذى وابن ماجه عن حذيفة رضى الله تعالى عنه
 قال قال عليه الصلاة والسلام (اقتدوا باللذين من بعدي أبا بكر وعمر) .
 ومنها في الصحيح (ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر) وقوله (مروا أبا بكر
 فليصل بالناس) ، وقوله للمرأة التى قالت له أرأيت ان جئت فلم أجدك
 قال (فان لم تجدني فأتى أبا بكر) وهو شيء كثير يصعب استقصاؤه .
 وحديث « اسمعوا وأطيعوا وان استعمل عليكم عبد حبشي كان رأسه
 زبيبة » صحيح أخرجه الأئمة أحمد والبخارى ومسلم وابن ماجه وابن حبان
 عن أنس مرفوعاً وتعبيره عنه بصيغة التمريض بقوله كما أثر عنه خطأ على
 أن الأثر على الصحيح عند الحديثين يطلق أيضاً على كل ما روى عن السلف
 وهذا الحديث محمول عند العلماء على الأمراء الذين هم دون الخليفة فلا يعارض
 حديث (الأئمة من قریش) ، والمقصود منه المبالغة في الأمر بالطاعة بضرب
 مثل في الحقارة وبشاعة الصورة بما لا يتصور في الوجود وقد أجمعت الأمة
 على أن الإمامة لا تكون في العبيد اختياراً .

غلطه الفاحش

في تقسيم الخلافة

فقوله (لم يدفن صلى الله تعالى عليه وسلم حتى كانت هناك فكرتان (الأولى) عدم تخصيص الخلافة ببית من البيوت (الثانية) تخصيصها ؛ وهذه الفكرة ذات شعبتين (الأولى) تخصيصها بالبית القرشي على اختلاف بطونه (الثانية) تخصيصها بالقرابة القرية من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الخ) يعنى أن الخلافة تنقسم إلى قسمين عامة وخاصة والخاصة أيضاً تنقسم إلى قسمين خاصة بقریش كلها وخاصة ببعض بطونها تقسيم فاسد مختلف والحقيقة المنقولة في تاريخ الاسلام وهو بين أيدينا أنه لم يكن هناك إلا فكرة واحدة وهى التخصيص . فالأنصار رضى الله تعالى عنهم وأوها خاصة بهم لانهم جند الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم والدار دارهم والمهاجرون كلهم وأوها خاصة بقریش كلها لانهم قرابته .

افتراؤه على الانصار

رضى الله تعالى عنهم فيها

قال في ص ١٥٩ (رأى عدم التخصيص كان للأنصار فانهم كانوا يريدون أن يكون الخليفة منهم لما كان لهم من فضيلة النصر والايواء والمساعدات العظيمة التي قاموا بها وان لم يتيسر ذلك كان منهم أمير ومن المهاجرين أمير اه) أقول تعبيرى بهذا العنوان وهو افتراؤه على الأنصار وان كان فيه شدة . استحققه لركوبه هواه ومخالفته تاريخ الاسلام المنقول صريحاً في اجتماعهم في سقيفة بنى ساعدة واتفاقهم على ارادة بيعة سعد بن عباد رضى الله تعالى عنه وخطبته الصريحة في كونها لهم خاصة وخطبة الحباب بن المنذر منهم كذلك ومحاورته للفاروق وامتناع سعد رضى الله تعالى عنه عن بيعة الصديق رضى الله تعالى عنه لما بايعه المسلمون كلهم حتى مات وكل هذا في جميع كتب التاريخ الاسلامي أوضح من الشمس في رابعة النهار ولو

كانوا رضى الله تعالى عنهم يرونها عامة ما اجتمعوا في السقيفة على سعد وما ترددوا في بيعة الصديق أبى بكر رضى الله تعالى عنه لانهم لا يشكون في كونه سيد المسلمين جميعاً ولم تقل الانصار رضى الله تعالى عنهم أن الخلافة يتولاها كل من كانت فيه الكفاءة والمقدرة من أى الناس كان حتى يصح للخوارج أن يأخذوا رأيهم عنهم كما سيزعمه وقد كفانا الرد على اقترائه كلامه وهو (فانهم كانوا يريدون أن يكون الخليفة منهم الخ) .

محامى الخوارج

قال فى الصفحة نفسها ، (وأخذ بهذا الرأى من بعدهم جميع الخوارج الذين كانوا يخرجون على الخلفاء فى أزمنة مختلفة ومنهم من كان يتسمى بأمير المؤمنين كقطرى بن الفجاءة وليس من قريش وإنما هو رجل من تميم وهؤلاء كانوا يرون أن القصـد من إمامة المسلمين إنما هو توجيههم الى الصلاح وابعادهم عن الشر والسير فيهم بأوامر دينهم غير ناظرين فى ذلك إلى بيت أو قبيلة بل إلى ما فى الشخص من المقدرة والكفاءة ويستندون فى رأيهم إلى قاعدة وضعها القرآن وهى (إن اكرمكم عند الله أتقاكم) اهـ . أقول ما كفته فريته على الانصار انهم يرون الخلافة عامة لا تختص بقريش حتى ضم اليها أخرى . وهى أن الخوارج أخذوا مذهبهم فى كون الخلافة عامة لا تختص بقريش من رأى الانصار وهو باطل من أربعة أوجه (الأول) أن الانصار رضى الله تعالى عنهم يرونها خاصة بهم بدليل حججهم التى أدلى بها خطباؤهم وقد ذكر المحاضر بعضاً منها فى كلامه ولو كانوا يرونها عامة ما نازعوا المهاجرين فى مبدأ أمرهم قبل احتجاج الصديق عليهم بالنص القرآنى والنص النبوى المتواتر لانهم يعترفون بفضله كما تقدم وحينئذ فبناء مذهب الخوارج على رأى الانصار بناء على غير أساس وتفريع على غير أصل . (الثانى) جل الصحابة مهاجرين وانصاراً وغيرهم ماعدا الشيخين وأفراداً قليلين كفار فى رأى الخوارج فكيف يعقل أخذهم هذا الرأى عن الكفار والعمران اللذان يقدسهما الخوارج يرونها خاصة بقريش امتثالاً

للنص . (الثالث) أخذهم هذا الرأي عن الانصار لا يخلو من أن يكون تقليدا لهم أو موافقة لهم في الاجتهاد وكلاهما باطل فان كان تقليدا لهم فهل يعقل تقليد من يعتقد أن الايمان انحصر فيه للكفار ، وان كان موافقة لهم في الاجتهاد فهل يعقل موافقة المؤمن في زعمه للكافر في رأيه في الاجتهاد (الرابع) على فرض صحة أن الانصار رضى الله تعالى عنهم رأوا في مبدأ الأمر أن الخلافة عامة لا تختص بقريش ولا بهم فقد رجعوا عن هذا الرأي حين احتج عليهم الصديق رضى الله تعالى عنه بالقرآن والحديث المتواتر فقال لهم ، إن الله تعالى قد سماكم في سورة الحشر بالمفلحين وسمانا فيها بالصادقين وقد أمركم الله تعالى في سورة التوبة بأن تكونوا معنا ، قال تعالى فيها :-

((يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين)) فدل هذا على أن الخلافة فينا وسمعته عليه الصلاة والسلام يقول (الأئمة من قريش) فنحن الامراء واتم الوزراء ، فأذعنوا رضى الله تعالى عنهم وبادروا إلى بيعته ، فاذا كيف يعقل أخذهم رأياً رجع عنه أصحابه . فتلخص بهذا التقرير ان رأى الخوارج هذا مبنى على الهوى لا صلة له بالانصار ولا بالوحى كله وان سلسلة اتصالهم بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم الذى يزعمون انهم مؤمنون به وبما جاء به من عند الله تعالى مقطوعة كتاباً وسنة وإجماعاً وذلك لأن الوحى كله قرآناً وسنة انما حملها اليها الصحابة الذين هم كفار في زعمهم والكافر ليس بعدل ولا ثقة ولأجل ذلك اهدروا السنة كلها ولم يأخذوا إلا بالقرآن في زعمهم وقد قال عليه الصلاة والسلام فيهم (يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم) أى لا يفهمونه ، ولهذا قال فيهم عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما (هم شرار الخلق عمدوا الى آيات نزلت في الكفار فحملوها على المؤمنين) ، قال الخضرى منوها بشأنهم بذكر اسم رجل منهم محاميا عنهم بذكر حجتهم (وشبه الشيء منجذب اليه) ومنهم من كان يتسمى بأمر المؤمنين كقطرى بن الفجاءة وليس من قريش وانما هو رجل من تميم وهؤلاء كانوا يرون ان القصد الى أن قال ويستندون في رأيهم الى قاعدة

وضعها القرآن وهي ﴿إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ اتَّقَاكُمْ﴾، الخوارج دعاة الفوضى
وغضو فاسد في جسد الامة الاسلامية تتجارى بهم الالهواء كما يتجارى
الكلب بصاحبه وهم فرق كثيرة متفقة كلها على تكفير جل الصحابة والامة
الاسلامية جمعاء، ويكفر أيضاً بعضهم بعضاً ويتبرأ منه لا بسط مسألة
وأتفه سبب . منهم البيهسية والصفورية والاباضية والازارقة وهؤلاء من
اشدهم غلواً يستحلون دماء جميع المسلمين رجالاً ونساءً وأطفالاً واحتج
شيخهم نافع ابن الازرق على ذلك بقول نوح عليه الصلاة والسلام ﴿رَبِّ
لَا تَنْذِرُ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دِيَارًا إِنَّكَ إِنْ تَنْذِرْهُمْ يَصْلُوا عِبَادَكَ وَلَا
يَلِدُوا إِلَّا فِاجِرًا كَفَّارًا﴾ ، وقطري بن الفجاءة المنوه به من هذه الفرقة
وقد حاربه القائد المحنك المهلب بين أبي صفرة وفي آخر زمن قطري ان فصل
عنه أكثر جنده الموالى وولوا عليهم رجلاً يقال له عبد ربه وكفروه ومن
معه من العرب ثم حاربوه حرباً شديدة حتى اجاوه مع أصحابه عن البلد
الذى هم نازلون به فجاء المهلب فقتل على هؤلاء الموالى مع أميرهم ثم تتبع
قطرياً حتى قتله مع كثير من أصحابه، فولى بقيتهم عليهم بعده عبيدة بن هلال
اليشكري فتبعهم المهلب أيضاً حتى قطع دابرهم كلهم . وقوله (ويستندون
في رأيهم إلى قاعدة وضعها القرآن وهي ﴿إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ اتَّقَاكُمْ﴾
صحيح ولكنها لا تدل على مدعاهم لأنه تعالى قال (عند الله) أى لا عند
المخلوقين في الدنيا فهذه العندية والله تعالى أعلم تشير الى أن التقوى محلها
القلب كما في الصحيح (التقوى ههنا التقوى ههنا) وأشار عليه الصلاة
والسلام الى صدره ، وان قيل في معناها انها مراعاة حدود الله أمراً ونهياً
والاتصاف بما أمرك أن تتصف به والتزهر عما نهاك عنه فلا شك أن
المراعاة والاتصاف بما ذكر انما يصدران عن المضغة التي اذا صلحت صلح
الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله وهي القلب ، والقلوب بيد الله تعالى
يقلبها كيف شاء لا سيطرة للخوارج وغيرهم عليها ولا عبرة بالطاعات
الظاهرة اذا كانت القلوب خربة بدليل المنافقين المفضوحين في القرآن ولا

بكثرة العبادة والزهد بدليل قوله عليه الصلاة والسلام للصحابه في وصف الخوارج (تحقرون صلاتكم مع صلاتهم وصيامكم مع صيامهم يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية) فدل حديثهم هذا على أن الظاهر لا عبرة به إذا كان الباطن الذي هو رئيس الأعضاء (القلب) قد استحوذ عليه الشيطان على أنه قد لا يطرد مع الباطن بدليل قوله عليه الصلاة والسلام في الصحيح (ان الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس حتى ما يبقى بينه وبينها إلا شبر أو ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخل النار ، وان الرجل ليعمل بعمل أهل النار فيما يبدو للناس حتى ما يبقى بينه وبينها إلا شبر أو ذراع فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخل الجنة اه) . وبدليل قوله عليه الصلاة والسلام أيضا (رب اشعث اغبر ذى طمرين لا يؤبه به لو أقسم على الله لأبره) ، والمؤمن انما يدخل الجنة برحمة الله تعالى كما في الحديث الصحيح لا بعمله وان كان سببا في ذلك ، والشيطان المقدسان عند الخوارج لم يكونا رضى الله تعالى عنهما أكثر الصحابة عبادة وزهداً ولكنهما كانا من أشد عباد الله تعالى خوفاً منه ﴿ فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون ﴾ .

تقويم رأيه الثانى ونقد كلام ابن خلدون الذى اعتمد عليه فيه

قال فى الصفحة نفسها (ورأى التخصيص بقريش كان فى ذلك الوقت رأياً للجمهور لما رواه لهم أبو بكر من ذلك الحديث المتقدم ذكره وقد بين أبو بكر طرفاً من علة هذا التخصيص بقوله ان هذا الامر ان تولته الأوس نفسه عليهم الخزرج وان تولته الخزرج نفسه عليهم الأوس ولا تدين العرب إلا لهذا الحى من قريش اه) .

أقول : تقدم أن التحقيق فى شأن الخلافة انه لم يكن فيها إلا فكرة واحدة وهى التخصيص فالأنصار رضى الله تعالى عنهم فى أول اجتماعهم رأوا أنها خاصة بهم والمهاجرون كلهم رأوا أنها خاصة بقريش وأجمع الصحابة (٢٤ - تحذير العبقري)

كلهم بعد بيان الصديق البليغ على أنها في قريش لذلك بايعوه كلهم ، فقوله (قرأى التخصيص بقريش كان في ذلك الوقت رأياً للجمهور) غير صحيح وصواب الكلام أن يقول تخصيص الخلافة بقريش انعقد عليه الاجماع بعد النص . وقوله (لما رواه أبو بكر لهم) تقدم أن حديث الأئمة من قريش رواه نحو أربعين صحابياً فيكون أبو بكر من جملة رواته ، وقوله (وقد بين أبو بكر طرفاً من علة هذا التخصيص بقوله إن هذا الأمر إلى آخر الكلام) هذه الالفاظ التي ذكرها الخضرى من كلام أبى بكر رضى الله تعالى عنه كلها ليست في تاريخى ابن جرير وابن الاثير والذى في ابن جرير من جملة خطبته رضى الله تعالى عنه (فخص الله تعالى المهاجرين الاولين من قومه بتصديقه والمواساة والصبر معه على شدة أذى قومهم وتكذيبهم إياه وكل الناس لهم مخالف زار عليهم فلم يستوحشوا لقلة عددهم وشنف الناس لهم فهم أول من عبد الله في هذه الأرض وآمن بالله وبالرسول وهم أولياؤه وعشيرته وأحق الناس بهذا الامر من بعده لا ينزعهم إلا ظالم) وهو بعينه في الكامل لابن الاثير وزاد هذا من كلام الصديق ، (وإن العرب لا تعرف هذا الامر إلا لقريش هم أوسط العرب دار ونسباً) وفي ابن جرير من كلام عمر رضى الله تعالى عنه يخاطب الانصار رضى الله تعالى عنهم (والله لا ترضى العرب أن يؤمروكم ونبينا من غيركم ولكن العرب لا تمتنع أن تولى أمرها من كانت النبوة فيهم وولى أمورهم منهم) ، قال الخضرى : (ومن هنا استنبط العلامة بن خلدون استنتاجه أن السرفى تخصيص قريش بالخلافة إنما هو ما كان لهم من العصبية والتقدم على سائر بطون العرب . بهذا يعترف لهم الناس ولا ينكره عليهم أحد فإذا كان الخليفة منهم لا يفتظر أن يعارضه أحد من القبائل الاخرى مهما يكن قدره عظيماً ، وبني على ذلك انه لما كانت العلة هى العصبية التي بها يكون اجتماع الكلمة ، فكانت عصبية قريش جاء عليها وقت فيه ضعفها حتى لم تعد قادرة على حماية البيضة والدفاع عنها وكانت الشريعة مبنية على العدل والحكم في كل

زمان بحسبه كان من الممكن أن تكون الخلافة في غير قریش من فيهم تلك القوة والعصبية المجتمعة اهـ) قوله ومن هنا استنبط العلامة ابن خلدون الخ الكلام أى من الكلام الذى نسبته المحاضر إلى الصديق وزعم أنه طرف من علة هذا التخصيص وهو: (ان هذا الأمر أن تولته الاوس نفسته عليهم الخرج ، وأن تولته الخزرج نفسته عليهم الاوس ولا تدين العرب إلا لهذا الحى من قریش) استنباط خاطيء من ثلاثة أوجه (الاول) تقدم أن هذا الكلام لم يذكره ابن جرير وابن الاثير اللذان هما عمدة ابن خلدون فلا يصح التمسك به وجعله طرفاً من علة هذا التخصيص (الثانى) على فرض صحته لا حجة فيه لما ادعاه ابن خلدون من أن السر أو العلة في تخصيص قریش بالخلافة ما كان لهم من العصبية والتقدم على سائر بطون العرب ، ولو كانت هذه الدعوى صحيحة ما نازعتهم الانصار فيها ، وقوله وكانت الشريعة مبنية على العلة والحكم ، صحيح ولكن دعواه أن السر في تخصيص قریش بالخلافة هو العصبية والتقدم على سائر بطون العرب غير صحيحة (الثالث) العلة في تخصيص قریش بالخلافة هو مقام النبوة لا العصبية والتقدم وهى واضحة لكل من رزق فهماً مستقيماً في كلام الصديق الذى احتج به على الانصار، وفي كلام الفاروق أيضاً اللذين نقلناهما ، قال الصديق لهم : (فخص الله المهاجرين الأولين من قومه بتصديقه والمواساة له والصبر معه على شدة أذى قومهم وتسكينهم إياه وكل الناس لهم مخالف زار عليهم فلم يستوحشوا لقله عددهم وشنف الناس لهم فهم أول من عبد الله في هذه الأرض وآمن بالله وبالرسول وهم أولياؤه وعشيرته وأحق الناس بهذا الأمر من بعده لا ينازعهم الا ظالم) ألا يرى القارىء تلك المزايا التى عدها أبو بكر للمهاجرين كيف تدور كلها حول مقام النبوة ، ألا ينظر الى تصريحه بالعلة في قوله فهم أولياؤه وعشيرته وأحق الناس بهذا الأمر من بعده لا ينازعهم الا ظالم.

وصرح لهم الفاروق في كلامه بالعلة فقال : (والله لا ترضى العرب

ان يؤمروكم ونبيها من غيركم ولكن العرب لا تمتنع ان تولى امرهم من كانت النبوة فيهم وولى امورهم منهم) ، وقریش كانوا فى القديم متفرقين فى قبائل العرب حول مكة غير معروفى المكانة واول من جمعهم وبوأهم بمكة وجعل لهم مكانة معروفة بين العرب قصى بن كلاب أحد أجداد النبی صلی الله تعالى علیه وسلم ولكن هذه المكانة لم تقدمهم على سائر بطون العرب ولم تجعل لهم العصبية عليهم جميعاً كما زعم ابن خلدون وانما حفظوا بها كياناتهم كسائر قبائل العرب ولما جاءت حادثة الفيل واهلك الله تعالى أبرهة وجيشه لما أراد هدم الكعبة الشريفة سببت لهم احترام العرب جميعاً وأكدت احترامهم لبيت الله تعالى زيادة على ما كان له من التعظيم فى قلوبهم لما دفع الله تعالى به عنه وعنهم من كيد ذلك الطاغية وجيشه الجرار لا للعصبية والتقدم المزعومين لهم على سائر بطون العرب ولأجل ذلك قالت العرب فيهم (اهل الله دافع عنهم) ، وتقدم ان حادثة الفيل كانت ارهاصاً (اى دليلاً من دلائل نبوته عليه الصلاة والسلام)

افتراؤه على أمير المؤمنين

على بن ابى طالب كرم الله وجهه فى الخلافة

قال فى آخر صفحة ١٥٩ مانصه : (ورأى التخصيص بالقرابة القرية كان اعلى بن ابى طالب ومن شايعه وكان يرى نفسه احق بالخلافة من سواه لقرابته من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كما صرح بذلك فى حديث مع ابى بكر ولما لم يكن له مساعد يساعده على نيل ذلك الحق الذى رآه لنفسه أذعن لرأى الجمهور) ، اقول كلامه هذا باطل من اثنى عشر وجهاً . (الاول) لم تذكر كتب الصحاح والمسانيد بل ولا كتب التاريخ وابرزها واقربها تناولاً لكل طالب علم ابن جرير وابن الاثير أن علياً رضى الله تعالى عنه ومن شايعه قال الخلافة مخصصة بينى هاشم لا تكون فى غيرهم من قریش فنحن نتحدى كل من تخصص فى التاريخ من المعاصرين واغتر

بكلامه هذ ان ينقل لنا فريته هذه عن مؤرخ اسلامى مشهور اما هو فقد مضى الى الديان وسيجازيه جزاء النواصب الأفاكين . (الثانى) روى ابن اسحق فى سيرته فى مرض رسول الله صلى تعالى عليه وسلم الذى توفى فيه عن ابن عباس رضى الله تعالى عنها قال (خرج يومئذ على بن ابى طالب رضى الله تعالى عنه على الناس من عند رسول الله صلى تعالى عليه وسلم فقال له الناس يا أباحسن كيف اصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال اصبح بحمد الله تعالى بارئاً ، قال فأخذ العباس بيده ثم قال يا على انت والله عبد العصا بعد ثلاث . أحلف بالله لقد عرفت المسوت فى وجه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كما كنت اعرفه فى وجوه بنى عبد المطلب فانطلق بنا الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، فان كان هذا الامر فينا عرفناه وان كان فى غيرنا أمرناه فأوصى بنا الناس ، قال فقال له على انى والله لا افعل والله لان منعناه لا يؤتيناه أحد بعده اه) فهذه القصة صريحة فى براءة على وعمه العباس وجميع بنى هاشم بما اقترأه عليهم من تخصيص الخلافة بهم .

(الثالث) حكمه برأيه الفاسد على ضمائر القلوب وما فى القلوب لا يعمله الا الله بقوله (وكان يرى نفسه احق بالخلافة من سواه) ورأى هنا علمية قطعاً أى يعلم نفسه احق بالخلافة من غيره ولا سبيل للمعرفة أن عليا كان يرى نفسه إلى آخر الهراء إلا من وحي شيخه ..

(الرابع) لو فرض صحة هذا الاقترأ عليه بانه كان يرى نفسه الخ لكان احتجاجه بالقرابة من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى قوله (لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم) صحيحاً لان الشيخين رضى الله تعالى عنهما قد احتجباها على الانصار رضى الله تعالى عنهما وقد تقدم صريحاً فى كلامهما الذى نقلناه فى محاورتهما لهم وقوله مؤيداً فريته (كما صرح بذلك فى حديث مع ابى بكر) غير صحيح وعلى فرض صحة هذا الحديث من على مع أبى بكر رضى الله تعالى عنهما هو حجة عليه وهو الوجه . الخامس - وقد ذكره ابن جرير من طريق الزهرى مطولاً ومضمونه

ان عليا وبنى هاشم لم يبايعوا الصديق إلا بعد ستة أشهر بعد وفاة فاطمة
رضى الله تعالى عنها وان أبا بكر أتاهاهم ، وقص حديث على الذى أشار اليه
المحاضر محتجاً به على فريته وهو حجة عليه منه ، (فقام على فحمد الله تعالى
وأثنى عليه ، بما هو أهله ثم قال أما بعد : فإنه لم يمنعنا من ان نبايعك يا أبا بكر
انكار لفضيلتك ولا نفاسة عليك بخير ساقه الله اليك ولسكننا كما نرى أن لنا
في هذا الأمر حقاً فاستبددتم به علينا ثم ذكر قرابته من رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم وحقهم فلم يزل على يقول ذلك حتى بكى أبو بكر اه) فهذا
كلام واضح صريح من على فى أفضلية الصديق رضى الله تعالى عنه وكونه
مع بنى هاشم يرون لهم حقاً فى الخلافة حق وصدق وصحيح فان كل بطن
من بطون قريش لهم حق فيها لأنها فيهم كلهم لقوله عليه الصلاة والسلام
« الأئمة من قريش » فليتأمل القارئ اللبيب كيف حرف كلامه (كنانرى
أن لنا فى هذا الامر حقاً) لنصبه الى اسم التفضيل فقال (كان يرى نفسه
أحق بالخلافة من سواه) والفرق بين كون الشخص يرى له حقاً فى شىء
مع غيره من الناس وبين كونه يرى نفسه أحق بذلك الشىء من غيره يعرفه
صغار الطلبة فكيف بمحاضر التاريخ الاسلامى صاحب المؤلفات العديدة
ولم يكتف بهاتين الفرقتين فى أبى الحسن وهما كونه يرى تخصيص الخلافة
بالقربة القرية وكونه يرى نفسه أحق بها من غيره بل ضم اليهما ثالثه وهو
سعيه لنيل ذلك الحق ولكن لما لم يجد مساعداً له عليه أذعن لرأى الجمهور
قال (ولما لم يكن له مساعد يساعده على نيل ذلك الحق الذى رآه لنفسه
أذعن لرأى الجمهور) ويبتل هذه القرية . السادس - وهو أن حيدرة رضى
الله تعالى عنه كان مغتبطاً بخلافة الصديق لم يسع لنفسه فى نيلها وهذه كتب
التاريخ الاسلامى ترد هذه القرية فلو سعى لطلبها لنقلت ذلك ولو برواية
ضعيفة لسكنها لم تنقله . السابع - وقعت لابی سفيان بن حرب شبهة القومية
فأقبل بعد بيعة أبى بكر رضى الله تعالى عنه : وهو يقول إني لأرى عجاجة
لا يطفئها إلا دم يا آل عبد مناف فيم أبو بكر من أموركم أين المستضعفان

أين الأذلان على والعباس ما بال هذا الأمر في أقل حى من قرش ثم قال لعل
ابسط يدك أبايعك فوالله أئن شئت لأملأنها عليه خيلاً ورجلاً ، فأبى على
رضى الله تعالى عنه عليه فتمثل بقول المتلمس :

ولن يقيم على خسف يراد به إلا الأذلان غير الحى والوتد
هذا على الخسف مربوط برمته وذا يشج فلا يبكى له أحد
فزجره على رضى الله تعالى عنه وقال والله انك ما أردت بهذا إلا الفتنة
وانك والله طالما بغيت للإسلام شراً لا حاجة لنا في نصيحتك ، ووقعت
لأبن عمه خالد بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف وهو
من السابقين الى الاسلام. وهاجر الهجرتين لقي علياً وعثمان بن عفان رضى
الله تعالى عنهم جميعاً. بعد بيعة أبى بكر رضى الله تعالى عنه فقال يا أبا الحسن
يا بنى عبد مناف أغلبتم عليها - يعنى الخلافة - فقال له على أمغالبة ترى أم
خلافة ، فهاتان القصتان تبطلان فرياته الثلاث وتدلان على اغتباط أبى
الحسن ورضاه بخلافة الصديق مع وجود المساعد القوى له على نيلها وبغيره
من الأوجه. ظهر فساد قوله (ولما لم يكن له مساعد يساعد على نيل ذلك الحق
الذى رآه لنفسه اذعن لرأى الجمهور) وانه قطعاً أحقوة الراضية التى
يسمونها التقية وهى رزية لا تقية . وظهر أن المحاضر لا يسالى بتاريخ
الإسلام أن يحجمه من هواه. ومن المذاهب الفاسدة. ومن آراء المستشرقين
والماديين وغيرها .

(الثامن) إن علياً رضى الله تعالى عنه قد بايع الصديق رضى الله تعالى
عنه فى ثانى يوم السقيفة ولم يفارقه فى سفر ولا حضر. وقد حضر معه قتال
الأعراب المرتدين بنى حسا والأبرق وذى القصة حققه الحافظ بن كثير
فى البداية قال وما ذكره كثير من المؤرخين كابن جرير وغيره من الأخبار
المخالفة لما فى الصحيح فهى مردودة على قائلها وناقليها اه . ويستلزم قوله
يرى نفسه أحق بالخلافة من سواه انه يرى نفسه أفضل الصحابة على الإطلاق
وسياًتى ما يدل على هذا البهتان فى كلامه كله ويبطله ثناء على رضى الله تعالى

عنه وأهل بيته على الشيخين رضى الله تعالى عنهما وتفضيلهما مع عثمان على نفسه، وتهديد من فضله عليهما بحد المفترى أى القاذف .

(التاسع) ثناؤه على الصديق الأكبر الشفاء البليغ أخرج البزار عن محمد ابن الحنفية عن أبيه على رضى الله تعالى عنه . انه خطب فقال: من أشجع الناس؟ فقالوا أنت فقال أما إني ما بارزني أحد إلا انتصفت منه ولكنه أبو بكر لقد رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أخذته قریش فيجؤه هذا وهذا يتلقاه ويقولون له أنت تجعل الآلهة إلهاً واحداً فوالله ما دنا منا أحد إلا أبو بكر يضرب هذا ويدفع هذا ويقول ويلكم . أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله، ثم بكى على ثم قال أنشدكم الله أمؤ من آل فرعون أفضل . أم أبو بكر . فسكت القوم فقال على . والله لساعة من أبي بكر خير منه ، ذاك رجل يكتم إيمانه وهذا يعلن بإيمانه .

(العاشر) ثناؤه على عمر رضى تعالى عنه الشفاء البليغ صح عن جعفر الصادق عن أبيه الباقر أن علياً رضى الله تعالى عنه وقف على عمر رضى الله تعالى عنه بعد ما مات وهو مسجى وقال: (ما أقلت الغبراء ولا أظلت الخضراء أحداً . أحب إلى أن ألقى الله تعالى بصحيفته من هذا المسجى) وفي رواية صحيحة انه قال له وهو مسجى صلى الله عليك ودعا له .

(الحادى عشر) قال ابن كثير فى البداية قد ثبت عنه بالتواتر انه قال على منبر الكوفة : (ايها الناس ان خير هذه الامة بعد نبينا ابو بكر ثم عمر ولو شئت ان اسمى الثالث لسميت ثم قال وهو نازل من المنبر عثمان) وأخبره رضى الله تعالى عنه بكون الشيخين خير الامة ثبتت عنه من رواية ابنه محمد بن الحنفية وأبي جحيفة العامرى وجاءت عنه من طرق كثيرة بحيث يجزم من تتبعها بصدور هذا القول من على . قال الذهبي وقد تواتر ذلك عنه فى خلافته وكرسى مملكته وبين الجمل الغفير من شيعته ثم بسط الاسانيد الصحيحة فى ذلك قال: ويقال رواه عن على نيف وثمانون نفساً وعد منهم جماعة . والرافضة وأذنا بهم لما لم يمكنهم انكار صدور هذا القول منه لظهوره

عنه بحيث لا ينكره الا جاهل بالآثار أو مباغت ، قالوا انما قال على ذلك تقية ، وما احسن ما ابطال به الباقر هذه التقية المشنومة لما سئل عن الشيخين فقال انى أتولاهما فقليل له انهم يزعمون ان ذلك تقية ، فقال انما يخاف الاحياء ولا يخاف الاموات فعل الله بهشام بن عبد الملك كذا وكذا اخرجه الدارقطنى وغيره ، وهشام إذ ذاك خليفة فلم يخف منه .

(الثانى عشر) ثبت عنه رضى الله تعالى عنه انه قال من فضلى على ابى بكر وعمر جلده حد الفرية ، واخرج الحفاظان أبو ذرى الهروى والدارقطنى من طرق ان بعضهم مر بنفر يسبون الشيخين فاخبر علياً وقال لولا انهم يرون انك تضر ما اعلنوا ما اجترأوا على ذلك فقال على أعود بالله رحمهما الله ، ثم نهض فأخذ بيد ذلك المخبر وادخله المسجد فصعد المنبر ثم قبض على لحية وهى نضاء فجعلت دموعه تتحادر على لحية وجعل ينظر البقاع حتى اجتمع الناس ثم خطب خطبة بليغة من جملة ما بال أقوام يذكرون أخوى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ووزيره وصاحبيه وسيدى قریش وأبوى المسلمين وأنا برىء مما يذكرون وعليه معاقب صحبا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بالجد والوفاء والجد فى أمر الله تعالى . يأمران وينهيان ويقضيان ويعاقبان . لا يرى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كراهيهما رأياً ولا يحب كحبهما حباً لما يرى من عزهما فى أمر الله . فقبض وهو عنهما راض . والمسلمون راضون . فما تجاوزا فى أمرهما وسيرتهما رأى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأمره فى حياته وبعد مماته فقبضا على ذلك رحمهما الله تعالى ، فوالذى فلق الحبة وبرأ النسمة لا يحبهما إلا مؤمن فاضل ولا يبغضهما ويخالفهما إلا شقى مارق ، وحبهما قرابة وبغضهما مروق ، ثم ذكر أمر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لا أبى بكر بالصلاة وهو يرى مكان على ثم ذكر أنه بايع أبابكر ثم ذكر استخلاف أبى بكر لعمر . قال : ألا ولا يبلغنى عن أحد انه يبغضهما الا جلده حد المفترى اه .

(٢٥ - تحذير العبقرى)

افتراءه ايضا على وعلى التاريخ الاسلامى

قال فى صفحة ١٦٠ (مكث رأى الاوسط سائداً والاخير خامداً لا يجد له محركا حتى كان آخر عهد عثمان فقام بالحوضر الاسلامية دعاة له ينهبون الناس اليه ويقبحون من خالفه اذ كيف يحرم الخلافة قرابته وهذا موضع من الامة شديد الاحساس فسرعان ما تنبه وقد كان سبباً لخطوب طويلة ومصائب عظيمة ذهب فى سبيلها الخليفة الثالث عثمان بن عفان ومع هذا فلم يصف الأمر للخليفة الرابع على بن أبى طالب لأنه قام فى وجهه نصف الامة قادماً اليه من الشمال غير متأثر من تلك الدعوة التى قصد منها اقرار الأمر فى نصابه من بيت النبوة وكان هناك تصادم بين الرايين وقد غلبت القوة واحسان السياسة رأى التخصيص بالقرابة حيث انتهى الحال بظفر معاوية بن أبى سفيان بالخلافة وهو من بنى أمية وليس من بنى هاشم اه) ، أقول هذا الهراء كله مبنى ومفرع على تقسيمه للخلافة وعلى فرياته الثلاث فى على رضى الله تعالى عنه وقد أبطلت ذلك كله بالبراهين سابقاً فلا رأى أول ولا أوسط ولا أخير .

ومسألة الخلافة انعقد عليها إجماع الامة بأنها فى قریش بعدبيعة الصديق فى السقيفة فقوله مكث رأى الاوسط سائداً فاسد وكذلك قوله والاخير خامداً وقوله لا يجد له محركا إلى قوله ذهب فى سبيلها الخليفة الثالث عثمان ابن عفان افتراء أيضاً على وعلى التاريخ الإسلامى فان الذين قاموا بالحوضر الاسلامية على أمير المؤمنين عثمان رضى الله تعالى عنه مشغبين حتى أدى ذلك إلى قتله شهيداً لم يقوموا لهذا رأى الذى افتراه على حيدرة وكرر لوكه فى مهتراته وانما قاموا عليه لاسباب واهية ترجع الى شيء واحد وهو أن النعمة أبطرتهم لانهم لا صحبة لهم ولا بصائر ولا فقه فى الدين وإنما هم من الاعراب والمرتدين الذين أرجعوا بسيوف الصحابة رضوان الله تعالى عليهم الى الدين كرها فلما شاركوا الصحابة فى فتوحات

فارس والروم تطاولوا بذلك على قریش كلها وظنوا أنهم فعلوا أفعالا في الاسلام لم تقم بها قریش ولا أصحاب النبي الله صلى الله تعالى عليه وسلم رجعت اليهم شذشنة الجاهلية التي أخذها نور النبوة . لما توفي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فظهرت تلك الجذوة التي كانت كامنة في صدورهم فطار شررها على الجزيرة كلها وتقوت بأدعياء النبوة المشعوذين فلم يثبت على الاسلام الا أهل المدينة ومكة والطائف وقرية جواثي بالبحرين فقام أحزم الخلق وأشجعهم وأفضلهم بعد الانبياء، فقضى على المشعوذين وأرجع المرتدين الى الدين صاغرين بعد ما كانوا يتكلمون به ويكنونه بأبي الفصیل بتلك الزمرة الفاضلة من الصحابة فاندمجوا في الجيوش الفاتحة تحت قيادة الصحابة رضوان الله تعالى عليهم . وكان الفاروق رضى الله تعالى عنه لا يولى على قيادة الجيوش وامارة الامصار الا صحابيا وبالرغم من هذا كله فقد ظهر وميض تلك الجذوة على ألسنتهم بعد وقعة القادسية قال أحدهم .

إذا قتلنا ولا يسكى لنا أسعد
وقالت قریش ألا تلك المقادير
وقال آخر :

فأبنا وقد آمت نساء كثيرة
ونسوة سعد ليس فيهن أيم

وسعد هو ابن أبي وقاص الزهري القرشي أحد العشرة المبشرين بالجنة وولاه الفاروق قائداً على جيوش المسلمين بالعراق . ومعنى البيت : يزعم انهم رجعوا من محاربة أعدائهم وقد قتل كثير من رجالهم فتأيمت نساؤهم أى صرن أياى ، ولم تتأيم نساء سعد لأنه لم يقتل ، وهذا رمى منه لهذا الصحابي الجليل بالجنون وقد كذب الحديث فوافق سعد في غزوات النبي صلى الله تعالى عليه وسلم غرر في جبين الدهر وهو أول من رمى بسهم في سبيل الله وقد قال له صلى الله تعالى عليه وسلم يوم أحد : ارم سعد فذاك أبى وأمى ، قال الحاكم : رمى سعد بن أبي وقاص يوم أحد وكان رامياً عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بألف سهم لم يسقط له واحد منها . وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول :

سعد بن أبي وقاص يعد بألف فارس ، اخرجهم الملاء في سيرته . وسأل
 الفاروق عمرو بن معدى كرب عنه فقال : متواضع في جبايته ، عربي في نمرته
 أسد في تاموره ، يعدل في القضية ، ويقسم بالسوية ، وهو لنا كالأب الهب
 والام المتحننة ، واذا صاح الصائح أسد في تاموره وهو مع ذلك عاتق في
 حجلتها من الحياء ولم أر مثله ، فقال عمر لم أر كاليوم ثناء أحسن منه اه .
 وقد ولاه الفاروق على الكوفة بعد فتحه عاصمة كسرى (المدائن) فشكاه
 أهل الكوفة إلى عمر رضى الله تعالى عنه فأرسل محمد بن مسلمة رضى الله
 تعالى عنه اليهم وأمره ان يدور بسعد عليهم قبيلة قبيلة ويناشدهم بالله
 ما تقولون في أميركم سعد بن أبي وقاص ، فدار عليهم محمد بن مسلمة به وقال
 لهم كما أمره الفاروق فكلهم أثنى عليه إلا رجلاً من بني عبس يقال له اسامة
 ابن قتادة فانه قام وقال : اما اذ نشدتنا فان سعداً لا يسير في السرية ، ولا
 يعدل في القضية ، ولا يقسم بالسوية . فقال سعد رضى الله تعالى عنه وكان
 بحاجب الدعوة . اللهم ان كان عبدك هذا قام رياء وسمعة وبطراً اللهم أطل
 عمره وأدم فقره وعرضه للفتن . قال بعض التابعين فلقد رأيت في شوارع
 الكوفة وهو شيخ كبير يتعرض للجوارى أى الشابات يغمزهن أى يمسكن
 فاذا ليم على ذلك قال شيخ مفتون ادركتنى دعوة الرجل الصالح سعد بن
 أبي وقاص . ولم يقف هؤلاء الاوباش دعاة الفتنة عند هذا الحد في سعد بل
 ذهب جماعة من أعراب بنى أسد الى عمر وزعموا ان سعداً لا يحسن
 الصلاة فعزل له عمر رضى الله تعالى عنهما فلما قدم سعد المدينة قال له عمر
 كيف تصلى يا أبا اسحق قال أركد في الاولين وأحذف الاخيرتين قال ذلك
 الظن بك يا أبا اسحق فقال متأسفاً على كون الاعراب الذين ذمهم القرآن
 يعرفون الصلاة وهو ذو السابقة في الاسلام يحفلها أبعد اسلامى وهجرى
 وجهادى مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أصبحت أعراب بنى
 أسد تعزرنى في الدين ، والقصة كلها مسطرة في صحيح البخارى
 وقد مهد لهم عزل هذا السيد الجليل سبيل نشر فتنتهم ضد قریش

والخلفاء وجرأهم بعد علي أمير المؤمنين عمر فلم تبق له في نفوسهم
حرمة ولا هيبة فكانوا بعد هذه الجريمة التي ارتكبوها في سعد رضي الله
تعالى عنه كلما ولي عليهم أمير شكوه إليه لا تفقه سبب فيعزله عنهم فمن تولى
عليهم وعزل عمار بن بن ياسر رضي الله تعالى عنه حتى اضطجروه واتعبوه
رضي الله تعالى عنه فدعا الله تعالى في آخر حجة حجها فقال اللهم قد كبرت
سني وضعفت قوتي وانتشرت رعتي فأقبضني إليك غير مضيع ولا مفتون ،
وقال بعد ما طعنه أبو لؤلؤة أوصي الخليفة من بعدى باهل الكوفة ان طلبوا
كل يوم عزل أمير وتولية آخر ان يفعل ، وكان قتله رضي الله تعالى عنه
كسراً لباب هذه الفتنة التي كان يدرؤها ويرقع فتقها بحزمه كما في حديث
حذيفة عند الشيخين أن عمر رضي الله تعالى عنه الباب الذي بين المسلمين
وبين الفتنة وان ذلك الباب يكسر وكسره هو قتله فاذا قتل عمر رضي
الله تعالى عنه انفتح باب الفتنة بين المسلمين بالسيف ولا يغلق الى يوم
القيامة فما تولى عثمان رضي الله تعالى عنه الا وقد انتشر شرر هذه الفتنة
ضد قريش وخلفائهم فانضم أهل البصرة إلى اهل الكوفة فصار العراق كله
عشاً لقاداتها ثم انزوى تحت لوائها المصريون فما مضت سنون من خلافة ذي
النورين حتى اصبح لها جيش جرار شبهها بالتشبيب ضده بطراً ثم بالذهاب
إليه وحصاره بالمدينة وقتله رضي الله تعالى عنه ، وما خوارج حروراء الذين
قتلهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه بالنهر وان ، وكل
من خرج بعدهم على الخلفاء إلا سريّة من هذ الجيش وفصيلة من تلك القبيلة
وغصن من اغصان هذه الشجرة الخبيثة التي غرست في زمان عمر وبقيت
اغصانها تذبل وتيبس وتخضر وتورق بحسب الظروف وقدمات جل مصايح
الأمة وقاداتها الكرام الصحابة رضوان الله تعالى عليهم في خلافة عثمان
رضي الله تعالى عنه فخلصت قيادة الجيش والرياسة لجل هؤلاء فوجدوا
لهم مرتعاً خصيباً فخرجوا عليه رضي الله تعالى عنه حتى قتله ظلماً فهم
اول الخوارج واسهم ، وبهذا ظهر افتراؤه على حيدرته وعلى التواريخ

الاسلامى ، وهذه الفرية الرابعة فى حق على رضى الله تعالى عنه . وقوله (ومع هذا فلم يصف الأمر للخليفة الرابع على ابن ابى طالب لانه قام فى وجهه نصف الامة الى آخر الكلام) مشتمل على (ثمان فريات) ايضاً ، فتعليل عدم صفاء الامر لعلى بقيام معاوية فى وجهه فاسد وغباوة وجهل بتاريخ البشر ومن الذى صفت له اموره كلها من عباد الله المخلصين فهذا سيد الخلق محمد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كذبه جل قومه ونصبوا له العداوة والبوا عليه العرب فلما ادخلهم فى الدين الحق عام الفتح نبتت له هو اذن ففضى عليهم ثم تلاهم اهل الطائف فلمّا ثاب هؤلاء الى الحق فى السنة التاسعة من هجرته صلى الله تعالى عليه وسلم نجم مسيلمة باليامة فادعى النبوة وكتب اليه عليه الصلاة والسلام يزعم انه شرك معه فى النبوة وان له ولقومه نصف الارض ولقريش نصفها فأغوى جل قومه ، ثم تلاه الاسود الغنسى باليمن ، وطليحة بن خويلد الاسدى قرب المدينة ، وفى الحديث الصحيح انه عليه الصلاة والسلام قال (رأيت كأن فى يدي سوارين من ذهب فكرهتهما فاوحى الى ان انفخهما فنفختهما فطارا فاولتها بهذين الكذابين اللذين أنا بينهما الاسود ومسيلمة) فلقى عليه الصلاة والسلام ربه جل وعلا ، وقد جاءت البشرى لصديقه بقتل الاسود الكذاب ولكن أكثر العرب رجع الى دين الجاهلية ، فنجم ايضاً كذابان لقيط الأزدي ذو التاج بجنوب الجزيرة وسجاح بنت الحارث فى شمالها الشرقى فأصبح الصديق يعانى أمراً تعجز عن حمله شوامخ الجبال فقابله بحزم وشجاعة يعجز عنها أبطال البشر غير الأنبياء فأنفذ جيش إسامة الذى جهزه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم إلى الشام فى آخر حياته وقد عارضه الصحابة فى إنفاذه ، وهاجم المدينة ليلاً أتباع طليحة المتنبي طمعاً فخرج الصديق اليهم فيمن بقى من شيوخ المهاجرين والأنصار فكبسهم بذي حسا فقتل فيهم قتلاً ذريعاً وهرب بقيتهم إلى الأبرق وجاءهم مدد من قومهم فخرج إليهم ايضاً فى الشيوخ المباركين فقتل منهم مقتلة عظيمة ثم عقد أحد

عشر لواء لقتال المرتدين بالجزيرة ، ولما فرغ هؤلاء القواد الكرام من العرب وفتحوا أطراف فارس والروم أتى الصديق رضى الله تعالى عنه أجله المحتوم شهيداً وكان رضى الله تعالى عنه قد أكل أكلة قبل موته بسنة مع الحارث بن كلدة الثقفي وكان هذا طبيباً فقال له يا خليفة رسول الله ان هذا الطعام فيه سم سنة وأنا وأنت نموت بعد سنة فماتا في يوم واحد فتولى الفاروق واشتغل المسلمون باتمام الفتح الذى أسسه الصديق فكره احداث قریش عمر رضى الله تعالى عنه لمنعه لهم من الخروج من المدينة إلى الأمصار فلما تولى عثمان رضى الله تعالى عنه أذن لهم فكان أحب اليهم من عمر. ذكر المؤرخون وأهل الطبقات كابن الأثير وابن سعد فى طبقاته : أن عمر رضى الله تعالى عنه ما مات حتى ملته قریش وملها يعنى الاحداث منهم لا الصحابة وأهل السابقة . وقد أثر عنه انه قال : ما ترك الحق لعمر صديقاً . وما جاء آخر خلافته إلا وقد انقرض كثير من طبقة الصحابة فتغلبت عليهم طبقة المخضرمين والاعراب المرتدين الذين أرجعوا الى الدين كرهاً بسيف أولئك المصاييح البررة فبدأ الخلل وأحس بذلك الفاروق وبالرغم من حزمه المعروف عجز عن مداواة أهل الكوفة لكثرة شكائاتهم لأمرائهم العادلين فقال : أعجب لمائة ألف من المسلمين لا يرضون عن أمرائهم ما ذا أصنع لهم وتقدمت وصيته رضى الله تعالى عنه لمن يتولى بعده بتنفيذ رغبتهم ودعاؤه . وتولى ذو النورين رضى الله تعالى عنه وقد عظم شرر تلك الجذوة فى آخر خلافته بشكايات أهل مصر وأهل العراقين لأمرائهم وفى آخرها بنهوضهم إليه وحصارهم له وقتله . وهذا عمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه عهد إليه ابن عمه سليمان بن عبد الملك بالخلافة . فرد المظالم المغتصبة من أبناء أعمامه لأصحابها فأرادوا القيام فى وجهه فلم يستطيعوا فادسوا عليه سمّاً فمات شهيداً ، فأى صفاء أمر حصل لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولخلفائه الثلاثة وعمر بن عبد العزيز مع العبء الثقيل الذى حملوه والجهاد المستمر إلى وفاتهم حتى يقال فى على أنه لم يصف له الامر فليس من شرط

القائم بالحق عند كل من له مسكة من عقل أن يطيعه جميع الناس ويرضوا عنه والناس كلهم لم يطيعوا ولم يرضوا عن خالقهم ورازقهم بل عصاه أكثر خلقه من الثقلين وعبدوا غيره .

(الفرية الاولى) من الثمان قوله قام في وجهه نصف الامة وهذا كذب واضح يدركه كل مسلم فان أهل الشام لم يكونوا ربع الامة التي بايعت علياً رضي الله تعالى عنه فان قيل مراده بنصف الامة الجيش فان الجيش الذي خرج به معاوية إلى علي رضي الله تعالى عنهما قالوا كان تسعين ألفاً وجيش علي نحو ثمانين ألفاً . قلت لا يصح إطلاق لفظ الامة على الجيش وحده على أن علياً إنما حارب معاوية بجيش أهل العراق فقط ولم يحاربه بجميع جيوش الاقطار التي بايعه أهلها كالجزيرة العربية ومنها الحرمان واليمن وحضرموت وعمان وجيوش مصر وفارس .

الثانية - قوله قادماً إليه من الشمال فان علياً رضي الله تعالى عنه توجه من المدينة إلى العراق لما بلغه ذهاب عائشة وطلحة والزبير إلى البصرة ليتلافى أمرهم فتمت المفاهمة معهم واجتمعت كلمتهم لولا أولئك الخوارج الذين قتلوا عثمان رضي الله تعالى عنه فانهم كانوا موجودين في الجيشين فقال بعضهم لبعض ان اتفق هؤلاء فانهم يتبعوننا ويقتلوننا فاتفقوا على انه اذا جاء الليل رمى بالسهم من في جيش عائشة وطلحة . منهم جيش علي ، ورمى من في جيش علي منهم جيش طلحة وعائشة فانشبوا الحرب بين الجيشين قالوا فما ينتصر احد الجيشين على الآخر إلا وقد وهنا جميعاً فيفسدنا ، فتمت مكيدتهم على المسلمين وكان أمر الله قدراً مقدوراً . ولما فرغ أمير المؤمنين من أهل الجمل توجه بجيش العراق إلى معاوية بعد اخفاق معالجته بالرسل من المشرق إلى المغرب وخرج معاوية من الشام إلى المشرق فالتقى عند صفين بطرف الفرات .

الثالثة - قوله غير متأثر من تلك الدعوة الخ يقول (ان معاوية وأهل

الشام توجهوا لمحاربة على غير هائبين ولا متأثرين من تلك الدعوة التي قام بها الخوارج على عثمان بالخواضر الاسلامية وقصدوا منها اقرار الامر في نصابه من بيت النبوة يعنى ارجاع الخلافة لعلي الذي يرى نفسه أحق بها من غيره) ، وهذه فرية عظيمة على معاوية رضى الله تعالى عنه وعلى جميع أهل الشام تقتضى علم جميعهم بأن الثوار الذين قاموا على عثمان رضى الله تعالى عنه بالامصار انما قاموا كلهم لأجل الدعاية لعلي الذي يرى نفسه أحق بالخلافة من غيره فعلم جميعهم بما ذكر فرية باطلة مبنية على باطلة وهي قيام الثوار على عثمان لأجل ذلك وهذه أيضا مبنية على باطلة وهي أن عليا يرى نفسه أحق بالخلافة من غيره ومعاوية ومن معه انما امتنعوا من مبايعة على وحاربوه من أجل الثوار على عثمان الذين كثير منهم في جيشه ، فطلبوا منه تسليمهم اليهم ليقبضوا منهم ثم . بعد ذلك يبايعوه فقال لهم رضى الله تعالى عنه ادخلوا فيما دخل فيه المسلمون ثم بعد ذلك حاكموهم إلى ، لامن أجل هذه الفريات وهذه كتب التاريخ الاسلامي كلها ناطقة بهذا .

الرابعة والخامسة - قوله وكان هناك تصادم بين الرأيين ، يعنى رأى على وهو تخصيص الخلافة بالقرابة القرابية وانه أحق بها من غيره على زعمه ، ورأى معاوية وهو أنها في قریش كلهم لا يختص بها على ، وكفى بهذا البهتان عليهما وقاحة وقلة حياء ، وفي موطأ الامام مالك من كلام النبوة الأولى (اذا لم تستح فاصنع ما شئت) .

السادسة والسابعة والثامنة - قوله (وقد غلبت القوة واحسان السياسة رأى التخصيص بالقرابة حيث انتهى الحال بظفر معاوية بالخلافة وهو من بنى أمية وليس من بنى هاشم اه ، تكذيب التاريخ الاسلامي لوقاحته وسوء أدبه في هذه الفريات الثلاث وهي قد غلبت القوة واحسان السياسة ، وظفر معاوية بالخلافة أوضح من الشمس فان التاريخ نقل ان جيش معاوية مع كونه أكثر عدداً من جيش على رفعوا المصاحف على الرماح يدعون إلى كتاب الله تعالى مكيدة لما أشرفوا على فضيحة الهزيمة الكبرى

وان القتل فيهم أكثر منه في جيش علي ، قتل منهم خمس وأربعون ألفاً ، وقتل من العراقيين خمس وعشرون ألفاً ، ولم يقل مؤرخ يفتنى الى الاسلام ان علياً كان مسيئاً في سياسته ولم يقل مؤرخ مسلم ان معاوية ظفر بالخلافة وتسمى بها على المسلمين عموماً مدة حياة علي رضي الله تعالى عنه بل ولامدة ابنه الحسن ، وهذا المحاضر لا يستحي من كثرة الكذب والبهتان ، والحياء من الايمان ، ولاشك ان الذي يكذب على الله وعلى الرسول ويسفه الامة الاسلامية جمعاء كما تقدم في حادثتي الفيل والاسراء وغيرهما لا يصعب عليه الكذب والبهتان على الخلفاء والتاريخ الاسلامي ، ثم بنى على فريتيه في علي انه يرى تخصيص الخلافة بالقرابة القرابية وانه احق بهامن غيره عقيدة الشيعة وخروج بعض ذريته على الملوك فثرثر بكلام كثير منه . (مازال ابناء علي يرون هذا الحق لهم ارثاً لا ينازعهم فيه الا ظالم وتمنى قلوب شيعتهم أن ينالوا هذا الحق فيحملون الواحد منهم بعد الواحد على الخروج فيخرجون وتكون العقابة قتلاً وتمثيلاً) فهب ان الشيعة كانوا يعتقدون وجوب تخصيص الخلافة بعلي واولاده كما يعتقدون فيه غير هذه كثيراً من الا باطيل التي نسبوها اليه والى الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم كاعتقادهم انه وصى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم على الخلافة بل تغالوا فيه الى ان الهوه وكفروا الصحابة رضوان الله تعالى عليهم وخطوا مقام النبوة وخونوا جبريل عليه السلام في الرسالة ، فهل يقول عاقل أن علي على تبعة خباثتهم هذه ، وقد كان كثير من عوام الشام - يعتقدون في ملوك بني امية انهم هم قرابة الرسول لا غيرهم وانهم معصومون ويلعنون علياً على المنابر قالوا حتى ترك اهل حران من حمقهم صلاة الجمعة خلف امام لم يلعن علياً ، وقد نقل التاريخ غلو بعض امرائهم كالحجاج وخالد بن عبد الله القسري فيهم وفي الخط من علي ما تقشعر له الا بدان ، فهل علي بنى امية ذنب وتبعة بسبب هذه العقائد الفاسدة اذا لم يأمر وهم بها وبالرغم من ذهاب دولتهم ومجىء الدولة العباسية بقي فيهم بعض العقائد وهى تفضيل معاوية على علي ، فقد جاء الرملة بعد الثلاثمائة الامام المحدث النسأى المشهور

فسأله اهأها عن أيها افضل ، فقال لهم أما يرضى معاوية أن يساوى عليا حتى يفضل عليه فداسوه بالأقدام حتى ذهب ضحية تعصبهم شهيداً رحمه الله تعالى ، فقلوه مازال أبناء علي إلى آخر الكلام فرية ايضاً على الابناء الخارجين على الملوك مبنية على فرياته في ايهم وقد أبطلتها وحكم فاسد منه على ضمائر قلوبهم ومن أين له انهم كانوا يعتقدون ذلك الحق الذي اقتراه على ايهم وعليهم فيخرجون لأجله وان شيعتهم هم الذين يحملونهم على الخروج، وهذا التاريخ الاسلامي يكذبه يدل على ان شدة الحيف عليهم هي التي ربما تحمل بعضهم على ذلك . فهم كغيرهم من الناس خروج من خرج منهم فأخفق وقتل ونجاح من نجح منهم فصارت له دولة في الشرق أو في الغرب ليس مبنية على افتراءه وانما هو عادة بشرية لا يستنكرها الا جاهل بتاريخ البشر . وقد خرج كثير من الناس غيرهم على العباسيين فأخفق بعضهم ونجح البعض فصارت لهم دول ، وهذا في التاريخ الاسلامي أشهر من نار على علم وعلى تقدير صحة خروجهم لا اعتقادهم ان الخلافة خاصة بهم أي وزر على ايهم في هذا الاعتقاد الفاسد وقد قال تعالى ﴿ ولا تزر وازرة وزر اخرى ﴾ فهو برىء منه كبراءة الذئب من دم يوسف عليه السلام .

والناس من يلق خيراً قائلون له ما يشتهي ولإم المخطيء الهبل

وفيها أيضاً قال : (ولكن بنو العباس جدت عندهم فكرة الدعوة الى انفسهم بعد وفاة ابي هاشم بن محمد بن علي عن غير عقب فزعموا انه أدلى بالامر الى محمد بن علي بن عبد الله بن العباس اه) قوله في ابي هاشم عبد الله ابن محمد المشهور بابن الحنفية ابن علي انه توفي عن غير عقب غير صحيح بل له عقب . وقوله زعموا أنه أدلى بالامر يعنى الخلافة إلى محمد بن علي ابن عبد الله بن العباس هذا أمر محقق وليس بزعم وقد نقله التاريخ قالوا وفد أبو هاشم من المدينة إلى الشام على سليمان بن عبد الملك فأكرمه وقضى حوائجه ورأى من عليه وفصاحته ما حسده عليه فوضع عليه من

وقف على طريقه وهو راجع إلى الحجاز. فسمه في لبن فلما أحس أبو هاشم بالشر قصد قرية الحيمة من أرض الشراة وبها محمد بن علي بن عبد الله بن العباس فنزل عنده حتى مات وأعلمه أن هذا الأمر صائر إلى ولده وعرفه كيفية بث الدعوة .

انتقاده الخلافة مطالباً

قال المحاضر في آخر صفحة (١٦١) (هذا كان شأن الاختلاف في البيت الذي يكون منه خليفة المسلمين ، شكل الانتخاب لم يرد في الكتاب أمر صريح بشكل انتخاب خليفة لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اللهم الا تلك الأوامر العامة التي تتناول الخلافة وغيرها مثل وصف المسلمين بقوله تعالى ﴿ وأمرهم شورى بينهم ﴾ ، وكذلك لم يرد في السنة بيان نظام خاص لانتخاب الخليفة إلا بعض نصائح تبعد عن الاختلاف والتفرق كان الشريعة أرادت أن تكل هذا الأمر للمسلمين حتى يحلوه بأنفسهم ولولم يكن الأمر كذلك لمهدت قواعده وأوضحت سبله كما أوضحت سبل الصلاة والصيام وغيرهما اهـ) . أقول يريد بقوله هذا كان شأن الاختلاف في البيت الذي يكون منه خليفة المسلمين ، الاختلاف الذي حصل بين بني هاشم وبني أمية وبين بني العباس والعلويين من بني هاشم على الخلافة والملك وباب الاختلاف بين المسلمين بالسيف والفتنة قد فتح بقتل الفاروق رضى الله تعالى عنه كما في حديث حذيفة بن اليمان في الصحيح وقد تقدم بل هو مسألة طابها عايه الصلاة والسلام من ربه فلم يعطها كما في الحديث (سألت ربي ثلاثاً فأعطاني اثنتين ومنعني الثالثة سألته أن لا يهلك أمتي بالخسف أو المسخ فأعطانيها ، وسألته أن لا يسلط عليهم عدواً من غيرهم حتى يستأصلها فأعطانيها ، وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها) وحينئذ فالتنازع بين المسلمين مفروغ منه بل هو سنة كونية معهودة في بني آدم منذ النشأة ، وقوله شكل الانتخاب لم يرد في

الكتاب إلى قوله وأمرهم شورى بينهم، تقدم الجواب عنه في صدر بحث الخلافة، وقوله وكذلك لم يرد في السنة بيان نظام خاص لانتخاب الخليفة إلى قوله والتفرق تقدم الجواب عنه أيضاً بما يشفى ويكفي غير المتنطع وقوله كأن الشريعة أرادت أن تسلك هذا الأمر للمسلمين حتى يحلوه بأنفسهم ، غير صحيح فإن أدلة الشريعة العامة والمطلقة كتاباً وسنة قد أرشدت الأمة إليه وقد تقدم ذكرها. نعم تعيينه بشخصه موكول إلى أهل الحل والعقد منهم حيث أن الإمام حق واجب عليهم لمصالحهم الدينية والدنيوية وقوله ولو لم يكن الأمر كذلك لمهدت قواعده وأوضحت سبله كما أوضحت سبل الصلاة والصيام وغيرهما مبني على نفيه وورود شكل الانتخاب في الكتاب وورود بيان نظام خاص لانتخاب الخليفة في السنة يعني لو لم يكن أمر الخلافة كما قلت من عدم ورود شكل انتخابها في الكتاب وعدم ورود بيان نظام خاص لانتخاب الخليفة في السنة بل ورد فيهما مانفيته. لمهدت قواعده إلى آخره وهو فاسد من خمسة أوجه . (الأول) الخلافة من مسائل الفروع وليست من الأصول والقواعد وقد جعلها بجملها من القواعد كالصلاة والصوم. بقوله ولو لم يكن الأمر كذلك لمهدت قواعده وأوضحت سبله . (الثاني) هي حق واجب على الأمة لمصالحهم فيكفي في إثباتها أدلة الكتاب العامة والمطلقة ودليل السنة المتواتر المعين لها قبيلة ، فشكل انتخاب الخليفة والنظام الخاص به إذا موكول لأهل الحل والعقد من الأمة، وقد أوضحت وعيخته ونظمته سنة الخلفاء الراشدين المهديين وجماعة المسلمين ، فالنافي شكل انتخابها من الكتاب وبيان نظام خاص بها في السنة خاطيء خطأ قبيحاً متنطع غير واثق بأدلة الكتاب العامة والمطلقة ولا ببيان الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وغير متبع سبيل المؤمنين . (الثالث) حيث ثبت أنها من مسائل الفروع فجعلها بتعيين الكفء لها من حق الأمة أهل الحل والعقد فاناطة تعيين ذلك بالكتاب والسنة عبث وإهدار لمواهب عقول الأمة التي مدحها الله تعالى في كتابه العزيز في

آيات كثيرة والكتاب والسنة لم ينصا على كل فرعية تقع للمكلفين في الكون ومن يدعى ذلك فهو كاذب معاند، وإذا كانت كل فرعية كهذه تتوقف على تعيين الله تعالى وتعيين الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فأى فائدة حينئذ في مدحه تعالى للعلماء المستنبطين والراسخين في العلم. (الرابع) مضى على هذه الامة المرحومة المبرزة على جميع الامم بكثرة العلماء والمؤلفين الف وثلثمائة وثلثة وسبعون عاما ولم يقل مؤرخ منها أو غير مؤرخ ان شكل انتخاب الخليفة لم يرد في الكتاب وكذلك لم يرد في السنة بيان نظام خاص لانتخابه على اختلاف مذاهبهم فيها. (الخامس) يلزم من منطوق كلامه هذا الطعن في الاجماع اجماع الصحابة على خلافة أبي بكر واجماعهم على خلافة الفاروق بعد استخلاف الصديق له واجماعهم على خلافة ذى النورين واجماعهم على خلافة حيدرة من باب أولى ولا يقال انه اعترف بالاجماع لأنه قال (كان الشريعة أرادت ان تكل هذا الأمر للمسلمين حتى يحلوه بأنفسهم) لأننا نقول هذا الكلام متضارب متناقض فاسد وبيانه انه قال كأن الشريعة أرادت ان تكل هذا الأمر للمسلمين الخ ومقصوده بالشريعة الكتاب والسنة فصار حل المسلمين لها أى اجماعهم ليس من الشريعة بمنطوقه ، وقد اتفق المسلمون على أن أصول الشريعة أربعة الكتاب والسنة والاجماع والقياس . وقد جمع هذا المحاضر كتابا في أصول الفقه على هذه الاربعة طبعه انتقد في مقدمته عموم الاصوليين وخصوصا منهاج البيضاوى وجمع الجوامع لابن السبكي وتحرير ابن الهمام، وزعم انه لم يعن أحد بالكتابة في الاصول التي اعتبرها الشارع في التشريع ، وان أحسن من رآه كتب في ذلك أبو اسحق الشاطبي في موافقاته وانه كلف في سنة ١٩٠٥ م ان يملى دروسا في أصول الفقه على طلبة كلية غردون الذين يربون ليكونوا قضاء بمحاكم السودان الشرعية قال (وان الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده لما زارهم أشار عليه بمطالعة كتاب الموافقات وصاحب الموافقات وان أجاد في الإسلوب الذى ابتكره في أصول الفقه إلا أن ارتباط كلامه

بعضه ببعض واسهباه خرج بكثير من مسائله عن الفن الى التفسير
 كالسلسلة لا يستطيع الخضرى ولا من هو اكبر منه ان يقتصر عليه دون
 كتب هذا الفن في تحصيله أو التأليف فيه على أن أبا اسحق وفق
 بكتابه هذا الذى أشاد بمدحه هو وشيخه بين مذهبي الامامين مالك وأبي
 حنيفة وما كان متبذخا ولا متوقفا على عباد الله ولا مزدريا لعلماء الاسلام
 وتأليفه فيه انما هو مرتب ومستفاد من تلك الكتب التى ذمها وذم أصحابها وهذا من
 نكر ان الجميل وأصله الإعجاب بالنفس وقدورته من شيخه محمد عبده وقد كان هذا
 وكثير من تلامذته يذمون فقه المذاهب الأربعة يزعمون أنه حال بين المسلمين
 وصلاتهم بالكتاب والسنة حيث يأخذون دينهم بأصوله وفروعه منهما
 ولكنهم يحتاجون اليه فيما يهوونه من المسائل والفتاوى وهم دائما يحتاجون
 اليه والى أتباعه وان ذموه وذموهم ومن منعهم من أخذ دينهم منهما مباشرة
 وهم أحرار وكتب المذاهب المدونة وأتباعها ليس لديهم مدافع وقنابل حالوا
 بها بينهم وبين كتاب الله وسنة رسوله . فالطريق واسع أمامهم مأمون
 فليخرجوا من هذه الكتبية ليفهموا منهما دينهم فهما لا ينابذ لغة الضاد
 والسواد الأعظم . ولو وقف هؤلاء فى ثقتهم بأنفسهم واعجابهم بها عند
 العلماء وفقه المذاهب لكانت علينا المصيبة ولكنهم ترقوا إلى الطعن فى
 الصحابة حملة الدين والدنيا الينا وتحريف كتاب الله تعالى بالتأويلات الفاسدة
 والطعن فى سنته عليه الصلاة والسلام وانكارها ما لم توافق أهواءهم ثم
 ذكر المحاضر طرائق الخلافة الثلاث التى سنّها الخلفاء الراشدون وأجمع
 عليها الصحابة رضوان الله تعالى عليهم . (١) انتخاب الصديق لها قال فيها
 (وقد أثر عن عمر رضى الله تعالى عنه أنه قال كانت بيعة أبى بكر فلتة وقى
 الله شرها ، قال ذلك لما علم أن بعض الناس قال لو أن أمير المؤمنين مات
 لبايعت فلاناً : مضت هذه البيعة من غير أن يتبين للناس البيئة التى لها الحق
 فى انتخاب الخليفة إلا أنها سنت الانتخاب من حيث هو) قوله وقد أثر
 عن عمر رضى الله تعالى عنه إلى قوله وقى الله شرها معناه وقاهم ما فى العجلة
 غالباً من الشر لأن العادة أن من لم يطلع على الحكمة فى الشيء الذى يفعل

بغية لا يرضاه وقد بين عمر رضى الله تعالى عنه سبب إسماعهم ببيعة أبي بكر لما خشوا أن يبايع الانصار سعد بن عباد رضى الله تعالى عنهم قال أبو عبيد عجلوا ببيعة أبي بكر خيفة انتشار الأمر وأن يتعلق به من لا يستحقه فيقع الشر ، والمراد أن أبا بكر ومن معه من المهاجرين تفلتوا في ذهابهم إلى الانصار فبايعوا أبا بكر بحضرتهم وفيهم من لا يعرف ما يجب عليه من بيعته فقال منا أمير ومنكم أمير ، فالمراد بالفلتة ما وقع من مخالفة الانصار وما أرادوه من مبايعة سعد بن عباد رضى الله تعالى عنه في بدء الأمر ، فابتدأوها كان من غير ملاء كثير والشئ إذا كان كذلك يقال له الفلتة فيتوقع فيه ما لعله يحدث من الشر بمخالفة من يخالف في ذلك عادة فكفى الله تعالى المسلمين الشر المتوقع في ذلك عادة ، لا أن بيعة أبي بكر رضى الله تعالى عنه كان فيها شر وقوله قال ذلك لماعلم إلى آخر المقول صحيح ولكن لا دلالة فيه على أن بيعة الصديق رضى الله تعالى عنه غير تامة وقد وضحت معناه ولا حجة أيضا في قول ذلك القائل لو أن أمير المؤمنين مات لبايعت فلاناً حتى على ما قاله المسلمون في تعريفها أنها حق واجب على المسلمين وجوباً شرعياً كنفائيا إذا قام بهذا الواجب من يعتمد به ممن هو من أهل الحل والعقد من تيسر حضوره من غير اشتراط عدد ولا اتفاق من سائر البلدان سقط عن الباقي بل لو تعلق الحل والعقد بواحد مطاع كفت بيعته ودل كلام الفاروق هذا الذى نقل المحاضر بعضه وكله منقول فى الصحاح والتاريخ على أن هذا القائل غير مطاع بل هو من المتمنين المتسرعين ، وعلى رأى المحاضر الذى يشترط فى صحة بيعة الخليفة اتفاق رأى جميع الحواضر الإسلامية كما سيأتى فى نقده خلافة حيدرة لا حجة فيه من باب أولى وقوله (مضت هذه البيعة من غير أن يتبين للناس البيعة التى لها الحق فى انتخاب الخليفة إلا أنها سنت الانتخاب من حيث هو ،) باطل فإن المسلمين الصحابة رضوان الله تعالى عليهم ، قد تبين لهم وعليهم أن أهل الحل والعقد الذين تنعقد بهم بيعة الخليفة لا يتقيدون ببيعة مخصوصة لأن المبايعين

له في السقيفة جماعة من الانصار ولم يحضرها جلهم ومن المهاجرين القرشيين عمر وابو عبيدة فقط ولم يقل شخص ينتسب الى الاسلام ان هذه البيعة ناقصة غير تامة ولا ان هذا الانتخاب ناقص لانه (لم يتبين فيه للناس البيئة التي لها الحق في انتخاب الخليفة) ماعدا الرافضة ومبايعته رضى الله تعالى عنه في اليوم الثاني بالمسجد البيعة العامة انما هي مؤكدة للاولى وليحضرها من كان بالمدينة من المسلمين ، هكذا يتخبط هذا المحاضر في ابطال اجماع سادات هذه الامة الصحابة على بيعة الصديق رضى الله تعالى عنه بما يمليه عليه الشيطان فقال سابقاً (١) لم يرد في الكتاب امر صريح بشكل انتخاب الخليفة لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال (٢) لم يرد في السنة بيان نظام خاص لانتخاب الخليفة وقال هنا (٣) مضت هذه البيعة من غير أن يتبين للناس البيئة التي لها الحق في انتخاب الخليفة الا انها سنت الانتخاب من حيث هو (٢) وقال في الطريقة الثانية ان يعهد الخليفة الموجود الى شخص آخر بعده بالخلافة وهي الطريقة التي كان بها انتخاب عمر بن الخطاب حيث اختاره ابو بكر وقد قال للناس (هل رضيتم من اخترته فقالوا نعم) أقول أن الصديق رضى الله عنه أمر عثمان رضى الله عنه بكتابة العهد بالخلافة لعمر وهو مريض ولم يقل للناس شيئاً ولم يقولوا له شيئاً فقلوه (وقد قال للناس - هل رضيتم من اخترت فقالوا نعم) افتراء عليه وعلى التاريخ وهو بين أيدينا قال ابن الأثير في كامله ودخل طلحة بن عبيد الله على ابى بكر فقال: استخلفت على الناس عمر وقد رأيت ما يلقي الناس منه وأنت معه فكيف به اذا خلا بهم وانت لاق ربك فسألك عن رعيتهك ، فقال ابو بكر : أجلسوني فأجلسوه فقال أبا الله تخوفنى اذا لقيت ربى فسألنى قلت استخلف على اهلك خير اهلك . والمقصود من ذكر هذه القصة ابطال كذبه اتفاق قريش والمسلمين كلهم على خلافة الفاروق ورضاهم بها وان كان طلحة رضى الله تعالى عنه اغتبط بعد ذلك بخلافة الفاروق ورضى بها كما اغتبط ورضى بها المسلمون وهذه القصة وكلام الرجل الذى تقدم ذكره في خلافة عمر قال (٢٧- تحذير العبقري)

لو مات أمير المؤمنين يعنى عمر لباعث فلانا وقصة ابى سفيان بن حرب التى تقدمت حين بويج الصديق فى إتيانه علياً وارادته مبايعته وزجر على له كلمات تدل على أن اتفاق المسلمين كلهم على مبايعة شخص ورضاهم به احدى المستحيلات .

افتراؤه على الفاروق

فى تنقيص ستة الشورى دفعيتين وتكذيب التاريخ له

قال فى الطريقة الثالثة وهى الطريقة التى انتخب بها عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه (فان عمر رضى الله تعالى لما ضرب واحس بالموت خاف أن يترك المسلمين بدون خليفة لئلا يختلفوا ولم يكن أمام نظره من لو استخلفه يكون مطمئن النفس من قبله فلم يشأ أن يتحمل أمر المسلمين حياً وميتاً فاختار ستة من كبار الصحابة ومن يرى انه لا يتطلع لأمر الخلافة غيرهم اهـ) لا يبالى هذا المحاضر بكثرة التهجم فى الحكم على قلوب أصحاب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الطاهرة ولا بكثرة الكذب والاقتراء على تاريخهم المجيد ولا يشعر بما يقع فى كلامه من التضارب وسيد الخلق محمد صلى الله تعالى عليه وسلم الذى لا ينطق عن الهوى لم يحكم على قلوب الناس بل قال (أمرت أن أحكم بالظاهر والله يتولى السرائر) وقال (أيها الناس انما أنا بشر وانكم تتحاكمون الى ولعل بعضهم ألحن بحجته من بعض فأحكم له على ما أرى فأقطع له قطعة من نار فليأخذها أو ليدعها) بل عامل عليه الصلاة والسلام أخبث الكفار المنافقين على ما تظاهروا به من شعائر الاسلام مع علمه بحالهم والقرآن فضحهم وهتك سترهم فى آيات كثيرة وفى سورة مخصوصة ، وقال لمولاه وحببه اسامة بن زيد موبخاً له لما قتل الاعرابى الذى مع المشركين بعد ما قال لا إله إلا الله محمد رسول الله ، ظناً منه انه انما قالها خوفاً من السيف (هلا شققت عن قلبه حتى تعلم أنه قالها لذلك) فقد حكم هذا المحاضر على قلب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فى هذا الكلام مرتين واقترى عليه وخان فى التاريخ المنقول عنه فى ثنائه على ستة الشورى ، فالقرية

الأولى عليه فيه قوله : (ولم يكن أمام نظره من لو استخلفه يكون مطمئن النفس من قبله) . والثانية قوله : (ومن يرى أنه لا يتطلع لأمر الخلافة غيرهم) وإذا لم يكن على زعمه أمام نظره من لم تطمئن نفسه إليه من الصحابة لو استخلفه على المسلمين فكيف ساغ له اختيار من لم تطمئن نفسه إليه وإذا لم تطمئن نفسه هؤلاء الستة وهم نخبة الصحابة فعدم اطمئنانها لبقية الصحابة من باب أولى وينحل هذا الهراء هكذا الصحابة كلهم في نظر عمر غير موثوق بهم للخلافة، وقد بلغ بهذا الاقتراء على الفاروق من الطعن فيهم وتنقيصهم الغاية القصوى في الخبث والوقاحة ولم يكتف بهذه الفرية عليه بل ترقى منها إلى أخرى وهي أن عمر يرى أى يعلم أنه لا يتطلع لأمر الخلافة غيرهم وهذه الثانية مشتملة على ثلاثة. وهما علمه بالمتطلعين للخلافة وحصرهم في الستة ، وقد كذبه التاريخ الثابت عن عمر رضى الله تعالى عنه في الشاء عليهم ، قال ابن الاثير في كامله قال عمر رضى الله تعالى عنه بعد ما طعن ، (عليكم هؤلاء الرهط الذين قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انهم من أهل الجنة (يعنى الستة) فليختاروا منهم رجلا فاذا ولوا واليا فأحسنوا موازرتة وأعينوه) . وقال الحافظ الفقيه المحدث محب الدين الطبرى فى كتابه الرياض النضرة فى مناقب العشرة فى آخر مناقب عمر رضى الله تعالى عنه (ذكر تركيته أهل الشورى لما طعن عليهم) وعن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قال (لما طعن عمر وأمر بالشورى دخلت عليه حفصة ابنته فقالت يا أبت ان الناس يزعمون ان هؤلاء الستة ليسوا رضى ، فقال اسندونى فلما أسندوه قال فما عسى أن يقولوا فى على بن أبى طالب سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول : (يا على يدك فى يدى تدخل يعنى يوم القيامة حيث أدخل) ، ما عسى أن يقولوا فى عثمان سمعت رسول صلى الله تعالى عليه وسلم يقول (يوم يموت عثمان يصلى عليه ملائكة السماء) قلت يا رسول الله عثمان خاصة أم الناس عامة قال عثمان خاصة ، ما عسى أن يقولوا فى طلحة بن عبيد الله سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

يقول ليلة وقد سقط رحله (من يسوى رحلي وهو في الجنة) فبدر طلحة بن عبيد الله فسواه حتى ركب فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (يا طلحة هذا جبريل يقرئك السلام ويقول أنا معك في أهوال يوم القيامة حتى أنجيك منها) ما عسى أن يقولوا في الزبير رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقد نام فجلس الزبير يذب عن وجهه حتى استيقظ فقال له يا أبا عبد الله لم تزل) فقال لم أزل بأبي أنت وأمي قال (هذا جبريل يقرئك السلام ويقول أنا معك يوم القيامة حتى أذب عن وجهك شرر جهنم) ما عسى أن يقولوا في سعد . سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يوم بدر وقد أوتر قوسه أربع عشر مرة فيدفعها له ويقول (أرم فذاك أبي وأمي) ما عسى أن يقولوا في عبد الرحمن بن عوف رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في منزل فاطمة والحسن والحسين يبكيان جوعاً ويتضوران فقال صلى الله تعالى عليه وسلم من يصلنا بشيء فطلع عبد الرحمن بصحفة فيها حيس ورغيفان بينهما إهالة فقال صلى الله تعالى عليه وسلم كفك الله أمر دنياك وأما آخرتك فأنا لها ضامن) خرج به الحافظ أبو الحسن بن بشران والحافظ أبو القاسم الدمشقي في الأربعين الطوال اه .

وقال الطبري أيضاً في رياضته (ذكر إخباره رضي الله عنه عن موته بسبب رؤيا رآها واعتذاره عن الاستخلاف وأخباره أيضاً بأن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم توفي وهو راض عن الستة أهل الشورى وذم الطاعنين عليهم واشهاد الله تعالى على أمراء الأمصار وعلى ما ولاهم عليه ووصيته بالمهاجرين والأنصار وثناؤه عليهم وبالعرب وأهل الذمة .) عن معدان بن أبي طلحة أن عمر رضي الله تعالى عنه خطب يوم الجمعة وذكر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وذكر أبا بكر ثم قال (اني رأيت كأن ديكا أحمر نقرني ثلاث نقرات واني لا أراه الا لحضور أجلى وإن أقواماً يأمر رننى أن أستخلف وأن الله لم يكن ليضيع دينه ولا خلافته ولا الذي بعث به نبيه فان عجل بي أمرى فالخلافة شورى بين هؤلاء الستة الذين توفي

رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو عنهم راض ، واني قد علمت اقواما يطعنون في هذا الامر أنا ضربتهم بيدي هذه على الاسلام فان فعلوا ذلك فأولئك أعداء الله الضلال ، ثم قال اللهم اني أشهد على أمراء الأمصار فاني إنما بعثتهم عليهم ليعبدوا وليعلموا الناس دينهم وسنة نبهم ويقسموا بينهم فيهم ويرفعوا إلى ما أشكل عليهم من أمرهم) قال فما كان إلا الجمعة الاخرى حتى طعن ، قال فأذن للمهاجرين من أصحاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وأذن الأنصار ثم أذن لأهل المدينة ثم أذن لأهل الشام ثم أذن لأهل العراق فكنا آخر من دخل عليه قال فاذا هو قد عصب جرحه ببرد أسود والدم يسيل عليه قال فقلنا اوصنا ولم يسأله الوصية احد غيرنا قال (اوصيكم بكتاب الله فانكم ان تضلوا ما تتبعتموه . واوصيكم بالمهاجرين فان الناس يكثرون ويقولون واوصيكم بالانصار فانهم شعب الاسلام الذي لجأ اليه . واوصيكم بالاعراب فانهم اصلكم ومادتكم . واوصيكم بأهل الذمة فانهم ذمة نبيكم ورزق عيالكم قوموا عني) اخرجاه (يعنى الحديث) الامامان البخاري ومسلم . فقوله رضى الله تعالى عنه في الحديث الاول ما عسى ان يقولوا في عسى ، ما عسى ان يقولوا في عثمان ، ما عسى ان يقولوا في طلحة النخ : اى اى شىء يطعنون به في هؤلاء الستة وقد مدحهم الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم واني على كل واحد منهم بما ذكر .

وفي الحديث الثانى قال رضى الله تعالى عنه توفي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو عنهم راض . وقال انى قد علمت أن اقوماً يطعنون في هذا الامر أنا ضربتهم بيدي هذه على الاسلام فان فعلوا ذلك فأولئك أعداء الله الضلال ، فعلمه رضى الله تعالى عنه بالطاعنين في هذا الامر يعنى استخلاف الستة ، وقوله أنا ضربتهم بيدي هذه على الاسلام وقوله فان فعلوا ذلك (اى طعنوا فيهم) فأولئك أعداء الله الضلال دليل على ان هؤلاء الطاعنين في سادات الامة ليسوا من ذوى البصيرة والفقہ في الدين

وانهم من شرر تلك الجذوة التي اخمدتها الوية الصديق رضى الله تعالى عنه تحت ستار الاسلام كما تقدم.

فهذان الحديثان وغيرهما من التاريخ الصحيح يدلان على ابطال فريته على الفاروق كما يدلان على ابطال فريته على رضى الله تعالى عنه (بانه كان يرى الخلافة خاصة ببني هاشم وانه احق بها من كل صحابي وان رأيه هذا بقى خامداً لا يجد له محركاً حتى كان آخر عهد عثمان فقام بالحواضر الاسلامية دعاة له ينهبون الناس اليه ويقبحون من خالفه) . وقد تقدم ابطال هرائه هذا مسبباً فلو كانت هذه الفرية صحيحة لما طعن فيه هؤلاء الطاعنون ولكان طعنهم قاصراً على اخوانه ورفقائه الخمسة ولو كانت صحيحة لبادر شيعته لمبايعته وقد وجدوا الفرصة لذلك وهى قتل عمر رضى الله تعالى عنه ولم يؤخروا تحريكها لآخر خلافة عثمان رضى الله عنه ولما اتفق اهل المدينة بعد اخذ عبد الرحمن بن عوف رضى الله تعالى عنهم جميعاً على ترجيح عثمان في البيعة عليه الا اعماراً والمقداد ، نقل ابن الاثير كلاماً كثيراً عن عمر رضى الله تعالى عنه في قصة اصحاب الشورى منه ، وما أظن يلى إلا أحد هذين الرجلين على او عثمان فان ولى عثمان فرجل فيه لين ، وان ولى على ففيه دعاة واحرى به ان يحملهم على طريق الحق ، وان تولوا سعداً فاهله هو . والا فليستعن به الوالى . فاني لم اعزله عن ضعف ولا خيانة ونعم ذو رأى عبد الرحمن بن عوف فاسمعوا منه واطيعوا ، وعنه رضى الله تعالى عنه انه قال حين طعن وأوصى ، إن ولوها الا جليح (والجليح الأصلع) سلك بهم الطريق المستقيم يعنى علياً اخرجهم ابو عمر . وعن عمرو بن ميمون قال كنت عند عمر اذ ولى الستة الامر فلما جاوزوا أتبعهم بصره ثم قال لئن وليتم هذا الا جليح ليركبن بكم الطريق يعنى علياً اخرجهم ابن الضحاك . وفى لفظ : - ان ولوها الا صليح يحملهم على الحق وان كان السيف على عنقه . وفى رواية : لله درهم ان ولوها الا صليح كيف يحملهم على الحق وان كان السيف على عنقه ، قال محمد فقلت

أتعلم ذلك منه ولا توليه . فقال ان اتركهم فقد تركهم من هو خير مني ،
خرجه القلعى . فعلم مما تقدم ان الزمرة الفاضلة من المسلمين وهم جمهور
الصحابة انتقل اكثرهم الى الدار الآخرة وصار جمهور المسلمين من
المخضرمين والراجعين الى الاسلام بعد ردتهم والاعراب . فبدأ الاسلام
يرق بفتح باب الفتنة بين المسلمين وهو قتل عمر رضى الله تعالى عنه
وصدقت فيه فراسة أبي عبيدة بن الجراح أحد العشرة المبشرين بالجنة رضى
الله تعالى عنه ، قال محب الدين الطبرى فى رياضته (ذكر اىثار أبي عبيدة
الموت قبل موت عمر) عن ابى عبيدة رضى الله تعالى عنه انه قال ان مات
عمر رقى الاسلام . ما أحب ان يكون لى ما تطلع عليه الشمس أو تغرب . وانى
أبقى بعد عمر فقال له قائل ولم قال سترون ما أقول ان بقيتم ان ولى بعده
وال فأخذهم بما كان عمر يأخذهم به . لم يطعه الناس وان ضعف عنه
قتلوه اه .

قال المحاضر فى آخر تقرير هذه الطريقة الثالثة مانصه (لا ينكر أنها
طريقة شورية ناقصة لأنه لم يكن القصد منها أخذ رأى الجمهور فيمن يكون
خليفة عليهم وانما المقصود ان تؤخذ كلمة المرشحين للخلافة لأحدهم حتى
لا يجد محبو الخلافة . مجالا للخلاف ، ويظهر لنا ان عمر كان محسباً بأن كلا
منهم يتطلع لأن يكون خليفة . وخاف على الامة الشقاق من بعده فعهد اليهم
عهده اه) . قوله لا ينكر الى قوله للخلاف مشتمل على غش وافتراء على
التاريخ الاسلامى ، فقوله لا ينكر الى قوله لأحدهم غش للمسلمين
وافتراء على التاريخ - وبيان هكذا : كون هذه الطريقة شورية ناقصة
معروف عند المسلمين لا ينكره احد منهم ، لأنه لم يكن القصد الخ الهراء
ولاشك أن هذا غش وافتراء على التاريخ ، فلم يقل أحد من مؤرخى الاسلام
ان هذه الطريقة شورية ناقصة وحينئذ فهذا المعروف الذى قال (لا ينكر)
منكر وغش وافتراء وقوله لأنه لم يكن القصد منها أخذ رأى الجمهور الخ
افتراء على الصحابة رضى الله عنهم فضحه وكذبه التاريخ فان

كتبه ناطقة بأن عبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص والزبير وهم من ستة الشورى تنازلوا عن حقهم في الخلافة لابن عبد مناف عثمان وعلى ، وعبد الرحمن الذي وكل اليه ابرامها مكث ثلاثة أيام حتى أخذ رأى جمهور المسلمين (أهل المدينة) وهم أهل الحل والعقد فاتفقت كلمتهم على تقديم عثمان على على إلا المقداد وعماراً ، وجاء طلحة بعد مبايعة عثمان وكان غائباً وهو أحد الستة فبايع عثمان مغتبطاً راضياً . وقوله (حتى لا يجد محبوب الخلافة مجالا للخلاف) افتراء مكرر تقدم ابطاله . وإن فرض أن الستة كانوا يتطلعون للخلافة ويحبونها أو يطلبونها بالسنتهم وهم أهل لها فلا يعيبهم بما ذكر إلا ناقص شائى . فان يوسف صديق الله عليه السلام قال للملك مصر (اجعلنى على خزائن الارض انى حفيظ عليم) فطالب هذه الوظيفة لانه لم يكن فى مصر من هو أكفأ منه فيها وقد قال العلماء من طلب للقضاء فى بلدة ولم يكن احد فيها أعلم منه به وجب عليه قبوله . وهؤلاء الستة سادات المسلمين والصحابه وافضلهم على الاطلاق كل واحد منهم كفء لها فإى عيب يلحقهم اذا طلبوها بالسنتهم كما طلب يوسف عليه السلام تلك الوظيفة فكيف اذا لم يحصل منهم الا مجرد التطلع اليها والمحبة القلبية كما افترى . وقوله ويظهر لنا الى آخر الكلام ظهور فاسد وافتراء على عمر وعلى الستة مكرر تقدم ابطاله .

طعنه فى طرق الخلافة الثلاث

وتحمله على على رضى الله عنه ايضا

قال فى صفحة ١٦٣ (لم يكن فى طريقة من هذه الطرق الثلاث حل لتلك المسألة المتشابهة الاطراف لان الطريقة الاولى لم يبين فيها من لهم حق الانتخاب الذين يكون صوتهم محترماً أهم الامة بأسرها ، ام هم افراد مخصوصون ، وان كانوا مخصوصين فمن هم ! وغاية ما امسكن شراح هذه القاعدة ان يقولوه ، أن قالوا هم أهل الحل والعقد ولكن من هم أهل الحل

والعقد أهم ولاية الامصار أم قواد الجيش ام أعيان الامة ، كل ذلك لم يبين فالمتطلع للخلافة يجد مجالا واسعا للتأويل كما حصل عند استخلاف على . والطريقة الثانية وهى طريقة العهد ليس فيها ضمان لاختيار من يحبه الناس ويكون قادراً على حماية مصالحها وان يمكن من الممكن فى بعض الاحيان ان يكون الشخص المختار لولاية العهد خير الناس كما حصل فى انتخاب عمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز . والطريقة الثالثة فى حقيقة الامر كالثانية اذ اقتصر فيها على الشكل الذى رآه عمر لانها عبارة عن عهد الى واحد غير معين من افراد محصورين يختارهم الامام ، لذلك لما جاء دور على قام جماعة من اهل المدينة والشوار من الآفاق فبايعوه بالخلافة وهو بالمدينة ولم يؤخذ فى ذلك رأى غيرهم من المسلمين فى الحواضر الاسلامية كأن اهل المدينة وحدهم هم الذين ينتهى اليهم أمر انتخاب الخلفاء وليس لغيرهم معهم رأى ولو كانوا من اهل الحل والعقد فى الامة متى كانوا بعيدين عن الحاضرة الكبرى كان ممن يترقب الخلافة ويرى نفسه لها اهلا معاوية بن ابى سفيان فقام بأهل الشام معلناً انه مخالف لان بيعة على رضى الله عنه ليست بصحيحة وحصل اصطدام بين الطرفين فى سهل صفين فلما عضتهم الحرب بنابها عمدوا الى شىء سموه تحكيماً اه) .

اقول قوله لم يكن فى طريقة من هذه الطرق الثلاث حل الى قوله كما حصل عند استخلاف على رضى الله عنه طعن فى خلافة الصديق رضى الله عنه مكرر بصورة اوسع فى التشكيك من السابق . فقوله لم يكن فى طريقة من هذه الطرق الثلاث حل لتلك المسألة المتشابهة الأطراف صحيح ولكنه عنده فقط لا عند المسلمين الذين يحترمون اجماع الصحابة وسنة الخلفاء الراشدين ، وقوله لأن الطريقة الاولى لم يبين فيها من لهم حق الانتخاب الى قوله فالمتطلع للخلافة تهوئش وتشكيك فى الاجماع تقدم جوابه . واقول ايضاً ان اهل الحل والعقد المنتخبين للخليفة لا يشترط فيهم أن يكونوا جميع الامة أو بيعة مخصوصة أو أفراداً مخصوصين أو ولاية (٢٧ - تحذير العبقري)

الأمصار أو قواد الجيوش أو أعيان الأمة ولا أن يكونوا من جميع هذه الطوائف التي هوش بتعدادها فعلماء الأمة الإسلامية قد تبين واتضح لهم من لهم حق في انتخاب الخليفة (وهم أهل الحل والعقد) من بيعة الصديق رضى الله عنه في السقيفة فقد حضرها جمع من الأنصار وإثنان من المهاجرين مع أبى بكر وهما الفاروق وابو عبيدة بن الجراح والذين حضروها من الطائفتين فيهم أعيان وهم صالحون لولاية الأمصار ولقيادة الجيوش وقد حصل ذلك لبعضهم في خلافة الخلفاء الراشدين الأربعة ولم يكونوا من بيئة مخصوصة وفيهم غير هؤلاء وانعقدت بجميعهم بيعته والذين لم يحضروها وهم المهاجرون كلهم إلا من ذكرنا وأكبر الأنصار وجميع من كان قريباً من المدينة كبنى أسلم وغفار فيهم أيضاً أعيان وفيهم من تولى قيادة الجيوش وولاية الأمصار وفيهم غير هؤلاء كثيرون والذين لم يحضروا بيعته أصلاً بل أذعنوا لما بلغهم ذلك كاهل مكة والطائف فيهم أيضاً جميع من ذكرنا فأخذ علماء الأمة من بيعة السقيفة لمن له حق الانتخاب وصفاً عاماً جامعاً مانعاً وهو كونه من أهل الحل والعقد سواء كان متصفاً بالأوصاف المذكورة كلها أو ببعضها أو لم يكن متصفاً بشيء من ذلك حيث تقرر وثبت أن الخلافة نيابة عامة عن الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم في أحكام الفروع حق من حقوق الأمة كلها واجب عليها وجوباً كنفائياً إذا قام به من له الحل والعقد ولو واحداً سقط عن الباقيين. وبهذا بطل تهويشه كله . ومنه قوله وغاية ما أمكن شراح هذه القاعدة أن يقولوه الخ الهراء فجعلها أصلاً وقاعدة بجمله وقد أبطلت خلطاً مثله سابقاً ، كما أبطلت سابقاً قوله فالمتطلع للخلافة يجد مجالا الخ الهراء . وقوله (والطريقة الثانية وهى طريقة العهد ليس فيها ضمان لاختيار من يحبه الناس ويكون قادراً على حماية مصالحها . فاسد لتركبه من شرطين اشترطهما حضرته فى الذى يعهد اليه بالخلافة أحدهما فاسد وهو محبة الناس له . والثانى صحيح وهو كونه قادراً على حماية مصالح الأمة وهذا الشرط هو الذى عبر عنه علماء الاسلام بعبارة أخصر وابلغ

من تعبيره الطويل الذيل وهو (الكفاءة) والمركب من الفاسد والصحيح فاسد إذ محبة الناس كلهم لشخص أو رضاهم به إحدى المستحيلات كما تقدم فعلماء الاسلام قاطبة حين قالوا شرائط الامامة بعد الاسلام والتكليف خمسة : الذكورية، والورع والعلم، والكفاءة، ونسبة قریش، قصرُوا في رأيه حيث لم يزدوا هذا الشرط المستحيل الذي زاده عليهم بقوله : ليس فيها ضمان لاختيار من يحبه الناس ويكون قادراً على حماية مصالحها وقوله (وإن يكن من الممكن في بعض الاحيان أن يكون الشخص المختار لولاية العهد خير الناس كما حصل في انتخاب عمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز) صحيح في عمر ابن الخطاب، غير صحيح في عمر بن عبد العزيز فإن في القرشيين من إذا لم يكن أفضل منه لا ينقص عنه في ذلك كسالم بن عبد الله بن عمر وهو من مشايخه والقاسم بن محمد بن أبي بكر وأبي جعفر الباقر. وقوله (والطريقة الثالثة في حقيقة الامر كالثانية إذا اقتصر فيها على الشكل الذي رآه عمر لأنها عبارة عن عهد إلى واحد غير معين من افراد محصورين يختارهم الامام) . طعن مكرر تقدم انه زعم ان هذه الطريقة شورية ناقصة وقد ابطلته هناك . وأقول هنا في تقويم اعوجاج هذا الكلام : قد عهد عمر رضى الله تعالى عنه الى واحد غير معين من الستة عين ذلك الواحد أهل الحل والعقد الذين أخذ رأيهم في ثلاث ليال عبد الرحمن ابن عوف رضى الله تعالى عنه الذي فوض اليه عقدها وتنازل الثلاثة الموجودون بالمدينة عنها لعثمان ، وعلى ، فرجح أهل الحل والعقد الذين استشارهم عبد الرحمن تقديم عثمان على على رضى الله تعالى عنهما وبهذا تحقق ان طريقة الفاروق هذه محكمة البنيان قوية الاركان لأنها مركبة من العهد ومن انتخاب أهل الحل والعقد مركبة من انتخاب الصحابة للصديق ومن عهد الصديق له فلا يقول فيها أنها ناقصة إلا ناقص .

تحامله على رضى الله تعالى عنه ايضا

وكذبه على معاوية وعلى التاريخ وتدليسه

قال (لذلك لما جاء دور على قام جماعة من أهل المدينة والشوار من الآفاق فبايعوه بالخلافة وهو بالمدينة) . اقول قوله قام جماعة من أهل المدينة والشوار الخ كذب وتدليس ، قال الحافظ ابن عبد البر فى الاستيعاب اجتمع على بيعته المهاجرون والانصار وتخلف عن بيعته منهم نفر . فلم يهجم ولم يكرههم وسئل عنهم فقال أولئك قوم قعدوا عن الحق ولم يقوموا مع الباطل .

وقوله (ولم يؤخذ فى ذلك رأى غيرهم من المسلمين فى الحواضر الاسلامية كأن أهل المدينة وحدهم هم الذين ينتهى اليهم أمر انتخاب الخلفاء وليس لغيرهم معهم رأى ولو كانوا من أهل الحل والعقد فى الامة متى كانوا بعيدين عن الحاضرة الكبرى) اشتمل هذا الكلام على غش وتهویش . فالغش فى قوله ولم يؤخذ فى ذلك الى قوله الحواضر الاسلامية فان الحواضر الاسلامية لما بلغهم مبايعته بايعوا إلا أهل الشام مع معاوية وطائفة من المصريين وقد تقدم ان بيعة الخليفة فرض كفاى إذا قام بها طائفة من أهل الحل والعقد فى المسلمين سقطت عن باقى الامة ووجب عليهم طاعته وقد انتقد وطعن فى أصل الخلافة فى طرقها الثلاثة وسياق طاعته فيها فى آخر كلامه فى بحثها فاشتراطه هنا أخذ رأى الحواضر الاسلامية لا معنى له إلا التذبذب والتخبط والنصب لحيدة رضى الله تعالى عنه واذا كان أخذ رأى جميع الحواضر الاسلامية شرطاً عنده فخلافة الثلاثة قبل على رضى الله تعالى عنهم غير صحيحة على زعمه لأن بيعة الصديق لم يؤخذ فيها رأى أهل مكة وأهل الطائف وجوائى بالبحرين وبيعة الفاروق كذلك وقد اتسعت المملكة الاسلامية عند بيعته وبيعة عثمان من باب أولى لأن الحواضر الاسلامية قد اتسعت فيها أكثر . وقوله كأن أهل المدينة وحدهم الى آخر

الهرء تناقض وتهوئش لأنه قال قريياً (لما جاء دور على قام جماعة من أهل المدينة الخ وهذا يقتضى أن أهل المدينة كلهم لم يبايعوه وإنما بايعه منهم جماعة ، وقوله هنا كأن أهل المدينة الى آخره يقتضى انهم كلهم بايعوه كما قال ابن عبد البر إلا نفرأ قليلا وهذا عين التناقض. نعم أهل المدينة إذ ذاك وحدهم هم أهل الحل والعقد لأنهم بقايا سادات هذه الأمة فيهم البصريون والأحاديون وأهل بيعة الرضوان والاسلام الكامل بمثل فيهم وجميع الحواضر الاسلامية يذعنون لهم ويعترفون لهم بذلك حتى معاوية ومن معه وقد بايعته الحواضر الاسلامية سواء فبيعته رضى الله عنه يجمع عليها وقوله (كان ممن يترقب الخلافة ويرى نفسه لها أهلا معاوية ابن أبى سفيان فقام بأهل الشام معلناً أنه مخالف لأن بيعته على ليست بصحيحة. وحصل اصطدام بين الطرفين فى سهل صفين فلما عضتهم الحرب بنابها عمدوا إلى شىء سموه تحكيميا) حكم على ضمير معاوية رضى الله عنه وكذب عليه وعلى التاريخ الاسلامى وتدليس. فمن أين له أن معاوية كان يترقب الخلافة ويرى نفسه لها أهلا وقد ثبت عن الفاروق الذى يقدره هذا المحاضر دون سائر الصحابة أنه قال : إن الخلافة لا تحل للطلاق ولا لأبناءهم، وإنما هى فى أهل السبق إلى الاسلام من قريش ومعاوية وأبوه رضى الله عنهما من الطلقاء فقله فقام بأهل الشام معلناً أنه مخالف صحيح وقوله لان بيعة على ليست بصحيحة ، كذب عليه وعلى التاريخ . وهوبين أيدينا. فان معاوية رضى الله تعالى عنه لم يقل لعل كرم الله وجهه بيعتك غير صحيحة . ولم ينازعه فيها وإنما شبهته التى تمسك بها عن الامتناع من البيعة قتلة عثمان الذين كثير منهم فى جيش على فطالب تسليمهم اليه ليقص منهم وليسوا نفرأ واحداً ولا غنيا سائبة حتى يمكن علماً رضى الله تعالى عنه تسليمهم اليه بل هم مئات من الناس كل واحد منهم وراءه عشيرته وقبيلته يتعصبون له . وقد اجتمع الناس على معاوية بعد تنازل الحسن بن على رضى الله تعالى عنهما عن الخلافة له وكثير منهم موجودون مصريون وكوفيون

وبصريون فغض طرفه عنهم ولم يهجمهم فذل سكوتهم رضى الله تعالى عنه على أن شبهته واهيته . وقوله (فلما عضتهم الحرب بناها عمدوا إلى شيء سموه تحكيماً) تدليس فإن الذين عضتهم الحرب بناها لما أشرفوا على الهزيمة الكبرى فرفعوا المصاحف على الرماح داعين إلى تحكيم كتاب الله مكيدة . هم معاوية وجيشه وهذا في التاريخ أشهر من الغزاة ، ثم هو تعبير فيه إساءة أدب في حق الطائفتين معاً .

ترجيحه معاوية على

رضى الله تعالى عنهما وإبطاله

قال في ص ١٦٤ ما نصه (واستقر الأمر لمعاوية بفضل قوته وسياسته ويسميه التاريخ بالخليفة المتغلب وفي نظرنا أن خلافته وبيعته - لم تنقص في الشكل عن بيعة على بقطع النظر عن التعرض لما في كل منهما من الصفات والامتيازات الدينية لأن معاوية بايعه فريق من الناس وعلى بايعه فريق آخر من الضروري أن يتغلب أقوى المتنازعين وليس هناك حدود معينة في الشريعة يقال إن أحدهما تعداها إلا إن سرنا على رأى من يقول إن علياً معين للخلافة بالنص عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا أمر لم يتأكد الصحابة من صحته اه) أقول اشتمل هذا الكلام كله على ترجيح معاوية على على رضى الله عنه وعلى الكذب على معاوية وعلى التاريخ الاسلامى وعلى جهل ، فقلوه (واستقر الأمر لمعاوية بفضل قوته وسياسته) ترجيح لمعاوية وطعن مكرر في على بوقاحة تقدم إبطاله وكذب على التاريخ وأقول هنا أيضاً : أن معاوية رضى الله تعالى عنه لم يستقر له الأمر في مدة على رضى الله تعالى عنه بل ولا في مدة ابنه الحسن أما في مدة على فقد نطق التاريخ بأن جيش على ظهر على جيش معاوية فلما أشرف أهل الشام على الهزيمة الكبرى لجأوا إلى رفع

المصاحف على الرماح مكيدة ليتنفسوا من هذا الضغط الهائل وبعد التحكيم اشتغل أمير المؤمنين بخوارج حروراء فقتلهم بالنهر وان ثم شرع يتجهز لمعاوية رضى الله تعالى عنه فعاجلته منيته شهيداً . ولما بويح ابنه الحسن تجهز لمعاوية بجيش جرار فخاف معاوية رضى الله تعالى عنه واشفق على فناء الجيش الاسلامى من الطائفتين فارسل الى الحسن رضى الله تعالى عنه يطلب منه الصالح والتنازل له عن الأمر وليشترط ما شاء فى مقابلة تنازله ، فى صحيح الامام البخارى عن الحسن البصرى قال : استقبل والله الحسن ابن على رضى الله عنهما معاوية بكتائب امثال الجبال ، فقال عمرو ابن العاص انى لأرى كتائب لا تولى حتى تقتل اقرانها ، فقال معاوية وكان والله خير الرجلين اى عمرو ان قتل هؤلاء هؤلاء هؤلاء هؤلاء من لى بامور الناس ، من لى بذنائبهم ، من لى بضيعتهم فبعث اليه رجلين من قريش من بنى عبد شمس عبد الرحمن بن سمرة وعبد الله بن عامر فقال اذهبوا الى هذا الرجل فاعرضوا عليه اى الصلح وقولا له واطلبا اليه فأتياه فدخلا عليه فذكر له ذلك ، فقال لهما انا بنى عبد المطلب قد أصبنا من هذا المال وإن هذه الامة قد عاثت فى دماءها ، قالا فانه يعرض عليك كذا وكذا ويطلب اليك ويسألك قال فمن لى بهذا قالوا نحن اهـ . وفى كامل ابن الاثير : ان معاوية ارسل رسوله المذكورين قبل وصول كتاب الحسن اليه ومعهما صحيفة بيضاء محتوم على اسفلها وكتب اليه معاوية . ان اكتب الى فى هذه الصحيفة التى ختمت اسفلها بما شئت فهو لك اهـ . وبهذا علم كذبه على التاريخ وقاحته على حيدرة وسوء ادبه معه فإى أمر استقر لمعاوية مع ما ذكرنا . وإى قوة وسياسة فضل بها علماً ، وغاية امره انه كان ممتنعاً امتناعاً مهديداً بالخطر لا يدرى قضاء الله المبرم يكون له او عليه بدليل كلامه لعمر بن العاص .

وقوله (ويسميه التاريخ بالخليفة المتغلب ، كذب على التاريخ ايضاً فانه لم يسمه خليفة فضلاً عن كونه متغلباً فقد اتفق اهل السنة والجماعة على ان معاوية فى مدة على وابنه الحسن لم يكن خليفة وانما كان من الملوك

وانما اختلفوا في تسميته بالخليفة بعد تنازل الحسن له عنها واجتماع المسلمين عليه ف قيل صار خليفة وقيل لا لقوله عليه الصلاة والسلام في حديث سفينة مولى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (الخلافة بعدى ثلاثون سنة ثم تكون ملكاً عضوضاً) وقد اتفقوا على انها تمت بمسدة الحسن. اخرجهم ابو داود والترمذى والنسائى والامام احمد وابو يعلى وابن حبان ومن ذكر هذا الاتفاق والاختلاف الكمال بن الهمام في مسائره .

وقوله بنون العظيمة (وفي نظرنا ان خلافته وبيعته لم تنقص في الشكل عن بيعه على الى قوله لان معاوية بايعه فريق من الناس وعلى بايعه فريق آخر) نظر فاسد وكذب ايضا على التاريخ وغش للقراء ، اما كونه كذباً على التاريخ فان الصحابة ومن بعدهم من علماء الاسلام اجمعوا على تقديم على في الخلافة وعلى افضليته بعد الثلاثة الخلفاء قبله ، ومن نقل هذا الاجماع ابن الهمام ايضا ، قال العلامة السعدى شرح المقاصد : وبالجملة انعقدت خلافته بالبيعة واتفاق اهل الحل والعقد وقد دلت عليه احاديث كقوله عليه الصلاة والسلام (الخلافة بعدى ثلاثون سنة) وقوله عليه الصلاة والسلام لعلى رضى الله عنه (انك تقا تل الناكثين والمارقين والقاسطين) وقوله عليه الصلاة والسلام لعمار (تقتلك الفئة الباغية) وقد قتل يوم صفين تحت راية على رضى الله تعالى عنه ومن المتكلمين من يدعى الاجماع على خلافته . لانه انعقد الاجماع زمن الشورى على أن الخلافة لعثمان أو على وهو اجماع على انه لولا عثمان فمى لعلى ، فحين خرج عثمان من البين بالقتل بقيت لعلى بالاجماع اه . وهذا كلام نفيس وتوجيه ان سنة الشورى الذين عينهم واختارهم الفاروق لها تنازل الاربعة منهم عن حقهم فيها لعلى وعثمان فصار تقديم أحدهما لها موكولا لأهل الحل والعقد من الصحابة بالمدينة فاتفقوا على تقديم عثمان فيها على على فأطبق أهل الامصار على بيعته بعدهم فصار تقديم على في الخلافة على جميع الصحابة بعد عثمان بهذا الاتفاق والاطباق مجمعا عليه

اجماعاً سابقاً فيبعثه رضى الله تعالى عنه بعد قتل عثمان رضى الله تعالى عنه
اجماع لاحق مؤكّد للسابق وقال السعد أيضاً قال امام الحرمين لا اكرث
بقول من قال لا اجماع على امامة على رضى الله تعالى عنه فإن الامامة لم
تجد له وإنما هاجت الفتن لأمر أخرى اه . قلت لقد حقق وصدق
أبو المعالى فان الصحابة الذين حاربوه كطلحة وعائشة ومن معهما ومعاوية
ومن معه لم يدفعوا امامته وإنما حجة طلحة ومن معه المبادرة الى القصاص
من قتلة عثمان قبل كل شىء ، وحجة معاوية ومن معه دفعهم لهم ليقنصوا
منهم لأن كثيراً منهم فى جيشه ، وأمير المؤمنين رضى الله عنه رأى تأخير
أخذ القصاص منهم لأنه لا يمكنه ولا يمكنهم أيضاً أخذه فى مبدأ الخلافة وهيجان
الفتنة حتى يستوثق الامن بالبيعة العامة فيجرى القضاء عليهم حينئذ بالحق
لأنهم ليسوا أفراداً قليلين بل هم مئون من أمصار مختلفة فلو حاول القود
منهم حالاً لتعصبت لهم قبائل كثيرة وصارت حرباً ثالثة وقد حصل ذلك
للزبير وطلحة وعائشة رضى الله تعالى عنهم ، لما حاولوا ذلك فى البصرة
فقط خرجت عنهم من ربيعة عبد القيس فى أربعة آلاف مع رئيسهم عمرو
ابن المرجوم وخرج غير هؤلاء من قبائل ربيعة وغضبت ستة آلاف سيف
من بنى سعد بن تميم لحرقوص بن زهير لما طلبوه فاعتزلوا عنها واتسع الخرق
عليهم فكان رأيه رضى الله تعالى عنه فى هذه الكارثة أمست وأصوب منهم
جميعاً واصلاً اقتبس علماء الاسلام من مشكاته - فاتفقوا على انه يجوز
للامام تأخير القصاص إذا أدى ذلك الى إثارة الفتنة أو تشتيت الكلمة ،
وذكر يحيى بن سليمان الجعفي أحد شيوخ الامام البخارى فى تأليفه فى صفين
بسند جيد عن أبى مسلم الخولاني انه قال لمعاوية أنت تنازع علياً فى الخلافة
أو أنت مثله ، قال لا وأنى لا علم انه أفضل منى وأحق بالأمر ولكن أستم
تعلون ان عثمان قتل مظلوما وأنا ابن عمه ووليه اطلب بدمه فأتوا علياً
وقولوا له يدفع لنا قتلة عثمان ، فأتوه فكلموه ، فقال يدخل فى البيعة ويحاكمهم
إلى ، فامتنع معاوية فخرج اليه على فى أهل العراق فى سبعين ألفاً فيهم تسعون
(٢٩ - تحذير العبقري)

بدر ياً وسبع مائة من أهل بيعة الرضوان، وأربعمائة من سائر المهاجرين والانصار وخرج معاوية في أهل الشام في خمسة وثمانين ألفاً ليس فيهم من الانصار إلا النعمان ابن بشير ومسلمة بن مخلد . فالتقى الجمعان بصفين فتراسلوا فلم يتم لهم أمر فوق القتال ودامت الحروب مائة يوم وعشرة أيام فقتل من أهل الشام خمسة وأربعون ألفاً ، ومن العراق خمسة وعشرون ألفاً ، وآل الأمر في معاوية ومن معه إلى طلب التحكيم، ثم رجع على إلى العراق فخرجت عليه الحرورية فقتلهم بالنهروان ومات بعد ذلك رضى الله عنه اهـ .

وظهر بقتل عمار مع على أنه المصيب . فقد روى الحافظ ابن عساکر أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال : (يا على ستقاتلك الفئة الباغية وأنت على الحق فمن لم ينصرك يومئذ فليس مني) قال الامام عبد القاهر الجرجاني في كتاب الامامة أجمع فقهاء الحجاز والعراق من فريق أهل الحديث والرأى منهم مالك والشافعي وأبو حنيفة والاوزاعي والجمهور الأعظم من المسلمين والمتكلمين . على أن علياً مصيب في قتاله لأهل صفين كما هو مصيب في أهل الجمل وأن الذين قاتلوه بغاة ظالمون له لكن لا يكفرون بغيهم . وقال الامام أبو منصور الماتريدي : أجمعوا على أن علياً كان مصيباً في قتال أهل الجمل طلحة والزبير وعائشة بالبصرة ، وأهل صفين معاوية وعسكره . وفي روض السهيل أن عاملاً لعمر رضى الله تعالى عنه قال لعمر رضى الله عنه : رأيت الليلة كأن الشمس والقمر يقتتلان ومع كل نجوم فقال له عمر مع أيهما كنت ، قال مع القمر ، قال كنت مع الآية الممحوة اذهب لا تعمل لى عملاً أبداً وعزله فقتل بصفين مع معاوية ، واسم ذلك العامل حابس بن سعد . وقال عليه الصلاة والسلام لعمار : تقتلك الفئة الباغية ، رواه الشيخان ، قال العلماء وحديث عمار متواتر قال القرطبي ولما لم يقدر معاوية على إنكاره قال إنما قتله من أخرجه . فأجابه على بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قتل عمه حمزة حين أخرجه قال بن دحية وهذا من الالزام المفحم الذي لا جواب عنه، وحجة لا اعتراض عليها .

قال القرطبي فرجع وتأوله على الطلب وقال نحن الفئة الباغية أى الطالبة لدم عثمان من البغاء بضم الباء والمد وهو الطلب . قال الأبي في شرحه على صحيح مسلم : البغى عرفاً الخروج عن طاعة الامام مغالبة له ولا يخفى بعد التأويلين أو خطأهما والاول واضح وكذا الثانى لان ترك على القصاص من قتلة عثمان الذى قاموا بطلبه ورأوه مستند اجتهادهم ايس لانه تركه جملة واحدة وإنما تركه لما تقدم أى حتى يدخلوا فى الطاعة ثم يدعوا على من قتل . قال وأيضاً عدم القصاص منكر قاموا لتغييره والقيام لتغيير المنكر إنما هو ما لم يؤد الى مفسدة أشد وأيضاً المجتهد إنما يحسن به الظن اذا لم يبين مستند اجتهاده أما اذا بينه وكان خطأ . فلا والله در الشيخ يعنى ابن عرفة حيث كان يقول الصحبة حصنت من حاربها من الجزء السابع من شرح الزرقانى على المواهب اللدنية فى باب أنبائه عليه الصلاة والسلام بالمغيبات .

أقول تحقق مما تقدم أن خلافة على رضى الله عنه يتعلق بها ثلاثة اجماعات . اجماع الامة الاسلامية على أنه أفضل الصحابة بعد الثلاثة الخلفاء واجماعهم على بيعته واجماعهم على أنه مصيب فى اجتهاده فى حربه ومحاربوه من الصحابة رضوان الله عليهم مخطئون فى ذلك ، وأربعة اجماعات قبله : اجماع الامة الاسلامية على أن الاسراء كان يقظة بالروح والجسد معاً ، واجماعهم على بيعته أبى بكر رضى الله عنه واجماعهم على بيعته الفاروق رضى الله تعالى عنه ، واجماعهم على بيعته عثمان رضى الله تعالى عنه ، فهذه سبعة اجماعات لم يقم لها هذا المحاضر وزنا وسياًتى اجماع ثامن على خلافة ابن الزبير رضى الله تعالى عنهما يهدره كذلك هذا مع كونه جمع كتاباً فى أصول الفقه ذكر فيه الاجماع الذى هو رابع أركان الشريعة واعترف به ، فان قيل عدم مبايعة معاوية رضى الله تعالى عنه ومن معه علياً يقدح فى الاجماع على بيعته رضى الله عنه . قلت معلوم أن من معه تابعون له فى الاجتهاد فصار الجميع مجتهداً

واحدا ومخالفة الواحد لا تقدر في الاجماع وقد خالف سيد الخزرج سعد ابن عبادة رضى الله عنه أبا بكر فلم يبايعه ولم تقدر مخالفته في اجماع الأمة على بيعة الصديق رضى الله عنه . والتفاوت العظيم في الافضلية بين سعد ومعاوية رضى الله عنهما بنص القرآن معلوم لكل مسلم وتحقق مما تقدم أيضاً فساد كلامه وغشه للقراء في قوله « وفي نظرنا أن خلافته وبيعته لم تنقص في الشكل عن بيعة علي الى آخر قوله ، من الضروري أن يتغلب أقوى المتنازعين فاي شكل لمعاوية وحده يعتبر به مشاكلاً لبيعة جمهور الأمة الاسلامية . عليا وأي فريق له يعتبر به في مقابلتها اذا كان من معه تابعاً له على أن مبايعته - بالخلافة بعد مبايعة علي بها لو صحت باطلة لما أخرجه الامام مسلم ابن الحجاج في صحيحه عن أبي سعيد الخدري رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (اذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما) وأخرج أيضاً من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنهما انه سمع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يقول : (ومن بايع إماماً فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه ان استطاع فان جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر) ومن حديث عرفة (فاضربوه بالسيف كائناً من كان) قال العلماء وهذا الحديث أدل دليل على منع اقامة امامين لأنها تؤدي الى المخالفة والشقاق وحدوث الفتن والحكمة في منع تعدد الامام منافية للتعدد لمقصود الامامة من اتحاد كلمة الاسلام واندفاع الفتن ، ويقتضى لزوم امتثال أحكام متضادة قالوا الا اذا تباعدت الاقطار جداً كخراسان والاندلس فيجوز تعدده . فمعاوية رضى الله تعالى عنه لم يدع الامامة التي ادعاها المحاضر له بدليل صريح كلامه السابق لأبي مسلم الخولاني (اني لأعلم أنه أفضل مني وأحق بالأمر) وحيث تقرر هذا فقوله (وليس هناك حدود معينة في الشريعة يقال ان احدهما تعداها باطل بالاجماع الذي قررته على بيعة علي وجهله حضرته ولم يعبأ به لمخالفته لهواه وبنص حديث الامام مسلم الذي ذكرته وجهله جهلاً مركباً جراه على نفي حدود معينة في الشريعة لخلافة علي وبطلان بيعة معاوية رضى الله تعالى عنهما .

من تعبيره الطويل الذيل وهو (الكفاءة) والمركب من الفاسد والصحيح فاسد إذ محبة الناس كلهم لشخص أو رضاهم به إحدى المستحيلات كما تقدم فعلماء الاسلام قاطبة حين قالوا شرائط الامامة بعد الاسلام والتكليف خمسة : الذكورية ، والورع والعلم ، والكفاءة ، ونسبة قریش ، قصرُوا في رأيه حيث لم يزيدوا هذا الشرط المستحيل الذي زاده عليهم بقوله : ليس فيها ضمان لا اختيار من يحبه الناس ويكون قادراً على حماية مصالحها وقوله (وإن يكن من الممكن في بعض الاحيان أن يكون الشخص المختار لولاية العهد خيراً الناس كما حصل في انتخاب عمر بن الخطاب وعمر بن عبدالعزيز) صحيح في عمر ابن الخطاب ، غير صحيح في عمر بن عبدالعزيز فإن في القرشيين من إذا لم يكن أفضل منه لا ينقص عنه في ذلك كسالم بن عبد الله بن عمرو وهو من مشايخه والقاسم بن محمد بن أبي بكر وأبي جعفر الباقر . وقوله (والطريقة الثالثة في حقيقة الامر كالثانية إذا اقتصر فيها على الشكل الذي رآه عمر لأنها عبارة عن عهد إلى واحد غير معين من افراد محصورين يختارهم الامام) . طعن مكرر تقدم انه زعم ان هذه الطريقة شورية ناقصة وقد ابطلته هناك . وأقول هنا في تقويم اعوجاج هذا الكلام : قد عهد عمر رضى الله تعالى عنه الى واحد غير معين من الستة عين ذلك الواحد أهل الحل والعقد الذين أخذ رأيهم في ثلاث ليال عبد الرحمن ابن عوف رضى الله تعالى عنه الذي فوض اليه عقدها وتنازل الثلاثة الموجودون بالمدينة عنها لعثمان ، وعلى ، فرجح أهل الحل والعقد الذين استشارهم عبد الرحمن تقديم عثمان على على رضى الله تعالى عنهما وبهذا تحقق ان طريقة الفاروق هذه محكمة البنيان قوية الاركان لأنها مركبة من العهد ومن انتخاب أهل الحل والعقد مركبة من انتخاب الصحابة للصديق ومن عهد الصديق له فلا يقول فيها أنها ناقصة إلا ناقص .

عدم اعتباره خلافة ابن الزبير وكذبه على التاريخ فيها

قال في ص: ١٦٥ (وعهد يزيد إلى ابنه معاوية إلا أن الرجل لم يقدر على تحمل ذلك العبء في وسط هذه الظلمات الخالكة فاعتزل وترك جبل الأمة على غاربها في تلك الظروف كانت الفتن تموج موجاً حتى استقر الأمر بغلب مروان بن الحكم) ، أقول لم تبق الأمة بلا راغ ولم تتموج الفتن كما زعم بل بايع جل الأمة الإسلامية عبد الله بن الزبير رضى الله تعالى عنهما . بايعه أهل الحرمين واليمن والعراق ومصر والمشرق وجل أهل الشام ما عدا أهل الأردن ، فخلافته بجمع عليها وهذا اجماع ثامن أهدره أيضاً لمخالفته هو وهروان وابنه باغيان متغلبان كما قال ذلك الإمام مالك وجميع أئمة الدين ، قال الحافظ بن حجر في فتحه : وقد بايعه يعنى ابن الزبير جميع أهل الامصار ما عدا أهل الاردن من أهل الشام اه وبهذا يعلم القارىء عدم اكترائه بخلافة ابن الزبير وكذبه على التاريخ فيها .

تخيل فاسد

قال في ص ١٦٧ (تناول العلماء في الدولة العباسية مسألة الخلافة وأدخلوها ضمن العقائد الدينية ويخيل إلينا أن أول من وضعها هذا الموضع كان يرى رأى الشيعة فان الخلافة عندهم من أمور الدين ثم جر اليه المتكلمين وصار أمرها موضوعاً جديلاً كغيره من المسائل الدينية اه)

أقول نص المتكلمون على أن مباحث الإمامة ليست من العقائد بل هى من المتممات ، وبيان ذلك أن مباحث الإمامة من الفقه بالمعنى المتعارف لأن القيام بها من فروض الكفاية وذلك من الأحكام العملية دون الاعتقادية ومحل بيانها كتب الفروع وهى مسطورة فيها وإنما كانت متممة فى علم الكلام لأنه لما شاعت فى الإمامة من أهل البدع اعتقادات فاسدة مخلة بكثير من القواعد الإسلامية مشتملة على قدح فى الخلفاء الراشدين

رضوان الله تعالى عليهم أدرجت في علم الكلام لشدة الاعتناء بالمناظرة عن الحق فيها تسمياً لفائدة علم الكلام ، ووجه ادخالها فيه : ان من مباحثها ما هو اعتقادي لا عملي كاعتقاد أن الامام الحق بعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي ، واعتقاد انهم في الفضل كذلك وما هو فيه متمم اعتقادي غير هذه التوبة فانها من مباحث الفروع أيضاً وعلما الاسلام الذين تناولوا مسألة الخلافة بالبحث في الدولة العباسية وأدخلوها ضمن العقائد الدينية لم يكونوا من الشيعة بل كانوا من أهل السنة والجماعة والتخيل (في هؤلاء الأئمة أبي منصور الماتريدي والاشعري وعبد القاهر الجرجاني والباقلاني وأبي اسحق الاسفرايني وغيرهم كثير ممن وضعها في علم العقائد في الدولة العباسية من أهل السنة بأنهم ممن يرى رأى الشيعة، أو وضعها الشيعة وجازت عليهم مع ذكائهم المفرط فأدرجوها في مصنفاتهم في العقائد) فاسد جاهل صاحبه بطبقات العلماء ونحلهم وبما حققته ظهر للقارىء فساد كلامه هذا كله .

خاتمة هذه المحاضرة في طعنه في الخلافة ايضاً

قال في آخر ص ١٦٧ : (والخلاصة ان مسألة الخلافة الاسلامية والاستخلاف لم تسر مع الزمن في طريق يؤمن فيه العثار بل كان تركها على ما هي عليه من غير حل محدد ترضاه الامة وتدفع عنه ، سبباً لاكثر الحوادث التي اصابت المسلمين وأوجدت ما سيرد عليكم من أنواع الشقاق والحروب المتواصلة التي قلما يخلو منها زمن سواء كان ذلك بين بيئتين او بين شخصين اه) اقول هذا الطعن في الخلافة مكرر قد تقدم ابطاله كرهه هنا باسلوب آخر ليظن البسطاء أنه أتى برأى سديد لا يقبل النقص وهو آخر سهم في جعبة سهام باطله ختم به هذه المحاضرة وفساده عند كل عاقل اجتماعي مطلع على تاريخ البشر منذ نشأتهم الى زماننا هذا بدهى البطلان ، وذلك من وجهين :

(الاول) اشتراطه في صحة خلافة النبوه سيرها مع الزمن في طريق يؤمن فيه العثار اى لا يعارضها ولا يخرج عليها احد ابداً وهذا الشرط واضح من فحوى كلامه ، (ان مسألة الخلافة الاسلامية والاستخلاف لم تسر مع الزمن في طريق يؤمن فيه العثار) ولم يشترطه مسلم ولا كافر فلم يقل عاقل من بنى آدم يشترط في صحة خلافة النبوة أمنها في سيرها مع الزمن من معارض يعارضها أو خارج يخرج عليها وعليه فلا وجود للخلافة بعد وفاته عليه الصلاة والسلام في الارض وهو فاسد بديهة لتكذيبه للواقع والتاريخ وصريح القرآن فخلافة الصديق رضى الله تعالى عنه لم تسر مع الزمن في طريق يؤمن فيه العثار لان جل العرب بعد وفاة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم رجعوا الى دين الجاهلية فحاربهم حتى ارجعهم الى دين الحق صاغرين ولا يستطيع أحد ان يثبت رضى هؤلاء عن أبى بكر ولو بعد رجوعهم الى الاسلام ، وخلافة الفاروق رضى الله تعالى عنه تنغصت في آخرها بتشغيب الكوفيين بكثرة شكاياتهم لامرائهم العدول فإى رضى عنه ومحبة له هؤلاء مع حالتهم هذه وبكراهة كثير من احداث قريش له لمنعه لهم من الخروج الى الامصار وقد تقدم قوله رضى الله تعالى عنه ما ترك الحق لعمر صديقا ، وخلافة ذى النورين تنغصت عليه ايضا في آخرها بخروج مئين من قبائل شتى من الامصار عليه بطراً حتى ادى الى قتله رضى الله تعالى عنه شهيداً مظلوماً فالواقع دل على ان رضى الامة كلها عن كل واحد من هؤلاء الخلفاء الثلاثة ومحبتهم له احدى المستحيلات ولا يقدر هذا الواقع في كمال خلافتهم كالا يقدر فيها تكفير الرافضة لهم ولجل الصحابة ، وتكفير الخوارج لذى النورين وحيادة وجمهور الصحابة ، ولم يقل مؤرخ مسلم منسب لأهل الحق أن الأربعة أبابكر وعمر وعثمان وعلياً لم يكونوا خلفاء لأن الامة الاسلامية كلها لم تتفق على محبتهم والرضا عنهم وتكذيبه لصريح القرآن في وعده تعالى لعباده المؤمنين بالاستخلاف في الارض والتمكين قال تعالى ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات

ليستخلفهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلهم من بعد خوفهم أمناً ﴿ بل يلزم من هديانه هذا أيضاً تكذيب الواقع والتاريخ في كل قائم بالحق في الارض من خواص عباده رسله الى خلقه بالهدى والبيئات لان الناس كذبوهم وآذوهم بل قتلوا بعضهم . فهذا ابونا الاكبر آدم عليه السلام جعله الله خليفة في الارض فعقه ابنه قابيل وعصى ربه وقتل اخاه هابيل وكفر هو وذريته فيلزم من شرطه هذا عدم صحة خلافة آدم لانها لم تسر مع الزمن في طريق يؤمن فيه العثار لأن اولاده لم يتفوقوا كلهم على طاعته والرضا بخلافته ، ويلزم منه ايضاً ان الله تبارك وتعالى لم يحل خلافة آدم عليه السلام حلاً محدداً رضي به جميع اولاده ، نعوذ بالله من فلتات اللسان وفساد الجنان ويطرده هذا الالتزام في كل قائم بالحق من رسل الله أو غيرهم

الثاني اشتراطه في الخليفة محبة الناس له في كلامه السابق في نقده ، الطريقة الثانية طريقة استخلاف الصديق للفاروق وهو شرط لم يشترطه عاقل من بني آدم وهنا زاد في تعريف الخلافة شرطاً آخر وهو ان تحل حلاً محدداً ترضاه الامة وتدفع عنه ، قال (بل كان تركها على ما هي عليه من غير حل محدد ترضاه الامة وتدفع عنه سبباً لاكثر الحوادث التي اصابته المسلمين) . فنتيجة هذا الكلام في التارك للخلافة على ما هي عليه من غير حل محدد ترضاه الامة وتدفع عنه ، دائرة بين كونه الشارع وبين كونه الامة ، ويؤيد كونه الشارع قوله من غير حل محدد ترضاه الامة فانه يقتضي ان الحال للخلافه حلاً محدداً مقابلاً برضى الامة هو غير الامة وليس هو الا الشارع وحمله على بعض الامة اهل الحل والعقد وان كان ممكناً بعيد لان المتبادر في أل في الامة حملها على الجنس الاستغراقي اى جميعها ويؤيد كونه الشارع ايضاً استخلاف الله لآدم عليه السلام فان الله تعالى لم يحلها على رأيه هذا حلاً محدداً رضي به اولاده كلهم ، ويؤيد كونه الامة قوله سابقاً (٣٠ - تحذير العقبري)

(وليس هناك حدود معينة في الشريعة يقال إن أحدهما تعداها) ،
وقوله ايضا (كأن الشريعة ارادت ان تكل هذا الأمر للمسلمين حتى
يحلوه بانفسهم) فينحل هكذا ، ترك الشارع والامة الخلافة الاسلامية
من غير حل ترضاه الامة وتدفع عنه سبب اكثر الحوادث
التي اصابت المسلمين وبذرت بينهم انواع الشقاق والحروب المتواصلة
فخلاصة هذه الخلاصة تحميله مسؤولية اهمال الخلافة على الشارع والامة
معاً ، نعوذ بالله من فلتات اللسان وفساد الجنان ونتيجتها أيضاً أن الامة
الاسلامية بعد وفاته عليه الصلاة والسلام صارت في فوضى متواصلة
الى قيام الساعة لعدم وجود خلافة محددة معينة ترضاه الامة وتدفع
عنها ، وخلاصة هذه المحاضرة طعنه في الخلافة عموماً وفي خلافة علي
خصوصاً وفي ستة الشورى تصريحاً وفي بقية الصحابة تلويحاً وتصريحاً ،
وبعدُ فالذي اجزم به أنا ويجزم به كل عاقل اطلع على محاضراته بامعان
- أنه لا يخلو من أن يكون جاهلاً أو متأثراً بالأجانب تقليداً أو تأجييراً
وأوهنا مانعة خلوتجوز الجمع .

تحقيق عالم اصول كبير

في خلافة الخلفاء الأربعة رضى الله عنهم

قال الحافظ أبو بكر بن العربي الاشيبلي في أحكامه في تفسير قوله تعالى
(وعاد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض)
الخ ما نصه فيها خمس مسائل . (المسألة الأولى) في سبب نزولها روى
أن بعض أصحاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم شكى اليه ما هم فيه من العدو وتضييقه
عليهم وشدة الخوف وما يلقون من الاذى فنزلت هذه الآية بالوعد الجميل
لهم فأنجزه الله تعالى وملكتهم ما وعدهم وأظهرهم على عدوهم . وروى أبو
العالية قال مكث النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عشر سنين خائفاً يدعو
إلى الله سرّاً وجهراً ثم أمر بالهجرة إلى المدينة فمكث بها وأصحابه خائفين

يصبحون في السلاح ويمسكون ، فقال رجل ما يأتي علينا يوم نأمن فيه ونضع
عنا السلاح. فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كلمة معناها لا تعبرون إلا
يسيراً حتى يجلس الرجل منكم في الملاء العظيم محتبياً ليس بيده حديدة وأنزل
الله هذه الآية: (المسألة الثانية) قال مالك نزات هذه الآية في أبي بكر وعمر
﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ﴾ الى آخرها ، وقال علماءنا
هذه الآية وعد حق وقول صدق يدل ذلك على صحة إمامة الخلفاء الاربعة
لانهم لم يتقدمهم أحد في الفضيلة إلى يومنا هذا فأولئك مقطوع بامامتهم متفق
عليهم وصدق وعد الله فيهم وكانوا على الدين الذي ارتضى لهم واستقر الامر
لهم وقاموا بسياسة المسلمين وذبوا عن حوزة الدين فنفذ الوعد فيهم وصدق
الكلام فيهم واذا لم يكن هذا الوعد بهم ينجز وفيهم نفذ وعليهم ورد
ففيمن يكون اذاً. وليس بعدهم مثلهم الى يومنا هذا ولا يكون فيما بعده
قام أبو بكر بدعوة الحق واتفاق الخلق وواضح الحجة وبرهان الدين
وأدلة اليقين فبايعه الصحابة ، ثم استخلف عمر فلزمت الخلافة ووجبت
النيابة وتعين السمع والطاعة . ثم جعلها عمر شورى فصارت لعثمان
بالنظر الصحيح والتبجيل الصريح والمساق الفسيح جعل الثلاثة أمرهم
الى ثلاثة ، ثم أخرج عبد الرحمن نفسه بشرط أن يكون الى من اختاره
من الرجلين فاختار عثمان وما عدل عن الخيار وقدمه وحقه التقديم على
على رضى الله عنهما . ثم قتل عثمان مظلوما في نفسه مظلوماً جميع الخلق
فيه فلم يبق الا على أخذاً بالافضل فالافضل وانتقالاً من الاول الى الاول
فلا اشكال لمن جنف عن المحال أن التنزيل على هؤلاء الاربعة وعد الله في
هذه الآية ثم كملت الحال لابي بكر فاتحة وخاتمة ، ثم كملت لعمر وكسر
الباب فاختلط الخشكار باللباب وانجرت الحال مع عثمان واضحة للعقلاء
معترضاً عليها من الحمقى ، ثم نفذ القدر بقتله ايثاراً للخلق منه على نفسه
وأهله ، ثم قام على أحسن قيام لو ساعده النقص والابرار ولكنه وجد
الأمر نشرأ وما رام رتق خصم الا انفتق عليه خصم ولا حاول طي منتشر

الا عارضه عليه أشر . ونسبت اليه أمور هو منها برىء براءة الشمس من الدنس والماء من القبس وطالبه الاجل حتى غلبه فانقطعت الخلافة وصارت الدنيا ملكا تارة لمن غلب وأخرى لمن خلب حتى انتهى الوعد الصادق ابتداءؤه وانتهاءه أما الابتداء فهذه الآية ، وأما الانتهاء فبحديث سفينة ، قال سعيد بن جهمان عن سفينة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خلافة النبوة ثلاثون سنة ثم يؤتى الله الملك من يشاء ، قال سعيد قال لى سفينة أمسك عليك أبو بكر سنتين وعمر عشراً وعثمان اثني عشر وعلى كذا . قال سعيد قلت لسفينة إن هؤلاء يزعمون أن علياً لم يكن خليفة قال كذبت استأه بنى الزرقاء يعنى بنى مروان زاد فى رواية أعدد أبو بكر كذا وعمر كذا ، وعثمان كذا ، وعلي كذا . والحسن ستة أشهر . فهؤلاء ثلاثون سنة وقد روى الترمذى وغيره أن رجلاً قام الى الحسن ابن على بعد ما بايع معاوية فقال له يا مسود وجوه المؤمنين . فقال لا بأس رحمك الله تعالى فان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أرى بنى أمية على منبره فسأه ذلك فنزلت ﴿ انا أعطيناك الكوثر ﴾ ونزلت ﴿ انا أنزلناه فى ليلة القدر وما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر ﴾ يملكها بعدك بنو أمية يا محمد قال القاسم راوى الحديث فعددها فاذا هى ألف شهر لا تزيد ولا تنقص وفى الحديث الصحيح ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أجلس الحسن فى حجره على المنبر وقال ان ابنى هذا سيد ولعل الله تعالى أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين . (المسألة الثالثة) فان قيل هذا الوعد يصح لكم فى أبى بكر وحده ، فأما عمر فأى أمن معه ، وقد قتل غيلة ، وعثمان قد قتل غلبة . وعلى قد نوزع بالجنبه والجلبة . قلنا هذا كلام جاهل غبى أو متهاون يكن على نفاق خفى ، أما عمر وعثمان فجاءهما أجلهما فماتا ميتينهما التى كتب الله لهما وليس فى ضمن الامن السلام من الموت . بأى وجه وقع وأما على فلم يكن نزاله فى الحرب مذهباً للأمن فليس من شرط الامن رفع الحرب انما من شرطه ملك الانسان لنفسه باختياره وسلامته عن الغلبة

المشجونة بالذلة كما كان أصحاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بمكة فاما بعد ما صاروا الى المدينة فقد آلوا الى الامن والعزة ، في الصحيح عن خباب بن الارت رضى الله تعالى عنه قال شكونا الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة فقلنا له ألا تستنصر لنا ألا تدعو الله لنا فقال (كان الرجل فيمن كان قبلكم يحفر له في الارض فيجعل فيه فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيشق باثنتين وما يصده ذلك عن دينه ويمشط بأمشاط الحديد مادون لحم من عظم وعصب وما يصده ذلك عن دينه. والله ليتمن هذا الامر حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت لا يخاف الا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون) وحقيقة الحال انهم كانوا مقهورين فصاروا قاهرين وكانوا مطلوبين فعادوا طالبين وهذا نهاية الامن والعز.

(المسألة الرابعة) قال قوم ان هذا وعد لجميع الامة في ملك الارض كلها تحت كلمة الاسلام كما قال صلى الله عليه وسلم (زويت الى الارض فأريت مشارق الارض ومغاربها وسيلبلغ ملك أمتي ما زوى لى منها) قلنا لهم هذا وعد عام في النبوة والخلافة واقامة الدعوة وعموم الشريعة بنفاذ الوعد في كل أحد بقدره وعلى حاله حتى في المفتين والقضاة والأئمة وليس للخلافة محل تنفذه هذه الموعدة الكريمة الا من تقدم من الخلفاء الاربعة .

المحاضرة التاسعة عشرة

تمسكه بالرواية الضعيفة في تأخر علي عن مبايعة أبي بكر
وكذبه على التاريخ في محاربة أبي بكر المرتدين

قال في صفحة ١٧٠ منها : (ولم يزل علي بن أبي طالب ممتنعاً عن مبايعة
أبي بكر ستة أشهر حتى ماتت فاطمة رضي الله تعالى عنها وكانت لعلي من
الناس وجهة حياة فاطمة فلما ماتت استنكر وجوه الناس فالتبس مصالحة
أبي بكر فأرسل إلى أبي بكر أن أئتنا ولا يأتنا معك أحد كراهية محضر عمر
ابن الخطاب فقال عمر لأبي بكر والله لا تدخل عليهم وحدك فقال أبو بكر
وما عساهم أن يفعلوا بي والله لا تينهم فدخل عليهم أبو بكر فتشهد على ثم قال
إلى آخر الهراء) .

أقول هذا الهراء باطل غير صحيح قد تقدم لإبطاله في بحث الخلافة
بتحقيق الحافظ ابن كثير في بدايته قال إن علياً بايع أبا بكر في ثاني يوم
السقيفة ولم يفارقه في سفر ولا حضر وقد حضر معه قتال الأعراب
المرتدين بذى القصة والأبرق .

وقال في ص ١٧٤ منها في حديثه عن خروج أبي بكر لقتال الأعراب
المرتدين لما هاجموا المدينة مانصه (فلما جاءت الأخبار مكث ينتظر بعث
أسامة لأنه كان فيه معظم القوة وكان جيران المدينة من عبس وذيان قد
اجتروا عليها يريدون مهاجمتها فلما قدم بعث أسامة استخلف أبو بكر أسامة
على المدينة وكان قصده بذلك أن يرتاح جنده ويريحوا ظهورهم وهم بالخروج
فيمن معه من الجند وحرس المدينة لحرب عبس وذيان فقال له المسلمون
نشدك الله يا خليفة رسول الله ألا تعرض نفسك فأنك إن تصب لم يكن
للناس نظام ومقامك أشد على العدو فابعث رجلاً فان أصيب بعثت آخر
فقال والله لا أفعل ولا واسينكم بنفسى فخرج في تعبته حتى نزل على أهل
الربذة بالأبرق فاقتتل جنده مع بني عبس فهزم العبسيون وأخذ الحطيئة

الشاعر أسيراً وأقام أبو بكر بالابرق أياماً اهـ).

أقول قد تحققنا عقيدة هذا المحاضر في جميع الصحابة رضوان الله عليهم أنهم عنده كسائر الناس إنما يقاتلون بالعدد والعدة غير مبال بما ميزهم به التاريخ المقطوع به كلام الله تعالى من الأخلاق العالية والصفات السكاملة التي منها الشجاعة الفائقة التي بزواياها الأمتين الجبارتين فارس والروم فذكروا عروشهم في آيات كثيرة تقدم ذكر بعضها في مقدمة بحث الخلافة . أظهر عقيدته هذه وجعلها قاعدة مطردة غير مبال أيضاً بتكذيب التاريخ الاسلامي الذي ألف فيه إذا خالفها سابقاً في غزوة مؤتة . فقد قال فيها (إن ثلاثة آلاف من الصحابة عدد قليل جداً في جانب مائتي ألف « أي من الروم » لا تمسكنهم المقاومة بحال) ومدح خالداً فقط بالمهارة وأساء الأدب في تعبيره مع هؤلاء السادة الثلاثة الآلاف بقوله (وفي ذلك الوقت أظهر « أي خالد » مهارته في تخليص المسلمين مما ورطوا أنفسهم فيه) وما شعر ان هذه المهارة اكتسبها خالد بالقوة الروحية قوة الدين الذي دخل فيه وأن أكثر أفراد هذا العدد القليل الذي استطاع مقاومة مائتي ألف كل واحد منهم أقوى من خالد فيها وبها أدخلوه في الاسلام طائعاً بعد مشاهدته صدماتها الهائلة ، وقد أفضت الكلام في دحض باطله هناك وعلى هذا الرأي الذي جعله قاعدة جبن أحزم الخلق وأشجعهم بعد الأنبياء الصديق الأكبر وجبن الصحابة الذين بقوا معه في المدينة بعد خروج أسامة رضي الله تعالى عنه بمعظمهم إلى الشام ، وكذب على التاريخ المنقول نقلاً أوضح من الشمس هنا أيضاً دفعتين فمنطوق قوله (فلما جاءته الأخبار مكث ينتظر بعث أسامة إلى قوله فلما قدم بعث أسامة استخلف أبو بكر أسامة على المدينة) صريح في أحجام الصديق ومن معه عن الخروج إلى محاربة الأعراب مع قربهم من المدينة حتى جاءه أسامة وجيشه من الشام فاذ ذاك تشجع وخرج إليهم فهزمهم بالابرق وعلل هذا الأحجام في قوله مكث ينتظر بعث أسامة بقوله لأنه كان فيه معظم القوة ولا شك أن هذا التعليل رمي له ولمن معه بالجبن ودليل على رأيه أن

الصحابه إنما يقاتلون بالعدة والعدد لا بالقوة الروحية وكذب على التاريخ الإسلامى فى هذه الدفعة ، والدفعه الثانية فى قوله : (وكان جيران المدينة من عبس وذبيان قد اجترءوا عليها يعنى « المدينة » يريدون مهاجمتها يعنى ولم يهاجموها بالفعل وهو غير صحيح فقد هاجموها ليلا فدحرهم الصديق ومن معه بنى حسا واتبعهم إلى ذى القصة قبل رجوع أسامة وجيشه من الشام وإلى القراء ملخص ذلك من كامل ابن الأثير (كان طليحة بن خويلد الأسدى قد تنبأ فى حياة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فوجه إليه عليه الصلاة والسلام ضرار بن الأزور عاملا على بنى أسد وأمرهم بالقيام على من ارتد فضعف أمر طليحة حتى لم يبق إلا أخذه فضربه بسيف فلم يصنع فيه شيئا فظهر بين الناس أن السلاح لا يعمل فيه فكثير جمعه ومات النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهم على ذلك فتبعه قومه وغطفان ولقيف من العرب فلم يحملهم المكان الذى هم فيه فأقامت طائفة منهم بالأبرق وسارت فرقة إلى ذى القصة وأرسلوا إلى المدينة وفداً يبذلون الصلاة فى زعمهم ويمنعون الزكاة ، فقال أبو بكر والله لو منعوني عقالا لجاهدتهم عليه فرجع وفدهم وأخبروهم بقله من فى المدينة وأطمعوهم فيها وجعل أبو بكر بعد رجوع الوفد على أنقاب المدينة « أطرافها » التى يخشى دخول العدو منها علياً وطليحة والزبير وابن مسعود وألزم أهل المدينة بحضور المسجد خوف الغارة من العدو لقربهم منها فما لبثوا إلا ثلاثاً حتى طرقت المدينة غارة مع الليل وخلفوا بعضهم بنى حسا « المعروف الآن بأبيار على » ليكونوا لهم رداً فوافوا ليلا الانقاب وعليها المقاتلة فمنعوهم وأرسلوا إلى أبى بكر الخبر فخرج فى أهل المسجد على النواضح فردوا العدو واتبعوهم حتى بلغوا ذاحسا فخرج عليهم رده الأعراب بأنحاء قه نفخوها وفيها الحبال ثم ددهوها على الأرض فنفرت أبل المسلمين وهم عليها ورجعت بهم إلى المدينة ولم يصرع مسلم وظن الكفار بالمسلمين الوهن فبعثوا إلى أهل ذى القصة بالخبر فقدموا عليهم وبات أبو بكر يعبى الصحابة وخرج على تعبته يمشى ،

وعلى ميمنته النعمان بن مقرن ، وعلى ميسرته عبد الله بن مقرن وعلى أهل الساقة سويد بن مقرن فما طلع الفجر إلا وهم والعدو على صعيد واحد فما شعروا بالمسلمين حتى وضعوا فيهم السيوف فما ذر قرن الشمس حتى ولوهم الأدبار . وغلبوهم على عامة ظهرهم وقتل منهم رجال واتبعهم أبو بكر حتى نزل بنى القصة وكان أول الفتح ووضع به النعمان بن مقرن في عدد ورجع إلى المدينة فذل له المشركون ، وبعد هذا بأيام قدم أسامة وجيشه من الشام فاستخلفه الصديق على المدينة مع جنده ليستريحوا ويرحوا ظهرهم وخرج أبو بكر فيمن كان معه إلى الأبرق فقاتل من به من الأعراب فمنهم شر هزيمة إلى آخر بقية كلامه الذي ساقه (وهذا ظهر فساد نصف كلامه وكذبه على التاريخ وتجيئته لأبي بكر ومن معه من الصحابة رضوان الله عليهم ، وفيها أيضاً غلط في وقت إدعاء مسيئة النبوة ص ١٧٨ قال .) كانت بنو حنيفة قد وفدت على الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم في حياته وأسلمت وكان فيهم مسيئة فلما شاع مرض الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم تنبأ مسيئة ودعا الناس إلى اتباعه اه) أقول مسيئة ادعى النبوة قبل مرضه عليه الصلاة والسلام بمدة وكتب إلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كتاباً يزعم فيه إنه شرك معه في النبوة وأن له ولقومه نصف الأرض ولقريش نصفها ولكن قریشا قوم يظلمون ، فأجابه عليه الصلاة والسلام بأن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ولقبه الكذاب . وفي الصحيح عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : رأيت كأن في يدي سوارين من ذهب فكرهتهما فأوحى إلى أن أنفخهما فنفختهما فطارا فأواتهما بهذين الكذابين اللذين أنا بينهما مسيئة والاسود العنسي .

المحاضرة العشرون

قال في آخر ص ١٩٣ وأول ص ١٩٤ منها (في أثناء الموقعة « يعنى
وقعة اليرموك » جاء بريد المدينة وفيه خبر وفاة أبي بكر وخلافة عمر بن
الخطاب وعزل خالد عن إمارة الجيش وتولية أبي عبيدة قائداً عاماً مكانه
فأخذ خالد الكتاب وأسره إلى أبي عبيدة ولم يدعه لثلاثين قوة الجنود وأخذ
الكتاب فوضعه في كنيسته حتى انتهت الموقعة بهذا النصر فسلم الكتاب إلى
أبي عبيدة وسلم عليه بالامارة اه) . أقول هذا الكلام كله غير صحيح
فعمر رضى الله تعالى عنه إنما كتب لأبي عبيدة ولم يكتب إلى خالد أصلاً
لأنه كان عليه ساءلاً في خلافة أبي بكر كلها لوقعته بآبن نويرة وما كان
يعمل في حربه وأول ما تكلم به عزل خالد وقال لا يلى لى أبداً وكتب
إلى أبي عبيدة بتوليته قائداً عاماً على الجيوش كلها . وقال في ص ١٩٤
أيضاً (فرحم الله خالداً فقد كان زينة في تاريخ أبي بكر وإلى هنا انتهت
الاعمال الكبرى التي حدثت بين المسلمين وبين دولتي الروم والفرس في
أيام أبي بكر وقطبها خالد بن الوليد المخزومي اه) . أقول قواد الصحابة
كلهم كانوا زينة في تاريخ أبي بكر وأقطاباً في تلك الحروب وفي ص ١٩٥
قال (وفي عهده « أى أبي بكر » كتب القرآن لأول مرة في مصحف واحد
بجمع سوره كلها وكان قبله محفوظاً مرتباً في الصدور ومكتوباً آيات وسوراً
ليست مجتمعة فلما حصلت حروب الردة وكان قد قتل فيها كثير من القراء
رأى أبو بكر أن يجمع القرآن في مصحف واحد إلى آخر الهراء اه) .
أقول قد تقدم إبطاله بأن أبا بكر إنما جمع القرآن المتفرق في مصحف بسبب
موت كثير من القراء في وقعة اليمامة ، والذي جمعه في مصحف واحد إنما
هو ذوالنورين عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنهم .

المحاضرة الخامسة والعشرون

تسكبه عن جادة الصواب وكذبه على أمير المؤمنين عمر رضى الله تعالى عنه
فى عزله بعض عماله

قال فى ص ١٢ من الجزء الثانى مانصه : (وقد استحضر عمر إليه كثيراً من العمال الذين لهم أعظم فضل وأكبر عمل بشكاية قدمت إليه من بعض الأفراد فقد استحضر سعد بن أبى وقاص وهو فاتح القادسية والمدائن ومصر الكوفة وكان الذى شكاه ناس من أهل عمله بالكوفة فجمع بينه وبينهم فوجده بريئاً ، واستحضر المغيرة بن شعبه وهو أمير البصرة والمغيرة من الصحابة ومن ذوى الأثر الصالح فى الفتوح الإسلامية وكان بعض من معه بالبصرة قد اتهمه بتهمة شنيعة فوجه إليه ذلك الكتاب الموجز الذى جمع فى كلمة قليلة أن عزل وعاتب واستحث وأمر (أما بعد فقد بلغنى نبأ عظيم فبعثت أبا موسى أميراً فسلم ما فى يدك والعجل العجل) فقدم على عمر مع الشهود الذين شكوه ولم تثبت التهمة عليه عند عمر فعاقب شهوده بالحد الذى فرضه الله لمثلهم . وشكى إليه عمار بن ياسر وكان أميراً على الكوفة وهو من السابقين الأولين شكاه قوم من أهل الكوفة بأنه ليس بأمر ولا يحتمل ما هو فيه . فأمره أن يقدم عليه مع وفد من الكوفة فسأل الوفد عما يشكون من عمار فقال قائلهم إنه غير كاف ولا عالم بالسياسة وقال قائل منهم إنه لا يدرى على ما استعمل ، فاخبره عمر فى ذلك اختباراً يدل على سعة علم عمر بتلك البلاد فلم يحسن الإجابة فى بعضه فعزل له عنهم ثم دعاه بعد ذلك فقال أساءك حين عزلتك فقال والله ما فرحت به حين بعثتنى وقد ساءنى حين عزلتنى ، فقال لقد علمت ما أنت بصاحب عمل ولكنى تأولت قوله تعالى ﴿ ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين ﴾ ولم يمتدح عامل زمن عمر موثقاً به من عمر فى كل أيامه إلا القليلين وفى مقدمتهم أبو عبيدة عامر بن الجراح اهـ . أقول أشتمل هذا الكلام إجمالاً على تدافع وطعن وتقصير وكذب على أمير المؤمنين عمر

رضى الله تعالى عنه . وبيانه ملخصاً من ابن الأثير وغيره قصة سعد بن أبي وقاص رضى الله تعالى عنه مع أولئك الأوباش الذين طعنوا فيه تقدم كثير منها في بحث الخلافة ، وأقول هنا أيضاً : ثار بسعد قوم سعوا به وألبوا عليه وكان ممن تحرك في أمره الجراح بن سنان الأسدي في نفر فبعث عمر محمد بن مسلمة يقتص آثار شكاية سعد فطاف بسعد على أهل الكوفة يسأل عنه فما سأل عنه جماعة إلا أثنوا عليه خيراً سوى من مالا الجراح الأسدي فانهم سكتوا ولم يقولوا سوءاً ولا يسوغ لهم حتى انتهوا إلى بني عبيس فسألهم فقال أسامة بن قتادة : اللهم أنه لا يقسم بالسوية ولا يعدل في القضية ولا يغزو في السرية . فقال سعد : اللهم إن كان قائلها رياء وكذباً وسمعة فاعم بصره وأكثر عياله وعرضه لمضلات الفتن ، فعمى واجتمع عنده عشر بنات وكان يسمع بالمرأة فيأتيها حتى يجسها فإذا ليم على ذلك قال دعوة سعد الرجل المبارك. ثم دعا سعد على أولئك النفر فقال اللهم إن كانوا خرجوا أشرا وبطراً ورياء فاجهد بلاءهم فجهدوا فقطع الجراح بالسيوف يوم بادر الحسن بن علي رضى الله تعالى عنهما ليغتاله بساباط وشدخ قبيصة بالحجارة وقتل أربد بالوجع ونعال السيوف وقال سعد رضى الله تعالى عنه أنى أول رجل أهرق دماً من المشركين ولقد جمع لى رسول الله صلى الله عليه وسلم أبويه وما جمعهما لأحد قبلى ولقد رأيتنى خمس الإسلام ، وبنو أسد تزعم أنى لأحسن أصلى وأن الصيد يلينى . وخرج محمد بن مسلمة بسعد وبهم معه إلى المدينة فقدموا على عمر فأخبروه الخبر ، فقال كيف تصلى يا سعد . قال أطيل الأولين واحذف الآخرين. فقال هكذا الظن بك يا أبا اسحاق ولولا الاحتياط لكان سبيلهم بيناً. وقال من خليفتك يا سعد على الكوفة . فقال عبد الله بن عبد الله بن عتبان فأقره .

وتهمة المغيرة بن شعبة التى أشار اليها شهادة أبى بكر وأخيه لأمه زياد ابن أبيه ونافع بن كلدة وشبل بن معبد البجلي عليه بالزنا بامرأة عامرية وكانت دار أبى بكر مقابلة لدار المغيرة بينهما الطريق وأكل منها كوة مقابلة

للأخرى ففتح الريح باب كوة أبي بكرة فقام يسدها فبصر بالمغيرة وقد
فتحت الريح باب كوة مشربته وهو بين رجلي امرأة فقال للنفر قوموا
فانظروا فقاموا ونظروا فاتم الثلاثة الشهادة عليه بشروطها عند عمر . ولم
يتمها زياد فحد الثلاثة حد القذف ، وقال المغيرة لعمر عند حده للثلاثة
اشفني من الاعداء ، فقال له عمر اسكت اسكت الله نامتك والله لو تمت
الشهادة لرجمتك بأحجارك ، وكان عمر يقول لأبي بكرة وكان صحابياً جليلاً
تب أقبل شهادتك فيأبى حتى مات .

فقوله في سعد فوجدته بريئاً متدافع مع قوله في آخر كلامه (ولم يمض
عامل زمن عمر موثقاً به من عمر في كل أيامه) وكذب علي عمر رضى
الله عنه فكيف يكون بريئاً عند عمر وغير موثق به عنده أيضاً في كل
أيامه . وهل هذا إلا الجمع بين المتناقضين ، ويبطله أيضاً ثناء عمر عليه في كلام
ابن الاثير بقوله (هكذا الظن بك يا أبا اسحق ولولا الاحتياط لسكان
سبيلهم بيناً) ، وثناؤه أيضاً عليه مع بقية رجال الشورى ووصيته من يتولى
الخلافة بعده بتولية سعد . وقال فاني لم أعزله عن خيانه ، والمغيرة بن شعبه
ولاه عمر بعد عزله عن البصرة للتهمة المحسكية على الكوفة بعد عزل أبي
موسى عنها فلو كان غير موثق به عنده ما ولاه مرة أخرى ووثق به وقد
ولاه أيضاً قبل هاتين على البحرين فسكره وشكوا منه فعزله فخسافوا
أن يعيده عليهم فجمعوا مائة ألف فأحضرها الدهقان إلى عمر فقال إن
المغيرة اختان هذه فأودعها عندى فدعاه عمر فسأله ، فقال كذب إنما كانت
مائتي ألف فقال وما حملك على ذلك قال كثرة العيال ، فسقط في يد الدهقان
فحلف وأكد الايمان انه لم يودع عنده قليلاً ولا كثيراً ، فقال عمر للمغيرة
ما حملك على هذا ، قال انه اقترى على فأردت أن أخزيه ، وتوليته الثالثة
على الكوفة بعد عزل عمار عنها استمر فيها إلى أن قتل عمر ، فأقره عثمان
ثم عزله فلو كان غير موثق به عنده ما ولاه ثلاث مرات على ثلاثة امصار
واستمر في الثالثة عاملاً حتى قتل عمر ، وقد قال المحاضر ان عمر رضى الله

عنه استحضروا اليه كثيرآ من العمال الذين لهم أعظم فضل وأكبر عمل ولكنهم قصر فلم يذكر إلا سعداً وعماراً والمغيرة بن شعبة ، ومن العمال الذين استحضروهم اليه أيضا أبو هريرة رضى الله عنه ولاه على البحرين فقدم بعشرة آلاف ، فقال له عمر استأثرت بهذه الاموال فمن أين لك ، قال خيل نتجت وأعطية تتابع وتخراج رقيق لى ، فنظر عمر فوجدها كما قال ثم دعاه ليستعمله أيضا فأبى فقال لقد طلب العمل من كان خيراً منك قال انه يوسف نبي الله ابن نبي الله وأنا ابو هريرة ابن أميمة . فهذا أبو هريرة لما وجده الفاروق بريثا بعد التحقيق معه عرض عليه العمل مرة ثانية فأبى واعتذر بما قاله فلو كان غير موثوق به عنده ما عرض عليه العمل مرة أخرى .

وروى عن عمر انه لما عزل خالدآ عن قيادة الجيوش بالشام والمثنى ابن حارثة عن قيادة جيوش العراق قال انما عزلتهما ليعلم الناس ان الله نصر الدين لا بنصرهما وان القوة لله جميعا ، فقد صرح الفاروق بعذره في عزل هذين القائدين العظيمين بانه لم يعزلهما عن خيانة واثنى على خالد ثناء عظيما وصرح بندمه على عزله .

وقصر أيضا في عدم ذكر أبى موسى الأشعري رضى الله عنه فقد ولاه الفاروق على الكوفة بعد عمار بطلب منهم له ، قال لهم عمر من تريدون فقالوا أبو موسى الأشعري ، فأقام أميراً عليهم سنة ، ثم شكوه إلى الفاروق وزعموا أن غلامه يتجر . فعزله عنهم وخلا عمر في ناحية المسجد فنام فأتاه المغيرة بن شعبة فحرسه حتى استيقظ فقال : ما فعلت هذا يا أمير المؤمنين إلا من عظيم . فقال وأى شيء أعظم من مائة ألف لا يرضون عن أمير ولا يرضى عنهم أمير ، وأتاه أصحابه فقالوا : ما شأنك؟ فقال : إن أهل الكوفة قد عضلوني واستشارهم فيمن يوليه وقال ما تقولون في تولية رجل ضعيف مسلم أو رجل قوى مسدد . فقال المغيرة : أما الضعيف المسلم فان إسلامه لنفسه وضعفه عليك وأما القوى المسدد فان سداده لنفسه وقوته للمسلمين ، فولى المغيرة الكوفة فبقى عليها حتى

مات وذلك نحو سنتين وزيادة . وقال له حين بعثه يا مغيرة ليأمنك الأبرار وليخفك الفجار ، ثم أراد عمر أن يبعث سعداً على عمل المغيرة فقتل قبل ذلك . وولى أبا موسى على البصرة بدل المغيرة وأمره بلزوم السنة فقال أعنى بعدة من أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فانهم في هذه الأمة كالمالح فقال له خذ من أحببت قال فاخذ معه تسعة وعشرين رجلاً منهم أنس بن مالك وعمران بن حصين وهشام بن عامر ، فافتتح أبو موسى الأهواز وأصبهان وبقي أميراً عليها حتى قتل عمر وأقره عثمان عليها قليلاً ثم عزله عنها وولى عليها عبد الله ابن عامر . فلو كان أبو موسى غير موثوق به عند عمر ما ولاه مرة ثانية على البصرة بعد عزله عن الكوفة وقد قال في أول كلامه (استحضر عمر إليه كثيراً من العمال الذين لهم أعظم فضل وأكبر عمل) .

ثم قصر بمقام سعد وعمار عن المغيرة فقال فيه (وهو من الصحابة ومن ذوى الأثر الصالح في الفتوح الإسلامية) ، واكتفى في سعد بقوله (وهو فاتح القادسية والمدائن ومصر الكوفة) وقد تقدم شيء من مناقبه وآثاره الصالحة مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم . واكتفى في عمار بقوله (وهو من السابقين الأولين) وسعد وعمار من السابقين الآخرين لو لم يكن لهما من الآثار في الإسلام إلا جميع المشاهد مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لكفاهما ، ولو لم يكن لهما من المشاهد معه إلا بدر وأحد والخندق لكفاهما ذلك والمغيرة يعد بالنسبة إليهما وإلى جميع السابقين في الدرجة الثالثة لأنه أسلم قبل الحديبية ، وعمار وأبوه وأمه كانوا ممن عذب في الله ، فكان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يمر عليهم فيقول صبراً آل يا امرؤ عذكم الجنة . واتفق العلماء على أن قوله تعالى ﴿ إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ﴾ نزلت فيه . وعن علي رضي الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول : (إن عماراً مليء إيماناً إلى مشاشه) أخرجه الترمذى وابن ماجه وسنده حسن . وأخرج الترمذى

أيضاً والحاكم أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال : (ان الجنة لتشتاق إلى ثلاثة على وعمار وسلمان) وعن خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه قال كان بينى وبين عمار كلام فأغلظت له فشكاني الى النبي صلى الله عليه وسلم فجاء خالد فرفع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم رأسه وقال : (من عادى عماراً عاداه الله ومن أبغض عماراً أبغضه الله) . قال خالد فما زلت أحبه من يومئذ . وفي الترمذى عن عائشة مرفوعاً (ماخير عمار بين أمرين إلا اختار أيسرهما) . وعن حذيفة رفعه (اقتدوا بالذين من بعدى أبى بكر وعمر واهتدوا بهدى عمار) أخرجه الترمذى وقال حسن وابن ماجه . وتواترت الأحاديث عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (أن عماراً تقتله الفئة الباغية) . وأبلى يوم بدر بلاء حسناً وشهد اليمامة فأبلى فيها بلاء حسناً وقطعت فيها أذنه . قال ابن عمر رأيت عمار بن ياسر يوم اليمامة على صخرة وقد أشرف يصبح يامعشر المسلمين أمن الجنة تفرون أنا عمار بن ياسر هلموا إلى وأنا أنظر إلى أذنه وقد قطعت فهي تذبذب وهو يقاتل أشد القتال . وكتب عمر إلى أهل الكوفة لما استعمله عليهم (إنه من النجباء من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم) . وقد نقض المحاضر ثناءه عليه فى قوله (من العمال الذين لهم أعظم فضل وأكبر عمل) فطعن فيه بقوله (شكاه قوم من أهل الكوفة بأنه ليس بأمر ولا يهتمل ما هو فيه إلى آخر الهراء) تقليداً لابن جرير وهذا وإن كان ثقة . فتاريخه كثير الروايات الباطلة ، وهذا الطعن فى عمار باطل رواية ودراية ، أما بطلانه رواية فإن إسناده يدور على ثمانية رجال اتفق أئمة النقد من الحديثين على عدم اعتبارهم :

(١) سيف بن عمر الضبي مصنف الفتوح والردة يروى عن خلق كثيرين من المجهولين قال ابن نمير كان سيف يضع الحديث وقد أتهم بالزندقة ، وقال أبو داود ليس بشيء وقال أبو حاتم متروك ، وقال ابن عدى عامة حديثه منكر . (٢) شعيب بن ابراهيم الكوفي مجهول . (٣) اسماعيل بن خالد الكوفي أيضا مجهول ، (٤) زكريا بن سياه أيضا مجهول . (٥) خليل بن

ذفرة أيضا مجهول . (٦) وأبوه كذلك ، (٧) هشام بن عبد الرحمن الثقفي مجهول أيضا . (٨) مجالد بن سعيد الهمداني قال ابن معين وغيره لا يحتج به ، وقال أحمد ليس بشيء ، وقال النسائي ليس بالقوى ، وقال الدارقطني ضعيف وقال البخاري كان يحيى بن سعيد يضعفه . وكان بن مهدي لا يروى عنه ، وبهذا ظهر بطلان هذا الخبر رواية ، وأما بطلانه دراية فمن ثلاثة أوجه الأول حسن جوابه لعمر حين سأله أساءك العزل ، فقال ما سرني حين استعملت ولقد ساءني حين عزلت ، فهذا الجواب جواب ذكي يدري ما استعمل عليه فلو كان غير كاف ولا عالم بالسياسة ولا يدري على ما استعمل كما زعم المشغبون . لم يحسن من عمر سؤاله وأى فائدة - يستفيدها من مستحق للعزل بسؤاله غير العبث به وحاشا الفاروق من العبث باخوانه الصحابة مطلقاً . فكيف بأعيانهم وبهذا ظهر فساد قوله (فاخبره عمر في ذلك اختباراً يدل على سعة علم عمر بتلك البلاد فلم يحسن الاجابة في بعضه فعزله عنهم) ، الثاني : دل هذا الخبر المختلف على عمار وعمر على أن واضعه غي لم يحكم وضعه يريد أن يطعن في عمار ويمدح عمر ولم يشعر بأنه ذمهما وطعن فيهما معاً بل طعنه به في عمر أشد وأولى من طعنه به في عمار . وذلك في زعمه عن عمر أنه قال لعمار (لقد علمت ما أنت بصاحب عمل ولكني تأولت قوله تعالى (وزيدان من على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين)) ، وإذا كان عمر يعلم أن عماراً ليس بصاحب عمل أى لا يصلح لولاية الامصار فتوليته له على مصر سكانه ينوفون عن مائة الف غير ما يتبعه من الرساتيق والقرى والمزارع الواسعة لا تخلو من أن تكون غشاً لاهل هذا الاقليم العظيم أو عبثاً بكرامتهم وكلاهما محال على ابي حفص فقد برأه الله تعالى في التاريخ المقطوع به وبرأه التاريخ المنقول نقلاً اوضح من الشمس في سيرته العاطرة من الغش لرعيته والعبث بكرامتهم وهل يعقل تأوله الآية الواردة في قصة فرعون مع بني اسرائيل على تولية شخص لا يصلح للولاية وهل هذا (٣٢ - تحذير العبقري)

التأويل فيه مع علمه بعدم كفاءته الا عبث ثان . الثالث : تقدم أن الفاروق كتب الى أهل الكوفة لما ولى عليهم عماراً يثنى عليه بقوله (إنه من النجباء من اصحاب محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) فثناؤه عليه بالنجابة والصحة يناقض قوله المختلق عليه (لقد علمت ما أنت بصاحب عمل ولكنى الخ) فلو صح هذا المختلق عنه لكان طعننا فيه قبل عمار وبطل ثناؤه عليه بالنجابة لكنه لم يصح فثبت ثناؤه عليه وثبت به ان الذين شكوه لعمر ظالمون مشغبون عليه وتحقق بما قررته أن هؤلاء الصحابة الاجلاء الذين عزلهم الفاروق سعداً وعماراً وأبا موسى الاشعري، والمغيرة بن شعبه، واما هريرة، وخالداً، والمثنى بن حارثة، كلهم عدول براء موثقو بهم عند الفاروق ابتداء ودواماً وان الذين شكوا كل واحد من الثلاثة الاول عصبته من اهل الكوفة وان اهل الكوفة هم اول الامصار التي قامت على الخلفاء - بشكاية أمرائهم بطراً ثم تلاهم اهل البصرة والمصريون في خلافة عثمان وظهر للقراء فساد قوله (ولم يمض عامل زمن عمر موثقاً به من عمر في كل أيامه الا القليلين) .

لا صحة لما يشاع عن عمر رضى الله عنه

انه كان يشاطر عماله اموالهم

قال في ص : ١٣ ج ٢ ما نصه وقد شاطر عمر بعض العمال ما في ايديهم حين مارأى عايتهم سعة لم يعلم مصدرها ولم يفعل هذا الفعل الا قليلا وربما وجد هذا العمل مجالا للانتقاد من الوجهة النظرية الدينية ولكن عمر كان يعرف من عماله من يستحق أن تقع به تلك العقوبة اذ ما ذا يعمل برجل ولاه وهو يعرف مقدار عطائه ورزقه ثم يراه بعد ذلك قد أثرى ثروة لوجمعت أعطياته ما بلغتها : لم ير عمر امام ذلك الا هذه المصادرة وقد اكتفى بان يشاطر العامل ما يملك ولست اريد ان احسن هذه الطريقة . ولى عتبة بن ابي سفيان على كنانة فقدم معه بمال فقال عمر ما هذا يا عتبة

قال مال خرجت به معى وانجرت فيه قال ومالك تخرج هذا المال معك فى هذا الوجه فسـيره فى بيت المال ، وكانت التجارة هى التسكأة التى يتكىء عليها بعض العمال فى ثروتهم وكان عمر يمنعهم عن التجارة منعاً باتاً وعلى الجملة فشدة عمر على عماله رفعت الرعية اهـ). قوله وقد شاطر عمر بعض العمال الى قول ولى عتبة بن أبى سفيان باطل لا صحة له وقد تقدم تقرير عزله رضى الله عنه الخمسة من عماله وقائدين واضحاً وهم سعد بن أبى وقاص وعمار بن ياسر والمغيرة بن شعبة وابو موسى الاشعرى وابو هريرة وخالد بن الوليد والمثنى بن حارثة ، وثبتت براءة جميعهم عنده ، ولم يثبت فى التاريخ أنه أخذ درهماً من واحد منهم وهو لاء أحد عشر عاملاً له أيضاً من الصحابة . العلا بن الحضرمي ، سعيد بن عامر بن حذيم ، عمير بن سعد الانصارى ، عتاب بن أسيد ، نافع بن عبد الحارث الخزاعى ، قدامة بن مظعون ، عمرو بن العاص ، يزيد بن أبى سفيان ، أخوه معاوية - يعلى بن منية ، عثمان بن أبى العاصى الشقى . الجميع مترجمون فى طبقات الصحابة مذكورون فى التاريخ الاسلامى لا يستطيع أى انسان أن ينقل عن الفاروق انه أخذ درهماً واحداً من مال واحد منهم فضلاً عن أخذه شطر ماله وكيف يخون عمر من عدلهم الله وأثنى عليهم فيأخذ شطر أموالهم وقد شاركوه فى صحبة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم والمآثر الصالحة وكثير منهم شاركوه فى السبق إلى الاسلام بل بعضهم سبقه اليه كسعد وعمار وقدامة بن مظعون ولا حاجة بى بعد هذا إلى أبطال هرائه هذا جملة جملة . وقوله ولى عتبة بن أبى سفيان على كناية الى آخر قصته قلد فيها بن جرير وهى باطلة أيضاً من ثلاثة أوجه .

(الاول) ابن جرير رواه باسناد رواه مجهولون .

(الثانى) كناية قبيلة أهل عمود كانوا ساكنين حول مكة فهم تابعون

لامارتها فليست بلدة حتى تحتاج الى أمير خاص بها .

(الثالث) عتبة بن أبي سفيان ولد في آخر العهد النبوي وعليه يكون عمره في آخر خلافة عمر أربعة عشر سنة على أكبر تقدير فلا يصح تولية الفاروق من كان في هذا السن وقد ذكره الحافظ بن حجر في إصابته في القسم الثاني من حرف العين فيمن لم يره صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يرد أنه سمع منه لصغره قال في ترجمته ما نصه: عتبة بن أبي سفيان بن حرب بن أمية الأموي أخو معاوية لأبويه: قال ابن منده ولد في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وولاه عمر بن الخطاب الطائف (قلت) لم أر له بعد التسع الكثير ذكره قبل شهوده الدار حين قتل عثمان رضى الله تعالى عنه ولم أر في ترجمته عند ابن عساکر ما يدل على أنه ولد في العصر النبوي وهو محتمل وإنما ولاه الطائف أخوه معاوية اه وبهذا ظهر بطلان هذه القصة كما ظهر أيضاً بطلان قوله (وكانت التجارة هي التسكأة التي يتكئ عليها بعض العمال في ثروتهم إلى آخر الهراء) .

تأوله كلام الفاروق بتأويل فاسد

وكذبه عليه وعلى التاريخ وحذفه منه ما لا يوافق هواه

قال في ص ١٨ ج ٢ (رأى عمر في الاجتماعات) (كان عمر يميل إلى أن تكون اجتماعات الناس عامة يهوى إليها جميع الناس على اختلاف طبقاتهم وكان يكره اختصاص الناس بمجالس لأن ذلك يدعوهم إلى أن تكون لهم آراء متفرقة متباينة . روى ابن عباس أن عمر قال لناس من قریش بلغنى أنكم تتخذون مجالس لا يجلس اثنان معاً حتى يقال من صحابة فلان من جلساء فلان (حتى تحوميت المجالس) وأيم الله أن هذا السريع في دينكم سريع في شرفكم سريع في ذات بينكم ولكأني بمن يأتي بعدكم يقول هذا رأى فلان قد قسموا الإسلام أقساماً أفيضوا مجالسكم بينكم وتجالسوا معاً فانه أدوم لالفتكم وأهيب لكم في الناس) وفي الحق أن ابتعاد الخاصة عن عامة الناس واختصاصهم بأفراد يجلسون إليهم مضيق كثيراً لما ينتظر

من تربية الخاصة للعامة . ومفيد فائدة كبرى وهى نقل أقوالهم غير محرقة ولا مشوبة بما يطمس حقيقتها ثم أن كثرة المجالس تدعو بدون ريب إلى كثرة الاختلاف فى المسائل التى تعرض لهم فتكثر الأقوال المتباينة فى الدين والذى خافه عمر على الناس وعلى من يأتى قد وقع فكثرت الآراء المنقولة من أفراد ذلك العصر ودعا ذلك إلى اختلاف الناس فى الدين اختلافا عظيما اه) .

أقول هذا الخبر عن عمر رضى الله تعالى عنه رواه ابن جرير هكذا :
(حدثني عمر حدثنا على عن ابن داب عن أبي معبد الأسلمى عن ابن عباس أن عمر الخ) وهو باطل لأن عمر فى أول السند مجهول وعلى كذلك فإن كان على هذا هو على بن سهل المدائنى أحد شيوخ ابن جرير فهو أيضاً مجهول الحال وبينه وبين بن داب انقطاع وابن داب كذبه أبو زرعة وبينه وبين أبي معبد أيضاً انقطاع فلا تصح روايته عنه ، وإنما يروى عن صفوان بن سليم ، وأبو معبد مولى ابن عباس ثقة ولكنه لم يوصف بالأسلمى وهذا وصف بذلك فهو إذاً غير مولى ابن عباس فهو مجهول أيضاً وإضافته لابن عباس لا ترقعه فقد أضاف الناس ونسبوا البهتان إلى سيد الرسل وإلى غيره . وقد اعتمد المحاضر على هذا الخبر الواهى وتصرف فيه بثلاث تصرفات قبيحة (الأولى) حملة له على عموم الناس وهو خاص . (الثانى) تأوله نهيه لذلك الفريق من قریش عن المجالسة الخاصة بسبب كثرة أقوالهم المتباينة فى الدين وظاهره فى غيرها (الثالث) حذفه منه ما لا يوافق هواه ، أما الأول فنطوق قول ابن عباس أن عمر قال لناس من قریش بلغنى إلى آخر الكلام بنادى بأنه لم يقل هذا الكلام لجميع المسلمين بالمدينة . بل ولا لجميع الصحابة . مهاجرين وأنصاراً . بل ولا لجميع قریش . وإنما قاله لناس مخصوصين من قریش ولعلمهم إن صح بعض الأحداث منهم وحينئذ فحملة له على عموم المسلمين فى قوله (رأى عمر فى الاجتماعات . كان عمر يميل إلى أن تكون مجتمعات الناس عامة يهوى إليها جميع الناس على اختلاف طبقاتهم) وعلى أن عمر

كان يكره اختصاص الناس بمجالس في قوله (وكان يكره اختصاص الناس بمجالس لأن ذلك يدعوهم إلى أن تكون لهم آراء متفرقة متباينة) تصرف قبيح وكذب على عمر وعلى التاريخ فإنه لم ينقل عنه رضى الله تعالى عنه أنه نهى ناساً مخصوصين عن المجالس المخصوصة بالمثل كرهة في العلم فضلاً عن عموم المسلمين ، وأما الثانى فظاهر هذا الخبر لا يدل على النهى عن المجالس العلمية التى تكثر فيها الأقوال المتباينة فى الدين كما زعم . ولا يقال يدل عليها قوله (ولكأنى بمن يأتى بعدكم يقول هذا رأى فلان قد قسموا الإسلام أقساماً) ، فقوله (قد قسموا الإسلام أقساماً دليل عليها لأن معناه قد قسموا مسائل الإسلام أقساماً لأننا نقول معناه قد قسموا رجال الإسلام أقساماً وليس تقدير أحد المضافين أولى من تقدير الآخر على أن تقديره رجالاً يؤيده قوله بعده (أفيضوا مجالسكم بينكم وتجالسوا معاً فإنه أدوم لافلتكم وأهيب لكم فى الناس) فهو أولى وتقسيم رجال الإسلام معناه تشيع كل جماعة لشخص منهم وهذا لا يلزم منه حصر النهى فى كثرة الاختلاف فى مسائل الدين فقد يتشيعون له لسخائه أو شجاعته أو حلمه أو خلق من أخلاقه الفاضلة . وقد زاد المحاضر فى طنبور هذا الخبر الواهى نغمتين : تعميمه فى جميع المسلمين وهو خاص بناس من قریش ، وحمله على المجالس العلمية ومسائل الدين وقد شرح هذا الحمل بقوله (وفى الحق أن ابتعاد الخاصة عن عامة الناس واختصاصهم بأفراد يجلسون إليهم إلى آخر أثرته) وهى باطلة من ثلاثة أوجه : الاول مسائل العلم والدين ليست محصورة فى قریش كلها فضلاً عن أناس منهم مخصوصين بمجالس فنيه لهؤلاء المخصوصين عن مجالس العلم الخاصة لا يصح بل نهى قریش كلها عن ذلك لا يصح . (الثانى) لو كان المراد بنهيه هذا عن المجالس الخاصة ما يحصل فيها من كثرة الاختلاف فى مسائل الدين ، لنهى جميع المسلمين بالمدينة عن ذلك ولا سيما الانصار رضى الله عنهم فإن العلماء فيهم كثيرون وكان لكل واحد منهم تلامذة يسمعون منه ، منهم أبى بن كعب سيد القراء وعبادة بن

الصامت وأبو سعيد الخدرى وأبو أيوب وجابر بن عبد الله وزيد بن أرقم وزيد بن ثابت والبراء ابن عازب ورافع بن خديج وغيرهم (الثالث) لو كان عمر رضى الله عنه يجب أن تكون مجتمعات الناس للمذاكرة فى العلم عامة ويكره المجالس الخاصة فيه لافضائها إلى كثرة الاختلاف فى مسائل الدين لا وصى علماء الصحابة الذين بعثهم إلى الأمصار لتعليم الناس بأن يجتمع علماء كل مصر ويعلموا الناس ولا يختص واحد منهم بمجلس. والتاريخ لم ينقل هذا عنه ولا عن أولئك العلماء أنهم كانوا يجتمعون كلهم فى مجلس واحد لتعليم الناس فدل على أن فهمه من هذا الخبر الواهى ماثرثر به كذب على الفاروق وعلى جميع علماء الصحابة ، فقد بعث عمر إلى الشام منهم عبادة بن الصامت ومعاذ بن جبل وأبا الدرداء وغيرهم وكان الناس يأتون كل واحد منهم على انفراده فيسمعون منه ، وهكذا فى السكوة فقد بعث إليها جماعة منهم أبرزهم ابن مسعود فكان له تلامذة مختصون به مبرزون ، وهكذا فى البصرة فقد تقدم أنه لما ولى عليها أبا موسى الأشعري قال له أعنى يا أمير المؤمنين بعدة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فانهم فى هذه الأمة كالمالح فقال له خذ من أحببت فاختر منهم تسعة وعشرين صحبه إليها منهم عمران بن حصين وأنس بن مالك وهشام بن عامر فقوله (فقد كثرت الآراء المنقولة من أفراد ذلك العصر ودعا ذلك إلى اختلاف الناس فى الدين اختلافاً عظيماً) فاسد وكذب على السلف الصالح إن أراد بكثرة الآراء المنقولة من أفراد ذلك العصر الآراء المتباينة فى أصول الدين وهو ما دل عليه كلامه السابق على هذا وهو (ثم إن كثرة المجالس تدعو بدون ريب إلى كثرة الاختلاف فى المسائل التى تعرض لهم فتكثر الأقوال المتباينة فى الدين) واللاحق له وهو (ودعا ذلك إلى اختلاف الناس فى الدين اختلافاً عظيماً) ، فان الصحابة رضوان الله تعالى عليهم بل وجمهور التابعين واتباعهم كانوا كلهم على عقيدة واحدة بيضاء نقية وأول بدعة حدثت فى آخر عصر الصحابة بدعة القدر وأول من أشاعها وجادل عليها غيلان ،

وإن أراد بكثرة الآراء المنقولة من أفراد ذلك العصر كثرة اختلافهم في مسائل الفروع فهو صحيح وإن كان غير مقصود من سياق كلامه واختلاف اجتهاد الصحابة في مسائل الفروع ليس اختلافاً في الدين ولا مذموماً عند العقلاء بل لا بد منه حتى يتميز الفقيه في كتاب الله وسنة رسوله من الالفقه والراسخ في العلم عن غيره وقد دل عليه كتاب الله تعالى ﴿ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم﴾ وكثير من سنة الرسول الثابتة منها قوله عليه الصلاة والسلام (رب مبلغ أوعى لها من سامع - ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه) وهذه صحاح ومسانيد ومعاجم أئمة الحديث والفقه ومصنفات علماء الإسلام مملوءة بمسائل اجتهاد علمائهم في الفروع المتخالفة وفيها أيضاً كثير من مناظراتهم فيها (الثالث) قد حذف المحاضر من هذا الخبر الواهي كلاماً لا يوافق هوأه ومحلّه بعد قوله، وأهيب لكم في الناس مباشرة (اللهم ملوني وملئهم وأحسست من نفسي وأحسوا مني ولا أدري باينما يكون السكون وقد أعلم أن لهم قبلاً منهم فاقبضني إليك اه) فعلى تقدير صحة هذا الخبر يكون هؤلاء الذين ملهم وملوه فدعا الله أن يقبضه إليه هم الذين نهاهم عن المجالس الخاصة من قريش في قول ابن عباس (أن عمر قال لناس من قريش الخ) وهم أيضاً الذين منعهم من الخروج إلى الأمصار لأنهم ليسوا ذوى بصائر وفقه في الدين فربما يتكلمون بكلام يكون مؤداه الطعن في سيرة الخلفاء العادلين فيترتب عليه الضرر بالسياسة العامة وإنما حذفه لزعمة في بحث الخلافة أن المسلمين اتفقوا على الرضى بخلافة عمر ومحبة ، وملهم له نتيجة كراهتهم لسيرته، وكراهتهم لسيرته تنافى في محبتهم له ورضاهم به . ولقد كان من واجب أمانة نقل العلم عليه حيث اعتمد على هذا الخبر الواهي فعده في مناقب عمر رضى الله عنه ألا يتصرف فيه بفهمه ولا يحذف منه شيئاً مع أنه إلى مثابة عمر أقرب منه إلى منقبته ولكن عذره في تشييد مناقب الفاروق بالأباطيل ضيق حوصلة إيمانه عن استساعة مناقب الصحابة عموماً وخصوصاً الخلفاء الأربعة الثابتة تواتراً الواسعة العظيمة ولذلك أسس محاضراته من أولها على الأباطيل ومن المستغرب ارتكابه لها في الضدين المناقب والمثالب ، المناقب للفاروق خاصة والمثالب ، لجل الصحابة ولا سيما حيدرة وقد تقدم كثير منها في الطرفين مفصلاً وسيأتى كثير .

المحاضرة الأساسية والعشرون

طعنه في كعب الأخبار ورميه للفاروق ولجميع الصحابة بالتغفيل
وأبطال ذلك

قال في ص ٢٠ ج ٢ (فلما كان من الغد جاءه كعب الأخبار فقال يا أمير المؤمنين أعهد فانك ميت في ثلاثة أيام ، قال وما يدريك ، قال : أجد في كتاب الله التوراة ، قال عمر أنك لتجد عمر بن الخطاب في التوراة ، قال اللهم لا ولكن أجد صفتك وحليتك وإنه قد فني أجلك وعمر لا يحس وجعاً ولا ألماً ، فلما كان من الغد جاءه كعب فقال يا أمير المؤمنين ذهب يوم وبقي يومان ثم جاءه من غد الغد فقال قد ذهب يومان وبقي يوم وليلة وهي لك إلى صبيحتها ، ولو صحت هذه الحكاية وكنت ممن يحقق هذه القضية ما ترددت لحظة في أن لكعب يداً في مقتل عمر أو أنه كان عالماً بما تم عليه الاتفاق بين المؤتمرين على عمر وربما يقال لو كان كذلك فماذا يدعو كعباً إلى أنباء عمر بهذا النبأ والجواب على ذلك سهل فانه ينال بذلك بين المسلمين مركزاً عظيماً فان كثيراً منهم يرون بعد ذلك أن توارثه فيها علم كل شيء وانه صادق في كل ما يخبر به فلا يتردد سامعه لحظة في تصديقه بما يوحى إليه وكعب هذا ممن أفاض علينا ثروة من الأخبار الإسرائيلية التي لا ندري حقيقتها ولا ريب أن فيها شيئاً كثيراً هو كذب محض لأن التوراة بأيدينا وليس فيها ما أنبأ به ذلك الرجل عنه اه) .

أقول قصة كعب الأخبار هذه مرتبة على مجيء أبي لؤلؤة المجوسى أو النصرانى غلام المنيرة بن شعبة لعمر وشكايته له كثرة الخراج الذى وضعه عليه سيده ، وقوله لأمر المؤمنين إن عشت لأعملن لك رضى يتحدث بها من بالشرق والمغرب ثم انصرف عنه فقال عمر : لقد توعدنى العبد آنفاً ثم انصرف عمر الى منزله فلما كان من الغد جاءه كعب الى آخرها ، وقد طعن المحاضر فيه بأمرين : الأول في دينه على تقدير صحة هذه (٢٣ - تحذير العبقري)

الحكاية ، والثاني في عدالته ورمى الفاروق والصحابه رضوان الله عليهم على كليهما بالبلادة والتغفيل ، فأما الأول فقولاه (ولو صحت هذه الحكاية وكنت الى قوله وكعب هذا) هو حكم صريح منه عليه بأنه غير مسلم حقيقى لو صحت هذه الحكاية عنه لأنها لو صحت وكان حضرته بمن يحقق فيها ما تردد لحظة في أن لكعب يداً في مقتل عمر أو أنه كان عالماً بما تم عليه الاتفاق بين المتآمرين على قتله فلا شك أن الذى له يد في مقتل سيد المسلمين أوله علم بما تم عليه الاتفاق بين المتآمرين على قتله ليس بمسلم حقيقى عنده وقد أورد على نفسه سؤالاً مبنيًا على تقدير صحتها فقال (وربما يقال لو كان كذلك فماذا يدعو كعباً الى أنباء عمر بهذا النبأ) أى لو كان لكعب يد في مقتل عمر أو أنه عالم بما تم عليه الاتفاق بين المتآمرين على قتله فماذا يدعو الى أنباء عمر بهذا النبأ ، وهو سؤال صحيح قوى مبنى على باطل أما كونه صحيحاً قوياً فالعادة المعروفة الغالبة في بنى البشر تمنع كل واحد من الجماعة المتفقين على قتل شخص من أعيان الناس عن التفوه بسر ما اتفقوا عليه بعد قتله فكيف به قبله وعليها فاخبار كعب لعمر بأنه ميت في ثلاثة أيام مع كونه له يد في قتله أو عالماً بالمتآمرين عليه مستحيل عادة ، فاما كونه مبنيًا على باطل فإن زعمه جماعة متآمرين على قتل عمر باطل تاريخاً علاوة على كونه رمياً له ولجميع الصحابة بالبلادة والتغفيل حيث تكونت هذه العصابة المجرمة في قلب عاصمة الخلافة لقتل سيد المسلمين ولم يعلموا بها وهم الاذكياء النبهاء وخفيت على الفاروق الألعى الأحوذى الذى قال لست بخب ، والخب لا يخد عني ، وقد كان يدري كثيراً من خبايا رعيته بالأمصار النائية بالتفقد لها بكثرة السؤال وقد غربل المدينة كلها بذلك وبكثر الحراسة فكيف جهل مع جميع المسلمين حال هذه العصابة وهم معه في عقر داره بل أتاه أحد رجالها فأخبره بانه ميت في ثلاثة أيام فجعل ولم يفهم أنه منها ، فهل هذا الا عين الطعن فيه وفي اخوانه المسلمين بمنتهى الغباوة والتغفيل وجوابه السهل في زعمه عن سؤاله فاسد من ثلاثة أوجه (الأول) رمية لكثير من المسلمين صحابة وغيرهم بالتغفيل في

فطرهم ويترتب عليه .

(الثاني) وهو غلو اعتقادهم في التوراة بأن فيها علم كل شيء وفي كعب بأنه صادق في كل ما يخبرهم به وهذان الوجهان ظاهران من قوله (فإنه ينال بذلك بين المسلمين مركزاً عظيماً فان كثيراً منهم يرون الخ الهراء) .

(الثالث) لو كان كثير من المسلمين كما رماهم به من التغفيل وغلو العقيدة في التوراة لاستغنوا في علمها ببعض علماء الصحابة الذين يعلمونها كزيد بن ثابت وعبد الله بن سلام ولما احتاجوا إلى كعب بن ماتع التابعي الذي أسلم في خلافة عمر على أن هذه الحكاية لو صحت عن كعب لدلت على صدقه وغيرة علمه وفضله فان هذه الأمة المحمدية وخصوصاً الصحابة رضوان الله عليهم لم يزل ذكرها معظماً في الكتب السماوية ولذلك قال الامام مالك رحمه الله تعالى بلغني أن النصارى كانوا إذا رأوا الصحابة الذين فتحوا الشام قالوا والله هؤلاء خير من الحواريين فيما بلغنا وقد دلنا صريح القرآن على وجود صفات جميع الصحابة . لا عمر فقط في التوراة والانجيل قال تعالى ﴿ محمد رسول الله والذين آمنوا معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم (أى صفتهم) في التوراة ومثلهم (أى صفتهم) في الانجيل ﴾ ، فهذا كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه قد مدح الصحابة رضوان الله عليهم وأخبرنا بأن صفاتهم السامية موجودة في التوراة والانجيل . فهل يقول عاقل إن إخبار كعب لأمير المؤمنين عمر بانقضاء أجله في ثلاثة أيام لأنه وجد صفته وحليته في التوراة . بذلك يدل على أن له يداً في مقتل عمر أو أنه عالم بما تم عليه اتفاق المتأمرين على قتله ، وهل يتردد مسلم في صدق إخباره تعالى بوجود صفاتهم فيهما في صريح كتابه العزيز وبهذا تحقق أن المحاضر جاهل بنواقب الصحابة حتى المصرح بها في القرآن الذي هو مندرج تحت رايته جهلاً مركباً . وأما الثاني وهو طعنه في عدالته فقوله (وكعب هذا من أفاض علينا ثروة من

الأخبار الإسرائيلية التي لا ندري حقيقتها الخ هرائه) . وهو باطل من ثمانية أوجه .

الاول : دعواه السكثرة الهائلة في الاخبار الإسرائيلية التي حدث بها كعب المسلمين واستفدنا ذلك من لفظتى (أفاض) و (ثروة) ولم يبرهن على هذه الدعوى ولو بمثال واحد من هذه الثروة يدل على كذب كعب .

الثانى : تناقضه وتذبذبه فى دعواه قال (لا ندري حقيقتها) فلا يخلو معنى هذه الجملة من كونه لا يدري صدق هذه الثروة كلها أو كذبها كلها أو صدق بعضها وكذب البعض الآخر أو لا يفهم معنى هذه الثروة وعلى كل فقد اعترف بأنه لا يدري حقيقة هذه الاخبار فكيف درى بأنه أفاض علينا ثروة فدرايته بأفاضته الثروة علينا تدل على كذب كعب فيها كلها عنده وتنافى عدم درايته بحقيقتها وعدم درايته بحقيقتها يتنافى درايته بكثرتها وتدل على جهله بها وبحال كعب فكيف يحكم عليه بأنه كذاب .

الثالث : تذبذبه أيضا فى هذه الدعوى قال (ولا ريب أن فيها شيئا كثيراً هو كذب محض) يعنى ان فى تلك الثروة من الاخبار الإسرائيلية التي حدثت بها كعب شيئا كثيراً هو كذب محض يعنى - والقليل منها ليس يكذب محض - وقد كان عليه أن يتحفظ القراء على الأقل بمثالين مثال للكذب الكثير المحض ومثال للقليل الغير المحض .

الرابع : حصره هذه الثروة التي أفاضها علينا كعب من الاخبار الإسرائيلية فى التوراة قال (لان التوراة بأيدينا وليس فيها ما أنبأ ذلك الرجل عنه) وهو غير صحيح فان الاخبار الإسرائيلية ليست محصورة فيها فقد أثر الكثير منها عن أنبيائهم وعليه فمن الغباوة القول (بأن التوراة بأيدينا وليس فيها ما أنبأ ذلك الرجل عنه) .

الخامس : قد أخبرنا الله فى كتابه العزيز انه تعالى استحفظ بنى اسرائيل كتبهم فحرفوه ومما حرفوه منه رجم الزانى المحصن وعليه فمن الغباوة أيضا

الاعتقاد بأن نسخة كعب من التوراة لم تحرف وهي التي بقيت حتى صارت بأيدينا .

السادس : ما كفاه تهجمه على ما لا يحسنه من تاويل كتاب الله تعالى بالتاويلات الفاسدة والزيادة فيه على ما لم يقله ومن التاريخ الاسلامي بالطعن في الصحابة رضوان تعالى عليهم بهواه وبالروايات الباطلة حتى جعل نفسه في مصاف أئمة الرواية الناقدين لها ولرجاها فرمى كعبا بالكذب وقد محص أئمة الرواية المبرزون جميع الآثار والرجال فما جاءت المائة الرابعة الا وقد فرغوا منها ولم يتركوا فيهما مقالا لقائل وقد انقطعت سلسلة حفاظ الرواية من المائة الثامنة .

السابع : التحديث عن بنى إسرائيل فيما يرجع إلى القصص والمواضع ونحوهما جائز والدليل عليه قوله عليه الصلاة والسلام (حدثوا عن بنى إسرائيل ولا حرج) أخرجه الامام البخاري عن عبد الله بن عمرو بن العاص وابن ماجة عن أبي هريرة رضى الله عنهم .

الثامن : روى عن كعب من أجلاء الصحابة ابن عمر ، وأبو هريرة وابن عباس ، وابن الزبير ، ومعاوية ، وأثنى عليه أبو الدرداء ومعاوية رضى الله عنهم . فقال أبو الدرداء ان عند ابن الخيرية لعلماء كثيرآ ، وقال معاوية ألا إن أبا الدرداء أحد الحكماء ، ألا إن كعب الأخبار أحد العلماء ان كان عنده لعلم كالبحار وان كنا فيه لمقرطين . ولقيه عبد الله بن سلام عند أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه فقال له يا كعب . من العلماء قال الذين يعملون بالعلم . قال فما يذهب العلم من قلوب العلماء ، قال الطمع وشره النفس وتطلب الحاجات إلى الناس ، قال صدقت . وروى عنه أصحاب الصحاح الستة . قال الشيخ النووي في تهذيب الاسماء واللغات في كعب : اتفقوا على كثرة علمه وتوثيقه . فان كان المحاضر لا يدري هذا كله فهي مصيبة وجرأة غير مستنكرة على أمثاله الكثيرين الذين طعنوا في هذا العصر في صميم الشريعة قرآنا وسنة . وطمعنوا في أصحاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، وفي حملة سنته

عليه الصلاة والسلام العدول ، فالطعن في كعب بالنسبة لهذا الجرم العظيم الذي ارتكبه هين جدا ، وكثرة الجهل في المسلمين من علامات الساعة فقد صح في الحديث عنه عليه الصلاة والسلام انه قال (يقل العلم ويكثر الجهل ويكثر الهرج والمرج ويقل الرجال ويكثر النساء) وان كان يدري بالمصيبة أعظم وهي غير مستنكرة أيضا على الكثيرين من أمثاله وعلى كلتا المصيبتين ثبت بما قررته في الوجهين رميه للفاروق ولجميع الصحابة ولجميع المسلمين في جيلهم ولجميع الاجيال التي بعدهم إلى عصر أئمة الرواية أصحاب الكتب الستة وغيرهم بالتغفيل حيث لم يشعروا بكعب هذا أنه عدو الاسلام وأنه كذاب وهم أولوا النهي الجحاحجة ولم يتنبه له علماء الاسلام أيضا بعد هؤلاء الى هذا العصر .

وفيهما قال في ص ٢٤ ، ج ٢ في مبايعة علي لعثمان رضي الله عنهما مانعه : (ولما رأى ذلك على تأخر وهو يقول سيبلغ الكتاب أجله ، ثم أقبل الناس يبايعون عثمان ورجع على يشق الناس حتى بايع عثمان اه) وهو غير صحيح بل بايع أولا راضيا من غير ان يقول شيئا كما حققه ابن كثير في البداية ، قال (وبايعه على بن ابي طالب أولا ويقال آخرا وما يذكره كثير من المؤرخين كابن جرير وغيره عن رجال لا يعرفون ان عليا قال لعبد الرحمن خدعتني وانك انما وليته لانه صهرك وليشاورك كل يوم في شأنه وانه تلمكأ حتى قال له عبد الرحمن ﴿ ومن نكث فانما ينكث على نفسه ومن اوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه اجرا عظيما ﴾ الى غير ذلك من الاخبار المخالفة لما ثبت في الصحيح فهي مردودة على قائلها وناقليها والمظنون بالصحابة خلاف ما يتوهم كثير من الرافضة واغبياء القصاص الذين لا تميز عندهم بين صحيح الاخبار وضعيفها ومستقيمها وسقيمها ومبادهها وقويمها اه .

ادعاؤه مشاركة اشخاص لأبي لؤلؤة

في دم الفساروق وإبطال ذلك

قال في ص ٢٥ ج ٢ (أول قضية نظر فيها أي عثمان رضى الله تعالى عنه شاع عقب ضرب عمر أن قتله لم يكن عمل أبي لؤلؤة وحده بل كان هناك أشخاص شركوا في دمه فقد قال عبد الرحمن بن أبي بكر غداة طعن عمر مررت على أبي لؤلؤة أمس ومعه جفينة والمهرمان وهم نجى فلما رهنهم ثاروا وسقط منهم خنجر له رأسان نصابه في وسطه فانظروا بأى شيء قتل فجاءوا بالخنجر الذى ضرب به أبو لؤلؤة فاذا هو على الصفة التى وصفها عبد الرحمن وكان رجل من تميم قد اتبع أبا لؤلؤة فقتله وأخذ منه الخنجر فلما رأى ذلك عبيد الله بن عمر أمسك حتى مات عمر ثم اشتمل على سيفه فأتى المهرمان فقتله ثم مضى حتى أتى جفينة وكان نصرانياً من أهل الحيرة أقدمه سعد بن أبي وقاص إلى المدينة ليعلم بها الكتابة فعلاه عبيد الله بالسيف ولما سمع بذلك صهيب وهو القائم مقام الخليفة أرسل إليه من أتى به وأخذ منه السيف وسجنه حتى يتم أمر الاستخلاف وينظر في أمره فلما بويع عثمان جلس في المسجد ودعا بعبيد الله بن عمر ثم قال لجماعة المهاجرين والأنصار أشيروا على في هذا الذى فتن في الاسلام ما فتن فقال على أرى أن تقتله ، فقال بعض المهاجرين قتل عمر بالأمس ويقتل ابنه اليوم فقال عمرو بن العاص يا أمير المؤمنين إن الله قد أعفأك أن يكون هذا الحدث كان ولك على المسلمين سلطان إنما كان هذا الحدث ولا سلطان لك ، قال عثمان أنا وليهم وقد جعلتها دية واحتملتها في مالى وكان ذلك حلاً حسناً لتلك المشكلة اهـ) . أقول كلامه هذا باطل بوجهين . (الأول) قوله شاع عقب ضرب عمر أن قتله لم يكن عمل أبي لؤلؤة وحده بل كان هناك أشخاص شركوا في دمه هذا الشيوع من زياداته لم يقله المؤرخون . (الثانى) قوله فقد قال عبد الرحمن بن أبي بكر النخبر باطل رواية ودراية

رواه ابن جرير هكذا ، كتب إلى السري عن شعيب عن سيف عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب أن عبد الرحمن بن أبي بكر إلى قوله وجاءوا به إلى صهيب . فأما بطلانه رواية فان السري مجهول وشعيب بن ابراهيم الكوفي مجهول أيضاً . وقد اتفق أئمة النقد على أن سيفاً لا يروى إلا عن المجهولين وعلى طرحه . وزاد ابن حبان وابن نمير أنه متهم بالزندقة وزاد الثاني منهما أنه كان يضع الأحاديث فنسبته هذا الهراء الذى وضعه إلى العدول يحيى بن سعيد وسعيد ابن المسيب وعبد الرحمن بن أبي بكر لا ترقعه بل هو اقتراء عليهم وإذا كان وضع الاخبار الكثيرة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم سهلاً على الوضاعين فالوضع على الصحابة والتابعين يكون أسهل . وقد تصرف المحاضر فى هذا الخبر بالحذف والزيادة فحذف منه كلاماً كثيراً من ذلك (١) قول الهرمزان لما عضه السيف لا اله الا الله ، ومنها فى جنيمة بعد قوله وكان نصرانيا من أهل الخيرة (٢) (ظئرا) لسعد بن مالك ، ومنها بعد قوله فلما علاه بالسيف (٣) (صاب بين عينيه) ، ومنها بعد قوله صلب بين عينيه كلاماً كثيراً أبدله بما ذكره (٤) وبلغ ذلك صهيياً فبعث اليه عمرو ابن العاص فلم يزل به وعنه ويقول السيف بأبى وأمى حتى ناوله إياه وثاوره سعد فأخذ بشعره وجاءوا إلى صهيب ، هذا آخر الخبر وزاد فيه سجن صهيب له ، وأما بطلانه دراية وتاريخاً فمن خمسة أوجه : (الأول) قوله وكان رجل من تميم قد اتبع أبا لؤلؤة فقتله وأخذ منه الخنجر غير صحيح والمعروف فى التاريخ أنه قتل نفسه لما احتضنه رجل قال ابن كثير فى بدايته فالقى عليه عبد الله بن عوف برنساً فانتحر نفسه . (الثانى) قوله فلما رأى ذلك عبيد الله بن عمر أمسك حتى مات عمر ثم اشتمل الخ غير صحيح أيضاً بل قتل من قتل وأبوه حى . (الثالث) قوله لما سمع بذلك صهيب وهو القائم مقام الخليفة أرسل اليه من أتى به وأخذ منه السيف وسجنه ، غير صحيح فى السجن بل الذى سجنه أبوه عمر . قال ابن كثير وقد كان عمر قد أمر بسجنه ليحكم فيه الخليفة من بعده . وأما الذى أخذ

منه السيف فقيـل عمرو بن العاص بسياسة ، وقيل ثاوره سعد بن أبى وقاص
فاخذه منه بالقوة وهو الصحيح . (الرابع) قول أمير المؤمنين عثمان رضى
الله عنه أشيروا على فى هذا الذى فتق فى الاسلام ما فتق . (الخامس)
ثبت فى التاريخ أن عبيد الله قتل أيضا بنت أبى لؤلؤة فثبت بهذه الأوجه
بطلانه وبطلان دعواه المبينة عليه وتحقق أن عبيد الله قتل ثلاثة معصومى
الدم الهرمزان وهو مسلم وقد ثبت فى الصحيح أنه عليه الصلاة والسلام
وبخ مولاه اسامة بن زيد لما قتل فى دار الحرب ذلك الأعرابى بعد ما قال
لا اله الا الله على قتله توبيخاً شديداً ، وهذا قتل فى عاصمة الاسلام مسلماً ،
وجفينة وبنت أبى لؤلؤة ذميان . وقد صح عنه عليه الصلاة والسلام أنه
أوصى باهل الذمة كما صح عنه عليه الصلاة والسلام النهى عن قتل نساء
الكفار وصبيانهم فى دار الحرب فكيف به إذا كان لذمية فى دار الاسلام
بدون حجة تبيح له ذلك . فلو كان لهم مشاركة فى دم أبيه ما حبسه وما اهتم
بها ذو النورين فجعلها أول قضية حكم فيها وما جمع لها أعيان الصحابة
مهاجرين وأنصاراً وما قال لهم أشيروا على فى هذا الذى فتق فى الإسلام
ما فتق ، وما تحمل دياتهم فى ماله ، وما قال على أن تقتله ، وما قال
عمرو بن العاص إن الله قد أعفأك أن يكون هذا الحدث والك على المسلمين
سلطان . وقد روى ابن جرير أيضا فى قتل عبيد الله للهرمزان خبراً معارضا
لهذا عن ابن الهرمزان وهو باطل أيضا فكان من اللازم على المحاضر أن
يعتمد عليه أيضا جريا على قاعدته فى التمسك بالباطيل أو يطرحهما معا
ويعتمد فى هذه الحادثة على التاريخ الصحيح فاعتماده فيها على أحد الباطلين
دون الآخر تحكم . وقوله فى آخر كلامه (وكان ذلك حلا حسنا لملك
المشكلة) ينقض دعواه أن الهرمزان وجفينة شاركا أبا لؤلؤة فى دم عمر ،
فيقال له إذا كانا مشاركين له كما أدعيت فقتل عبيد لهما سائق لا أشكال فيه
حتى يحتاج إلى حل .

المحاضرة السابعة والعشرون

طعنه في أعيان مهاجري قريش من الصحابة

برواية الطبري وابطاله بستة عشر وجها

ص: ٣٠٠ ج ٢ قال الأحوال الداخلية والفتن. الأحوال الداخلية لا بد أن نبسط القول فيما كانت عليه أحوال المسلمين في الأمصار المختلفة خصوصا البصرة والكوفة ومصر لأن الفتنة الكبرى قد استخدم لها العامة من هذه الأمصار الثلاثة. روى الطبري عن الحسن البصري قال كان عمر بن الخطاب قد حجر على أعلام قريش من المهاجرين. الخروج في البلدان إلا باذن وأجل فشكوه فبلغه فقال: ألا اني سننت الاسلام سن البعير يبدأ فيكون جذعا، ثم ثنيا ثم رباعيا ثم سديسا ثم بازلا. ألا فهل ينتظر بالبازل إلا النقصان ألا وان الاسلام قد نزل ألا وان قريشا يريدون أن يتخذوا مال الله معونات دون عباده ألا فأما وابن الخطاب حي فلا، اني قائم دون شعب الحرة آخذ بحلأقيم قريش وحجزها أن يتهافتوا الى النار - فلما ولي عثمان لم يأخذهم بالذي كان يأخذهم به عمر فانساحوا في البلاد فلما رأوها ورأوا الدنيا ورأهم الناس انقطع من لم يكن له طول ولا مزية في الاسلام فكان مغمورا في الناس وصاروا أوزاعا اليهم وأملوهم وتقدموا في ذلك فقالوا يملكون فنكون قد عرفناهم وتقدمنا في التقرب والانقطاع اليهم فكان ذلك أول وهن دخل على الاسلام وأول فتنة كانت في العامة. وقال الشعبي لم يمت عمر حتى ملته قريش وقد كان حصرهم بالمدينة فامتنع عليهم وقال إن أخوف ما أخاف على هذه الامة اتشاركم في البلاد فان الرجل يستأذن في الغزو وهو ممن حبس في المدينة من المهاجرين ولم يكن فعل ذلك بغيرهم من أهل مكة، فيقول قد كان لك في غزوك مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يبلغك وخير لك من الغزو اليوم ألا ترى الدنيا ولا تراك.

فلما كان عثمان خلى عنهم فاضطربوا في البلاد وانقطع اليهم الناس فكان

أحب إليهم من عمر . وروى الطبري بسنده قال لم تمض سنة من اماره عثمان حتى اتخذ رجال من قريش أموالا في الأمصار وانقطع إليهم الناس اه) أقول : قد تحققنا أن المحاضر لا معرفة له بكتب الرواية ومناقب الصحابة وطبقاتهم ولم يعرف من تواريخ الاسلام إلا تاريخ ابن جرير ولا استحسانه الأباطيل مطلقا عول عليه فيها خصوصا ما يمس بكرامة الصحابة رضوان الله عليهم غير شاعر بدسائسها وتناقضاتها التي يدركها كل من له إلمام بالعلم وقد مهد لهذا الخبر الذي استحسنه منها في الطعن في إعلام مهاجري قريش بمقدمة علمها بقوله (لأن الفتنة الكبرى قد استخدم لها العامة من هذه الأمصار الثلاث) فطعنه في سادات المهاجرين بهذا الكلام الخبيث ، وهو أنهم محرکوا الفتنة الكبرى التي قد استخدموا لها العامة في الأمصار الثلاث واضح . وخبر الطبري هذا الذي اعتمد عليه المحاضر ، قد جزأه إلى أربعة أسانيد محورها واحد وهو باطل بستة عشر وجها : (الأول) يدور على سيف بن عمر الوراق المتهم بالزندقة المتفق على أنه لا يروى إلا عن المجهولين ومعه فيه خمسة كلهم مجهولون شعيب وعسارة بن القعقاع ومحمد وطلحة وعمر و ونسبته للتابعين الجليلين : الحسن البصري والشعبي ثم للفاروق افتراء عليهم رضى الله عنهم .

(الثاني) الصحابة كلهم مهاجرين وغيرهم شاركوا عمر في الثناء العظيم العام من الله تعالى عليهم في محكم كتابه ﴿ محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار ﴾ وشاركه أهل السابقة منهم في رضا الله عنهم ورضاهم عنه ﴿ والسابقون الأولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم ﴾ فحبسه لهم بالمدينة وخوفه على أهل الأمصار

من فتنهم لهم إذا انتشروا في البلاد ينافي ثناء الله عليهم وعليه والخبر المنافي لثناء الله عليهم باطل ولو كان صحيحاً لأنه ظني وثناء الله عليهم قطعي والظني لا يعارض القطعي فلو صح هذا الحجة على إعلام قريش منه لكان منافي لثناء الله عليه وقدحاً في دينه لا محالة وقد برأه الله تعالى من هذا الهراء .

(الثالث) القرآن قد فاوت بين جميع الصحابة في الدرجات وأخبر أن جميعهم في الجنة قال تعالى ﴿ لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى ﴾ فلا يعقل حجرة على سادات الصحابة من مهاجري قريش ويقول لهم (إني قائم دون شعب الحرة أخذ بحلاقيم قريش وحجزها أن يتهافتوا إلى النار) ويقول لهم أيضاً (إن أخوف ما أخاف على هذه الأمة انتشاركم في البلاد) وفسحه لمسألة الفتح الذين هم دونهم بدرجات بالانتشار في الأمصار وكيف يأخذ بحجز أهل السابقة والدين المتين خوف تهافتهم في نار جهنم ويخاف أشد الخوف على الأمة الإسلامية من انتشارهم في البلاد ، ولا يأخذ بحجز الذين هم دونهم بمراتب ولا يخاف أشد الخوف على الأمة الإسلامية من انتشارهم في البلاد بل يفسح لهم بالذهاب حيث شاءوا فهل هذا إلا قلب للأوضاع الالهية وللمعقول بين العقلاء .

(الرابع) جميع الصحابة سابقين ولاحقين لهم منزلة عظيمة عنده لا يلحق شأوهم فيها غيرهم والدليل عليه أمران (الأول) تقدم أنه كان من سيرته رضى الله تعالى عنه أن لا يولى على قيادة الجيوش وأمرة الأمصار إلا أصحابها (الثاني) كان أبو بكر رضى الله عنه يسوى بين الصحابة وغيرهم في العطاء فكان الفاروق رضى الله تعالى عنه يعارضه في ذلك فيقول كيف تسوى بين أهل السبق للإسلام والجهاد مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وبين غيرهم فيجيبه الصديق بأنهم تساوا في الإسلام وسيجازى الله أهل السبق والجهاد على ذلك ، فلما دون الدواوين وجعل لكل مسلم مرتبة في بيت مال المسلمين رتبهم بحسب القرابة من الرسول والسابقة والجهاد ، فبدأ بالعباس

ابن عبد المطلب رضى الله تعالى عنه ففرض له خمسة وعشرين ألفاً وقيل
اثنى عشر ألفاً ، ثم الأقرب فالأقرب ، ثم فرض للبدرين خمسة آلاف لكل
منهم وألحق بهم أربعة الحسن والحسين وأبا ذر وسلمان . ثم فرض لمن بعد
البدرين إلى الحديبية أربعة آلاف لكل واحد ، ثم فرض لمن بعد الحديبية إلى
رجوع المرتدين إلى الاسلام وحضور من حضر الايام التي قبل القادسية
ثلاثة آلاف لكل واحد ، ثم فرض لأهل القادسية ولمن حضر معارك
الشام ألفين ألفين ، ولأهل البسلاء منهم ألفين وخمسمائة . ألفين وخمسمائة
وأتى رضى الله عنه بأموال فتح مدائن كسرى فأفرغت على الانطاع
فى المسجد واجتمع الصحابة فبدر إليه الحسن بن علي فقال يا أمير المؤمنين
أعطني حقي مما أفاء الله على المسلمين ، فقال بالرحب والكرامة وأمر له بألف
درهم ، ثم بدر إليه الحسين بن علي فقال يا أمير المؤمنين أعطني حقي مما
أفاء الله على المسلمين فقال بالرحب والكرامة وأمر له بألف درهم ، ثم بدر
إليه ابنه عبد الله فقال يا أمير المؤمنين أعطني حقي مما أفاء الله على
المسلمين فقال له بالرحب والكرامة فأمر له بخمسمائة درهم فقال يا أمير
المؤمنين أنا رجل مشتد أضرب بالسيف بين يدي رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم — والحسن والحسين طفلان يدرجان فى سكك المدينة تعطيهما ألفاً
ألفاً وتعطيني خمسمائة ، قال نعم اذهب فأتيته بأب كأيبيهما وأم كأمهما وجد
كجدتهما وجددة كجدتهما وعم كعمهما وخال كخالهما فانك لا تأتني به أما
أبوهما فعلى المرتضى وأما أمهما فقاطمة الزهراء وجدتهما محمد المصطفى
صلى الله تعالى عليه وسلم وجدتهما خديجة الكبرى وعمهما جعفر بن أبي طالب
وخالهما ابراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج ابن السمان
فى الموافقة .

(الخامس) من اعتناء الفاروق بأهل السابقة كتابته لأهل الكوفة فى
عمار لما ولاه عليهم : إنه من النجباء من أصحاب محمد صلى الله تعالى عليه وسلم
(السادس) من اعتنائه بعموم الصحابة توليته أبا موسى الأشعري

على البصرة بعد عزله عن الكوفة فقال له أبو موسى أعني يا أمير المؤمنين
بعده من أصحاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فإنهم في هذه الأمة كالملح
فقال له خذ من أحببت ، فأخذ أبو موسى منهم معه تسعة وعشرين منهم
عمران بن حصين وهشام بن عامر وأنس بن مالك فاطلاقه له أخذ من أحب
منهم دليل على بطلان هذا الخبر عنه فلو كان صحيحاً لقال له خذ من شئت
منهم من غير مهاجرى قريش .

(السابع) من اعتنائه أيضا بالصحابة توليته المغيرة بن شعبة مرة ثالثة
على الكوفة بعد عزله عن البحرين ثم عن البصرة .

(الثامن) من اعتنائه بالصحابة أيضا عرضه الولاية على أبي هريرة
مرة ثانية بعد عزله عن البحرين .

(التاسع) من اعتنائه بعموم رعيته وبالصحابة أيضا بعثه طائفة من
علمائهم لتعليم المسلمين بالأمصار .

(العاشر) قد خرج جماعة من أعلام مهاجرى قريش للجهاد وقيادة
الجيش وولاية الأمصار . منهم الزبير وأبو عبيدة وسعد بن أبي وقاص
وقدأمة بن مظعون وسعيد بن زيد ولم يوقت لهم عمر ذلك باجل . فقد حضر الزبير
اليرموك وفتح مصر وكانت موافقه فيهما غررا في تاريخ الاسلام ، وولى
الفاروق أبا عبيدة قائدا عاما لجيوش الشام وبقي بها حتى مات في طاعون
عمواس ، وولى سعد بن أبي وقاص قائدا عاما لجيوش العراق ثم ولاه على
الكوفة ثم عزله لما شكاه أو باشهم وأوصى من يتولى الخلافة بعده بتوليته
وقدأمة بن مظعون على البحرين ثم عزله بعد مدة .

(الحادى عشر) قد خرج إلى الأمصار أيضا من مهاجرى قريش
وأعلامهم للجهاد في خلافة الصديق خالد بن الوليد وعمرو بن العاص رضى
الله عنهما . خالد قائدا على جيوش العراق ثم أحد قواد الشام في خلافة
الفاروق ثم عزله وتوطن حمص حتى مات بها فلو كان هذا الخبر صحيحاً
لرده عمر إلى المدينة وحبسه مع إخوانه الذين يخاف على الأمة من انتشارهم

في البلاد ، وعمر و بن العاص أحد القواد الذين ولاهم الصديق على جيوش الشام فأقره عمر ثم ولاه على مصر لما افتتحها وبقي أميراً عليها حتى مات عمر فأقره ذو النورين عليها مدة ثم عزله وولى عليها ابن أبي سرح فلو كان صحيحاً لرده عمر إلى المدينة وحجر عليه للعلة المزعومة في الخبر .

(الثاني عشر) من التهافت والكذب الواضح في هذا الخبر قوله (قد حجر على أعلام قریش من المهاجرين الخروج في البلدان إلا باذن واجل فشكوه فبلغه فقال إلا أني الخ الهذيان) فالأعلام ليس فوقهم في المنزلة إلا الذي أخذ بحال قيمهم وحبسهم في المدينة فلمن يشكونه للذين هم دونهم في المنزلة والمكانة عنده ، هذا لا يعقل لأنه لا جدوى لهم في هذه الشكوى .

(الثالث عشر) من الحكم على ضمائر القلوب والكذب على التاريخ قوله (قال الشعبي لم يمت عمر حتى ملته قریش إلى قوله فكان أحب إليهم من عمر فمن أين له أن مهاجري قریش ملوا عمر لحبسه لهم بالمدينة . وأحبوا عثمان لتخليته لهم بالانسياح في البلاد والتاريخ المنقول في الأوجه السابقة وفي غيرها يكذب المنع من عمر والفسح من عثمان فلا منع ولا فسح ومحل المحبة القلب ولا يطلع على ما في هذا الاعلام الغيوب الذي يقلبها كيف شاء ولم لم يسم واضع هذا الإفك في أعيان الصحابة ولو واحداً من هؤلاء الذين منعهم الفاروق فملوه وفسح لهم عثمان فأحبوه حتى يعلمه الناس ويحققوا أمره ، ولكن الحياء من الايمان والذي نزع منه الحياء لا يبالي بما يقوله في أنبياء الله فكيف بأصحابهم .

(الرابع عشر) من تمام هذا الإفك المفصوح تاريخاً قوله وروى الطبري بسنده (قال لم تمض سنة من إمارة عثمان حتى اتخذ رجال من قریش أموالاً في الأمصار وانقطع إليهم الناس) فقوله لم تمض سنة إلى آخره إراء افتراء على التاريخ من ثلاثة أوجه (الأول) يدل على أن المدينة عاصمة الخلافة الإسلامية ليست صالحة لاتخاذ الأموال بها زراعة وتجارة وإنما هي مركز الدين فقط . (الثاني) يدل على أنه لم يكن لهؤلاء المتخذين

الاموال بالامصار أموال قبل هذا التاريخ أو كانت لهم أموال ولكن كانوا كائنين لها فرقاً من الفاروق الذي ضيق خناقهم وكلا الأمرين باطل وكذب على التاريخ وطعن في هؤلاء السادة بقوة شرهم في الدنيا وفي الفاروق نفسه بحظه لهم ما أحله الله لهم من ابتغاء فضله بالبيع والشراء (الثالث) لم يعين واضع هذا البهتان للقراء هؤلاء المتخذين الاموال بالامصار ولو واحداً حتى يعرض على محك التحقيق ولكنه جرى على طريقة التليس والابهام المسلوكة للزنادقة الكائنين للاسلام لانها تجوز على البسطاء والعامّة فالمدينة معروفة في التاريخ من زمن الجاهلية بأنها بلدة زراعة وتجارة يقصدها العرب كما يقصدون خيبر وخصوصاً في شراء التمر فانها غنية بكثرة نخيلها ولا حاجة إلى سوق الشواهد الكثيرة على ذلك فانها مسطرة في التاريخ ، وهؤلاء أعلام مهاجري قريش الذين طعن فيهم هذا الزنديق ولم يصرح بأسمائهم هم خلاصتهم العشرة المبشرون بالجنة في حديث واحد كانوا كلهم يشتغلون فيها بالتجارة في زمن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وبالأزراعة وغيرها وإن كانوا متفاوتين في كثرة اليسار وقلته فقد كان عبد الرحمن بن عوف أغنى الصحابة وبعده ذو النورين كما كانوا قائمين بوظائف الدين أكمل قيام فهم لا يريدون بها بديلاً ولو أعطوا الدنيا بحذاقها وعلاوة على هذا فإن الاموال تجب إليهم من الامصار من النىء والخراج والاحماس على يد الفاروق الذي يصدقها عليهم على مراتبهم فأى حاجة بهم إلى اتخاذها في الامصار على انهم لو اتخذوها فيها لا يقدر ذلك فيهم لانها كانت في أيديهم لا في قلوبهم فقد كانوا يواسون ذوى الارحام والمحتاجين مواساة من لا يخشى الفقر وهى مع هذا منهالة عليهم ، وتلك آثارهم على ذلك مسطرة في كتب سيرهم والتاريخ الاسلامى . وقد صح في التاريخ أن الزبير رضى الله تعالى عنه لما مات ترك من جملة تركته دوراً بالبصرة ومصر وعلاوة على دوره بالمدينة وأرضه العظيمة بها التى هى الآن صحراء قاحلة خلف جبل أحد من شماله وهى الغابة وقد اشتراها

الزبير رضى الله عنه بسبعين ألف درهم ومائة ألف درهم . وباعها ابنه عبد الله فى تركته بألف ألف وستمائة ألف . وقد حرر شراح صحيح الامام البخارى فى باب بركة الغازى فى ماله حيا وميتا ، تركته بستين مليون درهم إلا مائتى ألف ، وكان أوصى بثلث ماله بعد قضاء دينه وكان مدينا بمليون درهم ومائتى ألف . وروى الحميدى فى النوادر أنه أوصى إليه عثمان والمقداد وابن عوف وابن مسعود وغيرهم فكان رضى الله تعالى عنه يحفظ أموالهم وينفق على أولادهم من ماله . وزاد الزبير بن بكار . ومطيع بن الأسود وأبو العاص بن الربيع . وروى يعقوب بن سفيان أن الزبير كان له ألف مملوك يؤدون الخراج إليه فكان لا يدخل بيته منه شيئا يتصدق به كله .

(الخامس عشر) ولى عثمان رضى الله تعالى عنه سعيد بن العاص على الكوفة بعد عزل الوليد بن عقبة عنها فلما قدمها صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال والله لقد بعثت إليكم وإنى لساكره ولكنى لم أجد بداً إذ أمرت أن أتممر ألا إن الفتنة قد اطلعت خطمها وعينها والله لأضربن وجهها حتى أقمعها أو تعينى وإنى لرائد نفسى اليوم ، ثم نزل وسأل عن أهل الكوفة فعرف حال أهلها فكتب إلى عثمان : إن أهل الكوفة قد اضطرب أمرهم وغلب أهل الشرف منهم والبيوتات والسابقة والغالب على تلك البلاد روادف قدمت وأعراب لحقت حتى لا ينظر إلى ذى شرف وبلاء من نابتها ولا نازلتها اهـ) . فلو كان أعلام مهاجرى قريش هم محركى هذه الفتنة وقادتها واستخدموا لها العامة كما زعم المحاضر لما خفى ذلك على سعيد بعد أن سبرهم وهو من رجال قريش نبلا وعقلا وشجاعة وكرما ثم هو من قرابة عثمان ، ولما كان صرح له فى كتابه بأن محركى هذه الفتنة هم إخوانك رؤساء المهاجرين ، وهذا الكتاب رواه ابن جرير عن سيف أيضا . وقد ذكره المحاضر بعد هذا بقليل غير شاعر بأن هذه الفتنة قد أسست للتمرد على قريش والخلفاء فى زمن الفساروق وظهر وميضها فى الكوفة فيه وشب ضرامها فى آخر خلافة عثمان وقد قررته سابقا فى بحث الخلافة مبسوطة .

(السادس عشر) روى ابن جرير أيضا عن سيف المذكور أن عثمان رضى الله عنه لما شاعت تلك الكتب التي من أهل الأمصار إلى بعضهم بعضها وإلى أهل المدينة بتحريك عبد الله بن سبأ يتظلمون من ولايتهم بعث رجالا يثق بهم بإشارة الصحابة إلى الأمصار وفرق رجالا أيضا عليها ليسبروا له أحوالها ، قال فرجعوا كلهم إلا عمارا وقالوا ما أنكرنا شيئا ولا أنكره أعلام المسلمين ولا عوامهم وقالوا جميعا الأمر أمر المسلمين ، وزعم أن عامل مصر ابن أبي سرح كتب لعثمان يقول أن عمارا قد استماله قوم بمصر منهم عبد الله بن سبأ وخالد بن ملجم وفلان وفلان أقول دل هذا الخبر مع كذبه على عمار على بطلان زعم المحاضر أن أعلام مهاجرى قریش حركوا الفتنة على عثمان واستخدموا لها العامة في الأمصار فلو كان صحيحا لكان الذين وثق بهم عثمان في كشف حقيقة هذه الفتنة لما رجعوا إليه قالوا له إن قادة تحريك هذه الفتنة عليك هم أعلام مهاجرى قریش الذى معك فلان وفلان ولم يقولوا له ما أنكرنا شيئا الخ . وقد بنى المحاضر على هذا الخبر الذى وضعه الزنادقة في الطعن في سادات الصحابة جميع ما يأتى من الطعن فيهم . قال فى ص : ٣١ ج ٢ (كانت عامة المسلمين حتى آخر حياة عمر لا يعرفون الاختلاف بينهم اذ أن دواعى الاختلاف كانت مفقودة واكبر داعية لنزوع الشر من العرب ان يختلف رؤسائهم ثم لا توجد يدقوية شديدة تقف بالمختلفين عند الحد الذى لا ينبغى ان يتجاوزه . كانت روح عمر تخيف الرؤساء وذوى الرؤوس النابغة فلا يجدون سبيلا إلى نزاع او شر إلى ما وقر في انفسهم من الالفة الاسلامية ومتى أمن اختلاف الكبراء فلا معنى للشقاق بين الرعية وظل العدل وارف فوق رؤسها ه) . قوله كانت عامة المسلمين حتى آخر حياة عمر لا يعرفون الاختلاف بينهم ، غير صحيح فأول من سن الاختلاف والشقاق على الخلفاء وعما لهم العدول من أهل الأمصار أهل السكوة على الفاروق وأول شرهم وشقاقهم طعنهم في الصحابي الجليل

سعد بن ابى وقاص فقد ذمه وشكاه أو باش منهم لعمر واثنى عليه جلهم
فحزله عنهم فلما عبدوا طريق الشربة هان عليهم سلوكه على من بعده من
الولاة فلذلك ثنوا بعمار بن ياسر رضى الله تعالى عنه فشكاه ايضاً طائفة
منهم فيهم بعض اعيان العرب ، ثم ثلثوا بأبى موسى الاشعري وقد طلبوه
بانفسهم ، فنام عمر فى المسجد فأتاه المنيرة بن شعبة فقال ما فعلت هذا
ياأمير المؤمنين الامن عظيم ، فقال واى شىء اعظم من مائة الف لا يرضون
عن امير ولا يرضى عنهم أمير ، وقال لخواص الصحابة ان اهل الكوفة قد عضلوني ،
واوصى من يتولى الخلافة بعده بأهل الكوفة ان طلبوا كل يوم عزل إمرير
وتولية آخر ان يفعل كما اوصى بتولية سعد بعده وقد تقدم هذا مبسوطا
فهل يقول عاقل ان اختلافهم فى سعد وشكايتهم من بعده من الولاة لا
يعد اختلافاً بين عامة المسلمين وانهم لا يعرفون الاختلاف وهل شذوذهم
بهذا الشقاق الذى عضلوا به الفاروق رضى الله عنه ولم يرضوا به عن امير
ولم يرض عنهم أمير عن بقية امصار المسلمين الواحدة الراضية بولاتها لا
يعد اختلافاً بين عامة المسلمين بالنسبة لتلك الامصار الاخرى ، وبهذا ظهر
فساد كلامه . وقوله واكبر داعية لنزوع الشر بين العرب أن يختلف رؤسائهم
الى قوله عند الحد الذى لا ينبغى ان يتجاوزه ، باطل مبنى على زعمه السابق
من ان الفتنة الكبرى التى قامت على عثمان حركها عليه أعلام مهاجرى
قريش واستخدموا لها العامة فى الامصار الثلاث وقد ابطلته باسهاب ،
وقوله كانت روح عمر تخيف الرؤساء الى آخر الهراء كذب على عمر وطعن
خبيث فيه وفى سادات الصحابة مبنى على ما تقدم . اما كونه كذاباً على عمر
وطعناً فيه فان الله سبحانه وصفه مع جميع اخوانه الصحابة بالرحمة بينهم
والشدة على الكفار واذا كانت روحه تخيف الرؤساء فهو موصوف
بضد ما وصفه القرآن به فهو جبار طاغية غشوم يخاف من سطوته
الرؤساء فكيف بالمرؤسين ولا شك ان هذا طعن فيه واقتراء
عليه رضى الله تعالى عنه . وقد ذكر هذا المحاضر فى سيرته انه

قال مرة في خطبته : ايها الناس ان احببتم فأعينوني وان صدفتم فقوموني ، فقال له رجل من اخريات المسجد لو رأينا فيك اعواجاً لقومناك بسموفنا فسرّه ذلك . وفي صحيح الامام البخارى أن أبا موسى الأشعري جاء إلى بيت أمير المؤمنين عمر فسلم واستأذن ثلاث مرات فلم يؤذن له فانصرف وكان عمر مشغولاً فخرج إليه بعد الثالثة فوجده مولياً فقال له عبد الله بن قيس قال نعم قال ولم رجعت قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول إذا استأذنتم ثلاثاً فلم يؤذن لكم فارجعوا فقال له لتأتيني بشاهد معك على هذا وإلا أوجعتك فأتى أبو موسى مجلساً من مجالس الأنصار فيه أبي بن كعب فأخبرهم بقصته معه فقال له أبي بن كعب والله لا يقوم معك إلا أصغرنا سناً قم يا أبا سعيد فجاء معه أبو سعيد إلى عمر فقال له أنا سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول ذلك فقال أمير المؤمنين عمر تواضعاً لقد شغلني الصنفق بالأسواق عن تعلم هذا وقابله أبي ابن كعب بعد هذا فقال له يا ابن الخطاب لا تكن عذاباً على أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كلما قالوا لك شيئاً عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم تقول لهم ائتوني بشاهد على هذا وإلا أوجعتكم ، فقال له إنما أردت أن أستثبت يا أبا المنذر . وقصة المرأة التي ردت عليه حين خطب فنهى عن المغالاة في مهور النساء فقالت له قول الله أصدق من قولك يا ابن الخطاب ، الله أغلانا فقال ﴿ وآتيتهم إحداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً ﴾ وأنت تريد أن ترخصنا فقال رضى الله عنه أخطأ عمر وأصاب امرأة ، مشهورة .

وطعنه في سادات الصحابة واضح في قوله (فلا يجدون سبيلاً إلى نزاع أو شر) وفي قوله (ومتى أمن الكبراء فلا معنى للشقاق بين الرعية) ولا طعن فيهم أخبت من هذا وإذا كانت نفوس رؤساء الصحابة وذوى الرؤوس النابغة منهم ميالة إلى النزاع والشر وبث الشقاق بين الرعية لولا روح عمر التي تكبحهم عن ذلك وتخيفهم فهم إذاً والعياذ بالله ضد مامدحهم به القرآن ووصفهم من الأخلاق العالية وأمير الميالين لذلك مثلهم كما تكونوا

يولى عليكم سبحانه هذا بهتان عظيم . وقوله (إلى ما وقر في أنفسهم من
الآلفة الإسلامية) ينقض هذا الهراء ، وإذا كانت روح عمر تخيفهم فأى
رأسه لهم وعلى من يترأسون ومن رأسهم . إن هؤلاء السادة الذين يقصدهم
هذا المحاضر بطعنه الكثير الخبيث كانوا سمع عمر وبصره وأحب
الخلق إليه لا يستغنى عنهم كانوا كلهم رضى الله تعالى عنهم روحا
واحدا ، لما هاجت الفرس بالقادية بأمر يزدجرد وقيادة رستم خرج
أمير المؤمنين عمر من المدينة حتى عسكر بصرار وبعث على مقدمته طلحة
ابن عبيد الله وعلى مجنبيه الزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف ، فاستشار
الناس جميعاً في المسير بنفسه إلى العراق ، فقال له العامة سر وسر بنا معك
فدخل معهم في رأيهم وقال أغدوا واستعدوا فاني سائر الا أن يحى . رأى
هو أمثل من هذا ، ثم جمع وجوه أصحاب رسول الله صلى تعالى عليه وسلم
وأرسل إلى علي بن أبي طالب وكان استخلفه على المدينة وإلى طلحة فرجع
إليه وإلى عبد الرحمن والزبير فحضروا ثم استشارهم فاجتمعوا على أن يبعث
رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ويمده بالجنود واتفقوا
على أن ذلك الرجل هو الأسد عاديا سعد بن أبي وقاص وكان على
صدقات هوازن فبعث إليه عمر وولاه قيادة جيوش العراق ثم جمع عمر
الناس وخطبهم فقال لهم إني كنت عزمتم على المسير حتى صرفنى ذوو
الرأى منكم وقد رأيت أن أقيم وابعث رجلا .

طعنه في الصحابييين البجليين

سعد بن أبي وقاص وعبد الله بن مسعود رضى الله عنهما

قال في آخر ص : ٣١ ج ٢ (ولى عثمان سعد بن أبي وقاص الكوفة
وكان معه عبد الله بن مسعود على الخراج فاقترض سعد من ابن مسعود
مالا لأجل ولما حل الأجل جاء ابن مسعود يتقاضاه فلم يتيسر لسعد السداد
فارتفع بينهما الكلام حتى استعان ابن مسعود بأناس من الرعية على استخراج

المال ، واستعان سعد بأناس على استنظاره فافترقوا وبعضهم يلوم بعضا ، يلوم هؤلاء سعدا ويلوم هؤلاء عبد الله بن مسعود ، بلغ هذا الشقاق عثمان فغضب على الرجلين فعزل سعداً عن أمانة الكوفة وأبقى ابن مسعود على الخراج اهـ .

أقول الصحابة رضى الله تعالى عنهم محفوظون وليسوا بمعصومين فصدور الذنوب منهم من التخاصم فيما بينهم وغير ذلك وإن كان جائزاً قليلاً منهم ، فالواجب على المتدين أن يستصحب لهم ما كانوا عليه في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن نقلت عنهم هبات فليتدبر العاقل النقل وطريقه فإن ضعف رده وإن ظهر فلا يعدو كونه آحاداً وهذه لا تقدر فيما علم من عدالتهم تواتراً وشهدت به النصوص قرآناً وسنة وعليه فهذا الخبر الذى اعتمد عليه المحاضر فى هذين الصحابين الجليلين رواه ابن جرير عن سيف المشهور ، فعلى تقدير صحته يكون خبر آحاد مجردا عن العلاوة الملتصقة به وهى استعانة كل واحد منهما بأناس من أهل الكوفة فنازعتهما هذه جزئية خاصة بهما لا تتجاوز إلى الشقاق وبذر الفتنة بين العامة كما زعم وكل منهما محق فيها ، فطلب ابن مسعود لهذا الدين الذى حل أجله وهو مال المسلمين أمين عليه ظانا يسار سعد وإمكانه تسديده حق ، وامتناع سعد عن أدائه لعسره لا لمطل ، وقد أمر الله تعالى بانظار المعسر ﴿ وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة ﴾ حق ، فأى فتنة فى تخاصم رجلين فى حق مالى تتسرب به إلى العامة ، وعلى تقدير صحته مع العلاوة فاستعانة كل منهما بأناس على دعواه دليل على فضلهما ولوم كل أناس منهما للآخر دليل على تعصب كل لصاحبه والتعصب من الجهل والجهل ليس من الدين والمروءة فى شىء فثبت به أن هؤلاء المتعصبين جميعاً من دعاة الفتنة التى أسست فى عهد الفاروق وإذا كانوا اتخذوا محاصمة السدين عاملاً من عوامل بث فتنتهم كعادتهم من قبل فلا تبعة ولا لوم على الخيرين فى مقصدهم السىء وتحسينهما ظنهما بهم فى الاستعانة بهم على الوثام بينهما فتشغيبهم باللوم خاص

بهم عائد أئمه عليهم فلو كانوا حكماء عقلاء لو فقهوا بينهما واحترموهما الاحترام اللائق بهما كما اخترتهما هاشم بن عتبة بن أبي وقاص وكان حاضراً منازعتهم فقال لهما (انكما لصاحبا رسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر إليكما) ولم يتعصب لعمه، وعلموا أنهما بشر يجوز عليهما ما يجوز على البشر ، ثم ذكر المحاضر ولاية الوليد بن عقبة على الكوفة بعد سعد وأنه كان محباً إلى الناس رفيقاً بهم وهو كذلك ، قال ابن الأثير بقي كذلك خمس سنين وليس لداره باب ثم شرعوا بعدها في التشغيب عليه على عادتهم مع الولاية وليس الوليد الذي هو من مسلمة الفتح بأكرم عليهم وأعظم خطراً من اجلاء الصحابة سعد وعمار وأبي موسى وقد أهانوهم ، ولكن المحاضر تمسك برواية الطبري الباطلة في تبرئة الوليد من شرب الخمر .

تبرئته للوليد من شرب الخمر

ولمزه لعل وإبطال ذلك

قال في صفحة : ٣٢ ج ٢ (ولم يكف ذلك أولئك القوم بل صمموا على الذهاب إلى دار الخلافة وشكوى الوليد والشهادة عليه بشرب الخمر فقدم من انتدبوا للشهادة على عثمان ومعهما نفر يعرفهم عثمان ممن قد عزل الوليد عن الأعمال فأخبروه الخبر فقال من يشهد فقالوا فلان وفلان فسألها كيف رأيتهما ، قالا كنا من غاشيته فدخلنا عليه وهو يقيء الخمر فقال عثمان ما يقيء الخمر إلا شاربها فأرسل عثمان إلى الوليد فأقدمه المدينة فأفتى على بوجوب حده فحدوه حد شارب الخمر وعزله عثمان اه) .

أقول : تشغيب هؤلاء على الولاية لم ينزع منهم صدقهم ومروءتهم العربية الإسلامية رأساً على أن المشغب على الخلفاء وولاتهم بعض أهل الكوفة فكلامه هذا الدال على أن القوم تحاملوا وافتروا عليه في شهادتهم عليه بشرب الخمر باطل تاريخاً بوجهين (الاول) أن الوليد سكر وصلى الصبح بأهل الكوفة أربعاً ثم التفت إليهم وقال أزيدكم ، فقال له ابن مسعود

ما زلنا معك في زيادة منذ اليوم وشهدوا عليه بذلك عند عثمان (الثاني)
حيث ثبت عند أمير المؤمنين عثمان شربه للخمر بشهادة كثيرين أمر علياً
بجلده فأمر على عبد الله جعفر فجلده . أخرج الامام مسلم في صحيحه عن
حزوين بن المنذر أن عثمان رضى الله تعالى عنه أمر علياً بجلد الوليد بن عقبة فأمر
على عبد الله بن جعفر فجلده أربعين ، وفي صحيح الامام البخارى في كتاب
المناقب في مناقب عثمان رضى الله تعالى عنه من روايه عبيد الله بن عدى
ابن الخيار : أن عثمان أمر علياً بجلد الوليد بن عقبة حيث ثبت عليه شرب
الخمر بعدة شهود ذكر أسماءهم الحافظ . ابن حجر في فتحه وذكر أيسات
الخطيئة في ذلك . قال الحافظ . بن عبد البر في استيعابه قصة صلاته الصبح
بالناس أربعاً وهو سكران مشهورة مخرجة وقصة عزله بعد أن ثبت عليه
شرب الخمر مشهورة أيضاً مخرجة في الصحيحين قال وهى مشهورة منقولة
برواية الثقات من أهل الحديث والأخبار . وقال في رواية الطبرى التى اعتمد
عليها الخضرى انها غير صحيحة عند أهل الحديث ولا لها عند أهل العلم
أصل ، وبهذا ظهر فساد لمزه لعل . وقوله (وأقضى على بوجوب حده) فلم
يفت على ولا ذنب له في ذلك وإنما هو مأمور وثبت هذا على الوليد
لا يقدح في عدالته والصحابة ليسوا بمعصومين فوقوع ما ينافى الكمال منهم
نادر ، وإذا وقع بادروا إلى الانابة وقد شرب الخمر من لا يدانيه الوليد في
الفضيلة قدامة بن مظعون أحد المهاجرين السابقين وجماعة من فضلاء الصحابة
فيهم ضرار بن الأزور فحدهم الفاروق رضى الله عنه وشربه في زمان الرسول
صلى الله تعالى عليه وسلم نعيان الانصارى رضى الله عنه وأمير المؤمنين
عثمان رضى الله عنه لا يضره اقتراف عامل من عماله ذنباً صح عنه كما
لا يضر الفاروق شرب أولئك الأجلاء من الصحابة لها وثبوتها عن الوليد
لا يحط من مقام صحبته شيئاً كما أن دفعه بالرواية الباطلة لا يزيد فيه
شيئاً . ثم ذكر ولاية سعيد بن العاص بعد الوليد على الكوفة وخطبته
على أهلها وكتابه إلى عثمان رضى الله تعالى عنه بحالهم وقد ذكرته في

الوجه الخامس عشر محتجاً به على أبطاله زعمه تحريك أعلام قریش
الفتنة على عثمان واستخدامهم العامة لها بالأمصار وأسهب في تشغييهم
على هذا أيضاً وهو غير مستكثر عليهم ولا مستنكر منهم مع ما فعلوه
بسلفه الوليد وما فعلوه بسعد وعمار وأبي موسى في عهد الفاروق ، نعم
عظمت فتنتهم وصار لها جيش جرار في خلافة ذى النورين وكانت نتيجة
تشغييهم على سعيد عزله عنهم وتولية أبي موسى الأشعري عليهم بطلبهم
له وهذه المرة الثانية يتولى الأشعري عليهم والاولى طلبوه من الفاروق
بدل عمار ثم شغبوا عليه وشكوه له فعزله عنهم وولى عليهم المغيرة بن
شعبة . قال الحافظ ابن عبد البر كتب أهل الكوفة إلى عثمان رضى الله عنه
لا حاجة لنا في سعيدك ولا وليدك ، وقال بعض شعراء الكوفة :

فررت من الوليد إلى سعيد كأهل الحجر إذ جزعوا فباروا
يلينا من قریش كل عام أمير محدث أو مستشار
لنا نار نخوفها فنخشى وليس لهم فلا يخشون نار
وهذا شبيهه بقول القائل منهم في زمن الفاروق بعد وقعة القادوسية
إذا قتلنا ولا يبكى لنا أحد قالت قریش ألا تلك المقادير

فقد ظهر للقراء من تاريخ هذه الفتنة ان القلوب التي باحت أسمنتها بما تكنه
لقریش كلها في العصرين منطوية على شر عظيم نحوهم وتحقق لهم ان هؤلاء
المتمردين على الخلفاء العابثين بولاتهم قادة فتنة محنكون مستقلون بأنفسهم
ليسوا بمستخدمين لأحد ، قالوا كان سعيد هذا من فصحاء قریش ورجاهم
شرافاً جواهاً بطلاً حليماً وقوراً وكان أحد الذين كتبوا المصحف بأمر
عثمان ، وفتح طبرستان وجرجان لما ولى على الكوفة وكان في جيشه كبار
الصحابة وأبنائهم ، قدم محمد بن عقيل بن أبي طالب على أبيه فقال له من
أشرف الناس قال . أنا وابن أمي يعنى علياً وحسبك بسعيد بن العاص ،
وقال معاوية كريمة قریش سعيد بن العاص . توفي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
وعمره تسع سنين ومات بقصره بالعقيق سنة ثلاث وخمسين ، ومن محاسن
(٣٦ - تحفة العقبه)

كلامه لا تمازح الشريف فيحقد عليك ولا تمازح الدنيا فتهون عليه ،
ومن كلامه موطنان لا اعتذر من العي فيهما إذا خاطبت جاهلا أو طلبت
حاجة لنفسى .

قال المحاضر فى ٢٤ و ٣٥ ج : ٢ (وفى البصرة التى هى الحاضرة الثانية
للعراق لم تكن الحال خيرا من ذلك فى سنة ٢٩ هاج أهلها على أبى موسى
الأشعرى عاملهم واستعفوا عثمان منه فعزله عنهم وولى بدله عبد الله بن
عامر وكان له فى أعمال الفتوح بالكوفة أثر جيد وكانت إمارته تشمل أعمال
البصرة وأعمال البحرين ولثلاث سنين من إمارته بلغه أن فى عبد القيس
رجلا نازلا على حكيم بن جبلة وكان حكيم لصا إذا قفلت الجيوش خنس
عنهم فسعى فى أرض فارس فيغير على أهل الذمة ويتكبر لهم ويفسد فى
الأرض ويصيب ما يشاء ثم يرجع . فشكاه أهل الذمة وأهل القبلة إلى عثمان
فكتب إلى ابن عامر يأمره بحبس حكيم ومن كان مثله بالبصرة فلا يخرج
منها حتى تأنسوا منه رشدا فكان لا يستطيع أن يخرج منها فلما قدم ذلك
الرجل المسمى عبد الله بن سبأ ويكنى بابن السوداء نزل عليه وكان يلقى إلى
الناس فى السر تعاليم خبيثة وأصل هذا الرجل يهودى أظهر الإسلام ليضل
الناس فصار يقول لهم عجبت ممن يقول برجة المسيح ولا يقول برجة محمد
فيقبل منه الناس ذلك ويقول لهم عجبا لكم أيها المسلمون يكون فيكم أهل
بيت نبيكم ثم يقصون عن أمركم إلى ما يماثل هذا الكلام الذى يسهل قبوله
لأنه جاءهم من قبل تعظيم نبيهم ورفعة مقامه على سائر الأنبياء ثم ما هو
قريب من ذلك من استهجان ترك آله وإقصائهم عن أمر خلافته فبلغ شئ
من خبره عبد الله بن عامر فأحضره وسأله من أنت ، فقال رجل من أهل
الكتاب رغب فى الإسلام ورغب فى جوارك فقال ما يبلغنى ذلك فأخرج
هنى ، فخرج حتى أتى الكوفة فأخرج منها فصار إلى مصر وهناك وجد مهده
بعد أن نفث ما نفث بالعراق اه) . قوله وفى البصرة إلى قوله فعزله عنهم
وولى بدله عبد الله بن عامر صحيح وعبد الله بن عامر العيشمى ابن خال

عثمان رضى الله تعالى عنه ولد في آخر العهد النبوى وكان جرادا شجاعا ميمونا ضم عثمان إلى عمله بالبصرة وما يتبعها فارس أيضا وكانت هذه انتقضت على المسلمين بعد موت عمر وتجمعوا لحربهم واستعدوا فغزاهم عبد الله بن عامر وفتح بلادهم كلها فتحاً جديداً ووطئهم وطأه شديدة ذلوا لها بعدها فلم تقم لهم قائمة وافتتح خراسان وسجستان وكرمان وغيرها حتى وصل إلى أطراف غزنة وقتل في أيامه يزدجرد ملك الفرس في بيت طحان وبهذا ظهر تقصيره في فتوحات ابن عامر والخلل في قوله (وكان له في أعمال الفتوح بالكوفة أثر جيد) ثم أحرم ابن عامر بعد فراغه من هذا الفتح العظيم بعمره من ينسابور شكراً لله تعالى وقدم بأموال عظيمة فرقها في قریش والأنصار . وقوله (وكان حكيم رجلاً لصاً إلى آخر الطعن فيه) اقتراء عليه بل هو رجل شريف في قومه ، قال الحافظ ابن عبد البر في الاستيعاب فيه : حكيم بن جبلة العبدى من عبد القيس أدرك النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ولا أعلم له رواية عنه ولا رؤية ، كان رجلاً صالحاً له دين مطاعاً في قومه بعثه عثمان رضى الله تعالى عنه إلى السند فنزلها ثم قدم على عثمان فسأله عنها فقال مأوها وشل ولصها بطل وسهلها جبل إن كثرت الجند بها جاعوا وإن قلوبها ضاعوا فلم يوجه عثمان إليها أحداً حتى قتل ، ثم كان حكيم بن جبلة هذا ممن يعيب عثمان من أجل عبد الله بن عامر وغيره من عماله اه فعيب حكيم لعثمان من أجل عماله لا يبيح للمحاضران يقول فيه ما لم يقله التاريخ الصحيح ونزول عبد الله بن سبأ عنده إن صح لا يدل على تأثره بضلاله . وقال في ابن سبأ هذا صفحة ٣٥ أيضا (أما الأمر في مصر فقد كان أشد مما في العراق فان ابن سبأ لما جاءها ألقى إلى الناس تعاليمه ومن ضمنها أنه كان لله ألف نبي ولكل نبي وصى وكان على وصى محمد ثم قال محمد خاتم الأنبياء وعلى خاتم الأوصياء ثم بعد ذلك من أظلم ممن لم يحز وصية رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ووثب على وصيه وتناول أمر الامة ثم قال بعد ذلك إن عثمان أخذها بغير حق وهذا وصى رسول

الله صلى الله عليه وسلم فانهضوا في هذا الأمر فحركوه وابدؤوا بالطعن على امرائكم وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تستميلوا الناس وادعوهم إلى هذا الأمر فبث دعائه وكاتب من كان استفسد في الأمصار وكاتبوه ودعوا في السر إلى ما عليه رأيهم وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وجعلوا يكتبون إلى الأمصار بكتب يضعونها في عيب ولاتهم ويكاتبهم إخوانهم بمثل ذلك ويكتب أهل كل مصر منهم إلى مصر آخر بما يصنعون فيقرؤه أولئك في أمصارهم وهؤلاء في أمصارهم حتى تناولوا بذلك المدينة وأوسعوا الأرض إذاعة وهم يريدون غير ما يظهرون ويسرون غير ما يريدون فيقول أهل كل مصر إننا لنفي عافية مما ابتلى به هؤلاء الناس إلا أهل المدينة فانه جاءهم ذلك عن جميع الأمصار فاتوا عثمان فقالوا يا أمير المؤمنين أياتيك عن الناس الذي ياتينا فقال لا والله ما جاءني إلا السلامة فاخبروه فأشاروا عليه أن يبعث إلى الأمصار من يستقي أخبارها ويعلم علم ما فيها فندب لذلك رجلاً سيرهم إلى الأمصار ، فسير محمد بن مسلمة إلى الكوفة ، وأسامة بن زيد إلى البصرة وعبدالله بن عمر إلى الشام وعمار ابن ياسر إلى مصر ، وفرق رجلاً سواهم في البلاد الأخرى فأقبل جميعهم إلا عماراً ، فقالوا أيها الناس ما أنكرنا شيئاً ولا أنكره أعلام المسلمين ولأعوامهم أما عمار فقد ورد إلى عثمان ككتاب من عبدالله بن سعد بن أبي سرح أمير مصر يخبره أنه قد استماله قوم بمصر وانقطعوا إليه ، منهم عبد الله بن السوداء وخالد بن ملجم وسودان بن حمران وكنانة بن بشر اه) .

أقول لقد أعظم المحاضر شأن ابن سبأ هذا حتى جعله قائد زعماء الفتنة التي قامت في وجه عثمان وهو عند من سبر التاريخ الاسلامي الصحيح أقل وأذل من هذا كله وقد قدمت أن فتنة التجني على الخلفاء تأسست في الكوفة في عهد الفساروق وعظم شررها وطار إلى الأمصار بعد مضي ست سنين من خلافة عثمان والكثير من قادتها كانوا متبوعين مطاعين في عشائرهم فليست بهم حاجة في شبهها إلى ابن سبأ فمن المحال جواز ضلالاته عليهم

وتأثيرها في جمهورهم الأذكياء. وأقصى ما يقال في هذا الضال أنه انضم إلى المشغبين على عثمان بمصر فصار من جملة من يمكنه أن يثبت سمومه لبعض الأغبياء ولادليل في التاريخ على أن الكتب التي بثت في الأمصار من بعضهم لبعض وللمدينة على أن مصدرها ابن سبأ بل المتعين في مصدرها إن صحت هم قادة الفتنة في الأمصار من قبل هذا الشق حتى في مصر التي هي مستقره ويدل لهذا لفظ جميع الأمصار له ماعداها ويدل له أيضا ما سياتي في ابن أبي حذيفة أنه القائد الأعظم لها بمصر ، وقد أسهب المحاضر في شأنه معتمداً على رواية ابن جرير عن سيف المعروف ، وهي مشتملة إجمالاً على رمي جميع العرب والصحابة وعثمان وعماله بالتغفيل وفيها من التدافع ما هو ظاهر للعاقل. فنه قال كان عبد الله بن سبأ يهودياً من أهل صنعاء أمه سوداء فاسلم في زمن عثمان ثم تنقل في بلدان المسلمين يحاول ضلالتهم فبدأ بالحجاز ثم البصرة ثم الكوفة ثم الشام فلم يقدر على ما يريد عند أحد من أهل الشام فأخرجوه حتى أتى مصر. فإذا كان معروفاً إسلامه في زمن عثمان ونسبه وبلده عند العرب الذين هم أذكي الأمم إذ ذاك فهل يعقل استقلاله بهذه الفتنة العظمى في جميع الأمصار وقد ثبت من قبله وهل يعقل انخداعهم به وانقيادهم له مع حاله هذه .

وقوله تنقل في بلدان المسلمين يحاول ضلالتهم يدل على تنبهم له وعدم التفاتهم إليه .

وقوله فلم يقدر على ما يريد عند أحد من أهل الشام فأخرجوه يقتضى أنه قدر على ما يريد في الحجاز والبصرة والكوفة وهو غير صحيح ولم يستقر فيها إن كان وجد مرتعاً خصيباً لبث سمومه فيها وقد أخرجه الكوفتان كما أخرجه الشام . وأما المدينة التي فيها سادة الأمة النبلاء فلا مطمع له فيها أبداً ومنه وأوسعوا الأرض إذاعة مع قوله فيقول أهل كل مصر إنا لفي عافية مما ابتلى به هؤلاء الناس إلا أهل المدينة فانهم جاءهم ذلك عن جميع الأمصار فكيف يقول أهل كل مصر إنا لفي عافية مما ابتلى هؤلاء الناس ثم يكتب

جميعهم لأهل المدينة بما هم فيه من البلاء وكيف تأتي هذه الكتب التي تحمل
البلاء من جميع الأمصار لأهل المدينة كلهم أو جلهم كما هو ظاهر إطلاقه ولم
يعلم بها الخليفة عثمان حتى أنوه وقالوا له يا أمير المؤمنين أيأتيك عن الناس
الذي يأتينا فقال لا ، والله ما جاءني إلا السلامة . فمن المحال والحال هذه عدم
علمه بها قبل إخبارهم له بها . فإن كانت هذه الكتب جاءت لأهل المدينة أو
لأعيان الصحابة منهم فلم لم يسم من المكتوب إليهم ولو واحدا أو يبين
كونها موقعة أو غير موقعة فإن كانت موقعة فلم لم يسم أسماء موقعيها من
الأمصار الثلاثة ، ولو ثلاثة أشخاص . على الأقل ، ولم لم يخبر أهل المدينة
الذين جاءتهم هذه الكتب من الأمصار عثمان بأسماء مرسلها وهو من تمام
إخلاصهم له حيث جاءوا فأخبروه بها وأشاروا عليه بأن يبعث إلى الأمصار
من يستقي له أخبارها ويعلم علم ما فيها ، وإن كانت غير موقعة يعلمون من
أول الأمر أنها مفتعلة مراد بها الفتنة فيباعدون على كل حال بأخبار عثمان
بها قبل هذا ، وإن كان مراده بأهل المدينة الذين جاءتهم هذه الكتب من
الأمصار أعلام مهاجري قریش عليا وطلحة والزبير وسعدا وغيرهم على
زعمه سابقا أنهم هم الذين حركوا هذه الفتنة على عثمان واستخدموا لها
العامية في الأمصار (وقد أبطلته بالبراهين مفصلا) فلا يعقل إتيانهم إليه
وإخباره بها وإشارتهم عليه بأن يبعث إلى الأمصار من يستقي أخبارها إلا
إذا كان على سبيل النفاق والغش له (وقد أعاذهم الله من ذلك) وبرأهم
التاريخ المتواتر والمسلمون جميعا من ذلك . ومنه أيضا قوله
وأوسعوا الأرض إذاعة أي ابن السوداء وأتباعه ملأوا الأمصار
كلها بإذاعة فتنهم هذه فكيف يتفق هذا مع قول الذين بعثهم عثمان إلى
الأمصار ليسبروا أحوالها لما رجعوا إلى المدينة . أيها الناس ما أنكرنا
شيئا ولا أنكره أعلام المسلمين ولا عوامهم فإن أوسع هذا الشقي وأتباعه
الأمصار النسائية عن مركزه إذاعة فحصر التي هي مركزه تكون كلها
على مقتضى كلامه مملوءة بها من باب أولى وحينئذ كيف لم يتنبه له ابن أبي

سرح عامل مصر إلا بعد مجيء عمار منتخباً من الخليفة لسبر أحوالها هذا لا يعقل وقد كذبه التاريخ فيها وفي غيرها من الأمصار ، وكيف خيب عمار ثقة الخليفة به فخانه واستماله أو باش لا خلاق لهم ولا دين فإن فرض انه خان خليفته الذى وثق به وانقلب مع الثائرين عليه فلم لم ينضم إلى القائد الأعظم لهذه الفتنة بها ابن أبى حذيفة وهو قرشى من قرابة عثمان فيكون تأثيره معه على عثمان أشد من انضمامه لابن السوداء ولم لم يستمليه وينقطع إليه ابنا أبى بكر وحذيفة لمكانته في الإسلام ومجامعته لهما في القرشية ولا غنى لهما عنه وكيف تركا من لا خلاق له يستمليه وهما البارزان المطاعان فيها هذا افتراء على عمار لا يعقل ، هذا التدافع والتخبط والطعن في الصحابة قد استقريناه في كل خبر يرويه ابن جرير عن سيف بن عمر المتهم بالزندقة الذى لا يروى إلا عن المجهولين .

وقال في صحيفة ٣٦ (وكان من أشد المؤلبيين على عثمان بمصر رجلان محمد بن أبى حذيفة وكان الذى دعاه إلى ذلك انه كان يتقيا في حجر عثمان فكان عثمان والى أهل بيته ومحتمل كلهم قسالة محمد عثمان العمل حين ولى فقال يا بنى لو كنت رضى ثم سالتنى العمل لاستعملتك ولكن لست هناك قال فاذن لى فلا أخرج فلا أطلب ما يقوتنى قال اذهب حيث شئت وجهزه من عنده وحمله وأعطاه فلما وقع إلى مصر كان فيمن تغير عليه أن منعه الولاية ، والثانى محمد بن أبى بكر وقد كان من الإسلام بالمحبل الذى هو به وغره أقوام فطمع وكانت له دالة فلزمه حق فاخذته عثمان من ظهره ولم يداهن فاجتمع هذا إلى هذا فصار كما يقول سالم بن عبد الله بن عمر منذماً بعد ان كان محمداً وإنما مال إليهم عمار بن ياسر لأنه كان كذلك حاقداً على عثمان فقد قال سعيد بن المسيب انه كان بينه وبين عباس بن عتبة بن أبى لهب كلام فضر بهما عثمان وكان قنفذاً اه ،

أقول : محمد بن أبى حذيفة ولد بارض الحبشة كان أبوه من السابقين الاولين : استشهد باليامة فضم عثمان محمداً هذا إليه ورباه فلما كبر واستخلف

عثمان استأذنه في التوجه إلى مصر فاذن له فكان أشد الناس تأليفاً عليه وصار عميد الفتنة بها. قالوا كان يكتب الكتب على السنة أزواج النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في الطعن على عثمان وكان يأخذ الرواحل فيحضرها ثم يأخذ الرجال الذين يريد أن يبعث بذلك معهم فيجعلهم على ظهر يدت في الحر فيستقبلون بوجوههم الشمس ليلوحهم تلويح المسافر ثم يأمرهم أن يخرجوا إلى طريق المدينة ثم يرسلوا رسلاً ليخبروا بقدمهم فيأمر بتلقيهم فإذا القوا الناس قالوا لهم ليس عندنا خبر الخبر في الكتب فيتلقاهم ابن أبي حذيفة ومعه الناس فيقول لهم الرسل عليكم بالمسجد فيقرأ عليهم الكتب من أمهات المؤمنين إنا نشكو اليكم يا أهل الاسلام كذ وكذا من الطعن على عثمان فيضج أهل المسجد بالبكاء والدعاء ، ولما توجه ابن أبي سرح عامل مصر إلى عثمان حين طلب عمال الأمصار ليستكشف منهم أمر هذه الفتنة العظيمة التي قامت عليه ويشاورهم استناب عليها السائب بن هشام العامري فوثب ابن أبي حذيفة على هذا فخلعه وتأمر على مصر ولما رجع ابن أبي سرح إلى مصر منعه ابن أبي حذيفة من دخولها فرجع إلى الرملة فمكث بها حتى مات سنة ست وثلاثين . وقد جهز ابن أبي حذيفة جيش المصريين الذين ذهبوا إلى عثمان وحاصروه حتى قتلوه ثم سار إليه معاوية في جيش كثيف قبل ذهابه إلى صفين فقتله بحيلة .

ومحمد بن أبي بكر ولد عام حجة الوداع ونشأ في حجر علي لأنه تزوج أمه بعد وفاة الصديق حضر مع علي الجمل وصفين وولاه على مصر بعد قيس ابن سعد بن عباد فجهز إليه معاوية جيشاً فقتل سنة ثمان وثلاثين ولما بلغ قتله عائشة رضى الله عنها حزنت عليه جداً وتولت تربيته ولده القاسم فذشأ في حجرها فكان من أفضل أهل زمانه وصار أحد فقهاء المدينة السبعة المشهورين . وقوله (فصار كما يقول سالم بن عبد الله بن عمر مذمماً بعد إن كان محمداً) لا فائدة فيه لقائله إن صح عنه ولا لحاكميه ولا لعثمان رضى الله تعالى عنه سوى الغيبة ومن الجائز في قدرة القادر الحكيم إرضاء عثمان رضى

الله عنه يوم القيامة عن جميع خصمائه أهل لا إله إلا الله إلا من استحل قتله فضلاً عن ابن الصديق . وقوله (وإنما مال إليهم عمار بن ياسر لأنه كذلك حاقداً على عثمان) غير صحيح فقد كان راضياً عنه فقد روى أبو الزناد عن أبي هريرة أن عثمان لما حوصر ومنع الماء قال لهم عمار سبحان الله قد اشتري بشر رومة وتمنعوه ماءها خلوا سبيل الماء ثم جاء إلى علي وسأله إنفاذ الماء إليه فأمر براوية ماء ، وقد روى أيضاً أنه رضى الله عنه لما أنصفه بحسن الاعتذار رضى عنه . فما للبتدعة والوضاعين ومقلديهم لا يرضون وما مثلهم في هذا إلا كما قيل رضى الخصمان ولم يرض القاضى . وقوله (فقد قال سعيد بن المسيب الخ) لم أعر على صحة هذا الكلام الذى وقع بين عمار وعباس بن عتبة ولا على تفصيله والمحاضر نقله من التاريخ على علاقته بهما كعادته محققاً دينه غيره فعلى تقدير صحته لا يقدح فى عدالة عمار وصحبته كما تقدم فى قصة الوليد بن عقبة ولا يلزم من ضرب عثمان له بقاؤه حاقداً عليه بعده .

طعنه فى أبى ذر

وإبطال ذلك بوجهين

قال أيضاً فى صفحة : ٣٦ و ٣٧ منه أما الحال فى الشام فقد كانت أحسن الأحوال لما عرف به معاوية من الحزم والضبط إلا أنه كان فيها حادثة استعملها أولئك الضالون فى التشنيع على عثمان وعماله وذلك أن ابن السوداء لما أتى الشام جاء أبا ذر فقال يا أبا ذر ألا تعجب من معاوية يقول المال مال الله إلا أن كل شىء لله كأنه يريد أن يحتججه دون المسلمين ويمحو اسم المسلمين فأتاه أبو ذر فقال ما يدعوك إلى أن تسمى مال المسلمين مال الله ، قال يرحمك الله يا أبا ذر ألسنا عباد الله والمال ماله والخلق خلقه والأمر أمره ، قال فلا تقله ، قال فإني لا أقول أنه ليس لله ولكن سأقول مال المسلمين . ثم أتى ابن السوداء أبا الرداء . فقال له أبو الرداء من (٣٧ - تهذيب العبقري)

أنت أظنك يهوديا ، ثم أتى عبادة بن الصامت فتعلق به وأتى به معاوية فقال هذا والله الذى بعث عليك أبا ذر . ثم قام أبو ذر بالشام وجعل يقول يا معشر الأغنياء واسوا الفقراء بشر الذين يكفون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله بمكاو من نار تكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم فما زال حتى ولع الفقراء بمثل ذلك وأوجبوه على الأغنياء وحتى شكوا الأغنياء ما يلقون من الناس فكتب معاوية إلى عثمان بذلك فأمره عثمان أن يجهز إليه أبا رز فأرسله إليه فلما قدم عليه ورأى المجالس فى أصل سلع قال بشر أهل المدينة بغارة شعواء وحرب مذكارة ولما دخل على عثمان قال يا أبا ذر ما لأهل الشام يشكون ذرب لسانك فأخبره أنه لا ينبغى أن يقال مال الله ولا ينبغى للأغنياء أن يقتنوا مالا ، فقال يا أبا ذر على أن أقضى ما على وآخذ ما على الرعية ولا أجبرهم على الزهد وأن أدعوهم إلى الاجتهاد والاقتصاد وكان هذا رأى الاشتراكية متمكناً من أبى ذر وقد وجد الخليفة أنه رأى فائل فأمر أبا ذر أن يخرج إلى الربة فيقيم بها ويقال أن أبا ذر هو الذى طلب منه ذلك فسيره وأجرى عليه رزقاً وعلى رافع بن خديج مثله ، وقد توفى أبو ذر بالربة سنة ٣٢ وكان من السابقين إلى الاسلام أما الحال فى المدينة فقد كانت تلك الكتب التى يرسلها السبئيون سبباً لكثرة الحديث فى عمال عثمان وفشو القالة حتى تأثرت بذلك نفوس الكثير منهم وفيهم من هو حاقد على عثمان لأسباب تخصه ، وقد بلغ الحال أن بعضهم واجه عثمان بما يسوءه من الكلام فكان يتحمل ذلك بصبر) اهـ . أقول هذا الكلام المتعلق بقصة أبى ذر مع معاوية بالشام خبر مطول رواه ابن جرير عن سيف المعروف فى ص ٢٢٥ و ٢٢٦ ج ٢ من الطبعة الجديدة وقد تصرف فيه المحاضر بالحذف والزيادة ، فحذف من وسطه بعد قوله فكتب معاوية إلى عثمان بذلك ما نصه : فكتب إليه عثمان أن الفتنة قد أخرجت خطمها وعينها فلم يبق إلا أن تثب فلا تنكأ القرع وجهز أبا ذر وابعث معه دليلاً وزوده وارفق به وكفكف الناس ونفسك ما استطعت فانما تمسك

ما استمسكت، فبعث بأبي ذر ومعه دليل فلما قدم المدينة النخ : ومن آخره بعد قوله وأن أدعوههم إلى الاجتهاد والاقتصاد قال فتأذن لى فى الخروج قان المدينة ليست لى بدار ، فقال أو تسبدل بها إلا شرا منها ، قال امرنى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أن أخرج منها إذا بلغ البناء سلعا قال فانفذ لما أمرك به ، قال فخرج حتى نزل الربرة فخطبها مسجدا واقطعه عثمان صرمة من الابل وأعطاه مملوكين وأرسل اليه أن تعاهد المدينة حتى لا ترد أعرابيا ففعل . هذا آخر الخبر وزاد فيه قوله (فامر أبا ذر أن يخرج إلى الربرة . وزاد فيه أيضا قوله وعلى رافع بن خديج مثله . وزاد عليه قوله أما الحال فى المدينة فقد كانت تلك الكتب إلى آخر الكلام وبعد فهذا الكلام المسوق للطعن فى أبى ذر رضى الله تعالى عنه ، بالتغفيل والانخداع بابن سبأ ووصم المحاضر له بالاشترائية كله باطل بوجهين : الأول روى ابن جرير أيضا ص ٣٧٨ ج ٣ الطبعة الجديدة عن سيف ابن عمر بطل الروايات المتدافعة الطاعنة فى الصحابة رضوان الله عليهم خبراً مطولا مناقضاً لهذا يدل صراحة على أن ابن السوداء لم يستطع بث ضلاله فى الشام أصلا ونص الحاجة منه من أوله قال كان عبد الله بن سبا يهودياً من أهل صنعاء أمه سوداء فأسلم زمان عثمان ثم تنقل فى بلدان المسلمين يحاول ضلالتهم فبدأ بالحجاز ثم البصرة ثم الكوفة ثم الشام فلم يقدر على ما يريد عند أحد من أهل الشام فاخرجوه حتى أتى مصر ، وقد قررته قريباً ، فقد صرح سيف فى هذا الخبر الذى رواه ابن جرير عنه فى حوادث سنة خمس وثلاثين أى فى السنة التى قتل فيها عثمان بان ابن السوداء لم يقدر على ما يريد عند أحد من أهل الشام فاخرجوه ، وفى هذا الخبر الذى أنا بصدد نقضه الذى رواه ابن جرير أيضا عنه فى حوادث سنة ثلاثين للهجرة ص ٣٣٥ ج ٣ صرح بان ابن السوداء قدر على ما يريد عند واحد من أهل الشام وهو أبو ذر صاحب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا تناقض ظاهر فى الخبرين والأول أضرب عنه المحاضر صنفا لما ذكر سابقا ما عمله ابن

سبأ في مصر فلم يصرح به لعدم موافقته لهواه وهو الطعن في الصحابة
وصرح بهذا الثاني لموافقته لهواه .

الثاني الصحيح في قصة أبي ذر مع معاوية ما رواه الامام البخارى في
صحيحه عن زيد بن وهب قال: مررت بالربذة فاذا بأبي ذر فقلت ما أنزلك
هذا المنزل، قال كنت في الشام فاختلفت أنا ومعاوية في هذه الآية ((والذين
يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم)) الخ
فقال معاوية نزلت في أهل الكتاب ، فقلت نزلت فينا وفيهم فكان بيني
وبينه في ذلك كلام فكتب إلى عثمان يشكوني ، فكتب إلى عثمان أن أقدم
المدينة فقدمتها فكثر على الناس حتى كأنهم لم يروني قبل ذلك فذكرت ذلك
لعثمان ، فقال ان شئت تنحيت فكننت قريبا فذاك الذي أنزلني هذا المنزل
ولو أمر على عبد حبشي لسمعت وأطعت اه .

والقول بأن الآية المتناظر فيها نزلت في أهل الكتاب تفرد به معاوية
والقول بأنها نزلت فينا وفيهم قال به جمهور الصحابة قال القرطبي وهو
الصحيح وعليه فالمعروف من مذهب أبي ذر رضى الله تعالى عنه الذي خالف
فيه الجمهور أنه يوجب على المسلم إخراج ما زاد على قوت يومه وهذا
المذهب مندرج تحت قواعد الشرع وغايته ترك التوسع في المباح من المال
والاخذ منه بقدر الضرورة وهو المسمى بالعزيمة وهذا لا يعاب على من
قواه الله على ذلك ووفقه بل يمدح عليه ودليله متين وهو ما أخرجه الامام
البخارى في صحيحه عنه قال قال لى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
يا أبا ذر قلت لبيك يا رسول الله ، قال : (أرأيت جبل أحد) فظننت أنه
يريد أن يرسلنى فى حاجة وقد مالت الشمس للغروب (ما أحب أن يكون لى
مثله ذهباً يبيت عندى منه دينار واحد إلا دينار أرصده لاهلى) ومن أدى
حق الله فى ماله ثم ترفه فيه بالافتناء والتوسعة على نفسه وعلى أهله فهو آخذ
بما أبيع له شرعاً غير ملوم ، وعلى مذهبه هذا فى الزهد فى الدنيا وشدة
التقشف طائفة من أجلاء الصحابة منهم عمر وعلى وأبو عبيدة وسلمان
رضى الله تعالى عنهم .

وقد ورد في فضل أبي ذر رضى الله تعالى عنه أحاديث كثيرة من أشهرها ما رواه الامام أحمد والترمذى وابن ماجه والطبرانى بسند جيد عن عبد الله بن عمرو مرفوعا (ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء بعد النبيين امرأ أصدق لهجة من أبي ذر) . وله شاهد أخرجه العسكرى عن أبي الدرداء بلفظ (ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء من ذى لهجة أصدق من أبي ذر) وأخرج أبو داود بسند جيد عن علي رضى الله تعالى عنه أنه قال فيه : وعاء ملئ علما ثم اوكىء عليه ، قالوا كان يوازى ابن مسعود في العلم ولم يشهد بدرا ولكن الفاروق ألحقه بالبدرين في العطاء وعلى هذا فن الجهل والوقاحة لمزه بالاشتراكية والتمسك فيها في قوله (وكان هذا الرأى الاشتراكي متمكنا من أبي ذر) ، والذي يحاول تحليل الربا وماتأخذه البنوك من الارباح كما رد عليه بذلك الشيخ إبراهيم السمنودى المنصورى برسالة سماها سيف أهل العدل على نحر من نازعوا في زماننا في تحليل ربا القرض والفضل ومحصلها أن هذا المحاضر وعبد العزيز جاويش وإسماعيل خليل المحامى قاموا يخطبون في دارالعلوم أمام جمهور من الناس حاولوا في خطبهم تحليل الربا بتمويهات لا يستغرب منه إطلاق الاشتراكية التى هى صفة الاباحية الملاحدة على عظيم من عظماء أصحاب محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وقوله : أما الحال في المدينة فقد كانت تلك الكتب التى يرسلها السبئيون سببا لكثرة الحديث في عمال عثمان وفشو القالة إلى آخر الهراء غير صحيح فلا دليل في التاريخ يدل على ثبوت اتيانها لاهل المدينة من زعماء الفتنة بالامصار فضلا عن كونها من السبئيين ، وتأثر نفوس كثير منهم بها مفرع عن ثبوت اتيانها اليهم واتيانها اليهم غير ثابت ، وقد التزم المحاضر دائما ركوب جادة الابهام والتدليس التى سننها الوضاعون الكائدون للاسلام مستسمنا لها قال (حتى تأثرت بذلك نفوس الكثير منهم) (وفيهم من هو حاقد على عثمان لاسباب تخصه) (وقد بلغ الحال أن بعضهم واجه عثمان بما يسوءه من الكلام فكان يتجمل ذلك بصبر) ألاسمى ولو واحدا من هذا الكثير الذين تأثرت

نفوسهم بتلك الكتب إن كانت صحيحة ، ألا سمي ولو واحداً من هؤلاء الحاقدين على عثمان لأسباب تخصهم إن كان الأمر صحيحاً . ألا سمي ولو واحداً من هذا البعص الذي واجه عثمان بما يسوءه من الكلام حتى يبحث في نقله بحثاً علمياً .

ثم ذكر المحاضر سبعة أمور نقيمها الثائرون على عثمان رضى الله تعالى عنه وهى أكثر من هذه فقد ذكر محب الدين الطبرى فى (الرياض النضرة فى مناقب العشرة) فى مناقبه رضى الله تعالى عنه تسعة عشر خصلة وأجاب عنها كلها جواباً شافياً ، والكثير منها مختلف عليه . ثم قال (وأحسن ما يقال فى الجواب عن جميع ما ذكر دعاة أهل البدع أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قد أخبر عن وقوع فتنة عثمان وأخبر أنه على الحق على ما تضمنه حديث كعب بن عجرة وفى رواية أنه على الهدى . خرج أحمد والترمذى وقال حسن صحيح وأخبر أنه يقتل ظلماً على ما تضمنه حديث ابن عمر من حديث الترمذى والبعوى وأمر صلى الله تعالى عليه وسلم باتباعه عند ثوران الفتنة على ما تضمنه حديث مرة بن كعب من حديث أبى حاتم وأحمد ومن شهد له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أنه على الحق وأنه يقتل ظلماً وأمر باتباعه كيف يتطرق إلى الوهم أنه على باطل ثم قد ورد فى الحديث الصحيح أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أخبره أن الله تعالى يقمصه بقميص وأن المنافقين يريدونه على خلعه وأمره ألا يخلعه وأكد عليه الأمر ألا يخلعه ، وفى بعض الطرق أنه توعد على خلعه وأمره بالصبر فامتلأ أمره وصبر على ما ابتلى به وهذا من أدل دليل أنه كان على الحق وما ذا بعد الحق إلا الضلال فمن خالفه يكون على الباطل كيف وقد وصف صلى الله تعالى عليه وسلم الذين أرادوا خلعه بالتفاق فعلم بالضرورة أن كل ما روى عنه مما يوجب الطعن عليه دائر بين مفترى عليه ومختلف وبين محمول على تقدير صحته على أحسن التأويلات ليكون معه على الحق تصديقاً لحبر النبوة المقطوع بصدقه اهـ) .

ثم قال المحاضر بعد ذكره جواب عثمان عن السبعة الأمور ، (فاكتنى عثمان بهذا الدفاع عن نفسه ولم يفعل شيئا مع ذلك الوفد بل أعادهم إلى أمصارهم اه) . أقول أى شيء يفعله معهم أكثر من إجابتهم عن مسائلهم التى زعموا أنه جار فيها وهم جمهور من الناس وراءهم فى الأمصار الثلاثة مئون يؤيدونهم على ضلالهم ولو كان الفاروق بدله ما زاد على هذا وقد أعضله طائفة من أهل الكوفة حين كانوا وحدهم قائمين بالتشغيب على الخلفاء من أجل عمالهم واتضح له افتراء تلك الشرذمة منهم على سعد بن أبى وقاص رضى الله تعالى عنه ولم يؤدبهم خشية تآثر قلوب عشائريهم والموالين لهم على قریش فيزداد تشغيبهم عليها انتشارا فى القبائل بل اكتفى بعزل سعد عنهم ورضى باسقاط حق نيلهم من عرضه الشريف. لذلك قال لسعد (هكذا الظن بك يا أبا اسحاق ولولا الاحتياط لكان سيلهم يبتسا) فإى احتياط غير توقعه رضى الله عنه توسع هذه الفتنة التى ظهر له ويصعبها فى أخيه سعد مع أنها إذ ذاك كانت ضئيلة محصورة فى الكوفة فإذا كان رضى الله عنه معذورا فى تركه تأديب تلك الشرذمة التى تبين له سيلها فعثمان رضى الله تعالى عنه يكون أعذر منه فى تركه تأديب جمهور من الناس وراءهم ألوف فى الأمصار الثلاثة ، وبهذا ظهر فساد كلامه هذا . ثم ذكر فى ص : ٤٠ ج ٢ خروج أهل مصر إلى عثمان وعددهم ما بين الستمائة والالف وخروج أهل الكوفة فى مثل عددهم وأهل البصرة كذلك ثم قال (وكانت أهواء أهل الأمصار الثلاثة مختلفة فاهل البصرة كانوا يريدون طلحة لأن ضياعه كانت ببلدهم ، وأهل الكوفة كانوا يريدون الزبير ، وأهل مصر كانوا يريدون عليا لتعاليم ابن السوداء ووجود ابن أبى بكر وهو ربيب على وابن أبى حذيفة بينهم اه) قوله فاهل البصرة كانوا يريدون طلحة لأن ضياعه كانت ببلدهم غير صحيح فلو كانوا كلهم يريدونه ما افرقوا لما جاءهم هو والزبير وعائشة على ثلاث فرق فرقة انضمت اليهم وفرقة حاربتهم وفرقة اعتزلت الجميع ، ولو كان أهل الكوفة كلهم يريدون الزبير لبادروا

اليه لما وصل الى العراق مع طلحة وعائشة قبل على ولما نهضوا كلهم مع أمير المؤمنين على ونصروه ، ولو كان المصريون كلهم يريدون عليا ما انقسموا أيضا الى فرقتين. فرقة وهم الاكثرون انضموا الى جماعة المسلمين وبايعوه وفرقة امتنعت من بيعته . فقواه لتعاليم ابن السوداء ووجود ابن أبي بكر وهو ريب على وابن أبي حذيفة بينهم فاسد لان تعاليم ابن السوداء التي ملأ بها الارض كلها اذاعة (كما زعم سابقا) كافية في أضلال المصريين كلهم واتفاقهم على بيعة على لا تحتاج الى انضمام ابن أبي حذيفة وابن أبي بكر اليه في التشغيب فانقسامهم الى فرقتين دل على أن ابن السوداء هذا أقل وأذل من أن يؤثر ضلاله في العرب العادية كما تقدم . وابن أبي حذيفة الذي هو القائد الاعظم لهذه الفتنة وابن أبي بكر ما كانا يدعوان المصريين لموالاة على وبغض عثمان . وانما كان منهما مجرد التشغيب على عثمان وتبخيصه لهم وأول تكلمهما في عثمان سنة احدى وثلاثين في غزوة الصواري ، أظهر اعيه وما غير وما خالف به أبا بكر وعمر ويقولان استعمل عبد الله بن سعد رجلا كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قد أباح دمه ونزل القرآن بكفره وأخرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قوما أدخلهم ونزع أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واستعمل سعيد بن العاص وابن عامر ففسد الناس بقولهما وتكلموا ما لم يكونوا ينطقون به . زاد ابن جرير عن ابن أبي حذيفة فيجعل يقول للرجل منهم أما والله لقد تركنا خلفنا الجهاد حقا. فيقول الرجل وأي جهاد فيقول عثمان بن عفان فعل كذا وكذا وفعل كذا وكذا حتى أفسد الناس فقدموا بلدهم وقد أفسدهم فأظهرا من القول ما لم يكونوا ينطقون به ، وهذه كتب التاريخ ناطقة بذلك مع كون هذا أقرب إلى عثمان من على وكون ابن أبي بكر ريب على لا يلزم منه دعوتهم إلى على ومن فهم منه هذا فقد افترى عليه وعلى حيلة وعلى التاريخ الاسلامي .

جمله لتاريخ مجيئ الشوار للمدينة

وحصارهم لعثمان وتحامله على على وإيضاح ذلك

قال في ص ٤٠ و ٤١ (ولما كانوا من المدينة على ثلاثة تقدم ناس من أهل البصرة فنزلوا ذا خشب وناس من أهل الكوفة فنزلوا الأعوص وجاءهم هناك ناس من أهل مصر وتركوا عامتهم بذي المروة وينظروا أهل وصل المدينة خبرهم لأنهم كانوا يخافون أن يستعد لهم أهل المدينة بحرب فأرسلوا لذلك رجلين فلما دخلا المدينة كلما عليا وطلحة والزبير وقالوا إنما نأتم هذا البيت ونستعفي هذا الوالى من بعض عمالنا ما جئنا إلا لذلك واستأذناهم للناس بالدخول فكلهم أبى ذلك عليهما فرجع الرائدان إلى قومهما وأخبراهم الخبر فاجتمع من أهل مصر نفر أتوا عليا ، ومن أهل البصرة نفر أتوا طلحة ومن أهل الكوفة نفر أتوا الزبير ، فسلم المصريون على على وعرضوا له بالأمر فرد عليهم رداً شديداً . وكذلك فعل طلحة والزبير بمن جاءهم فخرج القوم وأروهم انهم راجعون حتى انتهوا إلى عساكرهم وهى على ثلاث مراحل كي يفترق أهل المدينة ثم يكروا راجعين فافترق أهل المدينة لخروجهم فلما بلغ القوم عساكرهم كروا بهم فبغتوهم فلم يفجا أهل المدينة إلا والتكبير فى نواحيها فنزلوا مواضع عساكرهم وأحاطوا بعثمان وقالوا من كف يده فهو آمن فلزم الناس بيوتهم فأتاهم على فكلهم وقال ما ردكم بعد ذهابكم ورجوعكم عن رأيكم ، فقال المصريون أخذنا مع البريد كتابا بقتلنا ، وقال الكوفيون والبصريون جئنا ننصر أخواننا كما كانوا على ميعاد . فقال لهم على كيف علمتم يا أهل الكوفة ويا أهل البصرة بما لقي أهل مصر وقد سرتهم مراحل ثم طويتم نحونا . هذا والله أمر أبرم بالمدينة قالوا فضعه كيف شئتم لا حاجة لنا فى هذا الرجل ليعتزلنا ، ثم قالوا لعلى ان الله قد أحل لنا دم هذا الرجل قم معنا اليه قال والله لا أقوم معكم الى أن قالوا فلم كتبنا اليها ، فقال على والله ما كتبناكم كتابا فنظر بعضهم الى بعض (٢٨ - تحذير العبقرى)

(تأملوا كيف استعمل المفسدون اسمه ليهيجوا الناس) ثم تركهم على وخرج من المدينة ، ثم دخلوا بالكتاب على عثمان فقالوا كتبت فينا بكذا وكذا ، فقال انما هما اثنتان أن تقيموا على رجلين من المسلمين أو يميني بالله لا إله إلا هو ما كتبت ولا أملت ولا علمت وقد تعلمون أن الكتاب يكتب على لسان الرجل وقد ينقش الخاتم على الخاتم فقالوا قد والله أحل الله دمك ونقضت العهد والميثاق فتركهم عثمان وكان القوم يحاولون منه أن يخلع نفسه من الخلافة وهو يأبى وكان لا يزال يصلى بهم ثم منعوه من الصلاة في المسجد وحصلوه في داره اه) .

أقول : قد طمس وحذف بعض الحقائق من تاريخ فتنة الخوارج مع أعلام الصحابة وعثمان في مجيئهم اليه وحصارهم له وتحامل على على رضى الله تعالى عنه وقد كان عليه أن يوضحها ولا يخل بشئ منها وأنا أنقل بعضاً من التاريخ الذى تركه من كامل ابن الأثير ، فقله (فسلم المصريون على إلى قوله فخرج القوم وأروهم) فيه طمس واستقاط لبعض الكلام ، قال ابن الأثير : (فأتى المصريون عالياً وهو فى عسكر عند أحجار الزيت متقلداً سيفه وقد أرسل ابنه الحسن إلى عثمان فيمن اجتمع اليه ، فسلموا عليه وعرضوا عليه (أى الخلافة) فصاح بهم وطردهم وقال لقد علم الصالحون أن حبش ذى المروة وجيش ذى خشب والأعوص ملعونون على لسان محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فانصرفوا عنه ، وأتى البصريون طلحة فقال لهم مثل ذلك وكان قد أرسل ابنه إلى عثمان ، وأتى الكوفيون الزبير فقال لهم مثل ذلك وكان قد أرسل ابنه عبد الله إلى عثمان ، وفى قوله (فأتاهم على فكلمهم وقال ماردكم بعد ذهابكم الخ) نقض فى الكلام قال ابن الأثير : وأتاهم أهل المدينة وفيهم على فقال لهم ماردكم بعد ذهابكم فقالوا أخذنا مع برید كتابا بقتلتنا ، وأتى طلحة الكوفيين فسألهم عن عودهم فقالوا مثل ذلك ، وأتى الزبير البصريين فقالوا مثل ذلك ، وكل منهم يقول نحن نمنع اخواننا وننصرهم كأنما كانوا على ميعاد . فقال لهم على كيف علمتم يا أهل الكوفة ويا أهل

البصرة إلى قوله ليعتزلنا وقوله (ثم قالوا لعلى إن الله قد أحسن لنادم هذا الرجل قم معنا إليه قال والله لا أقوم معكم) من زيادته لم أقف عليه وعلى كل حال هو مختلف وكيف يقولون له أن الله قد أباح لهم دم ابن عمه فيسكت ولا يجيبهم كأنه راض بقولهم وهو البهمة المنطوق ويستحيل أن يقول لهم والله لا أقوم معكم لو صح كلامهم هذا ، وقوله (إلى أن قالوا فلم كتبت اليها فقال على والله ما كتبت لكم كتابا فنظر بعضهم إلى بعض) تاملوا كيف استعمل المفسدون اسمه ليهيجوا الناس . طمس أيضا للتاريخ وخيانة فيه وتحامل على على تقليداً لرواية ابن جرير ، قال ابن كثير في بدايته وذكر ابن جرير . أن الصحابة كتبوا إلى الآفاق من المدينة يأمرون الناس بالقدوم على عثمان ليقاتلوه ، وهذا كذب على الصحابة وإنما كتبت كتب مزورة عليهم ، كما كتبوا من جهة على وطلحة والزبير إلى الخوارج كتباً مزورة عليهم أنكروها . وهكذا زور هذا الكتاب على عثمان أيضاً فإنه لم يامر به ولم يعلم به أيضاً أهـ . قلت وبهذا علم جهله للتاريخ وخيائته وتبين فساد قوله بين قوسين (تاملوا كيف استعمل المفسدون اسمه ليهيجوا الناس) ، وإذا كان الخوارج قد زوروا كتباً على لسان أعيان الصحابة ومنهم أمهات المؤمنين وقد تقدمت قصة تزوير ابن أبي حذيفة عليهم فإى ذنب عليهم جميعاً فى ذلك . وأى ذنب على على وحده حتى خصه بهذا الهراء فكلامه هذا علاوة على ما ذكرنا فيه نصب محض . وقوله فنظر بعضهم إلى بعض يدل على أن الثائرين على عثمان قسماً : خادعون وهم رؤساء الفتنة الذين زوروا الكتب على لسان على وغيره من الصحابة ، ومروسون مخدعون قرئت عليهم تلك الكتب المزورة على لسان الصحابة فلما حلف على أنه ما كتب لهم تحير المخدعون فيه كيف يكتب لهم ويحلف أنه ما كتب لهم وربما غلب على ظنهم صدقه فى يمينه لذلك نظر بعضهم إلى بعض ولذلك عقبوا نظرهم كما ذكر ابن جرير بقولهم ، لهذا تقاتلون أو لهذا تغضبون ، وقول ابن كثير (وهكذا زور هذا الكتاب على عثمان أيضاً

فانه لم يأمر به ، ولم يعلم به أيضا) إشارة الى الكتاب الذى قال المصريون أنهم وجدوه بعد انصرفهم عن المدينة راجعين الى بلادهم مع البريد. فيه الأمر بقتلهم وقد طمس المحاضر كاتبه على لسان عثمان أيضاً فلم يعينه لسكونه من مسلمة الفتح المقدسين عنده أعظم من الصحابة وهو مروان كما ذكر التاريخ قال ابن كثير فى بدايته ، (وقد ذكر ابن جرير فى تاريخه باسانيده أن المصريين لما وجدوا ذلك الكتاب مع البريد الى مصر فيه الأمر بقتل بعضهم وصاب بعضهم وبقطع أيدي بعضهم وأرجلهم وكان قد كتبه مروان ابن الحكم على لسان عثمان متأولاً قوله تعالى ﴿ إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب عظيم ﴾ وعنده أن هؤلاء الذين خرجوا على أمير المؤمنين عثمان رضى الله تعالى عنه من جملة المفسدين فى الأرض ولا شك أنهم كذلك لكن لم يكن له أن يفتات على عثمان ويكتب على لسانه بغير علمه ويزور على خطه وخاتمه ويبعث غلامه على بغيره بعد ما وقع الصلح بين عثمان وبين المصريين على تأمير محمد بن أبى بكر على مصر بخلاف ذلك كله اه) .

ويمكن تزوير الشائرين له على لسان عثمان ويحتمله جوابهم للصحابة ولعلى رضى الله تعالى عنهم لما قال لهم هذا والله أمر أكرم بالمدينة فقالوا (فضعوه كيف شئتم لا حاجة لنا فى هذا الرجل) . وجزم به المعلق على كتاب العواصم والقواصم قائلاً ، أيها المسلمون فى هذا العصر وفى كل عصر إن الايدى المجرمة التى زورت الرسائل الكاذبة على لسان عائشة وعلى وطلحة والزبير هى التى زورت الرسالة المزعومة على لسان أمير المؤمنين عثمان الى عامله فى مصر فى الوقت الذى كان يعلم فيه أنه لم يكن له عامل فى مصر اه) . وأنا موافق له على تزوير الخوارج الكتب على لسان أعيان الصحابة وأمهاة المؤمنين جميعاً لا عائشة فقط كما جاء فى التاريخ وقد تقدم تزوير بن أبى حذيفة الكتب عليهن رضى الله تعالى عنهن ولكن جزمه بتزويرهم الكتاب

عليه الى عامله في الوقت الذي كان يعلم فيه انه لم يكن له عامل في مصر ،
فيه نظر وذلك لانه اذا كان يعلم انه لا عامل له في مصر فلا حاجة له في
اجابته عن هذا الكتاب بمحضر جماعة من أعيان الصحابة ، لما قالوا له
الكتاب عليه خاتمك بقوله أن الرجل قد يزور على خطه وخاتمه قالوا فانه
مع غلامك وعلى جملك فقال والله لم أشعر بشيء من ذلك فحلف
لهم بالله العظيم وهو الصادق البار الرشيد انه ما كتبه ولا أملاه
على من كتبه ولا علم به . لا حاجة له الى هذا كله لانه يكفيه أن يقول
لهم . أتمتعون أنه لا عامل لي الآن بمصر فلمن اكتب ، ويكون
هذا الجواب أيضا على القول بأن مروان هو الذي كتبه على لسانه
لانه من المحال علم الخليفة بانه لا عامل له اذ ذاك في مصر وجعل
ابن عمه وبطانته الخاص به مروان ذلك فتكون نتيجة كتابة هذا الكتاب
على مقتضى علم عثمان بما ذكر على كلا القولين العبث والعبث لا يحتاج إلى
ذلك الجواب الطويل العريض منه رضى الله عنه قال المعلق (ولا يعقل أن
يكون تدبير هذا الدور التمثيل صادرا عن عثمان أو مروان أو أى إنسان
يتصل بهما لأنه لا مصلحة لهما في تجديد الفتنة بعد أن صرفها الله) نعم
لا يعقل صدوره من عثمان رضى الله تعالى عنه ، أما مروان فيعقل صدوره
منه والمصلحة له فيه اعتقاده طاعة أكثرية المصريين لعثمان وهؤلاء الخوارج
أقلية يمكن الأمير أن ينفذ فيهم هذا العقاب بسهولة لأن الأكثرية معه
تؤيده على ذلك . وقد كتب عثمان رضى الله تعالى عنه في السنة التي قتل فيها
إلى ولاية الأمصار الثلاثة عبد الله بن عامر أمير البصرة ومعاوية بن أبي
سفیان وعبد الله بن أبي سرح أن يقدموا عليه فقدموا فوعظهم وشاورهم
في شأن هذه الفتنة الذائعة وكان ابن أبي سرح عامل مصر قد استتاب عنه
ابن عمه السائب بن هشام العامري وقيل عقبة بن عامر ، فوثب ابن أبي
حذيفة على نائبه فغلبه واستولى عليها وجر جيشا من الثأرين إلى عثمان ففى
ذهابهم إلى المدينة كان ابن أبي سرح قد رجع الى عمله فلما وصل الى حدودها

منعه ابن أبي حذيفة من دخولها فضى الى عسقلان وقيل الى الرملة فمكث بها حتى مات. وعلى هذا من أين علم عثمان أنه لا عامل له بمصر ومدة وفادة ابن أبي سرح عليه واستنابته وتغلب ابن أبي حذيفة وبعثه ذلك الجيش لعثمان ورجوع ابن أبي سرح لعمله وجيزة ، ولم ينقل التاريخ أن عثمان رضى الله عنه علم بأنه لا عامل له في مصر وقت مجيء الشوار إليه منها ولو نقل ذلك لكفاه في الاحتجاج في دفع ذلك الكتاب المزور عليه وإن جاز تزوير الشوار على خط عثمان وخاتمه ، وباختلاس جملة فغلامه لا يمكنهم تسخيرهم والتزوير به ولو تناهى في الغباوة ، وعلى إمكانه بالغلام أيضا إن كان هو الحامل له أما إن كان الحامل لهذا الكتاب أبا الأعور السلسى كما قال ابن كثير في بدايته (وروى ابن جرير من طريق محمد بن اسحاق عن عمه عبد الرحمن بن يسار : أن الذى كان معه هذه الرسالة من جهة عثمان إلى مصر أبو الأعور السلسى على جمل لعثمان) فلا يعقل تزوير الخوارج له به بل يتعين أن يكون المزور له مروان لأن أبا الأعور حليف بنى أمية فهو من أنصار عثمان جزما وقد كان من قواد معاوية بصفين وقوله (ثم تركهم على وخرج من المدينة) كذب لم يخرج على من المدينة إذ ذاك وذكر ابن الأثير كلاما كثيرا في هذه القصة ملخصه : أن عثمان جاء إلى على في بيته لما نزل المصريون ذا خشب فطالب منه أن يردهم عنه فقال على على أى شىء أردهم عنك قال على أن أصير إلى ما أشرت إليه ورأيت له فقال على إني قد كلمتك مرة بعد أخرى فكل ذلك نخرج ونقول ثم ترجع عنه وهذا من فعل مروان وابن عامر ومعاوية وعبد الله بن سعد فانك أطعتهم وعصيتنى قال عثمان فانا أعصيههم وأطيعك فأمر الناس فركب معه من المهاجرين والأنصار ثلاثون رجلا فأتوا المصريين فكلموهم وكان الذى يكلمهم على ومحمد ابن مسلمة فسمعوا مقاتلتهما ورجعوا إلى مصر ورجع على ومن معه إلى المدينة فدخل على عثمان فأخبره برجوعهم ثم خرج من عنده فمكث عثمان ذلك اليوم وجاءه مروان بكرة الغد فقال له تكلم وأعلم الناس أن أهل مصر

قد رجعوا وأن ما بلغهم عن إمامهم كان باطلا قبل أن يجيء الناس إليك من أمصارهم ويأتيك ما لا تستطيع دفعه ففعل عثمان وخطب الناس فقال له عمرو بن العاص اتق الله يا عثمان فانك قد ركبت أموراً ركبناها معك فتنب إلى الله تنب ونودی من ناحية أخرى تب إلى الله فرفع يديه وقال اللهم اني أول تائب، وذكر أيضاً كلاماً كثيراً مضمونه أن علياً لما رجع من عند المصريين بعد رجوعهم إلى عثمان قال له تكلم كلاماً يسمعه الناس منك ويشهدون عليك فان البلاد قد تمخضت عليك فلا آمن أن يجيء ركب آخر من الكوفة والبصرة فتقول يا علي اركب اليهم فان لم أفعل رأيتني قد قطعت رحلك واستخففت بحقك، فخرج عثمان فخطب وأعطى الناس من نفسه التوبة وقال لهم اذا نزلت فليأتني أشرافكم فليروا في رأيهم الى أن قال فيها فوالله لأعطينكم الرضا ولأنحين مروان وذويه ولا أحتجب عنكم فرق الناس وبكوا وبكى هو أيضاً فلما نزل وجد مروان وسعيدا ونفرا من بني أمية في منزله لم يحضروا خطبته وأن مروان استأذنه في الكلام فقالت له نائلة امرأة عثمان لا بل اصمت فانهم والله قاتلوه انه قال مقالة لا ينبغي له أن ينزع عنها فزجرها مروان ونال من أيها فأجابته فاستأذن عثمان في الكلام فأذن له فلامه على خطبته وقال له قد اجتمع بالباب أمثال الجبال من الناس فقال عثمان فأخرج اليهم فكلهمهم فاني أستحي أن أكلهم فخرج فشتهم وقال جئتم تريدون أن تنزعوا ملكنا من أيدينا اخرجوا عنا والله لن رمتهمونا ليرن عليكم منا أمر لا يسركم ولا تحمدوا غب رأيكم ارجعوا الى منازلكم فإننا والله ما نحن بمغلوبين على ما في أيدينا فرجع الناس وأخبر على بهذا فقال لعبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث أحضرت خطبة عثمان قال نعم قال أفحضرت مقالة مروان للناس قال نعم فقال على أي عباد الله يا للمسلمين إني إن قعدت في بيتي قال لي تركتني وقرابتي وحقى وان تكلمت فجاء ما يريد يسوقه مروان حيث يشاء بعد كبر السن وصحة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقام مغضبا فدخل على عثمان فقال له أما رضيت من

مروان ولا رضى منك الا بتحررك عن دينك وعقلك والله ما مروان بدى رأى فى دينه ولا نفسه وأيم الله انى لأراه يوردك ولا يصدرك وما أنا عائد بعد مقامى هذا لمعاتبتك أذهبت شرفتك وغلبت على رأيك ، فدخلت عليه امرأته نائلة بعد ما خرج على فقالت قد سمعت قول على لك وليس يعاودك وقد أطعت مروان يقودك حيث يشاء ، قال فما أصنع ، قالت تتقى الله وتتبع سنة صاحبك فانك متى أطعت مروان قتلك وليس له عند الناس قدر ولا هبة ولا محبة وانما تركك الناس لمكانه فأرسل الى على فاستصلحه فان له قرابة وهو لا يعصى ، فأرسل عثمان الى على فلم يات به وقال قد أعلمته أنى غير عائد ، فبلغ مروان مقالة نائلة فيه فجلس بين يدى عثمان فقال يا ابنة الفرافصة فقال عثمان لا تذكرها بحرف فاسود وجهك فهى والله أنصح لى فكف مروان ، وأتى عثمان الى على بمنزله ليلا وقال له انى غير عائد وانى فاعل ، فقال له على بعدما تكلمت على منبر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأعطيت من نفسك ثم دخلت بيتك فخرج مروان الى الناس يشتمهم على بابك ويؤذيهم فخرج عثمان من عنده وهو يقول خذلتنى وجرأت الناس على ، فقال على والله انى لأكثر الناس ذبا عنك ولكنى كلما جئت بشىء أظنه لك رضا جاء مروان باخرى فسمعت قوله وتركت قولى اه . فهذا التاريخ الذى سقته عن ابن الأثير كله يدل على مدافعة الصحابة عن عثمان رضى الله تعالى عنه وعنهم فى هذه الفتنة وخصوصا طلحة والزبير وعليهما وخصوصا هذا ، ومروان يزيد بها استعارا .

افتراؤه على عثمان وتمسكه فى لمز على

بالأباطيل وحكمه على ضمائر الصحابة

قال فى صفحة ٤١ و ٤٢ ج ٢ (وكان عثمان بدون ريب يفكر وهو محصور ان على بن أبى طالب لم يفعل ما يمكنه لرد هؤلاء الناس فكانت بينهما المراسلات يطلب اليه فيها أن يجتهد فى تخفيف هذا الحصار عنه ومن

ذلك مارواه أبو العباس محمد بن يزيد المبرد في كتابه الكامل ابن عثمان كتب الى علي وهو محصور (أما بعد فقد بلغ السيل الزبى وجاوز الحزام الطيبين وبلغ الأمر أشده ثم تمثل بهذا البيت :

فان كنت مأكولاً فكن خيراً كل والا فأدركنى ولما أمزق

وكانت حاشية عثمان من بنى أمية ترى أن لعل ضلعاً في هذا الأمر فكانت الوجوه تتقابل عابسة وتبدى عما في القلوب العيون فلم يكن هناك سبيل لعمل صالح في مصلحة المسلمين وقد أدت الحال الى أن ترك علي المدينة رأساً في هذه الفتنة التي نظن أنه لم يكن في امكانه قمعها الا أنه كان هناك شيء واحد في هذا الوقت الحرج وهو تناسي كل ما في النفوس لأن الأمر كان أعظم من أن يذكر كل فريق عيب صاحبه ولا يغيب عن الفكر أن رؤوس المسلمين لو كانت متفقة تماماً لأمكنهم أن يقاوموا هذا السيل الذي أقبل عليهم ولكن القلوب كانت قد انصدعت ألفتها فغلب السفهاء على الأمر وفعلوا ما فعلوا ، لو كان هناك نظر بعيد لرؤوس المسلمين الذين كانوا بالمدينة وفيهم القواد العظام والأئمة الاعلام لما كان لسفهاء الأمصار مهما كثر عددهم أن ينفذوا رغبتهم التي فرقت كلمة المسلمين اه) .

أقول قد تقرر عند العلماء قاطبة ان التاريخ نقل محض لا يبني على النظريات العقلية والباطيل والهوى ، وانما يبني مطلقاً على الروايات الموثوق بها فالجاري في تأليفه أو تقريره على واحدة من الثلاث أو على جميعها ليس من علم التاريخ في شيء لأنه في واد والتاريخ في واد آخر وهذا المحاضر لم يكتب من أول محاضراته الى آخر ما يتعلق بالصحابة فيها التاريخ الموثوق به وانما كتب هواه والباطيل وتخيلاته الفاسدة وزاد عليها بجراته الحكم على ضمائر الصحابة التي لا يطالع عليها إلا اعلام الغيوب وقد تقدم له هذا في عدة مواضع وقد حكم هنما أيضاً على قلب عثمان وافترى عليه وعلى حيدرة في قوله (وكان عثمان بدون ريب يفكر الى قوله ومن ذلك مارواه أبو العباس) ولم يكتب بمجرد جراته في حكمه على ضمير ذى النورين بل (٣٩ - تحذير العبقرى)

بالغ فجزم به بقوله. وكان عثمان بدون ريب يفكر الخ الهراء لبغضه لعلي
الذى أصمه وأعماه وجعله يتخبط في دياجير جهله وهواه ، ولقد رمى عثمان
رضي الله عنه بهذا الافتراء بالخور وضعف اليقين والثقة بالله فجعله
لا يفكر مدة الحصار الا في كون على لم يفعل ما يمكنه لرد هؤلاء الناس
عنه وقد تحقق رضي الله تعالى عنه أنه مقتول بخبر الذي لا ينطق عن
الهوى له بذلك وتبشير له بالجنة على بلوى تصيبه وانه شهيد كما في الأحاديث
الصحيحة المستفيضة ولذلك صبر واستسلم لقضاء الله المبرم وعزم على
الصحابة جميعاً أن يكفوا أيديهم ويلزموا بيوتهم كراهة أن تهراق دماء
المسلمين في بلد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بسببه. والتاريخ
الاسلامي الذي نبذه المحاضر ومشى على هواه مستفيض بهذا ، وقد جاءه
زيد بن ثابت فقال ان هؤلاء الانصار بالبواب يقولون ان شئت كنا انصار
الله (مرتين) فقال عثمان لا حاجة لي في ذلك كفوا ، وقال له أبو هريرة
اليوم طاب الضرب معك ، قال عزم عليك لتخرجن ، وكان الحسن بن
على آخر من خرج من عنده فانه جاءه مع أخيه الحسين وابن عمر وابن
الزبير ومروان فعزم عليهم في وضع سلاحهم وخروجهم ولزوم بيوتهم ،
فقال له ابن الزبير ومروان نحن نعزم على أنفسنا لا نبرح ففتح عثمان
بنفسه الباب ودخلوا عليه في أصح الأقوال فقتلوه ، وقد روى عبد الله بن
عامر بن ربيعة قال كنت مع عثمان في الدار فقال اعزم على كل من رأى
أن عليه سماً وطاعة إلا كف يده وسلاحه ثم قال قم يا ابن عمر -
وعلى ابن عمر سيفه متقلداً به - فأخبر به الناس . وقد ترقى فزاد
على هذا الافتراء على عثمان وحيدة بأن المراسلات (في مدة الحصار)
كانت جارية بينهما يطلب الاول فيها من الثاني أن يجتهد في تخفيف هذا
الحصار عنه وهذه المراسلات الكثيرة التي عبر عنها بصيغة الجمع مفتعلة
لا وجود لها في تاريخ الاسلام حتى في كتابي ابن جرير الذي هو عمدته
وابن الأثير مع وجود كثير من الأباطيل المتعلقة بالصحابة فيهما فهي من

وحى أستاذه الذى لقنه النصب لعل والحقيقة انه لم يكن فى جراب بهتانه
شئ من هذه المراسلات إلا ما عبر عنه بمن التبعية (ومن ذلك مارواه
ابو العباس محمد بن يزيد المبرد فى كتابه الكامل الخ الهراء) وهذا الكتاب
الذى ذكره المبرد موضوع لا أصل له نص عليه الحافظ أبو بكر بن العربى
فى كتابه العواصم من القواصم ولقد هزل علم الرواية والتاريخ عند من
يزعم انه يهذه وإنما هو مخربه ، ترك السهل التناول الذى دل على ان علياً
رضى الله تعالى عنه أشد الصحابة مدافعة عن عثمان رضى الله عنهما وذهب
يتسكع فى كتاب نحوى لاناقة له فى علم الرواية ولا جمل محاولا نطح صرح
مجد على الباطل . قال ابن الأثير فى كامله فى محاوره طويلة جرت بين الثوار
وبين عثمان رضى الله تعالى عنه فان الذين قاموا دونك ومنعوك منا إنما
يقاتلون لتمسكك بالأماره فلو خلعت نفسك لا نصر فوا عن القتال معك
فسكت عثمان ولزم الدار وأمر أهل المدينة بالرجوع وأقسم عليهم فرجعوا
إلا الحسن بن على وابن عباس ومحمد بن طلحة وعبد الله بن الزبير وأشباهاً
لهم فلما مضت ثمان عشرة ليلة من حصارهم له قدم ركبان من الأمصار
فأخبروا بخبر من تهيأ اليهم من الجنود وشجعوا الناس فعندها حالوا بين
الناس وبين عثمان ومنعوه كل شئ حتى المساء فأرسل عثمان إلى على سرا
وإلى طلحة والزبير وأزواج النبي صلى الله تعالى عليه وسلم . انهم قد منعوني
الماء فان قدرتم أن ترسلوا الينا ماء فافعلوا فكان أولهم إجابة على وأم حبيبة
زوج النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فجاء على فى الغلس فقال يا أيها الناس
ان الذى تفعلون لا يشبه أمر المؤمنين ولا أمر الكافرين فلا تقطعوا عن
هذا الرجل الماء ولا المادة فان الروم وفارس لتأسر فتطعم وتسقى ، فقالوا
لا والله ولا نعمة عين فرمى بعمامة بأنى قد نهضت ورجعت . وجاءت
أم حبيبة على بغلة لها مشتملة على إداوة فضربوا وجهه بغلتها ، فقالت ان
وصايا بنى أمية عند هذا الرجل فأحببت أن أسأله عنها لئلا تهلك أموال
الأيام والأراامل فقالوا كاذبة وقطعوا حبل البغلة بالسيف فنفرت وكادت

تسقط عنها فتلقاها الناس فأخذوها وذهبوا بها إلى بيتها ، وبلغ طلحة والزبير ما لقى على وأم حبيبة فلزموا بيوتهم ، وبقي عثمان يسقيه آل حزم في الغفلات فأشرف عثمان على الناس فاستدعى ابن عباس فأمره أن يحج بالناس وكان ممن لزم الباب ، فقال جهاد هؤلاء أحب إلى من الحج فاقسم عليه فانطلق اه) وبهذا وبما سبق نقله عن ابن الاثير وغيره ظهر للقراء ان المحاضر لم يكتب التاريخ الاسلامي الدال على مدافعة الصحابة عن عثمان وبرائتهم من دمه وإنما كتب هواه ، وقوله (وكانت حاشية عثمان من بنى أمية ترى ان لعل ضلعا في هذا الامر إلى قوله وقد أدت الحال إلى أن ترك على المدينة رأسا) ، تهمة فاجرة اتخذها منهم من لا صحبة له ولا قدر في الإسلام مروان واضرابه ذريعة لنيل الملك وراثة تحت ستار المطالبة بدم عثمان ، وقد كادت الفتنة تطفأ لولا ذلك الكتاب الذي زوره على لسان الخليفة وأرسله على جملة مع غلامه أو مع حليفهم أبي الاعور السلمي بتأديب المصريين ، بعد رجوعهم مقتنعين بتولية ابن أبي بكر عليهم ، وبذاءة لسانه التي كان يواجه بها الناس فزادت هيجان الثوار على عثمان من أجله خصوصا ومن توليته أقاربه عموما ومن أمعن في التاريخ يظهر له انه من جملة الاسباب التي أودت بحياة ابن عمه الخليفة المظلوم ، قال ابن كثير في بدايته في ترجمته (وكان كاتب الحكم بين يديه ومن تحت رأسه جرت قضية الدار ، وبسببه حصر عثمان ابن عفان فيها ، وألح عليه أولئك أن يسلم مروان اليهم فامتنع عثمان أشد الامتناع اه) ، وقال في موضع آخر (ومروان كان أكبر الاسباب في حصار عثمان لانه زور على لسانه كتابا إلى مصر بقتل أولئك الوفاء اه) ولم يصح له سماع من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ولا صحبة ذكره الحافظ ابن حجر في أول كتاب الشروط من فتحه ، وقال في إصابته لم أر من جزم بصحبته ، ثم كان من أسباب قتل عثمان اه. وقال الحافظ ابن عبد البر فيه في استيعابه (ولد على عهد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يره لانه خرج إلى الطائف طفلا لا يعقل ، وذلك ان رسول الله

صلى الله تعالى عليه وسلم كان قد نفى أباه الحكم إليها فلم يزل بها حتى ولى عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه فردّه عثمان فقدم المدينة هو وولده فى خلافة عثمان وتوفى أبوه فاستكتبه عثمان رضى الله تعالى عنه وضمه إليه فاستولى عليه إلى أن قتل عثمان ونظر إليه على رضى الله تعالى عنه يوماً فقال له ويحك وويل أمة محمد منك ومن بنيك اه . ولقد علم بنو أمية أن علياً برئ من دم عثمان قولاً وفعلاً كبراءة الذئب من دم يوسف عليه الصلاة والسلام وقد أقسم مراراً فى خطبه بأنه برئ من دمه ، وثبت عنه أنه قال لو شاءت بنو أمية أن أباهلهم عند الكعبة أنى برئ من دم عثمان لفعلت . قال ابن كثير فى بدايته وقد اعتنى الحافظ الكبير أبو القاسم بن عساكر بجمع الطرق الواردة عن على أنه تبرأ من دم عثمان وكان يقسم على ذلك فى خطبه وغيرها أنه لم يقتله ولا أمر بقتله ولا ماله ولا رضى به ولقد نهى عنه فلم يسمعوا منه ثبت ذلك عنه من طرق تفيد القطع عند كثير من أئمة الحديث اه . وقال ابن كثير أيضاً فى تفسير سورة الرحمن أخرج ابن أبى حاتم بسنده عن عمرة بن سويد قال كنت مع على بن أبى طالب على شاطئ الفرات إذ أقبلت سفينة مرفوع شراعها فبسط على يديه ثم قال يقول الله عز وجل ﴿ وله الجوار المنشآت فى البحر كالأعلام ﴾ والذى أنشأها تجرى فى بحوره ما قتلت عثمان ولا مالات على قتله ، وعلى أولى بعثمان من بنى أمية . قال محب الدين الطبرى فى الرياض النضرة (ذكر أولوية على بعثمان) عن وائل بن حجر أنه قال لمعاوية وقد عاتبه فى تخلفه عن نصرته فقال إنك قاتلت رجلاً هو أحق بعثمان منك ، قال وكيف يكون أحق بعثمان منى وأنا أقرب إلى عثمان فى النسب ، قلت إن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان أخى بين عثمان وعلى فالأخ أولى من ابن العم ، خرجه الطبرانى فى قصة طويلة بل ثبت عنه لعن قتلة عثمان والدعاء عليهم وقال المحب الطبرى أيضاً فى رياضته (ذكر لعن على قتلة عثمان ودعائه عليهم) عن محمد بن الحنفية أن علياً قال يوم الجمل لعن الله قتلة عثمان فى السهل والجبل

وعنه أن عليا بلغه أن عائشة تلعن قتلة عثمان فرفع يديه حتى بلغ بهما وجهه فقال أنا ألعن قتلة عثمان لعنهم الله في السهل والجبل مرتين أو ثلاثاً خرجهما ابن السمان وخرج الثاني الحاكمي ، وعن يحيى بن سعيد قال حدثني عمي أو عم أبي قال لما كان يوم الجمل نادى على في الناس : لا ترموا بسهم ولا تطعنوا برمح ولا تضربوا بسيف ولا تبدءوهم بقتال كلموهم باللطف وقال إن هذا يوم من أفلح فيه أفلح يوم القيامة قال فتوافقنا على ذلك حتى أتانا حر الحديد ثم إن القوم نادوا بأجمعهم يا ثارات عثمان قال وابن الحنيفة إمامنا معه اللواء فناده على يا ابن الحنيفة ما يقولون ، قال يا أمير المؤمنين يقولون يا ثارات عثمان ، قال فرفع على يديه وقال اللهم أكب قتلة عثمان اليوم لوجوههم . خرج به الحسين القطان وابن السمان في الموافقة ، وعن اسماعيل بن أبي خالد عن بعض أصحابه قال قال علي يوم الجمل ما يريد هؤلاء القوم ، قال يقولون قتلة عثمان قال فرفع يديه إلى السماء وقال اللهم جمل قتلة عثمان منك اليوم بخزي ، خرج به ابن السمان أيضاً ، وقوله (فكانت الوجوه تتقابل عابسة وتبدي عما في القلوب) رجم بالغيب فلو كان موجوداً في زمانهم ما استطاع أن يحكم على ما في قلوبهم . وقوله (وقد أدت الحال إلى أن ترك على المدينة رأساً) كذب تقدم أبطاله . وقوله (إلا أنه كان هناك شيء واحد إلى قوله من أن يذكر كل فريق عيب صاحبه) حكم على ما في نفوس بني هاشم وبني أمية وهو بهتان عليهم سيجازي عليه يوم القيامة جزاء الباهتين وأي شيء في نفوسهم حتى ينناسوه وأي تاريخ صحيح من تواريخ الاسلام ذكر أن في نفوسهم شيئاً على بعضهم وأي تاريخ صحيح من تواريخ الاسلام ذكر أن كل فريق منهم عاب صاحبه سبحانه هذا بهتان عظيم . وقوله (ولا يغيب عن الفسك إلى آخر الكلام) حكم على قلوب أعيان الصحابة وبهتان عظيم أيضاً ، وجواب قوله (لو كان هناك نظر بعيد لرؤس المسلمين الذين كانوا بالمدينة وفيهم القواد العظام والأئمة الأعلام لما كان لسفهاء الأمصار مهما كثير عددهم أن ينفذوا رغبتهم

التي فرقت كلمة المسلمين) هو ترك رئيسهم الأعظم ذى النظر البعيد والرأى
السديد الفاروق رضى الله تعالى عنه تأديب تلك الشرذمة من سفهاء الكوفة
الذين أسسوا هذه الفتنة العظيمة على الخلفاء ينفذون رغبتهم فى تفريق
كلمة أهل بلدهم ثم كلمة المسلمين جميعاً بشكاية سعد وعمار وغيرهما من
عماله الصالحين اجتهدا منه فى لم شعث المسلمين بالتغاضى عن حقوق الخاصة
لمصلحة العامة وقد تحقق افتراءهم وتشغيبيهم ومع ذلك قال لسعد لو لا
الاحتياط لكان أمرهم بينا وقال للصحابه : أعجب لمائة الف لا يرضون
عن أمير ولا يرضى عنهم أمير، وقال لهم أيضاً إن أهل الكوفة قد أعضلوني
ومع كون المسلمين كلهم معه يؤيدونه على تأديبهم .

المحاضرة الثامنة والعشرون

ص ٤٣ ج ٢ قال (أسباب مقتل عثمان « بيت عثمان » على وكيف انتخب ترجمته أول خطبة له « أول أعماله » اجمال الأسباب التي أدت إلى قتل عثمان بعد أن أتينا على تفصيل الحوادث التي أدت إلى هذه الفاجعة تتبعها بيان مجمل لما يستنتج من تلك الحوادث) .

ثم ذكر أربعة أسباب لقتله كلها باطلة اجمالاً وتفصيلاً لأن جل كلامه فيها طعن في الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين قد تقدم أبطاله وسأسردها واحداً واحداً ليراها القراء ثم أفند كل واحد منها .

ابطال الأسباب الأربعة التي ذكرها في مقتل عثمان

وذكر السبب الوحيد في قتله

قال (السبب الأول) مهما كان رؤساء الأمة مخلصين بعضهم لبعض يتعاونون فيما بينهم على قضاء المصالح العامة فقلما يجد مريد السوء سبباً للفتن والثورات ، وإذا انصدع شمل القلوب وحلت الكراهة محل المحبة والتحاسد محل التناصر انفسح المجال لرواد الفتن ومحبي الاضطراب وعلى هذا كان الحال في المدينة حاضرة الخلافة ومجمع رؤساء المسلمين والمرشحين منهم لولاية الأمر فان من يتصفح أحوالهم وما كان يبدو على ألسنتهم من الكلمات الشديدة المؤلمة في حق عثمان سواء في وجهه أو في غيبته يحكم أن النفوس قد انطوت على مكروه حتى كانوا يلقبونه في بعض الأحيان نعثلاً ونعثل رجل مصرى كان طويل اللحية شبهوه به للغض منه ويقول في لسان العرب إنهم لم يجدوا فيه عيباً سوى هذا وحتى قام من بينهم رجل أخذ العصا التي كان عثمان يخطب عليها فكسرها وهي عصا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقد أثرت كلمات في حق عثمان عن كثير من كبراء المدينة كل ذلك يقال ويفعل من غير بيان الأسباب التي أدت بهم

إلى مثل هذا ومن غير نظر إلى ما تحدّثه هذه الكلمات بين العامة خصوصاً إذا صادفت مبيجين مثيرين اهـ).

فقوله هنا (وإذا انصدع شمل القلوب إلى قوله لولاية الأمر) رمى بجميع الصحابة بالمدينة بالحسد والبغض لعثمان رضى الله تعالى عنه وحكم على ما فى قلوبهم وهو بهتان وافك مبين مضاد لما وصفهم الله به من الرحمة بينهم (رحماء بينهم) مناف لما وصفهم الله به من محبته لهم ومحبتهم له وذلتهم لآخوانهم المؤمنين (يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين) مناف لتسمية الله للهاجرين بالصادقين وللانصار بالمفلحين ، وقوله (فان من يتصفح أحوالهم إلى قوله سوى هذا) بهتان ثان مشتمل على افتراءين فى حقهم رضوان الله عليهم (١) ما كان يبدو على ألسنتهم الخ الهراء (٢) تلقبهم له بنعثل ولا يوجد منتسب إلى الإسلام تصفح أحوالهم فتحكم على ما فى نفوسهم بالبهتان الا هو وأضرابه حتى المبتدعة من الطائفتين الخوارج والرافضة لأن الخوارج يكفرونهم جميعاً مع عثمان والرافضة يكفرونهم ما عدا علياً وأولاده فانهم يقدسونهم فلا حاجة بهم إذا الى تصفح أحوالهم الا خفف من غلواء بهتانه بذكر بعض الكلمات المؤلمة التى قيلت لعثمان فى وجهه وفى غيبته ونسبتها لقائلها حتى يبحث فى نقله ولكن بما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى (إذا لم تستح فاصنع ما شئت) والذين لقبوه ينعثل انما هم الشوار وحاشا الذين يقرءون قوله تعالى ﴿ ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ﴾ أن يفوهوا بهذا اللقب ومن فاحش افتراءه حكمه على العام بحكم الخاص حكمه على أهل المدينة جميعاً (الصحابة رضوان الله عليهم) بالحسد والبغض اللذين تبديهما ألسنتهم بالكلمات الشديدة المؤلمة فى حق عثمان باساءة رجل واحد منهم الادب مع عثمان مبالغاً فى هذا الحكم القائل بحق الغائبة بقوله (وحتى قام من بينهم رجل أخذ العصا التى كان يخطب عليها فكسرها وهى عصا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) ، فان قيل المحاضر لم يحكم على جميع الصحابة

بالمدينة بما ذكر وإنما حكم على المرشحين لولاية الامر في زعمه فمن أين لكم تعميم حكمه في جميعهم ، قلت من مواضع من كلامه (١) من قوله وعلى هذا كان الحال في المدينة حاضرة الخلافة (٢) ومن قوله فان من يتصفح أحوالهم الخ (٣) ومن مبالغته بحتى الغائية في قوله حتى كانوا يلقبونه نعثلاً (٤) ومن مبالغته أيضاً بحتى الغائية في قوله : وحتى قام من بينهم رجل (٥) ومن تشكيك الرجل الذى كسر العصا فانه لم يكن من الرؤساء بل ولا من قريش وإنما هو من بنى غفار اسمه جهجاه وهو صحابي شهد بيعة الرضوان قام إلى عثمان رضى الله تعالى عنه وهو على المنبر فأخذ العصى من يده فوضعها على ركبته فكسرها فصاح به الناس فأصابته الاكلة في ركبته فما حال عليه الحول حتى مات ، أفيلزم من كون هذا الصحابي الغفارى حاقداً على عثمان في أمر يخصه أو ناقماً عليه توليته أقاربه كما نقمها الثائرون أن يكون جميع الصحابة بالمدينة أو الرؤساء المرشحون لولاية الامر حاقدين عليه أيضاً يتكلمون فيه بالكلمات الشديدة المؤلمة في حضوره وفي غيبته ويلقبونه بنعثل سبحانه هذا بهتان عظيم أليس صياح الناس الذى جملة أو حذفه عمداً في مسجد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (والمسجد مملوء بأهل المدينة) دليلاً كافياً على انهم كارهون لفعله هذا محبون لعثمان أليس تأديبه على فعله هذا حقاً خاصاً بعثمان دون الناس وقد ترك حقه فأى وزر يلحق الصحابة رضوان الله عليهم من كسر جهجاه عصا الخليفة وأى لوم يتوجه اليهم في عدم تأديبهم له بأكثر من صياحهم في وجهه إذا كان صاحب الحق قد تركه ، والصحابة ليسوا بمعصومين من صدور الذنوب منهم كما تقدم في قصة الوليد بن عقبة وصحبته لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم تحجزهم إن شاء الله عن الاصرار على الذنب إلى الموت بل يتوبون منه وقد أخذ الله تعالى حق عثمان من جهجاه معجلاً في الدنيا بأكلة في ركبته لينذهب إلى الآخرة وهو نظيف مطهر من هذا الذنب الذى ارتكبه في حق خليفته مع كون عثمان رضى الله تعالى عنه بجرأ في الكرم والاخلاق الفاضلة يجوز أن

يسامح يوم القيامة جميع الظالمين له من أهل لا إله إلا الله فكيف يحجمجاه الذى شاركه فى الصحبة ورضى الله عنه . وقواه (وقد أثرت كلمات فى حق عثمان عن كثير من كبراء المدينة الى آخر الهراء) بهتان ثالث مكرر يتلذذ بتكراره ويركب له دائماً جادة الكائدين للإسلام فى سادات المسلمين بدون خجل ، الا خرج منها فقر به قليلا من التاريخ بذكر بعض الكلمات المأثورة فى حق عثمان وتعيين بعض القائلين لها من كبراء المدينة الكثيرين حتى ينظر فيه .

قال (السبب الثانى) : كان عثمان معروفاً بخلق الحياء واللين ، أما الحياء فقد كان مشهوراً به فى جاهليته وفى اسلامه حتى قال فى حقه عليه الصلاة والسلام (ألا استحيى من رجل تستحيى منه الملائكة) وخلق الحياء يحمل صاحبه على الاغضاء عن كثير مما يكره . أما اللين فأن الرجل كان كثير التشاؤم يخاف الفتن على المسلمين ويود أن لا يكون فتح بابها على يده يعرف ذلك من استقرأ خطبه وكتبه حتى أن خطبته التى قالها على المنبر لأول مرة لم تخل من هذا . دعاه الخلق الأول إلى التسامح مع من يناله منهم أذى فى حق نفسه فهو لا يوجه إلى واحد منهم كلمة تسوء وهذا وإن حسن عند الحكماء فإنه لا يحسن أبداً فى سياسة الرعية بل لابد لمقام الخلافة من هيبة فى القلوب تقف بالناس عند الحد اللائق بهم انظروا إلى ما فعله عمر مع سعد بن أبى وقاص حين زاحم الجوع المحيطة بعمر ووصل إليه مدلاً بمركزه فإنه خفقه بالدرة وقال جئت لانتهاك سلطان الله فى أرضه فأحببت أن أعلمك أن سلطان الله لا يهابك فلا بد لسلطان الله من قوة تمنع عنه ضعفاً أو ذلة . والخلق الثانى جعله يمتنع من عمل أى تدبير لمعاينة المفسدين الذين رفعوا إليه وثبت أنهم يديرون حركة الفتنة من غير مبالاة أشار عليه ولاته حينما جمعهم لديه بالموسم أن يستعمل الشدة مع أولئك الذين يشيرون العامة بما يضعونه من الأحاديث الملفقة وكانت كلمة العمال فى ذلك واحدة فلم يعجباً بقولهم بل اختار اللين على الشدة لئلا يكون فاتحاً

باب الفتنه الذى يخيفه : ثم جاءه بالمدينة نفر من أولئك الناس وعلم مقصدهم وأشار عليه مشيره من أهل المدينة بعقوبتهم فلم يفعل بل اكتفى بأن دافع عن نفسه أمامهم بتلك الخطبة التى تلونها عليكم ثم تركهم يعودون إلى بلادهم فما زادهم ذلك إلا فساداً لأنهم ليسوا بطلاب حق تنفعهم الذكرى وتقنعهم الحجة ، وإنما هم طلاب شر يتطلبون الطريق إليه فكلموا أعجزهم باب عدلوا إلى غيره اهـ .

أقول : الصحابة كلهم متصفون بالحياء (والحياء من الإيمان) واختصاص عثمان رضى الله تعالى عنه بكثرة وبأنه أصدق الأمة فيه وباستحياء الملائكة منه ميزة له على جميعهم نطقت بها الأحاديث الصحيحة وقد عرّف المحققون الحياء بأنه (انقباض النفس عن القبيح خفاة اللوم) قالوا وهو وسط بين الوقاحة التى هى الجرأة على القبائح وعدم المبالاة بها والخجل الذى هو انحصار النفس عن الفعل مطلقاً . فتعريفه له بقوله : (وخلق الحياء يحمل صاحبه على الاغضاء عن كثير مما يكره) منطبق على تعريف الخجل . وقوله (فان الرجل كان كثير التشاؤم إلى آخر قوله انظروا ما فعله عمر مع سعد) غير صحيح ولقد كان وصفه لعثمان بالتشاؤم الذى لا يليق بمطلق المؤمنين فضلاً عن الكمل منهم مرة واحدة كافياً فى وصفه فكيف وقد زعم كثرة وقوله دعاه الحياء إلى التسامح مع من يناله منهم أذى إلى آخر الهراء فاسد لأنه نقد فيه وطعن فى الفاروق أيضاً يقتضى أن هبة مقام الخلافة لا تحصل إلا بشرطين ، بتوجيه الخليفة كلمة شتم لمن ناله منه أذى من رعيته وبخفقه بدرة وقد تركهما عثمان لحياهه فأخل بمقام خلافته وأتى بهما عمر فتمت له خلافته فنتيجة هذا الكلام اشتراطه فى الخليفة زيادة على ماضى له فى بحث الخلافة (من محبة الناس له ورضاهم به) أن يكون أيضاً شتاماً ضراباً بالهراوة والحكاية التى ذكرها عن عمر فى خفقه سعد بن أبى وقاص بالدرة رواها ابن جرير هكذا (حدثني الحارث قال حدثنا ابن سعد قال أخبرنا محمد ابن مصعب القرقيساني قال حدثنا أبو بكر بن عبد الله بن أبى مریم عن راشد

ابن سعد أن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه أتى بمال فجعل يقسمه بين الناس فازدحموا عليه فأقبل سعد بن أبي وقاص يزاحم الناس حتى خلس إليه فعلاهم عمر بالدرة وقال انك أقبلت لاثهاب سلطان الله فى الأرض فأجبت أن أعليك أن سلطان الله أن يهابك اه) وقد ذكرها سابقا فى مناقب عمر وهى باطلة من سبعة أوجه (الأول) اختلال اسنادها فالخارث مجهول ومحمد بن سعد فى الرواة كثير منهم الثقة ومنهم من صلب على الزندقة فهو مجهول أيضا ومحمد بن مصعب القرقيسانى ضعفه النسائى وقال أبو زرعة حدث بأحاديث منكورة وأبو بكر بن عبد الله بن أبى مریم الغسانى الحمصى اتفقوا على ضعفه وزيادة على هذا فقد ذكروا من روى عن راشد بن سعد ولم يذكروا فيهم أبا بكر بن عبد الله بن أبى مریم وراشد بن سعد الحمصى وإن كان ثقة فروايتهم عن عمر رضى الله تعالى عنه منقطعة لأن وفاته سنة ١٠٨ ووفاته أمير المؤمنين سنة ٢٣ فبين وفاتهما ٨٥ سنة على أنه لم يثبت لقيه له ، (الثانى) أن أمير المؤمنين عمر كان قد رتب لجميع رعيته مرتبات معينة فى بيت المال فلا حاجة بهم اذا إلى الازدحام عليه وقد قال واضع هذه القصة عليه انه أتى بمال فجعل يقسمه بين الناس فازدحموا عليه ، (الثالث) ازدحام الناس عليه ينافى هيبتهم له وقد قال فى مناقبه سابقاً عقب ذكره لهذه القصة مانصه : (كانت الرعية مع هذا تهابه مهابة شديدة ثم ذكر بعده أيضا قصة مفتعلة وهى فى ابن جرير أيضا عن أسلم مولاة مضمونها أن نفراً من المسلمين كلموا عبد الرحمن بن عوف يكلم لهم عمر انه قد أخشاهم حتى لا يستطيعوا النظر اليه . (الرابع) ازدحام الناس عليه يستلزم دفع القوى منهم الضعيف وتقدمه عليه وهذا يستلزم ضربه لكثير من المزدحمين لا لسعد فقط وهذا يستلزم الضوضاء والفوضى وسقوط هيبة مقامه عندهم فهذه القصة ان صحت عنه ثلب له واسعد لا محالة وليست منقبة له . (الخامس) ازدحام الناس عليه لأخذ المال منه ينافى مروءة رجال العرب وعفتهم فكيف بأصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ويستلزم شدة الهلع

والشره للمال من المزدحمين ولا شك أن هذا خلق ذميم وصم به الواضع لها جميع الصحابة لاسعداً فقط . (السادس) روينسا في صحيح الامام البخارى عنه عليه الصلاة والسلام أنه قسم مالا في مسجده بين ناس ولم يعط رجلاً هو أحب الى سعد هذا فقال سعد يا رسول الله مالك عن فلان انى والله لأراه مؤمناً ، فقال له عليه الصلاة والسلام أو مسلماً كرر سعد هذا الكلام لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثلاث مرات وكرر له عليه الصلاة والسلام هذا الجواب كذلك ثم قال له عليه أفضل الصلاة والسلام ياسعد (والله إنى لأعطى الرجل وغيره أحب إلى منه مخافة أن يكبه الله في النار) فالذى سمع هذه التربية العظيمة منه عليه الصلاة والسلام كيف يستفزه الهلع والشره إلى المال حتى يزاحم عليه إخوانه لتحصيله . (السابع) ثبت بهذه الأوجه إن هذه القصة الموضوعة للحط من مقام سعد ولرفعة مقام عمر دالة أيضاً على وصم عمر بشدة الحياء واللين اللذين وصم بهما عثمان وجعلهما من أسباب قتله (لو صحت) وبيان ما ذكره في المحاضرة الخامسة والعشرين في سيرته قال (كان عمر ممن يشترى رضى العامة بمصلحة الأمراء) وقال أيضاً فيها (على قدر ما كان عليه عمر من الشدة على عماله كانت رأفته ورقته على عامة الناس من رعيته) فحياؤه ولينه هما اللذان جرأ تلك العصبية الاجرامية التى أسست هذه الفتنة العظمى بالكوفة عليه وعلى عثمان فى العبث بعمالهما فمنعاه من تأديب أولئك العابثين بكرامته وكرامة أبى اسحاق سعد بن أبى وقاص رضى الله عنهما مع تحققه افتراءهم وحياؤه ولينه هما اللذان جرأ الناس على الازدحام عليه فذكره لها فى سيرته عاداً لها فى مناقبه واستشهاده بها هنا على ابن عثمان وهيبته هو فى قلوب رعيته فاسد فأى هيبة لمن افترى شرذمة من رعيته على عامله ولم يصنع بهم شيئاً وأى هيبة لمن ازدحم طائفة من رعيته عليه ولم يهذب أخلاقهم بحكمة لسانه إن كانت الآداب النبوية لم تهذبهم وأى منقبة لمن أدب واحداً من المزدحمين عليه بدرته وترك الباقيين وأى لوم على عثمان فى تركه معاقبة المفسدين

الذين رفعوا اليه وثبت أنهم يديرون حركة الفتنة من غير مبالاة (وهم
مئون) إذا كان الفاروق ترك معاقبتهم (وهم عدد قليل) . وقوله (أشار
عليه ولاته حينما جمعهم لديه بالموسم أن يستعمل الشدة مع أولئك الذين
يثيرون العامة فلم يعبأ بقولهم بل اختار اللين على الشدة الخ) غير صحيح
فالذى أشار عليه منهم باستعمال الشدة معهم إنما هو سعيد بن العاص فقال
عثمان هذا هو الرأى لولا ما فيه ، والباقون أشاروا عليه برأى متقارب
فقد قال له ابن عامر أرى لك يا أمير المؤمنين أن تشغلهم عنك بالجهاد حتى
يدلوا لك ولا يكون همّة أحدهم إلا في نفسه وما هو فيه من دبر دابته
وقمل فروته ، وقال معاوية أشير عليك أن تأمر أمراء الأجناد فيكفيك
كل رجل منهم ما قبله واكفيك أنا أهل الشام ، وقال ابن أبي سرح إن
الناس أهل طمع فأعطهم من هذا المال تعطى عليك قلوبهم . وقوله (ثم
جاءه بالمدينة نفر من أولئك الناس وعلم مقصدهم وأشار عليه مشيره من
أهل المدينة بعقوبتهم فلم يفعل إلى آخر الكلام) باطل لأن الجائين له
ليسوا نفراً بل هم وفود كثيرة من الأمصار الثلاثة وقد صرح به سابقاً في
صفحة ٣٨ قال (فخرجت وفود من الأمصار الثلاثة) وكيف يعاقب وفوداً
من رعيته قدموا يسألونه عن أشياء من سيرته انتقدوها في زعمهم عليه
ووراءهم في أمصارهم مئون يعضدونهم عليه فتركه لهم من غير تأديب بعد
إقناعه لهم بالحجج الحاسمة هو الصواب الذي لا يمكنه هو ولا غيره أن
يصنع معهم أكثر منه والذي أشار عليه من أهل المدينة بعقوبتهم انصح
لا نظر له في العواقب . وأخلق به أن يكون غير صحابي من قرابته ولو كان
الفاروق بدله ما زادهم على هذا وقد حيرته وأعضلته طائفة منهم من مصر
واحد فهل يمكن ذا النورين معاقبتهم وقد صاروا في زمنه جيشاً عرمرماً
من أمصار ثلاثة فلو كان الحياء واللين من أسباب قتل عثمان لما طالت خلافته
اثنتي عشرة سنة مضى نصفها منتظماً في سلك الهدى والرفاهية محبوباً مرضياً
عنه من جميع رعيته باجماع أهل النقل ، ولبادروا إلى التشغيب عليه من أول

توليته حيث علموا انه مطبوع على الحياء الذى يحمله على الاغضاء عن كثير مما يكره وعلى اللين الذى يجعله يمتنع عن عمل أى تدبير لمعاقبة المفسدين .

قال (السبب الثالث) (ما خالف به عثمان صاحبه عمر فى اعلام قریش فان عمر كان يحجر عليهم فى المدينة فلا يسمح لهم أن يبارحوها إلا باذن واجل فلما جاء عثمان سمح لهم بذلك وكان هذا لهم مماحببه اليهم ولكن ترتب عليه ما حذره عمر فانه قد اجتمع اليهم اناس من لا سابقة لهم فى الاسلام والتصقوا بهم وتقرّبوا اليهم حتى إذا كان الامر لهم فى يوم من الايام كانوا أقرب الناس اليهم فنبه بذلك ذكرهم ، وإلا فلماذا كان أهل البصرة يريدون طلحة . وأهل الكوفة يريدون الزبير ، وأهل مصر يريدون عليا ، صحيح ان عليا لم ينجى مصر ولكن جاءها من هو أمس الناس به رحما وهو محمد بن أبى بكر ريبه لأن أمه أسماء بنت عميس تزوجها على بعد موت أبى بكر وكان محمد فى حجرها فرباه على فلم تكن طلبات أهل الامصار إلا نتيجة لما فعله عثمان وانقطاع العامة إلى أولئك الاعلام أو لمن هو منهم بسبيل حتى يكون لهم شأن إذا انتقلت الخلافة إلى صاحبهم ولذلك لما تم الامر لصاحب المصريين ولم يتم الامر للآخرين اجتمعا عليه ، لا يمكن من قرأ تفصيل الحوادث التى سبقت قتل عثمان أن ينفى عن اعلام قریش تطلعهم إلى ولاية الامر ولكن من الصعب أن يثبت على أحدهم اشتراك حقيقى مع المتسامرين والذى يؤخذ عليهم هو هواتهم فى القسام بنصرة عثمان خليفة المسلمين واسترسال بعضهم فى الاقوال التى تحط من قدره حتى وقت اشتداد الأزمة . وعلى مسمع من رؤساء الثائرين الذين يشتد هياجهم بمثل هذه الكلمات اه) .

قوله السبب الثالث (ما خالف به عثمان صاحبه عمر فى اعلام قریش إلى قوله وإلا فلماذا كان أهل البصرة) تقدم إبطاله بستة عشر وجها خلاصتها افتراء هذا الحجر لاعلام قریش بالمدينة على عمر رضى الله عنه وقوله (فلماذا كان أهل البصرة يريدون طلحة إلى قوله صحيح ان علياً)

يعنى وان لم نقل بأن عثمان خالف صاحبه عمر في اعلام قریش فلماذا كان إلى آخر الهراء قد تقدم ان أهل البصرة لو كانوا يريدون طلحة ما قبلوا عثمان بن حنيف لما جاءهم أميرا من قبل على ولما اقترحوا على ثلاث فرق فرقة انضموا إلى طلحة وقتلوا معه، وفرقة قاتلوه وفرقة اعتزلت . ولبادروا كلهم لبيعته ولم يختلفوا عليه هذا الاختلاف . ولو كان أهل الكوفة يريدون الزبير ما بايعوا كلهم علياً ولبادروا إلى مبايعة الزبير وقد وجدوا الفرصة لها لانه وصل العراق قبل على بمدة . ولو كان المصريون يريدون عليا ما اقترحوا أيضا إلى فرقتين . فرقة وهم الاكثرون بايعوه ، والاقلون وهم العثمانيون اعتزلوا ولم يبايعوه أصلا ولما خذلوا أميره عليهم محمد بن أبي بكر لما أرسل اليها معاوية جيشا فأدخلها تحت طاعته وتركوه مفرداً ، على انه فاسد أيضا في أهل العراق فلو كان أهل البصرة يريدون طلحة ما بادر ثوارهم الذين حضروا قتل عثمان لمبايعة على مع أهل المدينة ولبادروا إلى بيعته صاحبهم الذي يريدونه ولم يخضعوا لثوار المصريين أبداً ، ولو كان أهل الكوفة يريدون الزبير ما بادر ثوارهم الذين حضروا قتل عثمان لمبايعة على مع أهل المدينة ولبادروا إلى بيعته صاحبهم الذي يريدونه ولم يخضعوا لثوار المصريين أبداً ويستحيل على هذا خضوع ثوار العراق جميعا لثوار المصريين فيبايعون معهم صاحبهم عليا وهم ضعفهم في العدد وأقوى منهم شكيمة وللزم على هذا العكس وهو خضوع ثوار المصريين لثوار العراق فلو اتفق ثوار البصرة على مبايعة واحد من صاحبيهما للزم ثوار المصريين مبايعة ولزم أيضا أهل المدينة ذلك تبعاً لهم لان الكلمة العليا بها للثوار كما سيزعمه في بيعته على فاتفقهم على مبايعة على مع أهل المدينة والمصريين دليل على بطلان ما هذى به ، وقوله (صحيح ان عليا لم يحى مصر ولكن جاءها إلى قوله فرباه على) حكم على ضوائر القلوب كعادته وافترأ على على وعلى ابن أبي بكر وعلى التاريخ الاسلامى وهو بين أيدينا فانه لم يقل ان عليا بعث ابن أبي بكر ليدعوا له المصريون ولم يقل انه كان يدعوهم لزواج أمه على (٤١ - تحذير العبقري)

وإذا كان جاء مصر مشوشا على عثمان لكونه حاقداً عليه في غرض خاص به أفيلزم منه دعاؤه المصريين لزوج أمه ، هذا بهتان لا يفهمه النواصب فضلا عن غيرهم ماحله عليه وعلى تركه ظاهر حال ابن أبي بكر المنقول في التاريخ وهو مجرد تشغيبه على عثمان إلا بغضه لحيدرة فان كان لابد له من البهتان عليه وعلى وعلى التاريخ الاسلامي فلم لا يجوز أن يكون داعياً لهم لمن هو أقرب اليه من على وهو أخوه عبد الرحمن بن أبي بكر وهو أهل لها لشجاعته وفضله ومنزلة أبيه في الاسلام أو يدعوهم لطلحة ابن عبيد الله أحد العشرة المبشرين بالجنة وهو أيضا أقرب اليه من على لانه من عشيرته بنى تميم وهو أهل ومحل لها لسابقته وهجرته ومن ستة الشورى . وليفرض صحة هذا البهتان كله في ابن أبي بكر فما يصنع في محمد ابن أبي حذيفة العيشمي الذي رباه عثمان وهو من قرابته وابن خال معاوية وقد نطق التاريخ الاسلامي بأنه قائد الفتنة الكبرى على عثمان بمصر وقد تقدم انه فعل بها من التشغيب عليه ما لم يفعله ابن أبي بكر وابن السوداء معاً فقد وثب أخيراً على نائب ابن أبي سرح بها لما توجه هذا الى عثمان فقتله واستولى عليها وجهز ذلك الجيش الظالم الى عثمان ولما رجع ابن أبي سرح من وفادته منعه من دخول مصر ، أهذا كذلك بينه وبين على رحم حتى أمال المصريين اليه أم هو الجهل بالتاريخ والبغض لأصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خصوصاً أبا الحسن . وقوله : (فلم تكن طلبات أهل الامصار إلا نتيجة لما فعله عثمان إلى قوله لا يمكن من قرأت تفصيل الحوادث) كله فاسد تقدم إبطاله مفصلاً يعني ان طلبات ثوار الامصار في زعمه ، لم تكن إلا نتيجة لما فعله عثمان من فسحه لا اعلام قریش في التجول في الامصار الذي منعهم منه عمر . وقوله (لا يمكن من قرأت تفصيل الحوادث التي سبقت قتل عثمان أن ينفي عن اعلام قریش تطلعيهم إلى ولاية الأمر إلى آخر الكلام) طعن مكرر في كبار الصحابة ورمى لهم بالمشاركة في دم عثمان رضي الله عنه قد عود قراءه عليه كثيراً وتمرن عليه فلا يستنكر منه هنا محاولة نهش

أعراض سادات قدسهم الله وأثنى عليهم في كتابه المنوات ورضى عنهم ثم
أثنى عليهم رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم عموماً وخصوصاً ونهى عن
التكلم فيهم في أحاديث كثيرة منها ما رواه الامام أحمد في مسنده عنه عليه
الصلاة والسلام (دعوا الى أصحابي فوالذى نفسى بيده لو أنفقتم مثل جبل
أحد ذهباً ما بلغت أعمالهم) ، وما رواه ابن عساكر عن أنس رضى الله
تعالى عنه (دعوا الى أصحابي وأصحابى فمن آذانى فى أصحابى وأصحابى
آذاه الله تعالى يوم القيامة) ، وما رواه الترمذى وابن حبان فى صحيحيهما
عن عبد الله بن مغفل قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (الله
الله فى أصحابى لا تتخذوهم غرضاً فمن أحبهم فبحبى أحبهم ومن أبغضهم
فببغضى أبغضهم ومن آذاهم فقد آذانى ومن آذانى فقد آذى الله ومن آذى
الله فيؤشك أن يأخذه) وأخرج أصحاب الكتب الستة إلا مالكاً عن
عمران بن حصين رفعه (خير القرون قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم
ثم إن بعدهم قوما يشهدون ولا يستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون وينذرون
ولا يوفون ويظهر فيهم السمن) ، وأخرج الامام أحمد والشيخان وأبو
داود والترمذى عن أبى سعيد الخدرى قال كان بين خالد بن الوليد وبين
عبد الرحمن بن عوف شىء فسيبه خالد فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
(لا تسبوا أصحابى فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم
ولا نصيفه) ، وأخرج عن أبى موسى رفعه (النجوم أمانة السماء فإذا ذهب
النجوم أتى السماء ما توعد وأنا أمانة لأصحابى فإذا ذهب أتى أصحابى
ما يوعدون وأصحابى أمانة لأمتى فإذا ذهب أصحابى أتى أمتى ما يوعدون) ،
وأخرج الطبرانى عن ابن مسعود وثوبان وأبو يعلى وابن عدى عن عمر
ابن الخطاب (إذا ذكر أصحابى فأمسكوا وإذا ذكرت النجوم فأمسكوا
وإذا ذكر القدر فأمسكوا) ، وعند الدارمى وابن عدى والبيهقى والديلى
(أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم) .

فقلوه (لا يمكن من قرأ تفصيل الحوادث التى سبقت قتل عثمان إلى

قوله مع المتأمرين) صحيح لا يمكنه نفي ذلك ولكن عند أشباهه المولعين بتبع وتقليد الأباطيل والوضاعين والكائدين للإسلام ، أما القارى المسلم اللبيب المتمسك بالتاريخ الصحيح فانه ينفي ذلك عنهم ويبرأ إلى الله منه . وقوله (والذى يؤخذ عليهم هو هودتهم فى القيام بنصرة عثمان خليفة المسلمين) افتراء عليهم وعلى التاريخ الاسلامى المبرىء لهم وقد نقلته سابقاً واضحاً عن ابن الاثير وغيره فالصحابة كلهم رضوان الله عليهم لم يألوا جهداً فى نصره والمدافعة عنه وقد عزموا على ذلك ولكن عثمان رضى الله تعالى عنه أقسم عليهم بكف أيديهم ولزوم بيوتهم كما تقدم ومنعهم من سفك الدماء فى حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم بسببه فاستسلم للقضاء وصبر . فان كان المحاضر ترك التاريخ الصحيح وامتطى الأباطيل عمداً فهو بلا شك من المناوئين للإسلام وان كان جاهلاً له فكيف ساغ له الحكم عليهم بقوله : (والذى يؤخذ عليهم هو هودتهم فى القيام بنصرة عثمان) ، والله سبحانه وتعالى والتاريخ الاسلامى الصحيح وعثمان الخليفة نفسه قد برؤوهم من دمه . (وقوله واسترسال بعضهم فى الأقوال التى تحط من قدره إلى آخر الهراء) افتراء عليهم مكرر قد تقدم ابطاله مبرهن .

قال فى ص ٤٥ ج ٢ (السبب الرابع) (سهولة التأثير فى الجماعات متى أتوا من قبل مايهون وما يحبون وهم فى هذه الأحوال لا يصبرون حتى يتثبتوا مما يلقي عليهم بل سرعان ما يصدقونه ويألمون له ان كان مؤلماً ويسرون ان كان ساراً كان الناس مسلمين يحبون نبيهم أكثر مما يحبون أنفسهم عربا يحبون العدل والمساواة كما عودهم عمر فجاءهم ذلك الشيطان عبد الله بن سبأ من الجهة التى يألفونها وهى نقطة ضعفهم صار يضع لهم الكلام فى تعظيم الرسول وأهل بيته ويعسو بهم على بن أبى طالب وصى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كما كان لكل نبي وصى وأنه من اللازم أن يعطى الأمر لصاحب الحق لأن من اجترأ عليه فأخذه منه ظالم غاشم ثم صار يزيد على ذلك ما يدسه مدحاً لعل بن أبى طالب حتى علا به إلى درجة

لم يطلبها على لنفسه ومثل هذا الكلام يسهل إدخاله في القلوب خصوصاً إذا كان قد سبقه شيء من الضغينة على من بيده أمر الخلافة ولذلك نرى الرجل كان يتبع من أصحابهم من ولاية عثمان أذى في نفسه أو ماله ثم جاءهم من قبل العدل والمساواة فصار يطعن في أمراء عثمان مرة بأنهم شبان ومرة بأنهم من ذوى قرباه ومرة بأنهم ظلمة يسومون الناس خسفاً والذين كانوا يؤيدونه لأغراض في أنفسهم اشتغلوا في الأمر بمهارة فصارت شيعتهم في كل مصر تكتب إلى المصر الآخر بما عندهم من المحزنات فيقرأ كتابهم على العامة علناً فيستغيثون بالله مما حل باخوانهم ويقولون نحن في عافية مما ابتلى به هؤلاء الناس حتى أمكنهم أن يوغروا صدور العامة التي تجتمع عليهم وليس لما يكتبون صحة اهـ .

أقول قد عظم المحاضر سابقاً شأن ابن سبأ هذا فجعله قائد ومحرك الفتنة الكبرى التي قامت على عثمان في جميع الأمصار وكرر هنا التهويل به فجعله أحد الأسباب الأربعة في قتل عثمان رضى الله عنه (وهو أقل وأذل من كونه أحد الأسباب في مقتله فضلاً عن كونه قائد الفتنة) وقد أبطلت جمعجعته فيه هناك بالبراهين . فقله (سهولة التأثير في الجماعات) أى العامة صحيح . وقوله (متى أتوا من قبل ميهوون ويحبون) غير صحيح فإن الغوغاء يتأثرون بكل ما يلقيه اليهم من وثقوا به واعتقدوا فيه محبوباً كان لهم أم لا . ولذلك أثر عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال فيهم (الغوغاء اتبعوا كل ناعق إذا اجتمعوا وضروا وإذا تفرقوا نفعوا) فقل له وكيف ذلك قال إذا اجتمعوا وتففقوا ولو على ضلال وضروا المسلمين وإذا تفرقوا نفعوهم بمهنتهم هذا حداد وذاك خياط وآخر نجار وهكذا وعليه فزعمه سهولة تأثير تعاليم ابن سبأ في جماعات أمصار المسلمين باطل من أربعة أوجه :

(الأول) قد حققت سابقاً في مواضع أن فتنة التمرد على الخلفاء وعمالهم تأسست بالكوفة في عهد الفاروق وابن سبأ إنما أسلم في خلافة

عثمان فمن أثر بضلاله في الجماعات في عهد عمر .

(الثاني) المحاضر كثير التناقض وكتابة مالا يعقل فقد زعم قريباً في المحاضرة التي قبلها أن أهل البصرة كانوا يريدون طلحة وأهل السكوفة كانوا يريدون الزبير فارادة أهل المصريين لهما دليل على أن ابن سبأ لم يؤثر بتعاليمه في العراق شيئاً إذ لو أثر فيه لارادوا جميعاً علياً ولم يريدوا طلحة والزبير ، وكلامه في هذا السبب يدل على أن ابن سبأ أثر فيه بتعاليمه (التي زبدتها الدعاية لعلي) في جميع الامصار وعليه فيستلزم أن يكون جميع أهل العراق شيعة لعلي يريدونه ولا يريدون طلحة والزبير ولا شك أن هذا عين التناقض فلو فرضنا صحة هذا الفشار لبطل الزعم المذكور ولو فرضنا صحة الزعم المذكور لبطل هذا الفشار وفرض صحتهما معاً لا يعقل .

(الثالث) ذكر ابن كثير في بدايته (إن الخوارج من المصريين كانوا محصورين من عمرو بن العاص فجعلوا يعملون عليه حتى شكوه لعثمان لينزعه عنهم ويولي عليهم من هو ألين منه فلم يزل ذلك دأبهم حتى عزل عمرا عن الحرب وتركه على الصلاة وولى على الحرب والخراج عبد الله بن سعد بن أبي سرح ثم سعوا فيما بينهما بالنخبة فوقع بينهما كلام قبيح فأرسل عثمان فجمع لابن أبي سرح جميع عمالة مصر خراجها وحربها وصلاتها وبعث إلى عمرو يقول له لا خير لك في المقام عند من يكرهك فاقدم إلى فانتقل عمرو بن العاص إلى المدينة وفي نفسه من عثمان أمر كبير اه) . وهذا يدل على أن الفتنة على الخلفاء وعمالهم بمصر تأسست أيضاً في عهد الفاروق لأن عزل عمرو بن العاص عنها وتولية ابن أبي سرح عليها كان في سنة ست وعشرين وخلافة عثمان كانت في أول سنة أربع وعشرين وقد ولى الفاروق عمراً عليها منذ فتحها وبقي والياً عليها حتى عزله عثمان وابن سبأ إذ ذاك لم يزل يهودياً في صنعاء وقد مضت ست سنين من خلافة عثمان منتظمة في سلك الطمأنينة والرفاهية فتشغيب خوارج مصر على عمرو شبيه بتشغيب خوارج السكوفة على سعد ابن أبي وقاص ، وعزل عثمان

لعمر و عن مصر شبيهه بعزل الفاروق لسعد عن الكوفة ، وعذر عثمان في عزل عمرو وعذر عمر في عزل سعد .

(الرابع) انقسام أهل مصر في علي إلى طائفتين طائفة وهم الأكترون بايعوه وطائفة لم يبايعوه دليل على أن تعاليم ابن سبأ لم تؤثر فيهم شيئاً وبما تقرر ظهر فساد قوله (كان الناس مسلمين يحبون نبيهم إلى قوله ولذلك نرى الرجل كان) الذي يقتضى أن الناس كلهم أنفسهم ذلك الشيطان ابن سبأ بتعاليمه بعد أن كانوا مسلمين يحبون نبيهم إلى آخر الهراء فالمسلمون كلهم يحبون نبيهم ويحبون العدل وجمهورهم إذ ذاك على اتباع سنته وعلى احترام خلفائه الأربعة وعلى قتل عثمان مظلوماً شهيداً . وقوله (ولذلك نرى الرجل كان يتبع من أصحابهم من ولاية عثمان إذى في نفسه وماله) دعوى كغيرها من دعاويه الكثيرة التي يرسلها بلا خطام ولا زمام ولو كان صادقاً فيها لسمى لنا ولو واحداً من هؤلاء الذين تتبعهم ابن سبأ بتعاليمه من لحقهم من ولاية عثمان أذى في نفسه وماله . وقوله (ثم جاءهم من قبل العدل والمساواة إلى قوله والذين كانوا يؤيدونه) رمى لجميع القائلين بالفتنة الكبرى على الخلفاء وعما لهم بمنتهى الغباوة يدل على أنهم لا يفهمون ولا يعرفون العدل والمساواة ولا يعرفون الطعن في أمراء عثمان بأنهم مرة شبان ومرة بأنهم من ذوى قرباه ومرة بأنهم ظلمة يسومون الناس خسفاً حتى جاءهم ذلك الوغد من صنعاء فعرفهم جميع ذلك كما ظهر فساد قوله (والذين كانوا يؤيدونه لأغراض في أنفسهم إلى آخر الهراء) وحيث تحقق للقراء فساد هذه الأسباب الأربعة التي أثر بها في مقتل عثمان . أقول : السبب الوحيد في قتل عثمان رضى الله عنه واحد وهو تجنى من لا صحة له ولا بصيرة في الدين من العرب على قریش وخلفائها وبطرحهم نعم الله عليهم بالإسلام والتوسع في الفتوحات والدنيا وقد حققته سابقاً في مواضع ولو قلت بتعدد الأسباب في قتله لقلت بسببين آخرين من قرابته وهما محمد بن أبي حذيفة بمصر و مروان بن الحكم بالمدينة وقد تقدم ما يتعلق بهما

موضحاً ، ثم رتب على هذه الأسباب قوله (فقد كانوا يعيبون معاوية وهذا لم يوجد عثمان بل ولاه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وولاه أبو بكر وولاه عمر ولم نر من العمال من استمر موثقاً به من عمر حياته كلها إلا أفراداً قلائل منهم معاوية بن أبي سفيان فقد كان والياً من أول حياة عمر إلى آخرها وكانت الشام أعدل ولايات المسلمين وأهدأها وكانوا يعيبون عبد الله بن أبي سرح لا لأنه ظالم أو جائر وإنما لامر آخر وهو أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حكم بقتله يوم الفتح ثم استوهبه منه عثمان فعفا عنه ولم يعلموا أن الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم كان إذا عفا فإنما جر على الذنب سترأ لا يزول ، وكانوا يعيبون مثل الوليد بن عقبة وهذا كان والياً لعمر بن الخطاب ومات عمر وهو وال له ، وكانوا يعيبون سعيد بن العاص وهو باعتراف أهل البصرة من أجود العمال واحكمهم بالقسط فلم تكن هذه المذام وجهة بحق لرفع جور وإنما كانت للتأثير في قلوب الناس وهم يتأثرون بسرعة من مثل هذا القول ، وساعدهم على ذلك أولياء الأمر لم يبادر وأبأخذ الحيلة لأن العمال لم يكن لهم مثل ذلك السلطان والخليفة حذر من أن يأمر بذلك فضاعت مصلحة الأمة وإذا أردنا أن نحمل الناس في ذلك الوقت تبعه أعمالهم وجدنا عثمان أقلهم تبعه في ذلك . لأن الحلم واللين لم يكونا في زمن من الأزمان مما يتجنى به على أولى الأمر والتبعة يحملها من مهّدوا السبيل لذلك اه .

أقول : اشتمل كلامه هذا كله على مخالفة التاريخ وغلو وتقصير وتناقض . فقوله (فقد كانوا يعيبون معاوية إلى قوله وكانوا يعيبون عبد الله) فيه غلو ومخالفة للتاريخ ، أذهله تغاليه في رفع مقام معاوية رضي الله تعالى عنه عن إجادة التعبير في حقه بأن يقول مثلاً وهذا لم يوله عثمان بل ولاه الخ ، فأساء التعبير بقوله وهذا لم يوجد عثمان والايجاد مختص بالقادر الحكيم لا يستطيع عثمان ولا جميع الخلق إيجاد ذرة أوأى فعل من الأفعال . وقوله (بل ولاه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وولاه

أبو بكر) غير صحيح لم يولاه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولا أبو بكر وإنما ولي أبو بكر أخاه يزيد بن أبي سفيان أميراً وقائداً على أحد الجيوش التي فتحت الشام فلما مرض يزيد في طاعون عمواس استخلفه على عمله فأقره عمر على ذلك فاستمر عليه حتى جمع له عثمان الشام كلها . وقوله (ولم ير من العمال من استمر موثقاً به من عمر حياته كلها إلا أفراداً قلائل منهم معاوية) غير صحيح فجميع عمال عمر موثق بهم عنده وإن عزلهم وقد تقدم أبطاله تفصيلاً ، وقوله (فقد كان والياً من أول حياة عمر إلى آخرها) غلط غير صحيح حملة عليه أيضاً تغاليه فيه ومقصوده أنه كان والياً لعمر من أول خلافته إلى آخرها فعبر بالحياة عن الخلافة وحياة عمر كلها ثلاث وستون سنة خلافته منها عشر سنين ونصف وهو غير صحيح أيضاً في ولايته من أو خلافة عمر لأن الفاروق تولى الخلافة في سنة ثلاث عشرة للهجرة وطاعون عمواس الذي مات فيه يزيد بن أبي سفيان كان في السنة السابعة عشرة للهجرة فيكون ابتداء ولاية معاوية بعد مضي خمس سنين من خلافة الفاروق ، وقد جعل كل وال ولاء عمر ووثق به ولم يعزله مقدساً لا يسوغ لأى خليفة أن يعزله وسيأتى في خلافة على نقضه وإفاضة البحث فيه وعيهم لابن أبي سرح ليس من كون النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، أمر بقتله يوم الفتح فقط بل لكونه من مسلمة الفتح وقريب عثمان لأنه أخوه من الرضاة . وقوله (وكانوا يعيرون مثل الوليد ابن عقبة وهذا كان والياً لعمر بن الخطاب ومات عمر وهو وال له) غير صحيح . لم يولاه عمر وإنما ولاء عثمان . وقوله (وكانوا يعيرون سعيد بن العاص وهو باعتراف أهل البصرة من أجود العمال) غلط وتقصير لأن سعيد بن العاص ولاء عثمان على الكوفة بعد عزل الوليد بن عقبة عنها ، وإنما ولي على البصرة من قرابته عبد الله بن عامر ، والتحقيق في عيب ثوار الأمصار لعثمان من أجل هؤلاء العمال إنما هو قرابتهم له وليست ولاية اقرباء الخليفة أو السلطان عيباً قادحاً فيه عند العقلاء إذا كانوا (٤٢ - تحذير العبقري)

أَكْفَاءَ لِمَا أُسْنَدَ إِلَيْهِمْ وَهُؤُلَاءِ الْعَمَالُ قَرَابَتَهُ كُلُّهُمْ كَانُوا أَكْفَاءَ لِمَا وَلَوْ عَلَيْهِ
وَكُلُّهُمْ وَلَوْ وَهُمْ رَجَالُ كِبَارٍ إِلَّا ابْنُ عَامِرٍ فَإِنَّ عَمْرَهُ كَانَ نَحْوَ الْخَمْسِ وَالْعِشْرِينَ
وَقَدْ أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ مَوْلَاهُ عَلَى
جَيْشٍ فِيهِ شَبَابٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَعَمْرُهُ ثَمَانُ عَشْرَةَ سَنَةً . وَوَلَّى أَبَاهُ
مِنْ قَبْلِهِ عَلَى سَرَايَا ، وَوَلَّى عَمَّهُ حَمْزَةَ أَمِيرًا عَلَى سَرِيَّةٍ ، وَوَلَّى عَلِيًّا رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُ عَلَى أَهْلِهِ بِالْمَدِينَةِ لِمَا تَوَجَّهَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِلَى تَبُوكَ وَوَلَاهُ
أَيْضًا قَائِدَ جَيْشٍ بَعَثَهُ إِلَى الْيَمَنِ وَوَلَاهُ أَيْضًا عَلَى تَبْلِيغِهِ عَنْهُ جَمِيعَ الْعَرَبِ
بِمَوْسَمِ الْحَجِّ سَنَةَ تِسْعِ أَوَائِلِ سُورَةِ بَرَاءَةِ وَقَالَ لَا يَبْلُغُ عَنِّي إِلَّا رَجُلٌ مِنْ
أَهْلِ بَيْتِي ، وَوَلَّى عَتَابَ بْنَ أُسَيْدٍ أَمِيرًا عَلَى مَكَّةَ لِمَا فَتَحَهَا وَعَمْرُهُ نِيفَ
وَعِشْرُونَ سَنَةً وَهُوَ مِنْ قَرَابَتِهِ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ . وَقَوْلُهُ (وَسَاعَدَهُمْ عَلَى
ذَلِكَ إِلَى قَوْلِهِ فَضَاعَتِ مَصْلَحَةُ الْأُمَّةِ) قَدْ تَقَدَّمَ إِبْطَالُهُ وَقَوْلُهُ وَإِذَا أَرَدْنَا
أَنْ نَحْمِلَ النَّاسَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتُ تَبِعَةَ أَعْمَالِهِمْ وَجَدْنَا عُثْمَانَ أَقْلَهُمْ تَبِعَةَ فِي
فِي ذَلِكَ) غَيْرُ صَحِيحٍ فَلَا تَبِعَةَ عَلَى عُثْمَانَ أَصْلًا وَلَا عَلَى النَّاسِ وَالتَّبِعَةُ كُلُّهَا
مَحْمُولَةٌ عَلَى الشَّوَارِ وَحَدِّهِمْ . وَقَوْلُهُ (لِأَنَّ الْحِلْمَ وَاللَّيْنَ لَمْ يَكُونَا فِي زَمَنِ مِنْ
الْأَزْمَانِ مِمَّا يَتَجَنَّبُ بِهِ عَلَى أَوَّلَى الْأَمْرِ) نَقَضَ لِمَا ثَرَثَ بِهِ فِي السَّبَبِ الثَّانِي
قَالَ فِي ص ٤٦ (لَا تَمُكِّنْ حِمَايَةَ الْأُمَّةِ مِنْ أَصْحَابِ الْمَقَاصِدِ السَّيِّئَةِ الَّذِينَ
يُرِيدُونَ فَتْنَتَهَا وَتَهْيِيجَهَا لِغَيْرِ مَصْلَحَتِهَا إِلَّا أَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْعُقَلَاءِ مَنْ يَحْتَرَمُ
رَأْيَهُمْ وَتَسْمَعُ كَلِمَتَهُمْ فَانْهَمَوْا عَنْ مَصْرُوعِ قَوْمِهِمْ بِمَا يَعُودُ عَلَيْهِمْ بِالْخَيْرِ وَالْفَلَاحِ وَكُلُّ
أُمَّةٍ فَقَدَتْ هَؤُلَاءِ السَّرَاةَ الْعُقَلَاءَ سَهْلًا عَلَى مِثْلِ ابْنِ سَبَأٍ وَمَنْ لَفَّ لَفَّهُ أَنْ
يَفْتَنُوهَا وَيَلْفَتُوهَا عَمَّا يَصْلَحُهَا وَيَجْعَلُوهَا بِأَسْبَابِهَا بَيْنَهَا شَدِيدًا وَهُمْ فِي كُلِّ زَمَنِ
كَثِيرُونَ فَمَا ظَنُّكَ إِنْ كَانَ سَرَائِهَا مِنْ يَسَاعِدٍ عَلَى فَتْحِ بَابِ الشَّرِّ بِأَغْضَائِهِ
وَتَهَاوُنِهِ إِنْ الشَّرُّ حِينَئِذٍ يَكُونُ مُسْتَطِيرًّا وَابْتِلَاءً عَظِيمًا وَسِيرِدَ عَلَيْكُمْ مِنْ
ذَلِكَ شَيْءٌ كَثِيرٌ أَهْ) . أَقُولُ أَشْتَمِلُ هَذَا الْهَرَاءَ عَلَى أَمْرَيْنِ تَعْظِيمِ شَأْنِ ابْنِ
سَبَأٍ وَالطَّعْنِ فِي الصَّحَابَةِ وَقَدْ تَقَدَّمَ إِبْطَالُهُ مَفْصَلًا فِيهِمَا .

تبيين

قال ابن كثير في بدايته مانصه (إن قال قائل كيف وقع قتل عثمان رضي الله عنه بالمدينة وفيها جماعة من كبار الصحابة رضي الله عنهم فجوابه من وجوه :

(أحدها) أن كثيراً منهم بل أكثرهم لم يكن يظن أنه يبلغ الأمر إلى قتله فإن أولئك الأحزاب لم يكونوا يحاولون قتله عينا ، بل طلبوا منه أحد أمور ثلاثة أما أن يعزل نفسه ، أو يسلم إليهم مروان بن الحكم أو يقتلوه فكانوا يرجون أن يسلم إلى الناس مروان ، أو أن يعزل نفسه ويستريح من هذه الضائقة الشديدة ، وأما القتل فما كان يظن أحد أنه يقع ولا أن هؤلاء يجترئون عليه إلى ما هذا حده حتى وقع ما وقع والله أعلم .

(الثاني) أن الصحابة مانعوا دونه أشد الممانعة ولكن لما وقع التضيق الشديد ، عزم عثمان على الناس أن يكفوا أيديهم ويغمدوا أسلحتهم ففعلوا فتمكن أولئك مما أرادوا ، ومع هذا ما ظن أحد من الناس أنه يقتل بالكلية .

(الثالث) أن هؤلاء الخوارج لما اغتتموا غيبة كثير من أهل المدينة في أيام الحج ، ولم تقدم الجيوش من الآفاق للنصرة بل لما اقترب مجيئهم انتهزوا فرصتهم ، قبحهم الله ، وصنعوا ما صنعوا من الأمر العظيم ، (الرابع) أن هؤلاء الخوارج كانوا قريبا من ألفي مقاتل من الأبطال ، وربما لم يكن في أهل المدينة هذه العدة من المقاتلة لأن الناس كانوا في الشغور وفي الأقاليم في كل جهة ، ومع هذا كان كثير من الصحابة اعتزل هذه الفتنة ولزموا بيوتهم ومن كان يحضر منهم المسجد لا يجيء إلا ومعه السيف ، يضعه على حبوته إذا احتبى ، والخوارج محدقون بدار عثمان رضي الله تعالى عنه ، وربما لو أرادوا صرفهم عن الدار لما أمكنهم ذلك ولكن كبار الصحابة قد بعثوا أولادهم إلى الدار يحاجفون عن عثمان رضي الله تعالى عنه لكي تقدم الجيوش من الأمصار لنصرته ، فما فجئ الناس إلا وقد ظفر أولئك بالدار

من خارجها ، وأحرقوا بابها وتسوروا عليه حتى قتلوه ، وأما ما يذكره بعض الناس من أن بعض الصحابة أسلمه ورضى بقتله فهذا لا يصح عن أحد من الصحابة أنه رضى بقتل عثمان رضى الله تعالى عنه بل كلهم كرهه ومقتنه وسب من فعله ولكن بعضهم كان يود لو خلع نفسه من الامر كعمار ابن ياسر ومحمد بن أبي بكر وعمرو بن الحمق وغيرهم اهـ) .

وقد أخطأ في عمال عثمان (قال عمال عثمان) (العلاء بن الحضرمي على مكة ، القاسم بن ربيعة الثقفي على الطائف ، يعلى بن منية على صنعاء ، عبد الله ابن أبي ربيعة على الجند ، عبد الله بن عامر على البصرة ، سعيد بن العاص على الكوفة ، عبد الله بن سعد على مصر ، معاوية بن أبي سفيان على الشام اهـ) . فعامله عند قتله رضى الله تعالى عنه على مكة عبد الله بن الحضرمي ، والعلاء بن الحضرمي توفي في خلافة عمر سنة أربع عشرة وقيل احدى وعشرين ، وعبد الله بن عامر ترك البصرة قبل قتل عثمان فلم يول عليها أحداً وقيل بعد قتله وقدم مكة وانضم الى طلحة والزبير وحضر معهم وقعة الجمل ولم يحضر صفين ، وسعيد بن العاص وفد على عثمان فلما رجع إلى الكوفة رده ثوارها يوم الجرعة قبل مجيئهم إلى عثمان واختاروا أبا موسى الاشعري فولوه عليهم وكتبوا إلى عثمان لاجابة لنا في وليدك ولا في سعيدك ، وابن أبي سرح وفد أيضا على عثمان فلما رجع وجد ابن أبي حذيفة استولى عليها فمنعه من دخولها فذهب إلى الرملة ومات بها .

تم بحمد الله الجزء الاول ويليه الجزء الثاني
وأوله خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه

الفهرس

صفحة

تقاريط العلماء

- ٣ تقر يظ فضيلة الشيخ محمد يحيى أمان عضو المحكمة الشرعية بمكة المكرمة
- ٦ تقر يظ فضيلة الشيخ حسن مشاط عضو المحكمة الشرعية بمكة المكرمة
- ٩ تقر يظ فضيلة السيد اسحاق عزوز عضو مجلس الشورى ومدير مدرسة الفلاح بمكة المكرمة
- ١٠ تقر يظ فضيلة السيد محمد أمين كتي المدرس بالمسجد الحرام وكلية المعلمين
- ١٥ تقر يظ فضيلة الشيخ محمد نور سيف المدرس بالمسجد الحرام ومدرسة الفلاح بمكة المكرمة
- ٢٤ تقر يظ فضيلة السيد علوى المالكي المدرس بالمسجد الحرام ومدرسة الفلاح بمكة المكرمة
- ٢٨ تقر يظ فضيلة الشيخ ابراهيم فطاني المدرس بالمسجد الحرام وقاضى المحكمة المستعجلة
- ٢٩ تقر يظ فضيلة السيد يوسف عبد الرزاق من علماء الأزهر الشريف والمدرس بكلية أصول الدين إحدى كليات الجامع الأزهر الشريف
- ٣٤ الخطبة والمقدمة
- .. لا يسوغ للمسلم أن يثق بكل ما يقوله المؤرخون فى رجال الأمة الإسلامية عموما فكيف بساداتها الصحابة رضوان الله عليهم
- .. التاريخ نقل محض يلزم الناقد لأى شخص كان أن يبنى انتقاده له على ما صح منه ولا يسوغ له نقده بالرأى والهوى والروايات الباطلة
- .. تشويه الكثير من مؤلفى هذا العصر حقائق التاريخ الإسلامى بالجهل والتقليد قد جمع كثير من مؤرخى الأقدمين فى مؤلفاتهم بين الغث والسمين وكثير منهم من أهل الاهواء وكثير منهم لامعرفة لهم بعلم الاسناد وفضائل الصحابة

٣٥ أعراض المسلمين حفرة من حفر النار وقف على شفيرها المؤرخون والأمرء - ابن دقيق العيد

.. ليس عند المتأخرين إلا التقليد لكل من هب ودب
.. تهجم العصريين والمنسائين للإسلام على التاريخ الإسلامى وأقبال الناشئة على مطالعة تأليفهم ومجلاتهم المملوءة بالمفتريات والطعن فى الإسلام ورجاله

.. مؤسس مجلة الهلال ومؤلف كتاب التمدن الإسلامى والروايات الخيالية كعذراء قریش وغادة كربلاء أشد إضلالاً للمسلمين من الكتب الموضوعة من قبل لاضلالهم كالعنترية وغيرها

٣٦ رد شبلى النعمانى على كتاب التمدن الإسلامى ونشر كثير من رده عليه فى المجلد الخامس عشر من مجلة المنار

.. تحذير المسلم ونصيحته من كل ما يمس كرامة أى صحابى كان فى أى تاريخ كائننا صاحبه من كان وفى المجلات

.. شهادة رجال الروم للصحابة بأنهم رهبان بالليل فرسان بالنهار وقول ملك الصين فيهم لما استنجد به يزدجرد ملك الفرس بعد وصفهم له ، انه لا يقوم لهم أهل الارض

٣٧ طعن طائفة من العصريين فى الصحابة رضوان الله عليهم بالهوى والتقليد

٣٨ الطعن فيهم طعن فى الشريعة التى عدلتهم وأثنت عليهم قرآنا وسنة لا محالة

.. العجب من هؤلاء الطاعنين اذا كتبوا عن حياة أساتذتهم وعن لا يعبأ

الله به يتغالون فى إطرائهم حتى يجاوزوا المعقول

.. العجب أيضا من مسلم يترك مناقب الصحابة المقطوع بها فى كتاب الله

والثابتة فى سنته عليه الصلاة والسلام ويتعثر فى طلبها فى كتب التاريخ

التي لا تخلو من الأباطيل

.. اعتماد المسلم فى تاريخهم على غير القرآن والسنة بناء على غير أساس

٣٩ ابن جرير وابن الأثير فيهما كثير من الأباطيل وكتاب الإمامة والسياسة ملوء بها

.. مدافعة الحافظ أبي زرعة الرازي عن الصحابة عموما وعن معاوية خصوصا

.. من اللازم على أساتذة التاريخ الاسلامي تزويد أبناء المسلمين بتاريخ الصحابة

.. أشد الطاعنين فيهم وأكثرهم خوفا وعيبا بكرامتهم محمد الخضرى صاحب المحاضرات

٤١ من مصائب علم الرواية والتاريخ اتخاذ الخضرى قدوة ومرجعا لكل متصور على التأليف في التاريخ

.. خطبه وتقوله على ابن هشام في سيرته في حادثة الفيل وانكاره خوارق العادة وتخبطه في الأخبار والقصص الدالة على كون الملائكة والجن والشياطين أجساما تقليدا في هذا كله لمحمد عبده

٤٢ الاشادة بمناب الصحابة والمدافعة عن حمى أعراضهم الشريفة حق واجب على كل مسلم

.. هم الذين سنوا لنا المدافعة عن حمى أعراض المؤمنين

٤٣ عقيدتنا في مدافعتنا عنهم شبيهة بعقيدة المؤمن بالمعاد والمنكر له .. مصادر الكتاب

.. (المحاضرة الثالثة)

.. ابطال تقوله على ابن هشام في حادثة الفيل بأربعة أوجه ومخالفته للتاريخ في ثلاثة مواضع

٤٨ ابطال حكمه على أبرهة وجنده بأنهم هلكوا بالأمراض الثقيلة الحصية والجدري بأربعة أوجه أيضا وإيراد اعتراضات كثيرة عليه لا يمكن

الجواب عنها

- ٥١ كلام محمد عبده في تفسيره لسورة الفيل الذي قلده فيه المحاضر
- ٥٢ إبطاله بأوجه كثيرة منها تكذيبه لصريح القرآن ومنها كذبه على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى جميع رواة سنته عليه الصلاة والسلام
- ٥٦ طعن محمد عبده في كثير من الأحاديث الصحيحة بل في المتواترة ولا معرفة له بالرواية مطلقا وقد صار في هذا الطعن مقلدا وقذوة لكثير من كتاب العصر وتحريفه لكثير من آيات القرآن بالتأويلات الفاسدة

. . . حمله ثبت يدا أبي لهب على كل من قال له انك مهما بلغت من العلم لا تصل الى درجة الاجتهاد

- ٥٧ زيادته في قصة أصحاب الفيل ثمانية أشياء الريح والجدرى والخصبة والسم اللاصق بالأحجار والحيسوان الصغير المسمى بالميكروب المتعلق بالأحجار وتناثر لحم أجسام الجيش وتعيين حجم الطير بأنه من جنس البعوض أو الذباب الذي يحمل جراثيم بعض الأمراض وسقوط تلك الأحجار من أرجل الطير

. . . خلط كثير وتهوئش وتناقض في هذه الزيادة ومناقشته فيها مناقشة علمية مسهبة

- ٦٠ يلزم من تفسيره هذا تجهيل الله جل وعلا حيث أخبر عن هذه الحادثة إخبارا بجملا ناقصا يحتاج إلى تبينه وتسكيه وتعجيز قدرته جل وعلا أيضا حيث لا يتأتى لها التأثير في الموجودات إلا بالوسائط الكثيرة وتجهيل الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وعلماء الاسلام من عصر الصحابة إلى زمنه حيث لم يهتدوا إلى هذا التفسير الذي انفرد به

- ٦٦ اعتماد المحاضر على مؤرخى الافرنج في قصة الزباء مع جذيمة واتهامه مؤرخى العرب وأبطال ذلك

٦٨ (المحاضرة الرابعة)

- ٦٨ مخالفة المحاضر للقرآن ولما فى الصحاح والتاريخ فى نزول اسماعيل عليه الصلاة والسلام بمكة قبل جرهم
- ٧٢ ايراد أسئلة على اتيان الخليل بهاجر وابنه اسماعيل عليهما الصلاة والسلام من الشام إلى مكة لا جواب عنها
- ٧٣ (المحاضرة الخامسة)
- . . خطله أيضا فى قصة جرهم واسماعيل وزعمه أنه أدخل فى العربية من العبرانية وإبطال ذلك
- ٧٦ (المحاضرة السادسة)
- . . غلطه الفاحش فى كون اسماعيل هو الذى بنى الكعبة وفى كونه جعلها مطافا يحجها أولاده
- ٧٧ تخليطه فى ذى الخلصة وغلطه فىمن نصب هبل للعبادة
- ٧٨ (المحاضرة السابعة)
- . . عدم وثوقه بمؤرخى الاسلام ووثوقه بالأجانب فى قصة بحيرا الراهب وانكاره دلائل نبوته عليه الصلاة والسلام
- ٧٩ انكار جماعة من الكتاب العصريين دلائل النبوة وتأويلهم القرآن بتأويل فاسدة نائية عن لغته تقليدا لمحمد عبده
- ٨٣ تأييد صاحب المنار أباطيل جهلة المؤرخين فى عثمان رضى الله تعالى عنه واعتذاره للقراء فى نشره رد شبلى النعمانى على صديقه جرجى زيدان
- ٨٦ (المحاضرة الثامنة)
- . . تقصيره فى أقسام الوحى التى تلقاها المبعوث رحمة للعالمين
- ٨٩ تحقيق الامام السبيلى لأنواع الوحى
- ٩٣ ترجيح الخضرى رأى محمد عبده فى أن الملائكة والجن والشياطين قوى معنوية لا أجسام كما يعتقد المسلمون
- ٩٤ رمى محمد عبده وتلميذه رشيد رضا لعلماء الاسلام بأنهم عبدة ألقاظ (م ٤٣ - تحذير العبقري)

وسوق كلاهما ومناقشتهم فيه

٩٦ سرد بعض النصوص القرآنية الدالة على كون الملائكة والجن والشياطين أجساما

١٠٢ من التلبيس المضحك تسميته علماء الاسلام بالفلاسفة وزعمه أن عندهم غرائب في الكلام عن الملائكة والجن والشياطين

١٠٣ عقيدة المؤمنين بالغيب

١٠٥ (المحاضرة التاسعة)

.. انكار دلائل نبوته عليه الصلاة والسلام انكار للقرآن لأنه من جملتها وانكار القرآن تكذيب برسالة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم إلى الناس كافة والقرآن من الخوارق ومشمتم على خوارق فلايمان به مع انكارها جمع بين المتناقضين

.. انكار كون الملائكة والجن والشياطين أجساما تكذيب للقرآن

الذى أثبت ذلك في آيات كثيرة لا يمكن تأويلها بحال

.. نتيجة هذا الانكار ابطال الوحي كله قرآنا وسنة على رأى المحاضر واضرابه

.. الوحي كله هو تاريخه عليه الصلاة والسلام الذى لم يصل اليها الا من طريق الرواة الذين يستلزم انكاره تكذيبهم فى جميع ما نقلوه اليها منه جزما

١٠٦ كتابة المحاضر واضرابه فى التاريخ الاسلامى والحالة هذه مبنية على غير أساس

١٠٧ على المحاضر فى هذه المحاضرة ستة مآخذ تركها لأنها من دلائل النبوة التى ينكرها مع كونها لب تاريخه عليه الصلاة والسلام

١١٣ (المحاضرة العاشرة)

... القرآن أعظم معجزات النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الخالدة

١١٤ محمد صلى الله تعالى عليه وسلم أعقل الخلق على الاطلاق
١١٧ انكار طائفة من أهل العصر معجزات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام
وقدوتهم في هذا الانكار محمد عبده وكلام العلامة مصطفى صبري
التوقاوى فى رده عليهم

١٢٣ أنواع المعجزات التى ظهرت منه عليه الصلاة والسلام ثلاث
١٢٦ من المعجزات القرآنية الاسراء والمعراج وتحقيقهما نقلا وعقلا مطنبا
١٢٧ تصريح القرآن بكون الاسراء يقظة بالجسد والروح معاً لا يقبل
التأويل بحال ، وتواتر الروايات عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
فيه عن خمسة وأربعين صحابيا واجماع المسلمين على ذلك يؤيدانه

١٣٠ تحبظته فى معجزات الاسراء والمعراج وترجيحه الرأى المنسوب لعائشة
ومعاوية رضى الله تعالى عنهما فى كونه مناما وابطال ذلك باسهاب
١٣٤ لولم يرد فى السنة ما يدل على أن الاسراء كان يقظة لامناما لكانت
الآية الشريفة (سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى
المسجد الأقصى) كافية فى ذلك

... المؤول لها مكذب لصريح القرآن واللغة التى نزل بها مشاق لرسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم متبع غير سبيل المؤمنين

... الأدلة الدالة على أن الاسراء كان يقظة بالجسد والروح معا
١٣٥ تلبس المحاضر على القراء بأنه هو وحزبه يؤمنون بالخوارق
بشروط وابطال تلك الشروط مطنبا

١٢٧ بعض النصوص القرآنية التى أولتها هذه الطائفة بالتأويل الفاسد
١٣٨ البرهنة على أن هذا الرأى المنسوب لعائشة ومعاوية رضى الله عنهما
فى أن الاسراء كان مناما لا يقظة موضوع عليهما

... ابطال تهويشه الأجوف بهذا الرأى الموضوع عليهما
١٤١ مبالغته فى اطراء معاوية وعائشة رضى الله تعالى عنهما من أجله

- ١٤٥ (المحاضرة الثانية عشرة)
... ذكر ست قصص من دلائل نبوته عليه الصلاة والسلام أهدرها
المحاضر في غزوة بدر مع كونها من لب سيرته عليه الصلاة والسلام
لعدم موافقتها لهواه
- ١٥٠ (المحاضرة الثالثة عشرة)
... ذكر سبعة منها تركها في غزوة أحد لعدم موافقتها لهواه
- ١٥٢ (المحاضرة الرابعة عشرة)
... تركه لسته من دلائل النبوة في غزوة الخندق لعدم موافقتها لهواه
- ١٥٥ إيهامه وإيهامه وتدليس في قصة اقتحام عمرو بن عبد ود ورفقائه
الخندق وإيضاح ذلك
- ١٥٦ بيان غلظه في اسلام خالد بن الوليد وعمرو بن العاص رضى الله
تعالى عنهما
- ١٥٨ من دلائل نبوته عليه الصلاة والسلام في الحديبية شرب الجيش من
ثم قليل مائه
... خطؤه في عمرة القضاء
- ١٥٩ من دلائل نبوته عليه الصلاة والسلام أخباره عن قتل أمراء جيش
مؤتة يوم الواقعة
- ١٦٠ مبالغته في أطراء خالد بن الوليد وسوء أدبه مع الصحابة فيها
... استبعاده كثرة جيش الروم مع قلة جيش المسلمين وقلة من قتل منهم
فيها وتكذيبه للتورخين وللصحابة الذين عاينوا ذلك وضبطوه
وابطال ذلك بأسباب
- ١٦١ جيش المسلمين في أكثر غزوات النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان
أقل من جيش أعدائهم وجيوش الروم وفارس في جميع المعارك التي
وقعت بينهم وبين الصحابة رضوان الله تعالى عليهم كانت أضعافهم

في العدد وأقوى منهم في العدة بل كانت جيوش المسلمين في أكثر المعارك التي دارت بين ملوكهم وبين أعدائهم أقل وأضعف في ذلك تركه لغزوة خيبر وهي من غزواته صلى الله عليه وسلم المهمة وذكري ثلاث من دلائل النبوة وقعت فيها

١٦٦ تركه لسبعة من دلائل النبوة وقعت في فتح مكة لعدم موافقتها لهواه

١٦٨ تركه لاثنتين منها في غزوة حنين لعدم موافقتها لهواه

١٦٩ تركه لثمانية منها وقعت في غزوة تبوك لعدم موافقتها لهواه

١٧٤ (المحاضرة السادسة عشرة)

١٧٥ إبطال غلطه الفاحش في تسمية المنافقين بالمنافقين

١٧٦ اعترافه بدلائل نبوته عليه الصلاة والسلام في أول كتابه نور اليقين وسوق كلامه فيه

١٧٨ كتب الصحاح والمسانيد والمعاجم والسير ملوءة بدلائل النبوة وخصها

بالتصنيف حفاظ كثيرون منهم أبو نعيم والبيهقي ثم السيوطي

... إبطال زعمه جمع الصديق للقرآن في مصحف واحد

... انتهاء رد أباطيله في سيرة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم والشروع في

رد أباطيله في الخلافة وسيرة الخلفاء الراشدين والصحابة رضوان

الله عليهم

... سيرة الصحابة جزء من سيرته عليه الصلاة والسلام فالطعن فيهم طعن

فيه وفي القرآن المعدل لهم المشني عليهم لا محالة

... قد طعن المحاضر في الشريعة كلها قرآنا ونبوة وسنة وصحابة

١٧٩ إنكار بعض المعجزات إنكارا لجميعها والتكذيب ببعضها تكذيب

لجميعها كما أن التكذيب ببعض رسل الله تكذيب لجميعهم

١٨٠ الصحابة دعائم الدين فعدالتهم مقطوع بها كتابا وسنة واجماعا

١٨١ سرد بعض الأحاديث الدالة على فضائلهم

- ١٨٤ (المحاضرة الثامنة عشرة)
- ... تعريف الخلافة ووجوبها على المسلمين وجوباً شرعياً كفاً وأدليلاً عليه من الكتاب والسنة والاجماع
- ١٨٥ تخطئه فيها وإبطال كلامه
- ١٨٧ بعض الأحاديث الدالة على خلافة الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم
- ١٨٩ بيان فساد تقسيمه للخلافة
- ... افتراءه على الانصار رضي الله عنهم فيها
- ١٩٠ إبطال محاماته عن رأي الخوارج مبرهنات مسهبا
- ١٩٣ تقويم كلامه في الرأي الثاني ونقد كلام ابن خلدون الذي اعتمد عليه فيه
- ١٩٦ افتراءه على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه فيها وإبطاله مسهبا
- ٢٠٢ افتراءه أيضاً عليه وعلى التاريخ الاسلامي فيها وزعمه أن الذين قاموا بالامصار الاسلامية على عثمان رضي الله عنه لأجله وإبطال ذلك بأسباب
- ٢٠٣ شيء من مناقب سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه قائد جيش المسلمين بالعراق وثور عروش الفرس بالقادسية وفانح مدائن كسرى
- ٢٠٤ تولية الفاروق له على الكوفة وشكايته أوباشها منه ودعاؤه عليهم
- ٢٠٥ جرأة أهل الكوفة وتمردهم على الفاروق واتعابهم له بكثرة شكايته الأمراء العادلين
- ... ضجره منهم وطلبه الموت ووصيته بهم من يتولى بعده أن يعزل عنهم كل يوم أميراً ويولى عليهم آخر أن طلبوا ذلك
- ... الفاروق باب الفتنة بين المسلمين إذا كسر (قتل) انفتحت بينهم إلى يوم القيامة

٢٠٥ تأسيس أوباش العرب الذين لا بصائر لهم في الدين الفتنة على قریش وخلفائهم بالكوفة في خلافة الفاروق

٢٠٧ ليس من شرط القائم بالحق صفاء الأمر له وليس من شرطه اتفاق الناس على طاعته عند جميع العقلاء

٢٠٨ ابطال ثمان فريات له أيضا على أمير المؤمنين على رضى الله تعالى عنه وكرم وجهه

٢١٢ ابطال انتقاده الخلافة مطلقا مبرهنا

٢١٨ افتراؤه على الفاروق في تنقيص ستة الشورى وتكذيب التاريخ له بثنائه على كل واحد منهم

٢١٩ ثناء الفاروق عليهم أيضا وقوله في الطاعنين فيهم انهم أعداء الله الضلال ووصيته بعد طعنه بالتمسك بكتاب الله وبالمهاجرين والانصار والاعراب وأهل الذمة

... ثنائه أيضا على كل واحد منهم وقوله في علي ، لله درهم ان ولوها الاصيلع ليحملهم على الحق وان كان السيف على عنقه

٢٢٣ موت جمهور الزمرة الفاضلة الصحابة رضوان الله عليهم في عهده وتغلب المخضرمين والاعراب الراجعين الى الاسلام قسراً على السلطة سببا رقة الاسلام في المسلمين وقتله رضى الله عنه بين ذلك ... صدق فراسة أبي عبيدة فيه وفي عثمان وتمنيه الموت قبله في قوله إن مات عمر رق الاسلام

... زعمه نقصان الطريقة الثالثة من طرق الخلافة وغشه وافتراؤه على عمر وعلى ستة شوره أيضا وكذبه على التاريخ

٢٢٤ طعنه في طرق الخلافة الثلاثة وابطاله موضحا مبرهنا

٢٢٨ طعنه في خلافة علي وتخبطه فيها وغشه وتهويشه وكذبه على معاوية وعلى التاريخ وابطال ذلك مبرهنا

٢٣٠ ترجيحه معاوية على علي وكذبه أيضا على معاوية وعلى تاريخ المسلمين وإبطال ذلك بأسباب

١٣٥ سبعة اجماعات لم يقيم لها المحاضر وزنا مع جمعه كتاباً في أصول الفقه ذكر فيه الاجماع الذى هو رابع أركان الشريعة واعترف به إجماع الأمة الاسلامية على أن الاسراء كان يقظة بالروح والجسد واجماعهم على بيعة الصديق واجماعهم على بيعة الفاروق واجماعهم على بيعة عثمان وثلاثة إجماعات تتعلق بعلى إجماع الأمة الاسلامية على أنه أفضل الصحابة بعد الخلفاء الثلاثة واجماعهم على بيعته واجماعهم على أنه مصيب في اجتهاده في حروبه والمحاربون له مخطئون

٢٣٧ اقتراؤه على الصحابة في أحمودة الرافضة وهى زعمهم أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أوصى بالخلافة لعلى كرم الله وجهه وقد وضعوها على الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم بعد العصور الخيرية بدهر

٢٣٨ عدم اعتباره خلافة ابن الزبير رضى الله عنهما وكذبه على التاريخ فيها ... تخيل فاسد منه في الخلافة والخلافة من الأحكام العملية وليست من العقائد وإنما ذكرت في علم الكلام لمناسبات ولذلك يعدونها متممة له

٢٣٩ إبطال خلاصة هذيان طعنه في الخلافة

٢٤٢ تحقيق عالم أصول كبرى في خلافة الخلفاء الأربعة مطنيا

٢٤٦ (المحاضرة التاسعة عشرة)

... إبطال تمسكه بالرواية الضعيفة في تأخر على عن مبايعة أبى بكر رضى الله تعالى عنهما

٢٤٧ تجبيده لأبى بكر رضى الله تعالى عنه وكذبه عليه وعلى التاريخ في حربه للمرادين دفعتين وإبطال ذلك موضحا

٢٥٠ (المحاضرة العشرون)

... إبطال زعمه أن الفاروق رضى الله عنه كتب إلى خالد بن الوليد في

وقعة اليرموك بعزله وتولية أبي عبيدة

٢٥٠ مبالغته في اطراء خالد رضى الله تعالى عنه دون الصحابة تشعر
بتنقيصهم رضى الله عنهم وقد انتقصهم سابقا في غزوة مؤتة وبالغ
في اطرائه

... ابطال زعمه أن الصديق رضى الله تعالى عنه جمع القرآن كله في مصحف
واحد وإنما جمعه في صحف والذي جمعه في مصحف واحد عثمان
رضى الله تعالى عنه

٢٥١ (المحاضرة الخامسة والعشرون)

... ابطال زعمه أن عمر استحضر عنده كثيرا من عماله ولم يذكر إلا سعداً
وعمار بن ياسر والمغيرة بن شعبة وزعمه أنه لم يمض عامل زمن عمر
موثوقاً به من عمر إلا القليلين

٢٥٢ شكاية أوباش الكوفة سعد بن أبي وقاص لعمر رضى الله عنهما
بغيا ودعاؤه عليهم وشيء من مناقب سعد وثناء عمر عليه ووصيته من
يتولى بعده بتوليته وقوله فإني لم أعزله عن خيانة دليل على ثقته به

٢٥٣ عزل عمر للمغيرة بن شعبة عن البحرين وتوليته له على البصرة وعزله
عنها للتهمة التي لم تثبت عليه وتوليته له مرة ثالثة على الكوفة دليل
على وثوقه به

٢٥٤ عزله لأبي هريرة عن البحرين ودعاؤه مرة ثانية ليوليه دليل على
وثوقه به

... اعتذاره عن عزل خالد بن الوليد والمثنى بن حارثة عن قيادة
الجيش وقوله أنه لم يعزلهما عن خيانة وثناءه على خالد دليل على
وثوقه بهما

٢٥٥ عزله لأبي موسى الأشعري عن الكوفة لما شكوه إليه وتوليته
مرة ثانية على البصرة دليل على وثوقه به

(م ٤٤ - تحذير العبقري)

٢٥٥ طلب أبي موسى منه أن يعينه بعدة من أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قائلا انهم في هذه الأمة كالملح واسعافه بتسعة وعشرين منهم

... نبذة من مناقب عمار بن ياسر رضى الله عنه

٢٥٦ طعنه في عمار برواية الطبرى الباطلة رواية ودراية بأحد عشر وجها

٢٥٨ كتابة عمر إلى أهل الكوفة يثنى على عمار يقول انه من النجباء من أصحاب محمد صلى الله تعالى عليه وسلم تبطل أيضا رواية الطبرى عنه تحقيره وتجهيله لعمار بعد عزله عنهم

... الصحابة الذين عزلهم عمر براء عدول موثوق بهم عنده ابتداء ودواما

... أول الامصار قياما على الخلفاء بشكاية أمراءهم بطراً أهل الكوفة

... لاصحة لما يشاع عن الفساروق رضى الله عنه من أنه كان يشاطر عماله أموالهم

٢٥٩ قصة عتبة بن أبي سفيان التى رواها ابن جرير وقلده فيها المحاضر فى ذلك باطلة بثلاثة أوجه

٢٦٠ تأوله الكلام المنسوب للفاروق فى الاجتماعات المذكور فى ابن جرير بتأويل فاسد وكذبه عليه وعلى التاريخ وحذنه منه ما لا يوافق هواه

٢٦١ ابطال كلام ابن جرير هذا وتصرف المحاضر فيه برأيه رواية ودراية بأوجه كثيرة

٢٦٤ تشييده مناقب عمر بالبهتان والأباطيل وركوبه دائماً مطيتهما فى الضدين المناقب والمثالب المناقب للفاروق ومعاوية والمثالب لجل الصحابة ولا سيما حيدرة

٢٦٥ (المحاضرة السادسة والعشرون)

... طعنه فى كعب الأحبار ورميه للفاروق وجميع الصحابة والأمة الإسلامية بالتغفيل وابطاله مسهمها

٢٦٩ يجوز التحديث عن بنى إسرائيل في القصص والمواضع ونحوهما
... قد روى عن كعب الأحبار أجلاء من الصحابة منهم ابن عمر وابن
عباس وأبو هريرة وابن الزبير ومعاوية وأثنى عليه أبو الدرداء ومعاوية
... قال الشيخ النووي في تهذيب الأسماء واللغات فيه ، اتفقوا على كثرة
علمه وتوثيقه

٢٧٠ ابطال زعمه أن عليا كرم الله وجهه تأخر عن مبايعة عثمان قليلا تقليداً

لابن جرير وإثبات بيعته له أولاً راضياً بدون أن يقول شيئاً
٢٧١ ابطال زعمه مشاركة أشخاص لأبي لؤلؤة في دم الفاروق تقليداً لابن

جرير أيضاً وابطال خبر ابن جرير في ذلك رواية ودراية بوجوه
٢٧٢ بيان تصرف المحاضر في خبر ابن جرير هذا مع بطلانه بالحذف والزيادة

٢٧٤ (المحاضرة السابعة والعشرون)
... طعنه في سادات مهاجري قریش باسطورة الطبري وابطاله مسهباً
بسته عشر وجهاً

٢٨٢ بناؤه على هذه الاسطورة التي وضعها الزنادقة في الطعن في سادات
الصحابة جميع طعنه فيهم

... ابطال زعمه أن عامة المسلمين إلى آخر حياة عمر كانوا لا يعرفون
الاختلاف بينهم وإثبات أن الاختلاف بينهم وقع في زمنه من
أهل الكوفة

٢٨٣ ابطال زعمه أن روح عمر كانت تخيف الرؤساء بأسباب
٢٨٥ إثبات أن هؤلاء السادة والرؤساء الذين طعن فيهم كانوا سمع عمر

وبصره وأحب الخلق إليه لا يستغنى عنهم
... ابطال طعنه في الصحابين الجليلين سعد بن أبي وقاص وعبد الله بن

مسعود رضي الله عنهما مبرهنهما
٢٨٧ ابطال تبرئته للوليد بن عقبة من شرب الخمر ولمزه لعلي مبرهنهما

٢٨٨ ثبوت شرب الخمر عن الوليد لا يحط من مقام صحبته شيئاً كما أن دفعه بالرواية الباطلة لا يزيد فيه شيئاً

٢٨٩ تشغيب أهل الكوفة على أميرهم سعيد بن العاص الاموى كعادتهم مع غيره وشيء من شمائل سعيد

٢٩٠ تشغيب أهل البصرة على أميرهم أبي موسى الأشعري وعزله عنهم وتولية عبد الله بن عامر العيشمي عليهم وشيء من شمائله

٢٩١ إبطال طعنه في حكيم بن جبلة العبدى بأنه كان لصاً

٢٩٢ تجسيمه شأن ابن سبأ حتى جعله قائد زعماء الفتنة التى قامت في وجه الخلفاء وهو أقل وأذل من هذا وتبيين حال ابن سبأ في الأمصار

٢٩٦ ابن أبى حذيفة عميد الفتنة على عثمان رضى الله عنه بمصر

٢٩٨ طعنه في أبى ذر رضى الله عنه بخبر ابن جرير وإبطاله بالبراهين ... تصرفه في خبر ابن جرير هذا بالحذف والزيادة

٢٩٩ رواية ابن جرير خبراً آخر مناقضاً لهذا يدل على أن ابن سبأ لم يستطع بث ضلاله في الشام أصلاً

٣٠٠ الصحيح في قصة أبى ذر مع معاوية مارواه الامام البخارى في صحيحه

٣٠١ مذهب أبى ذر في المال وشيء من مناقبه

... محاولة المحاضر وعبد العزيز جاويز وإسماعيل خليل المحامى تحليل الربا بخطب قاموا بها في دار العلوم

... ركوبه دائماً جادة الابهام والتدليس التى سنّها الوضاعون والكائدون للإسلام

٣٠٢ ذكره سبعة أمور نغمها الثائرون على عثمان رضى الله عنه وقد ذكر

محب الدين الطبرى في رياضته تسعة عشر خصلة نغموها عليه وأجاب عنها إجمالاً وتفصيلاً جواباً شافياً

٣٠٣ نقده لعثمان رضى الله تعالى عنه في اكتفائه بجواب وفد الشائرين

- عن السبعة الأمور وعدم تأديبه لهم والجواب عنه مبرهنا
- ٣٠٣ إبطال زعمه أن أهل البصرة كانوا يريدون طلحة وأهل السكوة كانوا يريدون الزبير وأهل مصر كانوا يريدون علياً مبرهنا
- ٣٠٥ جملة لتساريخ مجيء ثوار الأمصار للمدينة وحصارهم لعثمان وطعنه في علي كرم الله وجهه وإيضاح ذلك من ابن الأثير
- ٣٠٧ إبطال زعمه أن الصحابة رضوان الله عليهم كتبوا إلى أهل الأمصار يأمرهم بالقدوم على عثمان رضى الله عنه ليقاتلوه تقليداً لابن جرير وابن كثير والشائرون على عثمان هم الذين زوروا عليهم كما فعل ابن أبي حذيفة بمصر على لسان أمهات المؤمنين
- ٣٠٨ تزوير مروان بن الحسك كتاباً لعامل مصر على لسان عثمان بقتل بعض المصريين وصلب بعضهم وطمس المحاضر له
- ... مدافعة المعلق على العواصم من القواصم محب الدين الخطيب عن مروان وجزمه أيضاً بأن هذا الكتاب زوره الشائرون كما زوروا غيره ومناقشته وإثباته على مروان
- ٣١٠ القول بأن علياً خرج من المدينة عند حصار عثمان باطل مكذوب عليه
- ٣١١ إفساد مروان لكل ما أصلحه كبار الصحابة على وطلحة والزبير بين عثمان وبين الشائرين عليه وشتمه الناس المتجمهرين على باب عثمان وزجره لنائلة امرأة عثمان ونيله من أبيها واجابتها له وإتيان عثمان لعل في بيته ليلاً وجواب على له من ابن الأثير .
- ٣١٢ اقترأه على عثمان وعلى وحكمه على ضمائر الصحابة وتمسكه في لمز على بالأباطيل .
- ٣١٤ مدافعة الصحابة رضى الله عنهم عن عثمان ومنعه لهم من القتال وعزمه عليهم بكف أيديهم واستسلامه لقضاء الله .
- ٣١٥ إبطال زعمه مراسلات جرت بين علي وعثمان في مدة حصاره ولم

صحيفة

يذكر منها إلا الكتاب الذي ذكره المبرد في كامله وهو موضوع لا أصل له .

٣١٥ تشديد الشوار الحصار على عثمان وقطعهم عنه كل شيء حتى الماء وموقف على وأم حبيبة بنت أبي سفيان رضى الله تعالى عنهما في ذلك .

٣١٦ لم يكتب المحاضر التاريخ الاسلامى الدال على مدافعة الصحابة عن عثمان وبرائتهم من دمه وانما كتب هو اه .

... من تأمل في التاريخ تبين له أن مروان من أسباب قتل عثمان رضى الله عنه .

... لاصحبة لمروان ولم يصح له سماع من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم .

٣١٧ قد علم بنو أمية أن عليا برىء من دم عثمان كبراءة الذئب من دم يوسف وقد أقسم مراراً في خطبه على ذلك وقال لو شاءت بنو أمية أن أباهلهم عند الكعبة انى برىء من دم عثمان لفعلت .

... لعن على لقتله عثمان ودعاؤه عليهم .

٣١٨ بهتان على بنى هاشم وبنى أمية .

٣٢٠ المحاضرة الثامنة والعشرون

... ذكره أربعة أسباب لقتل عثمان رضى الله عنه كلها باطلة إجمالاً

وتفصيلاً لأن جل كلامه فيها طعن في الصحابة رضوان الله عليهم .

٣٢١ ابطال السبب الأول باسهاب ويتلخص في رميه لجميع الصحابة بالمدينة

بالحسد والبغض لعثمان وحكمه على ما في قلوبهم وهو بهتان وافك

مبين مضاد لما وصفهم الله به من الرحمة ولما وصفهم به من محبته لهم

ومحبتهم له وذلتهم لآخوانهم المؤمنين مناف لتسمية الله للهاجرين

بالصادقين وللانصار بالفلحين .

٣٢٤ ابطال السبب الثانى ويتلخص في نقده لعثمان بشدة الحياء والضعف

وكثرة التشاؤم وانه بسبب ذلك اسقط هبة مقام خلافته ولا بد

- لمقام الخلافة من هيبة في القلوب واستشهد لهذا بضرب عمر لسعد بن أبي وقاص رضى الله عنهما بالدرة لما زاحم الناس لأخذ المال .
- ٣٢٥ ضرب عمر لسعد بالدرة اسطورة ذكرها ابن جرير باطلة بسبعة أوجه
- ٣٢٦ لو صحت هذه الاسطورة لدلت على وصم عمر أيضاً بشدة الضعف الذى وصم به عثمان ولدل أيضاً إغضاؤه عن شزيمة من أوباش الكوفة شكوا سعداً بغيا وتبين له افتراؤهم عليه ولم يؤدبهم على ذلك فعثمان على هذا أعذر منه .
- ٣٢٧ ابطال زعمه ان ولاية عثمان أشاروا كلهم عليه بالشدة على الثائرين
- اعضال شزيمة من أوباش الكوفة للفاروق
- لو كان الحياء واللين من أسباب قتل عثمان ما طالت خلافته اثنتي عشرة سنة مضى نصفها منتظما في سلك الهناء محبوبا من جميع رعيته .
- ٣٢٨ ابطال السبب الثالث ويتلخص في زعمه في اذن عثمان لأعلام قریش بالخروج إلى الامصار وقد حجر عليهم الفاروق ذلك وان أهل البصرة كانوا يريدون طلحة وأهل الكوفة يريدون الزبير وأهل مصر يريدون عليا وان أعلام قریش تطلعوا إلى ولاية الامر وزعم هوادتهم في القيام بنصرة عثمان واسترسالهم في الاقوال التي تحط من قدره وقد ابطلته مفصلا سابقا ولاحقا .
- ٣٣١ ثناء الله على الصحابة رضوان الله عليهم وثناء رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم عليهم عموماً وخصوصاً ونهيه عن التكلم فيهم وبعض الأحاديث الدالة على ذلك .
- ٣٣٣ ابطال السبب الرابع ويتلخص في زعمه في أمرين . الأول ابن سبأ هو القائد الاعظم للثورة الكبرى على عثمان . الثانى رمية لجميع العرب بالتغفيل لانقيادهم لابن سبأ وقد ابطلته سابقا ولاحقا .
- ... السبب الوحيد في قتل عثمان واحد ولو قلت بتعدد أسباب قتله لقلت

بسببين آخرين من قرابته وهما محمد بن أبي حذيفة بمصر وكاتبه وابن عمه مروان بالمدينة ،

٣٣٥ اساءة تعبيره وكذبه على التاريخ لرفعة مقام معاوية والخط من مقام على .

٣٣٦ ابطال زعمه انه لم ير من العمال من استمر موثوقا به من عمر حياته كلها إلا أفراداً قلائل منهم معاوية وغلطه لتغاليه في معاوية ،

٣٣٧ ليس عيبيهم لابن أبي سرح كون النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أمر بقتله يوم الفتح فقط بل لكونه أيضا من مسلمة الفتح وقريب عثمان .

... لم يول الفاروق الوليد بن عقبة وإنما ولاه عثمان .

... غلطه في تولية عثمان لسعيد بن العاص .

... التحقيق في عيب الثوار لعثمان من أجل عماله إنما هو لقرابتهم له .

... ليست تولية قرابة الخليفة عيبا قادحا فيه عند العقلاء اذا كانوا أكفأ لما أسند اليهم .

٣٣٨ لا تتبعه على عثمان ولا على الناس والتبعة كلها محمولة على الثوار وحدهم

٣٣٩ ذكر ابن كثير في بدايته تنبيها برهن فيه على أن كثيرا من أهل المدينة

كانوا غائبين عند حصار عثمان وقتله في الموسم والغزو وان الباقين

منهم دافعوا عنه أشد المدافعة ولكنه عزم عليهم ان يكفوا أيديهم

وان الخوارج كثيرون .

٣٤٠ غلطه في عمال عثمان وتقويمه .

تم والحمد لله أولا وآخرا